



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ، الجزائر - 2 - أبو القاسم سعد الله
كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ



النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر ودورها
في تجسيد المشروع الاستعماري
(1830م - 1930م)

أطروحة منجزة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

لجنة المناقشة

الصفة	مكان العمل	الرتبة	الأستاذ
رئيسا	جامعة الجزائر (2)	أستاذ التعليم العالي	أ-د أولاد سيدي الشيخ عبد الرحمان
مشرفا ومقررا	م .ع. أ بوزريعة (الجزائر)	أستاذ التعليم العالي	أ-د سعيدي مزيان
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر (2)	أستاذة محاضرة (أ)	د- شارف رقية
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر (2)	أستاذة محاضرة (أ)	د- علامة صليحة
عضوا مناقشا	جامعة خميس مليانة	أستاذ محاضر (أ)	د- تاونزة محفوظ
عضوا مناقشا	جامعة المدية	أستاذ محاضر (أ)	د- العمري عبد النور

إشتراف
أ.د مزيان سعيدي

إعداد الطالب
محمد صدوقي

السنة الجامعية

1440هـ - 1441هـ

2019م - 2020م

الإهداء

إلى والدي رحمه الله وطيب ثراه وجعل قبره
روضة من رياض الجنة.

إلى الوالدة الكريمة أطال الله في عمرها.

إلى زوجتي وكل أفراد عائلتي.

أهدي هذا العمل

كلمة شكر

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات، والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

بداية أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور سعيدي مزيان على تفضله بقبول الإشراف على الأطروحة، التي عكف من خلالها على توجيهي وإرشادي للعناوين المتخصصة من كتب ومجلات وغيرها، ولم ييخل علي رغم التزاماته المتعددة التي توزعت بين التدريس والأبحاث الأكاديمية، داخل وخارج الوطن حيث سائر مختلف نشاطات البحث إلى غاية إنجازه على الصِّفة التي هو عليها الآن .

كما لايفوتني أن أنوّه بالمساعدة التي قدّمت إلي في إطار العمل من طرف أساتذة جامعيين متخصصين، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور دحماني توفيق والأستاذ مولود عويمر اللذين قدما لي الملاحظات الأكاديمية المتعلقة بالمادة العلمية ذات الصلة .

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة الذين بذلوا جهدا في تصحيح الأخطاء وتصويب العمل الأكاديمي شكلا ومضمونا.

كما لا أنسى أساتذة علم الآثار، وفجر التاريخ منهم الأستاذ فيلاح مصطفى والأستاذ عزيز طارق ساحد، والأستاذ عنان سليم ، الذين قدّموا لي شروحا في كيفية التعامل مع المكتشفات الأثرية ووضعها في سياقها الاصطلاحي التاريخي دون أن أنسى الزميل الفرنسي الدكتور فريدريك سولي الذي كان لي عوناً في جمع المادة خاصة ما تعلق بالأرشفية منها، فقد أمدني بكمّ من الوثائق استخدمتها في البحث، فلهم مني جميعا خالص الشكر والامتنان .

مقدمة

-التعريف بالموضوع

تتناول الدّراسة جانبا مهما من التّاريخ الاستعماري خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، والمتمثل في "النشاطات التاريخية والأثرية الفرنسية بين 1830م - 1930 م ودورها في تجسيد المشروع الاستعماري" وهو النّشاط الذي قامت به مختلف اللّجان والجمعيات والمدارس ، بالإضافة إلى معاهد جامعة الجزائر ، حيث ساهم فيه أكاديميون بمختلف البحوث ودعمه ساسة وعسكريون ناهيك عن رجال الأعمال والتجارة، بغرض تجميع البيانات والوثائق التاريخية ، والشواهد الأثرية لإعادة صياغة تاريخ الجزائر وفق منظور استعماري تحولت أثناءه الجزائر إلى مختبر بحث واستكشاف ، والجزائري إلى موضوع يخضع للاختبار والتجربة ، ساير البحث العلمي التاريخي والأثري عمليات اكتساح للأرض بالغزو العسكري من قبل الجيش الفرنسي وتلازمت معه أبحاث للتنقيب عن الموارد الطبيعية التي شملت تخصصات مختلفة كالجولوجيا والجغرافيا والآثار القديمة والحفريات وطرق القوافل، كما أجريت دراسات على أنماط حياة الجزائري وعاداته وتقاليده وسلالته وحتى طبيعته الخلقية، وتماهت الأبحاث مع مصالح المستوطنين التي عكست تفوق الرجل الأبيض المنحدر من الأصل الأوروبي اللاتيني وتكرّرت في جل كتاباتهم ودراساتهم بنائية "الحضارة ضد البربرية" والدّين في مقابل الوثنية" وأرض جزائرية عذراء لمستوطنين جدد " يقول فيكتور هيجو (Victor-HUGO) في هذا الشّأن "إنها الحضارة ضد البربرية . إنّه شعب متنور (يقصد الفرنسيين) وجد شعبا في الظلام (يقصد الجزائريين) نحن يونانيو العالم وعلى عاتقنا تقع مسؤولية تنويره. "

أمر وزير الحربية المارشال سولت (SOULT) بعد الاحتلال مباشرة دولامورسيير (DELAMORCIERE) تجهيز حملة للتنقيب والاستكشاف في كامل التراب الجزائري ، بما في ذلك المناطق التي لا تزال خارج السيطرة الفرنسية ، مع تكليف قادة الفرق الطبوغرافية إعداد خرائط جغرافية تساعد على مواصلة احتلال إفريقيا، فتشكّلت على إثرها اللّجنة العلمية لاستكشاف الجزائر سنة 1837م والتي كان من ضمن أعضائها بروسبيير أونفونتان (Proseper ENFANTIN) الدّي اشتغل بالجانب التاريخي والأثنوغرافي ، والنقيب ميشال أونطوان كاريت (Michelle Antoine CARETTE) الذي أسندت له مهمة وضع الخرائط .

كما درست اللجنة طباع الناس وعاداتهم وأنماط حياتهم وسلالاتهم من خلال البحث في الحفريات البشرية ، خاصة في منطقة القبائل، أملا في إيجاد ما يدعم فرضيات تاريخية استعمارية أو تقسيمات عرقية، ألف كاريت دراسات حول بلاد القبائل ، وأنجز بيليسيه (PELLISIER) أبحاثا حول أصل القبائل وهجراتها في إفريقيا الشمالية وخصوصا الجزائر سنة 1853 م، واشتغل أدريان بيربروجر على الآثار الرومانية القديمة تيمقاد وجميلة وشرشال سجّل فيها ملاحظاته على الكتابات اللاتينية المدونة على التوابيت والأضرحة والنقوش، كما اهتم المستشرقون بالتراث الإسلامي من مخطوطات وعمارة وتحف وغيرها. ودرس علماء الأنثروبولوجيا الحياة اليومية لسكان الجزائر، منذ فجر التاريخ وأنماط العلاقات الاجتماعية بينهم من مصاهرة وميراث وتطبيق الأعراف والفصل في مسائل النزاعات.

بحث الجغرافيون في مظاهر سطح المستعمرة ووما إذا كانت عوامل الطبيعة التي سكنها الجزائريون منذ عصور طويلة (الصحراء والجبال) أثرت على نشاطهم الاقتصادي ومحيطهم الاجتماعي وكيانهم السياسي، وعلاقة ذلك مع قدرتهم على بعث حضارة مستقلة بهم أو حتى قبول حضارات أخرى بين المجموعات البشرية المتوسطة. ساق فيها مؤرخوا المدرسة الاستعمارية نماذج مستوحاة من تصورات ومقاربات تعلقت بتطور الجزائر التاريخي أصّلت عند كتابهم حتميات بديهية لا مجال لمناقشتها. مثل الهجرة الهلالية والوجود العربي الاسلامي وقضايا الجزية وتاريخ الجزائر العثمانية وغيرها، استند فيها الباحث المؤرخ على وثائق أسهمت في دراسة طبائع العرب كابن خلدون والطبري والإدريسي...

ساعدت وسائل البحث الأثري والتاريخي عموما من طباعة ومكتبات ومتاحف نمت وتطورت بالمخطوطات والقطع الأثرية الاتجاه الداعم للنظريات الاستعمارية، وتدعمت الاكتشافات التاريخية والأثرية من خلالها بحركة استشراقية جسّدتها المؤتمرات المتلاحقة نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. مثل المؤتمر الرابع عشر للاستشراق العالمي الذي انعقد بالجزائر في أبريل 1905 م ، ونظّمته مدرسة الآداب في محاولة تسليط الضوء على المرجعيات اللغوية والثقافية والدينية وتفاعلاتهما ضمن حلقة حضارية هامة في في تاريخ الجزائر، كما ساهم تطور العلوم التي كانت نتاجا لحركة علمية وصناعية شملت أوروبا في عمومها، الأبحاث التاريخية

والأثرية الاستعمارية في الجزائر، فارتبط البحث التاريخي والأثري بعلم العمارة وهو المجال الذي اختص بدراسة تطور العمارة التي شيدها الإنسان أو نحتها في الصخر سواء لاستخدامها في حياته أو بعد مماته، كما ساهم علم الجغرافيا الذي برع فيه الفرنسيون كثيرا في التأصيل للأحداث تلازمت معها العلوم الثلاثة حضورا في التأليف والنقد ومن ثم الاستنتاج والحكم، شمل توزيع السكان في الجزائر المستعمرة، والنمط العمراني الخاص بها والطرق والموانئ القديمة التي ساهمت في المبادلات التجارية والمراكز العسكرية والتحصينات التي شُيّدت على أرضها والنظام الإداري الذي كان مطبقا والضرائب التي كانت تفرض على المساحات الزراعية وغيرها .

إنّ طبيعة الموضوع المعالج في ثنايا الدراسة، استوجب مني كباحث في التاريخ الاستعماري استجلاء ماهية البحث العلمي المنجز في الأشغال والنشاطات التاريخية والأثرية في الجزائر من قبل الفرنسيين وإبراز الدوافع الحقيقية وراء تشكيل اللجان العلمية واستحداث التخصصات للاستدلال على أهداف السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر ، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة التي تشكلت سنة 1852م والتي اهتمت بنشر التراث في مناطق الجزائر على شكل حوليات ومذكرات، والجمعية التاريخية لمدينة الجزائر سنة 1856 م والتي أصدرت "المجلة الإفريقية" لسان حال المستوطنين، عالجت في مضمونها مختلف المواضيع التاريخية وشرعت في نشر مقالات عن الاكتشافات الأثرية، وجمعية البحوث في عنابة التي تأسست في سنة 1863م وتغير اسمها فيما بعد إلى أكاديمية هيبون (HIPPONE)، والجمعية الأثرية والجغرافية لمدينة وهران التي تشكلت في 15 أفريل 1878م ونشرت حصيلة إنجازاتها العلمية في حوليات وبيبلوغرافيا تاريخية وكشوف وأثرية، والجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال إفريقيا التي تأسست سنة 1896م، ولجنة شارل جونار (JONNART) لنشر الوثائق التاريخية سنة 1910م ولجنة التحضير للاحتفال المئوي بالاحتلال التي عينت سنة 1925م ونشرت المجموعة التاريخية المخددة للاحتفالات المئوية، ناهيك عن المؤتمرات التاريخية والأثرية التي عقدت داخل الجزائر مثل المؤتمر الرابع عشر للاستشراق العالمي الذي نظمته مدرسة الآداب في العاصمة سنة 1905م والبعثات التي ترافقت مع الغزو كبعثة فلاترز (FLATERS) سنة 1881م، والنشاط الديني لشارل مارسيال لافيغري (Charles Martial LAVIGERIE) وشارل أوجين دو فوكو (Charles

(Eugene DE FOUCAULD) في اتجاه الداخل والصحراء وتكريس البعد المسيحي الصليبي واتضحت ملامحه في ثنايا الدراسة اقتصر على دراسة نماذج تبعا لتوزيعها الجغرافي واستنادا على رصيدها العلمي واستمرارية نشاطها الإستعماري.

-الإطار الزمّني للدراسة:

نظرا لاتساع الموضوع واشتماله على جوانب كثيرة من الأنشطة والأبحاث قرّرت تناوله من سنة 1830م بدءاً من تشكيل أول لجنة استكشافية علمية وانتهاء بسنة 1930م التي تعتبر فترة عرفت فيها الجزائر زخما سياسيا متبوعا بأفكار وإيديولوجيات كانت من نتاج الحركة العلمية التاريخية، توجت بالاحتفالات المئوية الفرنسية التي ساهمت في خلق مناخ مجابهة ثقافية وفكرية جزائرية جزائرية -جزائرية فرنسية بلورتها الأحزاب والتشكيلات السياسية آنذاك.

-دواعي اختيار الموضوع:

-محاولة إثراء جانب الدراسة التاريخية والأثرية حول طبيعة الأشغال والأنشطة الفرنسية المنجزة في الجزائر. والتأكيد على تلازمها بالدافع الاستعماري التوسعي والاستيطاني، الذي كان ضمن أولوياتها الأساسية.

-إبراز الترابط بين النشاط التاريخي الأثري والحركة الاستعمارية، مجسدا في السياسة الاستيطانية.
-إبراز النزعة البراغماتية والعنصرية في عمل اللجان، والجمعيات التاريخية والأثرية والمبنية أساسا على التفوق العرقي والحضاري للرجل الأبيض وقد ظهر ذلك جليا في منشورات المؤرخين والأثروبولوجيون عامة والمستشرقين منهم مثال ذلك المجلة الإفريقية التي صدرت سنة 1856م.

-محاولة إعطاء بعد جديد في تاريخ اللجان الاستكشافية والجمعيات التي أقصت العناصر الجزائرية، وبالتالي لم تكن محلّ ترحيب من قبل السكان.

-محاولة إبراز حجم الاستفادة التي يمكن استخلاصها من هذه الدراسات نقدا وتحليلا واكتشاف مناهج الفرنسيين في البحث وطرق كتابتهم لتاريخ الجزائر، ضمن سياقات خاصة وإيديولوجيات لازالت معتمدة في بعض المدارس إلى يومنا هذا قد تمكن الباحث من الاستعانة بها في مجال الكتابة التاريخية الأثرية للمدرسة الوطنية الجزائرية.

-الميل الخاص لمعالجة مثل هذه المواضيع التي تستهويني شخصا، لإثراء المكتبة الوطنية الجزائرية.

-إشكالية الدراسة:

من أجل إثبات هذه الأبعاد والتوجهات محلّ الدراسة ، إرتأينا أن نضع إشكالية رئيسة للموضوع جعلناها في شكل سؤال جوهري تمثل أساسا في:

ماهي طبيعة النشاط التاريخي والأثري الفرنسي في الجزائر الذي ميز فترة الاحتلال ؟ وما دوره في خدمة المصالح الاستعمارية ؟

تفرعت عنه عدة تساؤلات فرعية وهي:

ما دوافع البحث وأسبابه ؟ وماهي المواضيع التي استوجبت دراستها ؟ هل خص المشروع العلمي الاستعماري كل جوانب الحياة الثقافية والفكرية والحضارية على مدى كل الأزمنة التي مرت بها ؟ أم اكتفى بدراسة مراحل معينة من تاريخها ؟ بمعنى آخر هل كان الطرح الاستعماري للمواضيع محل الدراسة والمتعلقة بالأرض والانسان موضوعية في أساسها ؟ أم تميزت بالانتقائية والتحيز استخدم فيها الباحث المؤرخ فرضيات أسقط فيها أحكامه بالتعميم تارة والتأويل تارة أخرى ؟ كيف استغل الاستعمار ما توصلت إليه أشغال اللجان والجمعيات والجامعات ومخابر البحث من اكتشافات ذات طابع تاريخي أثري لصالحه؟ هل كان ضمن مشروع استعماري متكامل؟ وهل لهذا النشاط انعكاسات على البيئة الاجتماعية والثقافية في الجزائر المستعمرة ؟ وإذا كان الأمر كذلك ما هي أبعاد التأثير ؟

-مناهج البحث:

ككل باحث أكاديمي لا بد من إتباع المناهج التاريخية المعتمدة في إنجاز أي دراسة تاريخية فالأمر استوجب استعمال:

أولا المنهج الوصفي:

يستعان به في ذكر تسلسل الأحداث التاريخية. وفق ترتيب كرونولوجي تستخلص من مضامين المادة التاريخية المستجمعة . من خلال الوثائق الأرشيفية وجملة المصادر والمراجع والمقالات التي لها صلة بموضوع الدراسة.

ثانيا: المنهج التحليلي النقدي: هو المنهج الأكثر وجوباً في مثل هذه المواضيع والتي سنسعى من خلاله إلى التدقيق في الأحداث التاريخية وتحليل تطوراتها وإبراز كنهها وإفرازاتها على صيرورة الأحداث.

ثالثاً: المنهج الإحصائي:

ويستخدم خصوصاً في ذكر الأرقام والإحصائيات والنسب الصحيحة والبيانات وإعداد جداول ومقارنتها بالاستعانة بالوثائق التاريخية الموثوق بها.

—الخطة المنتهجة:

تبلورت خطة البحث في الموضوع تبعاً للمادة التاريخية المستجمعة من الدراسة، حددت الإطار العام، وشكلت فروعها تمثلت في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وجاء على الشكل التالي: تضمنت المقدمة تعريفاً بالموضوع وشرحاً لطبيعة النشاط الذي قام به الفرنسيون وخطة العمل واستعراضاً لأهم الفصول المتناولة في الأطروحة، كما تضمن أيضاً توضيحاً للمادة التوثيقية المعتمدة وطبيعتها.

أمّا **الفصل الأول** فشمل استوغرافيا البحث عند الفرنسيين، اعتمدت في عمومها على طرح فرضيات عن تاريخ الجزائر وأصل سكانها ولغتهم وحضارتهم، وعمّا إذا كانت الجزائر مهد حضارة أصيلة نبتت في ربوعها، وصولاً إلى مقاربات توسعت رؤاها أكثر عند التطرق إلى هوية البلاد وموروثها الفكري والديني والثقافي والحضاري. تطرقت بعدها إلى مصادر التاريخ الاستعماري من مخطوطات ومراسلات ودواوين شعر وفقه وتشريع، عمل الباحثون على ترجمتها والاستفادة منها وكتابات دونت بلغات لاتينية قديمة ومعاهدات سياسية احتفظ بها ملوكهم واعتبروها مصدراً من مصادر التاريخ الموثوق، أما الجانب الأثري الذي تمت دراسته فكانت العمارة وهندسة البناء والأدوات الفنية. ومستلزمات الحياة اليومية للجزائري تم التنظير لها من قبل المؤرخين بمقاربات استنبطت في مجملها من حضارات مجاورة أو مجموعات بشرية غازية استعرض فيها الفرنسيون تخصصات علمية مساعدة برعوا فيها كثيراً، كالجغرافيا وعلم قياس الصخور وتقنيات تحديد أعمارها وبعض العلوم المكملة للتاريخ مثل علم الأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا واللسانيات والتحقيق في المخطوطات وغيرها.

أما **الفصل الثاني** فاستعرضت فيه مشاريع البحث التاريخي والأثري، من خلال اللجان التي شكلتها السلطة الاستعمارية، كلجنة الاكتشاف العلمي للجزائر سنة 1837 م، واللجنة المئوية المخدلة للاحتلال سنة 1930م، الأولى جاءت نتيجة اكتشافات أثرية مبكرة، لقادة فرق عسكرية طوبوغرافية داخل الجزائر ، تلتها مناقشات برلمانية بين من رأى عدم جدوى البحث في تاريخ المستعمرة، باعتبارها ساحة حرب وكفى، وبين من رأى ضرورة تدعيم حجج البقاء ضمن سياقات تاريخية، اعتمدت على استحضر الموروث الحضاري الروماني والبيزنطي المسيحي. جمعت خلالها البيانات المتعلقة بتاريخ الجزائر اشتغل عليها الفرنسيون على مدى قرن من الزمن. ونشروها ضمن مؤلفات خاصة، في احتفالات أعطت انطبعا عن "جزائر فرنسية. "

تطرت في **الفصل الثالث** إلى عمل الجمعيات كالجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة التي تأسست سنة 1852م، والجمعية التاريخية لمدينة الجزائر التي تأسست سنة 1856م، والجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران التي تأسست سنة 1878 م أخذا في الاعتبار توزيعها الجغرافي وانتشارها في عموم البلاد لكنها ليست الوحيدة التي اشتغلت في هذا المجال وتبعت الخط العلمي الذي اشتغلت عليه والقوانين المنظمة لها والحصيلة العلمية لأنشطتها من خلال المجالات التي كانت أصدرتها بشكل دوري.

أما **الفصل الرابع** فعالجت فيه الأبحاث الأكاديمية المتخصصة التي اشتغلت عليها المدارس الفرنسية في وقت مبكر، كمدرسة الآداب التحضيرية العليا ومدرسة الحقوق من خلال البحث في تاريخ التشريع الإسلامي أملا في إيجاد فجوات يستند عليها الفرنسيون في حججهم حول العقيدة والدين تواصل نشاطهم باحتضان مؤتمرات استشرافية عالمية كالمؤتمر الاستشراقي الذي انعقد في الجزائر سنة 1905م ونظم من طرف مدرسة الآداب، ليتوج العمل الأكاديمي الفرنسي بجامعة الجزائر التي تأسست في سنة 1909 م، وكان الهدف من تأسيسها نشر مؤلفات ومذكرات موسوعية لأساتذة المدرسة الاستعمارية، كالعامل الذي قام بها ستيفان غزال (GSELL) تاريخ شمال إفريقيا القديم، والذي ضم ثمانية أجزاء، عالج في مجمله تاريخ المستعمرة قديما، اعتمادا على ما كتبه مؤرخون أجانب إغريق ورومان مثل هيروdot (HERODOTTE) وسالوست (SALUSTE) وسترابون (STRABON) وبلين (PLINE) وغيرهم.

أما الفصل الخامس فاستعرضت فيه آليات وأبعاد النشاط التاريخي والأثري وارتباطاته الاستعمارية ضمن استراتيجية مدروسة، سطر لها منظروا الاستعمار أهدافا من أجل الدفع باتجاه التأصيل للفكر الاستعماري من خلال التغلغل في المقومات التاريخية والدينية واللغوية والثقافية العقيدة والأسرة الجزائرية استعرض فيه المستشرقون النظام الاجتماعي القائم على أحكام استدلوها فيها على وضع المرأة وحظها في المهر والميراث وتعدد الزوجات، كما قدموا دراسات عن اللغة العربية ومفرداتها ومقاربات في النحو، ناهيك عن النظريات التي حاول أساتذة المدرسة الاستعمارية الترويج لها بخصوص الأرض والدولة، مرورا بتنصير الجزائريين كبعد ديني، وفرنسة التعليم والإدارة والقضاء لمحو اللغة العربية كبعد لغوي، وكانت الأهداف واضحة تضمنت الإدماج والاستيطان كمشروع راهن عليه الاستعمار.

أردفت ذلك بمجموعة من الملاحق، ذات الصلة بالموضوع لثمينها علميا وآخرها خاتمة مثلت مجموعة الاستنتاجات التي توصلت إليها بعد استعراض مضامين الدراسة.

-المادة التوثيقية وطبيعتها:

حاولت من خلال هذه الدراسة أن أسلط الضوء على الجوانب العلمية للنشاطات العلمية التاريخية والأثرية الفرنسية في الجزائر خلال فترة الدراسة. (1830م-1930م) وقد استعنت بجملة من المصادر والمراجع التي تنوعت بين مؤلفات أساتذة جامعيين أكاديميين خدموا في مجال البحث والتدريس، ورجال سياسة وكتاب وحتى عسكريون منهم، وتقارير اللجان والغرف البرلمانية وتوصياتهما وتقارير المداولات التي تمخضت عن اجتماعات دورية، لجمعيات علمية تاريخية وأثرية بالإضافة إلى تقارير الجامعات والمعاهد من حوليات ومجلات ومناقشات مؤتمرات كالمؤتمر الرابع عشر للاستشراق العالمي الذي احتضنته مدينة الجزائر افريل 1905 والذي تبلورت فيه الخطوط العريضة للمشروع الاستعماري في آلياته وأبعاده تتبع الخط العلمي الذي سارت عليه جل هذه الكتابات ومرجعياتها الاستعمارية واستراتيجيات تطبيقها وأهدافها حول تاريخ الجزائر.

استعنت من خلال الرد على الكتابات الاستعمارية بكتابات المؤرخين الجزائريين وما أنجزه روادها من بحوث ودراسات لدحض الحجج والمبررات التي ساقها كتاب المدرسة الاستعمارية التي حاولت التأصيل لمشروع استعماري مشبع بالوهم السياسي ومصالح المستوطنين واستهدفت

التشكيك لحشر القارئ في مجال ضيق ودفعه إلى التسليم بالفرضية الاستعمارية والاعتراف باستنتاجاتهم المجزأة، مع تقديم بعض التساؤلات من جانبي محطات معينة في تاريخ الجزائر أملت لها علي ظروف الكتابة خلال تحرير الأطروحة و جاءت في شكل استنتاجات وسياقات قمت باستخلاصها عند قراءتي للمؤلفات الاستعمارية.

يقوم البحث الاستعماري على الانتقائية لا التخصص في دراسة الجوانب التاريخية والأثرية والاجتماعية والإثنية والإثنوغرافية والإثنولوجية كما يقوم أيضا على التعميم في طرح الاستنتاجات بغية إحداث شرح مهّد له كتاب المدرسة الاستعمارية بتساؤلات جاءت في شكل قوالب علمية. وعند الإشارة إلى أساتذة المدرسة الاستعمارية، لا أعني هنا بالذكر من اشتغلوا على التدريس ، وإنما كل من ساهم في كتابة تاريخ الجزائر بمنظور استعماري ، بصرف النظر عن موقعه الأكاديمي أو منزلته السياسية أو درجته العلمية. فالهدف كشف المشروع الذي تسترّ به هؤلاء ولا غرابة أيضا في اكتشاف أشخاص الخدعوا بالنظريات العلمية والمناهج الفرنسية المبنية على الشكوك وانساقوا وراء أفكار المستعمر ومشاريعه ، وبادروا بتحويل فرضيات الاستعمار وتساؤلاته التي عجز عن إثباتها إلى حقائق عندهم لا تقبل الشك، على صيغة إخراج إعلامي للرواية الاستعمارية. وما شكّل المعين الأوّل للدراسة ما يلي:

أولا: الوثائق الأرشيفية:

ارتكزت في الأساس على وثائق أرشيفية مستخلصة من- مركز أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس (AIX EN PROVENCE) اطلعت من خلاله على العلبه F80 ضمّت وثائقا مثل التعليمات التي وجهتها الحكومة إلى لجنة الاكتشاف العلمي أو ما تعلق بتوزيع الأعضاء على مناطق الجزائر.

-أرشيف وزارة الحربية : بفانسان (بباريس) المصلحة التاريخية للقوات البرية SHAT العلبه H22 وتعلق بالمراسلات التي كانت تتمّ بين قادة الفرق العسكرية وبين الحاكم العام المارشال فاليي . (VALLEE) أو رسائل وجهها وزير الحربية إلى المارشال فاليي، تتعلق بمهام اللجنة وموعد قدومها كما تتضمن أيضا المراسلات، التي كانت تتم بين رئيس اللجنة ووزير الحربية.

-الأرشيف الوطني بباريس F17 وتعلق بتخصصات البحث التي أسندت الى أعضاء اللجنة.

ثانيا: الوثائق المطبوعة

ساعدتنا على الخوض في موضوع البحث والدراسة فهي عديدة واحتوت على معلومات قيمة وهي المكتبة الوطنية الفرنسية الرقمية BNF والمكتبة البلدية لوهرا ، ارتكزت في الدراسة بالأساس على وثائق أرشيفية مطبوعة: منها :

-La Commission d'Afrique Procès – Verbaux Et Rapports De La Commission Spécial 1833, Imprimerie Royale , Paris, 1834.

-La commission d'exploration scientifique de l'Algérie, Rapport sur les recherches géographiques, historiques et archéologiques dans l'Afrique septentrionale (Académie des inscriptions et belles lettres.

المؤلفات الأكاديمية الاستعمارية: ومنها تاريخ شمال إفريقيا القديم من ثمانية أجزاء للمؤرخ استيفان غزال (GSELL) وتاريخ ومؤرخو الجزائر (Histoire et Historiens de l'Algérie) والذي ألفه مجموعة من الأساتذة أمثال استيفان غزال وزيلر (ZILLER) وإسكير (ESQUER) (وأوجين ألبرتيني (Egeunne ALBERTINI) بمناسبة الاحتفالات المئوية للاحتلال سنة 1930م قدموا فيه مجمل الأحداث التي مرت بها و" كتاب البربرية الإسلامية والشرق في العصور الوسطى" لجورج مارسسي (George MARCAIS) والعرب في بلاد البربر لجورج ايفير (George YVER) الذي ألف القرون المظلمة للمغرب ويقصد بذلك الفترة الإسلامية و" حضارات ما قبل التاريخ لإفريقيا الشمالية والصحراء" وإميل فليكس غوتيه (Emille Felix GAUTIER) الذي ألف القرون المظلمة لشمال إفريقيا . وروني باصيه (René BASSET) الذي ألف قصص (بربرية) شعبية وهنري باصيه (Henri BASSET) الذي ألف "محاولات حول الأدب (البربري) "وهيجو (HUGO)الصحراء ما قبل التصحر" و إرنست مارسسيه (Erneste MERCIER) تاريخ إفريقيا الشمالية من العصور القديمة وحتى الحملة الفرنسية.

ثانيا : المؤلفات التي اشتملت عليها أعمال اللجان والجمعيات التاريخية والأثرية الاستعمارية وهي الكتب التي نشرت بأمر من الحكومة الفرنسية وعملت على تغطية تكاليف طبعتها كمؤلفات " لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر" و "اللجنة المئوية للاحتفالات المخدلة للاحتلال" مثل كتاب دراسات حول المسالك والطرق العربية في القسم الجنوبي الشرقي من الجزائر و أiyالة

تونس " للنقيب في سلاح الهندسة أونطوان كاريت (CARETTE) و " أبحاث حول جغرافية وتجارة جنوب الجزائر " و "أبحاث حول أصل الهجرات للقبائل الرئيسية في شمال إفريقيا وتحديد الجزائر " و " دراسات حول بلاد القبائل " و " مذكرات تاريخية وجغرافية حول الجزائر " لبليسييه دي رونو (PELISSIER DE Reynaud) و " تاريخ إفريقيا للقيرواني " و " رحلات في الجنوب الجزائري والإمارات البربرية في الشرق والغرب " وترجمة كتب الفقه مثل كتاب خصوصيات الفقه الإسلامي أو مبادئ التشريع الإسلامي الدينية والمدنية حسب المذهب المالكي للخليل ابن إسحاق ل بيرون (Perón) أما المنشورات الأثرية فكانت لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840م -1841م - 1842م -1843م -1844م و1845م (الآثار) للمؤلف دولامار (DELAMARE) و لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840م -1841م - 1842م - 1843م (الآثار) - نص توضيحي Exploration scientifique de L'Algérie - Pendant les Années 1840- 1845 للمؤلف ستيفان غزال (Gsell) بالإضافة إلى المنشورات الاحتفالية المثوية والتي قاربت 50 كتاب تتعلق بالتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد وغيرها مثل ايكونوغرافية تاريخ الجزائر لغبريال إيسكير (Gabriel ESQUER) محافظ مكتبة الجزائر . و " عمالة الجزائر في 1830 م " لجورج ايفير (George YVER) و " السياسة الاستعمارية خلال فترة الملكية الدستورية الفرنسية " لكريستيان شيفير (Christian SCHIFFER) و " الجيش الإفريقي " للجنرال باول أزان (Paul AZAN) وكتاب تاريخ الجزائر إلى غاية التغلغل الفرنسي في الصحراء للكاتب بورجيه (BOURGET) و " تطور الجزائر بين 1830 م - 1930 م " لإميل فليكس غوتيه (Emille Felix GAUTIER) و الجنود العظماء للجزائر (Les grands soldats de l'Algérie) للجنرال باول أزان (AZANE) والحكومة الجزائرية " Le gouvernement de l'Algérie " للويس ميلو (Louis MILLIOT) و " العادات وأنماط المعيشة في الجزائر " La vie et les mœurs en Algérie لبيار دو لونكل (Pierre DELONCLE) وفرنسا والأعمال الأهلية في الجزائر " La France et les œuvres indigènes en Algérie " لجون ميرانت (Jean MERANTE) .

أما مؤلفات الجمعيات التاريخية والأثرية فكانت مجلة الجمعية الأثرية لقسنطينة التي اختصت بالمنشورات الأثرية كالمجموعات والحواليات للبحوث والمذكرات والتي توثق لأحداث جرت في

العمالة و المجلة الإفريقية لسان حال الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر التي صدرت سنة 1856م واحتوت على منشورات فصلية تتعلق بسير الأعلام و تاريخ الأمم والمدن والشعوب ودراسات أثرية مونوغرافية لبعض المدن الرومانية القديمة ومجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران التي نشرت أعدادا تتعلق بجغرافية العمالة وأخرى أثرية لبعض المدن والمواقع وتاريخية تختص بالأحداث التي ميزت العمالة

أما في ما يتعلق بالبحوث الأكاديمية المتخصصة فاحتوت على مجموعة من النصوص والترجمات نشرت في مجلات ودوريات على نفقة الجامعة، بالإضافة إلى الكتب التي كان يصدرها أساتذة الجامعة من حين لآخر تبعا للتخصص الذي كانوا يشرفون على تدريسه وتعلق في مجملها باثنوغرافية، وجغرافية وتاريخ شمال إفريقيا في إشارة إلى الجزائر.

أما المؤلفات الوطنية فقد استعنت بها في الرد على النظريات التي سوقها أساتذة المدرسة الاستعمارية مثل الحركة الوطنية الجزائرية وتاريخ الجزائر الثقافي وأبحاث وآراء في تاريخ الجزائر الحديث وكتب الأستاذ محمد البشير شنيبي ومحمد العربي عقون فيما يتعلق بهوية سكان الجزائر وكتاب "مجلد تاريخ المغرب" لعبد الله العروي ومحمد بوكبوط فيما يتعلق بالتاريخ القديم أو بآراء الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي فيما يتعلق بنقد الإستوغرافيا الاستعمارية، حول هوية الجزائر وتاريخ شعبها وحي بعض الانتقادات التي وجهها أساتذة فرنسيون أنفسهم حول مواضيع أراد الاستعمار تشويهها تتعلق بالجانب الاثنوغرافي للجزائر ككتابات جاك بارك (Jaques BERQUE) ومارسال بوازار (Marcel BOISART) وغيرهم.

أما الملاحق فتنوعت بين صور للوثائق والمراسلات والنشريات والجداول حاولت أن تجعلها وظيفية.

أما من جانب الصعوبات ، فكأني باحث في ميدان التاريخ الاستعماري واجهت صعوبات في تعديل عنوان الأطروحة إذ كان يتناول في الأصل " نشاط فرنسا العلمي في الجزائر " وهو النشاط الذي شمل مختلف أنواع العلوم التي كانت محلّ بحث خلال الفترة الاستعمارية مما دفعني ، بتدخل وتوجيه من الأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور سعيد مزيان إلى اقتراح تغييرها وحصرها في العمل التاريخي والأثري ، الشيء الذي أزاح عني مجالا واسعا قد يستغرق الكثير من الوقت

والجهد. مرورا بالنصائح التي قدمها لي طلبة مدة البحث وشروحا في كيفية التعامل مع الوثائق والمصطلحات والنوعت الاستعمارية تقييما وتوجيها وإرشادا نحو مؤلفات مكنتني من الاستفادة أكثر في مجال نقد الإستوغرافيا الاستعمارية . فله مني خالص الشكر والعرفان وجزيل الامتنان.

إضافة إلى دراسات ميدانية أثرية قادتني إلى التقرب أكثر من أساتذة مختصين في علم الآثار كأستاذ **فيلاح مصطفى** أستاذ علم الآثار من جامعة الجزائر 2 والأستاذ **عنان سليم** أستاذ علم الآثار من جامعة سطيف والأستاذ **عزيز طارق ساحد** أستاذ فجر التاريخ من جامعة الجزائر 2 والذين قدموا لي شروحا في كيفية التعامل مع المصطلحات ووضعها في سياقها العلمي أثناء قيامهم بزيارات دورية لمواقع أثرية في منطقة الونشريس الغربي طيلة سنوات 2013-2014 وما تلاها. ومن جهة أخرى كان علي أخذ الحيطه والحذر عند الشروع في قراءة المؤلفات الاستعمارية التي كانت في مجملها ذات طبيعة خاصة. ناهيك عن العراقيل التي صادفتها أثناء جمعي للمادة خاصة الأرشيفية منها وهو الشيء الذي دفعني إلى الاستعانة بالزميل الفرنسي **فريدريك سولي** (Frederic SOULU) الذي لم يدخر جهدا في التواصل معي طيلة مدة البحث خلال إقامته بالجزائر وقدم لي وثائق أرشيفية في غاية الأهمية نظرا لطبيعة العمل المشترك الذي ألزمه البحث في النشاطات العلمية الاستعمارية وما تعلق بعلم الفلك. فلهم مني جميعا جزيل الشكر والإمتنان.

وأخيرا أتمنى أن تكون الدراسة المنجزة خطوة لسدّ حلقة من حلقات التاريخ الاستعماري في جانبه المتعلق بالبحوث الأثرية والتاريخية ، قد فتحت نافذة وآفاقا للباحثين لإثرائها وأن تكون إضافة علمية نوعية تثري المكتبة التاريخية الجزائرية ترقى إلى مصاف الدراسات التاريخية الأكاديمية الجادة.

المختصرات

باللغة بالعربية

1. ط..... الطبعة
2. ع..... العدد
3. م..... مجلد
4. د و م جالديوان الوطني للمطبوعات الجامعية
5. ش و ن ت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
6. م أ ع إ إمجلة الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية
7. م ت ع د عالمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية
8. م ت م المجلة التاريخية المغربية
9. م ج أ ع إ ... المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
10. م ج مالمجلة الجزائرية للمخطوطات
11. م ع إ إ مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية
12. م م ج إ مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا

13. م و ب أ ث و المركز الوطني للبحث في

الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية وهران

14. م و ج المكتبة الوطنية الجزائرية

15. م و د ت المركز الوطني للدراسات التاريخية

16. م و ف المكتبة الوطنية الفرنسية

17. م و ك المؤسسة الوطنية للكتاب

18. م د ب إ مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية

باللغة الفرنسية :

- A E S C.....ANNALES ECONOMIES SOCIETES ET CIVILISATIONS

A S A C.....ANNUAIRE DE LA SOCIETE ARCHEOLOGIQUE DE CONSTANTINE

- B C A.....BULLETIN DE CORRESPONDANCE AFRICAINE

- B L G B.....BULLETIN DE L'ASSOCIATION GUILLAUME BUDE

- B S A.....BULLETIN DE LA SOCIETE D'ANTHROPOLOGIE

- B S G A O.....BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE ET D'ARCHEOLOGIE D'ORAN

- B S P FBULLETIN DE LA SOCIETE PREHISTORIQUE FRANÇAIS

- B A HBULLETINS DE L'ACADEMIE D'HIPPONE

- C R H A S..... COMPTE RENDU HEBDOMADAIRE DE L'ACADEMIE DES SCIENCES

- CRAI.....COMPTES-RENDUS DES
SÉANCES DE L'ACADEMIE DES INSCRIPTIONS
- IMP.....IMPRIMERIE
- J A.....JOURNAL ASIATIQUE
- J D P LJOURNAL DES
DEBATS POLITIQUE ET LITTERAIRE
- J S..... JOURNAL DES SAVANTS
- M A H.....MELANGES
D'ARCHEOLOGIE ET D'HISTOIRE
- M C S A.....MEMOIRE COMMUNIQUE A LA
SOCIETE D'ANTHROPOLOGIE
- M C R A P EMEMOIRE DU CENTRE DE
RECHERCHE ANTHROPOLOGIQUE
PREHISTORIQUE ET ETHNOGRAPHIQUE
- P C N M C A.....PUBLICATIONS DU
COMITE NATIONAL METROPOLITAIN DU
CENTENAIRE DE L'ALGERIE
- R S A C.....RECEUIL DE LA SOCIETE
ARCHEOLOGIQUE DE CONSTANTINE
- R A.....REVUE AFRICAINE

- R H R.....REVUE DE
L'HISTOIRE DE RELIGION
- IBLA REVUE DE L'INSTITUT DES
BELLES-LETTRES ARABE
- TTOME
- TF.....TRADUCTION FRANÇAISE
- T L.....TRADUCTION LITTERALE
- T E.....TRADUIT DE L'ESPAGNOLE
- VOLVOLUME
- B S G A A NBULLETIN DE LA
SOCIETE DE GEOGRAPHIE D'ALGER ET DE
L'AFRIQUE DU NORD
- C R A I.....COMPTES RENDUS DES
SEANCES DE L'ACADEMIE DES INSCRIPTIONS ET
BELLES-LETTRES

الفصل الأول:

منطلقات البحث التاريخي والأثري الفرنسي في الجزائر

أولاً: أسس ودوافع الاستوغرافيا الاستعمارية

ثانياً : مصادر التاريخ الإستعماري.

ثالثاً: مناهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر.

صحب الغزو الفرنسي للجزائر جهل تام بتاريخها دفع الغزاة للبحث في موروثها الحضاري لايجاد مُسوِّغات تاريخية يقوم عليها الاحتلال والذي ارتكز في مجمله على شروط ايدولوجية قدّم فيها أساتذة المدرسة الاستعمارية الفرنسية أبحاثا ودراسات لإعادة كتابة تاريخ جديد للمستعمرة.

تحكمت الاستوغرافيا الاستعمارية في هذه القواعد، حدّدت أبعادها وشكلت منطلقات أبحاثها التاريخية وأنشطتها الأثرية؛ فيما اشتغلت مدارسها على صياغة مواضيعها المختلفة من منظور استعماري صرف اعتمادا على الانتقائية والتعميم والاسقاط، بغية التأصيل لسياق مرتكزاته طمس الهوية ومقومات الأمة الجزائرية تتحطم فيه أليات بناء الدولة الجزائرية في أبعادها التاريخية، ضمانا لاستمرارية الاستعمار من جهة ومن جهة أخرى استحالة التحرر منه مجددا أو بعث وطن مستقل.

أولا : أسس ودوافع الاستوغرافيا الاستعمارية

1- التشكيك في أصل تسمية الجزائر

تعتبر الجزائر في كتابات المدرسة الاستعمارية بلدا غير معرف وفضاء مفتوح على الحضارات الأجنبية لم يتمتع في يوم ما بالاستقلالية، أرض تم اقتطاعها في شمال افريقيا من قبل الأتراك بحدود جغرافية وهمية استطاعت فرنسا تحويلها إلى حدود حقيقية أشاد المؤرخون بفضلهم في وضع تسمية لها، بعدما كان يطلق عليها المسلمون في السابق "جزيرة المغرب" و " المغرب الأوسط " حددها الجغرافيون بمساحة قدرت ب3000 كلم من الشرق إلى الغرب، وحزام جبلي ضيق لا يتعدى عرضه 150 كلم¹.

قدم مؤرخوا المدرسة الاستعمارية حُججًا تاريخية لاستنتاجاتهم استنبطت في غالبها من تراكمات الغزو الذي طال البلاد فالمنطقة لم تشهد تشكيل كيان سياسي مستقل و متماسك في جميع مراحل تطورها دون استثناء بسبب تعرضها لاعتداءات الحضارات المجاورة والأمم الغازية من الشرق والغرب².

¹ VATIN (Jean. Claude) **L'Algérie politique Histoire et société**, Ed Almaarifa, Alger 2010, p 42.

² GSELL(Stéphane) Et Autres, **Histoire et Historiens de l'Algérie** (1830-1930) Librairie Felix Alcane, Paris, 1931, p. 2.

ارتكز رؤاد المدرسة الاستعمارية في سياق تبريراتهم على نماذج الفوضى والتناحر التي عمّت أراضي المغرب القديم، كمملكة صفاقس التي أقيمت على تخوم قرطاجة قديما واتخذت من قسنطينة عاصمة لها وحاول ملكها بسط سيطرته على إقليم تلمسان غربا، والفاطميون في العصر الاسلامي الذين أنشأوا إمارتهم في القيروان وحاولوا بسط نفوذهم على إقليم فاس غربا والموحدون الذين جاءوا في الألف العاشر الميلادي وحاولوا احتلال تونس، حروب تراوحت بين مدّ وجزر استمرت على فترات متلاحقة من تاريخ المغرب مقارنة قد لا نجد لها سبيلا - حسب نظرهم - إذا ما تطرقنا إلى تاريخ فرنسا التي استجمعت حولها الكثير من مناطق أوروبا كروسيا والإمارات الإيطالية لا لشيء إلا لأنها تمثل نواة القارة ومركزها الجغرافي¹

أراد كتاب المدرسة الاستعمارية بهذه الحجج التاريخية إبراز قدرة فرنسا على إلحاق كيانات سياسية ضمن سلطتها المركزية، استنادا على البعد الجغرافي كعامل مستقطب في مقابل تجاهل الظروف التي أدت إلى توحيد بعض أجزاءها، وكانت خلفياتها التاريخية عوامل الغزو الذي دفع نابليون بونابارت إلى القيام بحملات عسكرية وما نتج عنها من احتلال لتلك الممالك، أو توازنات أملت ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى أعيد فيه تشكيل القارة الأوروبية وتجسدت فيها إرادة المنتصر.

2- مقاربات حول الموطن الأصلي لسكان الجزائر القدامى:

لا يختلف الفرنسيون كثيرا في التأكيد على تعمير منطقة بلاد المغرب الأوسط (الجزائر) منذ العصور الحجرية، إلا أن إقرارهم بالتعمير المبكر لهذه المجموعات البشرية ترافق مع التشكيك في المناطق التي قدموا منها في محاولة بلورة فكرة تسوغ لهجرات كان منطلقها الضفة الشمالية لحوض البحر الأبيض المتوسط فحسب نظرهم يُعدُّ سكان الجزائر قدما على هذه الأرض، ولكن دخلاء و غرباء عنها.

أسس الباحثون نظرياتهم التاريخية على مكتشفات اعتمدت كشواهد أثرية وجدت جنوب وهران وفي التاسيلي والهقار، أظهرت استيطان مجموعات بشرية استخدمت الأدوات الحجرية في شكلها البدائي ومنها الفأس اليدوية والقطع الحجرية المسننة التي صنعت بتقنية الصقل، وبقايا

¹ CAMPS (Gabriel) *Les Siecles Obscurs Du Maghreb*, Ed. Alger livre, Alger, 1927, p 14.

آثار رماد دلت على وجود تجمع بشري يعود تاريخه إلى مرحلة البليستوسين¹ ارتبطت بوجود الانسان العاقل في حقبة زمنية امتدت من 2.5 مليون سنة إلى 12000 سنة من الحاضر وهي المرحلة التي تميزت بتغيرات مناخية تمثلت في مراحل جليدية وما بين جليدية في أوروبا إضافة إلى مكتشفات أثرية في الونشريس الغربي منطقة واد الثلاثة² وواد سنسيق³ بعمي موسى (ولاية غليزان حاليا) وأظهرت بقايا صناعات الحضارة الأشولية تعود إلى العصر الحجري القديم والأوسط تمثلت في رؤوس سهام ونصال ومكاشط نماذج متطورة للحضارة الموستيرية.⁴

استنبط الباحثون الفرنسيون مقاربات من رسومات لعربات قتالية تجرها خيول وجدت نقوشها على الصخر في الجزائر بمنطقة واد جر بالجنوب الجزائري، تشابهت تقنية صنعها مع عربات الفراعنة في مصر بفارق بسيط في التصوير وهي الأجنحة التي ألحقت بالخيول، تقنية في الرسم لم تكن معروفة عند سكان مصر القدامى نسبها علماء الآثار إلى فن التصوير الذي كان معروفا عند الشعوب التي تواجدت على جزر بحر إيجه باليونان⁵ مقارنة صبّت - حسب نظرهم - في اتجاه انتقال شعوب اليونان إلى بلاد المغرب عبر مصر؛ فيما قدّم آخرون افتراضاتهم الأثرية على وجود هجرات بشرية كان منطلقها سواحل البحر التيراني وسردينيا شمالا قدمت إلى الضفة الجنوبية من البحر المتوسط واستوطنت بلاد المغرب منذ فجر التاريخ.⁶

قام الفرنسيون أيضا بطرح فرضية انتقال مجموعات بشرية من الواجهة الغربية لأوروبا نحو الضفة الجنوبية للبحر المتوسط عبر مضيق جبل طارق، في إشارة واضحة إلى انحدار سكان الجزائر من الأجناس الأوروبية بناء على مكتشفات تشابهت في دلالتها الأثرية، مع ما وُجد

¹ PALLARY (Paul) , *Instruction Pour Les Recherches Prehistoriques Dans Le Nord Ouest De L'Afrique*, Ed Adolphe Jourdan, Alger, 1909 pp. 45 – 46.

² واد الثلاثة: ملتنى ثلاثة أودية، هي واد بسناس ووادهيو جنوب شرق دائرة عمي موسى، على بعد 1 كلم .
³ التسمية رومانية، نسبة الى مستوطن روماني ملتنى طرق استعماله الرومان في توسيع الاحتلال، عبر إنشاء حصون وأبراج عسكرية، يقع على بعد 10 كلم شرق عمي موسى.

⁴ DESIRÉ (Estanié) « Découverte de station préhistorique à Ammi Moussa (Oran - Alger) » in **B S P F**
Année 1911, p 679

⁵ MASPERO (Gaston) *Histoire Ancienne des peuples de l'orient*, Ed 4, Imp Librairie Hachette, Paris 1886, p 271.

⁶ DE MORGAN ((Jean jaques) *les premières civilisations Etudes sur la préhistoire et l'histoire*, Ed. Ernest Leroux, Paris 1909, p 218.

داخل الكهوف عند الشعوب التي سكنت أوروبا في مرحلة ما قبل التاريخ، ومخلفات نقوش على جدرانها صوّرت أنماط معيشة الإنسان البدائي ونشاطه المتعدد الذي اعتمد على الصيد والتقطيع والطهي وغيره.¹

حاول المؤرخون استنباط مقاربات على وجود تواصل حضاري عرقي قائم على مرتكزات أثرية دلت على وجود حضارة ما لشعوب استوطنت سلسلة جبال الأطلس حلّت محل الحضارة القفصية والوهرانية، تمثلت مظاهرها في صناعة الفخار والحجر المصقول ورؤوس السهام المشظاة بالضغط وبعض حالات استئناس الماشية؛ وصف لحضارة العصر النيوليثي جاءت من مصر في الألف الثانية قبل الميلاد (عصر الدولة الوسطى) اختلطت فيما بعد بالقرطاجيين والرومان ثم العرب من بعدهم وهي المجموعة البشرية التي تحدثت باللغة (البربرية) جنس غير إفريقي متوسطي توافد على الجزائر نتيجة هجرات وصلت إليها في الألف العاشرة قبل الميلاد ، وليس ثمة شك - حسب نظرهم- أن موطنه الأصلي شمال شرق إفريقيا.²

قدّم غزال، أدلةً جغرافية -على الرغم من اختصاص الأخير في التاريخ القديم- قائمة على القرب الجغرافي بين ضفتي البحر المتوسط اتصلت فيها بلاد المغرب مع أوروبا عبر مضيق جبل طارق، مسافة بحرية لم تشكل عائقا يذكر أمام تواصل حضاري بين مجموعتين بشريتين منطقتين سار عليه في دعم المقاربة بين تونس وإيطاليا عبر مضيق صقلية؛³ فيما أسس بعضهم لفكرة توافد شعوب اسكندنافية على الجزائر بناء على مكتشفات أثرية وحفريات قام بها بعض الباحثين الهواة، على غرار الطبيب لويس غيون الذي عاين مقابر وجدت بين سيدي فرج والجزائر العاصمة؛ عثر فيها على جماجم وعظام أكد على إثرها وجود شعب أوروبي انحدر من أصول اسكندنافية استوطن الجزائر قديما، ودعم فرضيته بمعلومات تاريخية استقاها من الغزو الذي تعرضت له الجزائر من قبل الوندال دون الجزم المطلق في التأكيد على نوع الرّفاة التي رُبّما عادت في نظره إلى مجموعة جنود غاليين خدموا في الجيش الروماني، فرضية استدلت بها من معاينة ميدانية شملت تجهيز المدافن ونوعية الحجارة المستخدمة وتوزيع الأضرحة التي تشابهت مع أخرى

¹ WAHL (Maurice) *L'Algérie*, 2 Ed. Felix Alcan Editeur, Paris, 1889, p 58.

² نخب من العلماء الموسوعة الأثرية العالمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2، 1997م، ص 84.

³ غزال (استيفان) ، تاريخ شمال إفريقيا القديم، ج1، ترجمة: محمد التازي سعود ، الرباط، 2007، ص48.

عثر عليها داخل فرنسا، رغم تشكيكه في نوعية العظام والجماجم المكتشفة التي لم تقدم حسب رأيه دليلا كافيا يمكن الاعتماد عليه للوصول إلى إثباتات قاطعة لانتساب الرُّفاة إلى الجنود الغالين.¹

أوجد المؤرخون الفرنسيون من خلال ضبط المفاهيم الجغرافية وتحديد قياساتها وأبعادها مقاربات عرقية بين سكان ضفتي البحر المتوسط (أوروبا وبلاد المغرب عموما) مقابل التشكيك في صحة وجود شعب أصيل على أرضها رغم وجود نصوص تاريخية وردت في كتابات هيروdot كالتَّرحلة البحرية التي قام بها حنون القرطاجي من تونس إلى خليج غينيا واكتشف فيها سواحل بلاد المغرب واستعرض ديمغرافيتها وأنشطتها الاقتصادية شكك بعض مؤرخيهم في الرواية على غرار غابريال كامبس الذي كتب عنها مايلي: (يُظهر الأسلوب الهيرودوتي التصنع الشعري والتعجب والمبالغة في ثنايا النص، عدا الفقرات السِّت الأولى التي تميزت بعرض للحقائق فالنص دَوَّنه بحار بشكل واضح من خلال بصمته البونية لكن وضوحه كان مختصرا وجرى تضخيمه وينبغي الكف عن دراسته لأنه ليس جديرا بنقاش جاد...)²

أوصى كامبس بضرورة إخضاع الوثائق التاريخية إلى مرافقة أثرية حتى يتسنى للمؤرخين استعمالها كشاهد يؤدي الغرض المطلوب، ولو تعلق الأمر بتاريخ نوميديا المكتوب لملوك مؤسسين مثل ماسينيسا أو آخرين قدموا باعا كبيرا في مجال الثقافة على غرار يوبا الثاني فالأصل عندهم الشواهد الأثرية التي تحكم على الواقعة التاريخية بالنفي أو الإثبات.³

ردًا من جانبنا نقول: إن علم الجغرافيا والآثار على أهميتهما لا يقدمان دليلا كافيا على تلاحم عرقي بين المجموعات البشرية كما لا يمكن إسقاط الفرضية على الجزائر والامتناع عن إسقاطها في باقي أرجاء المعمورة فالليبيون وشعوب الشرق الأدنى القديم كالحثيين والهكسوس وسكان مصر القديمة، تعايش بعضهم جنبا إلى جنب دون أن يؤثر ذلك على التمايز العرقي والديني والثقافي بينهم ، وعليه لا تشكل الدلائل الأثرية المكتشفة التي يُلح على الأخذ بها رواد

¹ GUYON (Jean .Louis) « Note sur des tombeaux d'origine inconnue situés au Ras Aconater, entre Alger et Sidi-Ferruch » *Nouvelles Annales Des Voyages Geographiques*, vol 112, Serie 5, T 4, Année 1846, p 122

² كامبس (غابريال) في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق. العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص 15.
³ نفسه، ص 17.

المدرسة الاستعمارية في شأن وصول هجرات غازية قادمة من أوروبا إثباتا قاطعا على انتساب عرقي للسكان مع تلك المجموعة البشرية فشعوب الوندال التي غزت المغرب القديم على سبيل المثال لا الحصر أقامت في مستوطنات منعزلة لمدة مائة سنة على أكثر تقدير.

3- مقاربات في الأصول العرقية لسكان الجزائر القدامى:

وقفت الدراسات التاريخية والأثرية الاستعمارية موقف المشكك عند التطرق إلى أصول سكان الجزائر، استدلت فيها المؤرخون على انعدام ذكر (البربر) في النصوص الكلاسيكية المعتمدة لديهم لهيرودوت التي أورد فيها تسميات مختلفة كالجيتوليين والموريين والنوميديين (أي البدو) وهي نعوت سياسية - في نظرهم - أطلقتها الغزاة الإغريق واللاتين على السكان طُرحت فيه فرضية التمايز السياسي والحضاري لا السُّلالي العرقي، اتجاه أكَّد في مغزاه انعدام وجود عنصر بشري أصيل في بلاد المغرب ككل.¹

قلل المؤرخون الفرنسيون من أهمية الأدلة التاريخية والأثرية المجسدة في الرسوم التي نقشت داخل الكهوف والمغارات وعلى الجدران الصخرية لعصور ما قبل التاريخ في الجزائر، فاعتبروها غير ذات قيمة تذكر ولا يمكن اعتمادها كأدلة أنتروبولوجية خاصة بعلم الإنسان القديم خلاف المنحوتات والوثائق التي وجدت في مصر على سبيل المثال، كالتي وردت في كتابات سالوست وغيره من المؤرخين الرومان القدامى، تعدُّ تلك الكتابات والرموز التي نقشت على الصخر منحوتات إنسان غير عاقل رسمت بطريقة بدائية وناقصة جدا لا ترقى إلى تصنيف حضاري يُعتمد عليه، كما وأن دراسة الهياكل والعظام البشرية كالجماجم لن تكون مفيدة على وجه المقاربة عند علماء الآثار الفرنسيين، والسبب راجع إلى حداستها والشك في قدرتها على استنباط الحقائق القطعية، وعليه لا تصلح إطلاقا كسبيل في التوصل إلى نتائج علمية تشكل أساس بحث جاد وموثوق به ، فدراسة العظام وقياس أحجامها لا يعطي - في رأيهم - دليلا واضحا على تشابه في لون العيون والشعر وما إلى ذلك²

¹ غزال، تاريخ شمال إفريقيا. ج.1. مرجع سابق ، ص 230.

² غزال، نفسه ص. 230.

حاول المؤرخون الاستعماريون من خلال هذه الإشارات المتعددة الوصول إلى انعدام الأدلة العلمية عن تواجد الإنسان القديم في الجزائر، سياق الغرض منه إعطاء ومضات تاريخية لبلاد المغرب المفتوحة على الشعوب المجاورة لتعزيز فرضية وجود الغزاة أولا، أو محاولة اعتبارهم خليطا غير متجانس من قبائل اختلفت في عاداتها وتقاليدها ولهجاتها وحتى في صفاتها الجسمانية فالأمازيغ إثنيات وطوائف وأعراق -حسب نظرهم - يصعب إيجاد مقاربات أنتروبولوجية بينهم فهناك القبائل سكان السواحل والشاوية سكان الجبال والطوارق سكان الصحراء الذين تتقاطع صفاتهم الجسمانية الدكناء مع شعوب شرق إفريقيا الإثيوبيين؛ وتعني حسب الكتابة اللاتينية ذووا البشرة السوداء جاءوا حسب افتراضات المؤرخين الفرنسيين من عملية بيع الرقيق (النخاسة) التي اشتهر بها العرب لاحقا،¹ مقارنة اعتمدت على الفوارق الفزيولوجية التي قد توجد حسب ما يراه الباحثون في علم الأنساب والوراثة داخل السلالة الواحدة بل وحتى بين أفراد الأسرة الواحدة .

اشتغل المؤرخون الاستعماريون وعلماء الأنثروبولوجيا واللسانيات على إعداد مقاربات لغوية للإشارة إلى تواصل حضاري (أورو- أمازيغي) وهو ما تم القياس عليه اعتمادا على تشابه بين اللغة المحلية وبين بعض الكلمات الأجنبية الأوروبية على وجه التحديد، وانتهت دراساتهم إلى افتراض انحدار سكان الجزائر القدامى من شعوب اسكندنافيا شمال أوروبا الذين قدموا إليها في رحلة نحو الجنوب وصولا إلى شمال إفريقيا .²

اعتمدت الدلائل الإثنوغرافية على اكتشافات أثرية في شكل نقوش كالدراسة التي أعدها بيربي (PERIER) وخلصت نتيجتها إلى انحدار الجيتوليين (الأمازيغ القدامى) من أصول إيرلندية بعد معاينة كتابات وجدت داخل مدافن الفراعنة احتوت على أوصاف دلّت على ذوي الشعور الشقراء والعيون الزرقاء أطلقها المصريون القدامى على جيرانهم الجيتوليين³ بل وذهب البعض أمثال فايد إيرب (FAIDHERBE) في مقال كتبه سنة 1867 م إلى اعتبار الأمازيغ أقارب

¹ غزال المرجع السابق، ص 247

² OLIVIER (M. G) « Recherche Sur L'origine Des Berbères » **B A H**, Numéro 5, Année 1865, imp. de Dagand, Bône .p 46.

³ PERIER (Jean, André, Napoléon), **Des Races Dites Berbères Et De Leur Ethno Génie**, Mémoire communiqué Par La société d'Anthropologie, T.1 Série 2 .topographie Hennuyer. Paris 1873, p. 9.

للأوروبيين القدامى حاول فيه إبعاد الفكرة التي تأصل لتعمير سكاني قديم في الجزائر، من خلال دراسة اثنوغرافية حصل عليها من معطيات ديموغرافية قام بها العقيد في الجيش الفرنسي هانوتو (HANOTEAUX) حيث لاحظ فيها أن غالبية السكان يتكلمون باللغة الأمازيغية بل واعتبر اللُّغة العربية لغة دخيلة حَلَّت نتيجة الغزو الذي اكتسح بلاد المغرب مع مجيء الفاتحين يضيف قائلاً (من أصل إثنا عشر مليوناً من الأهالي في الجزائر، لا يتكلم إلا مليونين فقط اللغة العربية) وهو في نظره دليل قاطع على عزوف السكان الأصليين الذين ينحدرون من أصول أوروبية وامتناعهم المستميت في تقبل لغة البدو وثقافة الغزاة العرب كما أضاف في مقاله وصفا فيزيولوجيا تتقاطع فيه السمات الأوروبية مع صفات سكان الجزائر الأمازيغ.¹

هكذا عدَّ رواد المدرسة الاستعمارية الجزائر فضاءً جغرافياً مفتوحاً، ومنطقة عبور لهجرات شعوب قديمات إليها وساحة غزو وحروب جرت على أرضها لا موطناً أصيلاً لشعوب قديمة نشأت في ربوعها، انطلاقاً من معطيات أنتروبولوجية وأثرية وتاريخية على الرغم من إشاراتهم لكتابات ابن خلدون كمصدر موثوق من مصادر التاريخ تحدث فيها عن أصل الأمازيغ وانتسابهم إلى أمازيغ بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام² والطبري الذي نسبهم إلى الأصل السامي (... وعميلق وهم من العمالقة ومنهم (البربر) وهم بنو ثميلا بن مأرب بن عميلق بن لوذ بن سام بن نوح ما خلا صنهاجة وكتامة فهم بنو فريقس بن يعرب بن قحطان...)³

راهن الفرنسيون على نجاح فكرة الإدماج لمكوّن أساسي وأصيل من المجتمع الجزائري وهو العنصر الأمازيغي من خلال محاولة ربطه بالأصول الأوروبية، سياسة كان لها حضورها القوي في كل المجالات التي اشتغل فيها الفرنسيون الإدارة والقضاء والتدريس وحتى البحوث العلمية الموضوعية، يشير عبد الله العروي في سياق الرّد على الدراسات الفرنسية التي أجريت في هذا الشأن ما يلي: (... إن مجمل البحوث والدراسات العلمية التي تعالج موضوع أصل الإنسان حديثة جداً بالمقارنة إلى السياق التاريخي الذي نشرت فيه البحوث الفرنسية القرن التاسع عشر

¹ FAIDHERBE (Léon) « Sur L'ethnologue Du Nord De L'Afrique » in B S A , 2 .Serie, T.5 , Année 1870 , victor Masson paris, p 49.

² ابن خلدون (عبد الرحمان) العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن 2009، ص 1600.

³ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم، ج 1 تحقيق أبو صهيب الكرعي، بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن، 2009، ص. 62.

كما وأنها مرتبطة في أغلبها بالأدبيات الرومانية واليونانية التي لا يمكن الجزم بصدقيتها فالكشوف الأثرية التي قام بها الفرنسيون طوال قرن من الزمن لم توظف إلا في نطاق البحث عن ترابط بين حضارة المغرب القديم وحضارة روما...¹ فليبيا جغرافيا في مفهوم هيروودوت هي كل شمال إفريقيا من النيل شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، يقابلها ديموغرافيا بلاد الأمازيغ ووحدة الأصل والعرق بادية في بشرتهم البيضاء التي تميزهم عن باقي العناصر البشرية الأخرى خاصة الفينيقيين والإغريق، وهو تأكيد ضمني للوحدة الإثنية للأمازيغ سكان شمال إفريقيا.²

4- أبحاث الفرنسيين ونظرياتهم حول أصول اللغة المحلية.

اشتغل الفرنسيون كثيرا على دراسة لغة الأمازيغ الذين استوطنوا ثلث أراضي بلاد المغرب في فضاء يمتد من البحر المتوسط إلى حدود النيجر، ومن الأطلسي إلى حدود نهر النيل اهتمت أكاديمية الفنون في فرنسا بهذا المجال، فشجعت الدراسات والبحوث وخصصت مكافآت مالية لها كما اشتغلت اللجان على دراسة اللهجات المحلية، نشر هانوتو (HANOTEAU) قواعد النحو وقصائد شعبية ليوغرطة، وسار على هذا المنوال بروسار دي بورت (DE PORTE) وقام دوفيريبي (DUVEYRIER) ودوسلان (DESLANE) بمجهودات في هذا الشأن تمثلت في تقارير وبحوث كما نشر رين (RHIN) دراسات لغوية وإثنية عن أصول الأمازيغ فربط فيها علاقات بين لغتهم المحلية واللغة الإتروسكية l'étrusque التي انتشرت في شمال إيطاليا ووسط أوروبا خلال القرن الخامس قبل الميلاد وانتقلت حسب رأيهم إلى الجزائر التي تواصل بها سكان ورقلة وبني يزقن وبطيوة (أريزو القديمة) ومنطقة الجريد في تونس.³

نشر روني باصيه (BASSET) قصصا تاريخية محلية ودينية (أسطورية) انتشرت بين قبائل زاووة وبني مناصر وبني مزاب في منطقة القصور جنوب وهران وقدم ماسكوراى (MASQUERAI) قاموسا للمفردات (البربرية) التي تداولها سكان الطوارق جنوب الجزائر أضاف

¹ العروي(عبد الله) مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 5، 1996، ص. 40.

² هيروودوت، أحاديث هيروودوت عن الليبيين الأمازيغ (489 ق م - 485 ق م - 425 ق م) ترجمة . مصطفى أعشي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2009، ص. 23.

³ BASSET (René) Conte Populaire Berbères, Ed Ernest Leroux, Paris, 1887, p. 18.

لها دراسة عن لهجة زواوة؛ جمع فيه قواعد النطق وقام بمقارنتها مع اللهجات الرئيسية للغة الأمازيغية ألحقه بنشر قاموس فرنسي - (بريري) احتوى على بيليوغرافيا توضيحية.¹

دار سجال كبير حول اللغة الأمازيغية بين المتخصصين فيها من الإثنولوجيين وعلماء اللسانيات وكان السؤال الأبرز ما أصل اللغة الأمازيغية وما مدى انتشارها؟
أدرج المؤرخ الفرنسي استيفان غزال اللغة الأمازيغية ضمن اللغات المهمجة ذات اللسان الخشن التي لم يكن الرومان والإغريق يهتمون بها، وقدم مقاربات أبجدية لها علاقة بوجود أسماء لمواقع أوروبية تشابهت نطقا لا كتابة مع بعض الأماكن في الجزائر وأخرى متعارف عليها في أوروبا مثل (تليباري في الجزائر وإيبيري في بلاد الغال) فحسب اللغة الباسكية الكلمة مركبة من عنصرين أولاهما مكان مسكون والثاني يعني جديد منتهيا إلى تقديم تساؤل " ألا تتعلق التسمية بمعسكر أقامته فرقة من الجنود الإسبان خدمت في إفريقيا " إضافة إلى أسماء أخرى دعم بها فرضيته كنهر إيزاريس (ISARIS) بغرب القطر الجزائري وسافوس (SAVA) بناحية سطيف والذي اعتبره تسمية مقتبسة من أحد روافد نهر الدانوب في أوروبا.²

من جانبنا تعدد الدراسات التي أصّلت لتقارب أورو-أمازيغي محاولات إدماج يائسة لمشروع استهدف إلحاق الجزائر بفرنسا، فلا وجود لدليل علمي لغوي تأسس على دعم فرضيات تجانس أو تواصل بين سكان الجزائر وغيرهم من سكان أوروبا، بقدر ماساقت الأبحاث اللغوية - دون الجرم بها- أدلة على تطابق بين الأبجدية الأمازيغية واللغة الحميرية القديمة في اليمن مع استبعاد تحديد وجه ذلك التقارب؛ هل كان نتيجة اختلاط حضاري أو هجرات قديمة جاءت من قبل المشرق؟.

5- نفي الفاعلية الحضارية لسكان الجزائر.

تعد بلاد المغرب عموعا في نظر المؤرخين الفرنسيين من الوجهة الجغرافية أرضا إفريقية مفتوحة على أوروبا تميزت بعقم حضاري غير قادرة على بعث حضارة أصيلة ولا حتى الاندماج في

¹ BASSET (R) Manuel De La Langue Kabyle, (Dialecte Zouaoua), Ed Maisonneuve, Paris, 1887, pp. 8-7.

² غزال ، شمال إفريقيا القديم ...ج1 ، مرجع سابق، ص. 262.

الحضارات التي جاءت إليها من الجهات الثلاث واستعمرتها على التوالي¹ اتجاه سار عليه جميع المؤرخين الاستعماريين دون استثناء.

قدّم كامبس حُججاً على انعدام حضارة ما قبل نيوليثية، والسبب حسب رأيه قلة المعارف التي تشير إلى تمكن إنسان فجر التاريخ من صناعة أدوات خاصة به تساعده على القيام بنشاطاته الزراعية، فالمواقع ما قبل النيوليثية أو حتى النيوليثية في الجزائر وشمال إفريقيا عموماً قليلة ونادرة إذا ما قورنت بمثيلاتها في أوروبا أو بلاد المشرق واستند على عدم وجود كميات قمح وبنذور في المناطق التي شهدت تنقيبات أثرية وإن كان قد أشار إلى وجود أواني فخارية وأدوات حجرية استعملت في التخزين والتقطيع، فإنه نفى في المقابل أي علاقة لها بوجود نمط معيشي مستقر لإنسان العصر الحجري أو ما قبل التاريخ كون الأواني المكتشفة وجدت في حالة شظايا وأجزاء ناقصة على قلتها، ولم تكن الأنشطة الأثرية التي قام بها المهتمون في هذا الشأن على غرار الحفريات التي قام بها دبروغ (DEBRUGE) بالموقفه نظراً لعدم اعتمادها على أسس علمية ففي نظر كامبس تعد الأخيرة دراسات طبعها الحماس الذي ضاعت معه كل الوثائق الأثرية ولا يمكن لأي نشاط مهما بلغت دقته العلمية استرداد الشواهد التي يقيم عليها الباحث المتخصص افتراضاته واستنتاجاته² فأقدم موقع أثري يشير إلى عصر النيوليثي لا يتعدى زمنه 4000 سنة قبل الميلاد تمثلت مكتشفاته في العصى المعكوفة التي استعملت في اقتلاع الجذور ، ودرنات النباتات لدى الأقوام البدائية التي اعتمدت على ممارسة زراعة فقيرة تزامن ذلك مع فترات كانت فيه الحضارات المجاورة في أوج ازدهارها³

تعد إشارة الباحثين الاستعماريين وأحكامهم القائمة على تخلف البلاد وعدم مواكبتها للتطور الذي شهدته الحضارات المجاورة- في نظرنا - استخفافاً بموروثها المحلي الذي امتد منذ فجر التاريخ أكّدت فيه الأدلة استقرار الإنسان العاقل في الجزائر منذ 2.4 مليون سنة اكتشافات

¹ BALOUT (Lionel) « Quelques problèmes nord Africains de chronologie préhistorique » in R A .vol, 92, Année, 1948, p. 262

² كامبس، في أصول بلاد البربر ... مرجع سابق، ص. 80

³ كامبس، نفسه، ص. 83.

توصل إليها علماء الآثار في أكتوبر 2018م، عظام بشرية وجدت في حالة سليمة بمنطقة الجلفة¹ وإن كانت الدراسات التي أثبتت هذا الاتجاه حديثة جدا بالمقارنة مع الدراسات التي أجريت خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فإن الفرنسيين لم يؤيدوا نتائج البحوث المخبرية التي قدّمها العلماء داخل وخارج الوطن بما يعطي إشارة إلى استمرارية المشروع الأكاديمي الاستعماري القائم على فرضية النفي والتشكيك، فالاستقرار يعني الحضارة والحضارة إدانة الغزو والاستعمار.

قام الباحث الفرنسي دوشلات (DECHELETTE) بدراسة أثرية على المعالم الجنائزية التي انتشرت في منطقة الحضنة والأوراس والأطلس الصحراوي بالشرق الجزائري، عاين خلالها نماذج مثلة في أشكال الجثى (Tumulus) والبازينات (Bazina) والدولمان (Dolmen) حددها زمنيا بالألفيتين الأخيرتين قبل الميلاد توصل فيها إلى استنتاجات أكدّت على ثراء المواقع وأهمية المكتشفات² كما أجرى الباحث كامبس معاينة لمكتشفات أثرية تعود إلى العصر النيوليثي داخل الكهوف في الجنوب الوهراني ونواحي معسكر وقسنطينة وموقع أميكني بمنطقة الهقار³ رجح فيها اشتغال المجموعات البشرية التي استوطنت منطقة أميكني على زراعة الذرة من خلال أدوات حجرية استخدمت في طحن الحبوب وأخرى فخارية استعملت للتخزين⁴ أعطى دليلا على تمكن إنسان العصر الحجري الحديث من التأقلم مع بيئته كما أعطى دليلا آخر على وجود نمط معيشي زراعي مستقر لدى إنسان العصر النيوليثي خصوصا إذا ما استندنا على وجود نظام توزيع للنباتات وخصائص الرواسب ، الذي يدل على مناخات أكثر رطوبة في الصحراء تدعم هذا الاتجاه، ناهيك عن وجود عظام حيوانات مثل التماسيح في إقليم الهقار والتاسيلي حيوانات ما كانت لتهاجر إليها لولا وجود تلك البيئة التي توفرت على النباتات وأحواض المياه⁵

¹ تعد المكتشفات الثانية ، بعد تلك التي اكتشفت في منطقة عين الحنش بسطيف ، وتدرج الثانية زمنيا بعد اكتشافات بشرية في منطقة القرن الإفريقي ، (إثيوبيا) التي يصل عمرها الى 6,2 مليون سنة، بفارق مائتي ألف سنة، (المصدر: مخبر البحوث الأثرية) الجزائر 2018م.

² عزيز طارق ساعد، آثار فجر التاريخ في الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص. 51.

³ CAMPS (G) Amekni, Neolithique Ancienne De Hoggar , M C R A P E vol 1, Ed Arts Et métiers Graphiques, Paris, 1969, P. 207.

⁴ CAMPS , les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara Ed. doin , Paris, 1974 , p. 234.

⁵ رشدي (سعيد) ، الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا ، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا ، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، ترجمة محمد السويسي ورشيد الحمزاوي ، مج 1 ، تورينو، إيطاليا ، 1983 ، ص 382 .

وما اختفاء النشاط الزراعي على الأقل في بعض أجزائها، إلا دليل على مناخات متذبذبة ميزت الأزمنة والعصور التي تلتها.¹

دلّت الأبحاث الأثرية على استقرار الإنسان بالجزائر مع بداية وجوده على سطح الأرض تمثلت في كويرات حجرية وفؤوس يدوية في منطقة عين الحنش ومنطقة قسنطينة تعود إلى الحضارة ما قبل الأشولية، وحصى مشذبة من مادة الكوارتز في جبل تسالة بالغرب الجزائري وأدوات حجرية تم العثور عليها في الصحراء تعود للمرحلتين المناخيتين المازري والإيدي² والتي تطورت إلى الحضارة الموستيرية غطت العصر الحجري القديم الأوسط من 100000 إلى 40000 سنة من الحاضر، استخدمت الشظايا المشذبة والمدببة والمكاشط المسننة التي عثر عليها في موقع رتيمة بالشلف ورأس تنس من طرف الانسان العاقل؛ تمثلت في أدوات صيد وزراعة لتلبية حاجياته³ بالإضافة إلى شواهد أثرية تشير إلى تدرج الإنسان من مرحلة القنص والقطف إلى استئناس الحيوان ثم الزراعة في وقت مبكر، ظهر فيها الانسان القديم؛ من خلال رسم صخري يرجع لحقبة البقريات (بين الألفية السادسة والثالثة قبل الميلاد) نقوش جدارية اختزلت نمط حياة أسرة رعوية داخل خيمة مستطيلة الشكل احتوت على سرير وبعض مستلزمات العيش⁴ مشهد تكرر في منطقة وانرحات (Oinarhat) لأشخاص يعملون في الزراعة، ورسومات نساء يحملن سنابل ويضعن أقنعة برؤوس الطير أوحى إلى تقديس آلهة الزراعة ودلّت على وجود ثقافة دينية ميزت فترة فجر التاريخ،⁵ كما أثبتت الدراسات وجود حضارة استخدمت البرونز والحديد في الفترة النيوليثية تزامن مع عصر البرونز المتوسط لأوروبا آلاف السنين قبل مجيء الفنيقيين نقوش

¹ HUGO (Jean) *le Sahara Avant le désert*, Ed Les Hesperides, Toulouse, 1974 , p 171.

² سحنوني (محمد) *ما قبل التاريخ* ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1999 ، ص 88.

³ بن بوزيد (لخضر) ، *الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ* ، المعتقدات والفن الصخري ، بدون تاريخ ، ص 49 .

⁴ مقدم (بنت النبي) « الفن المعماري وإنشاء المباني السكنية بالجزائر القديمة » م د ت ، ع 19 ، ديسمبر ، 2015 ، جامعة الجزائر 2 ، ص 21.

⁵ بعبطيش (عبد الحميد) «مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر» مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية ، مركز جيل البحث العلمي ، الجزائر ، ع 3 ، أكتوبر ، 2014م ، ص 204.

صخرية لفؤوس يدوية معكوفة عثر عليها في موقع بولوغين¹ وثلاث نصيلات من النحاس وشقف فخارية تعود إلى العصر الحجري الحديث تم اكتشافها في موقع عين قدارة.²

دلائل أثرية غير ذات قيمة تذكر ولا تخرج عن نطاقها البدائي - يجب المؤرخون الفرنسيون - فمؤشر قيام حضارة أصيلة تطورت بطريقة مستقلة أمر بالغ التعقيد، بسبب انفتاح شمال إفريقيا على حضارات قديمة جاءت من الشمال الغربي؛ وتمثلت مظاهرها في أدوات حجرية استخدمت في أوروبا الغربية فحجر الصوان المستعمل في الصيد ومكتشفات كهوف وهران التي احتوت على العظام والفخار ظاهرة بكثرة في جنوب إسبانيا،³ إضافة إلى ذلك عدّ الباحثون في علم الآثار مكتشفات الكهوف والمغارات والفجوات الدائرية تحت الصخور التي احتوت على شظايا الفخار نموذج مستنسخ في شكله البدائي لبقايا صناعات أوروبية تمثلت في مزهريات فخارية وإبر من العظام، تشابهت في تصاميمها مع أخرى اكتشفت في كهوف جبل طارق بإسبانيا، لا تعطي دليلاً على استقرار الإنسان القديم في الجزائر،⁴ بقدر ما تشير في نظر الباحثين الاستعماريين إلى اقتباس كان من نتاج الحضارة الإيبيرية التي توسعت جنوباً إلى بلاد المغرب خلال تلك الفترة فالصِّلات بأوروبا وخاصة إسبانيا - حسب شارل أندري جوليان - تمتنت من خلال التشابه الكبير بين أنية أشاكر الخزفية وبعض الأنية الخزفية الإسبانية دلائل لم تكن مجرد صدفة في نظره⁵

يقول الأستاذ عبد الله العروي في سياق الرّد على المؤرخين الاستعماريين ما يلي: (ما من اكتشاف ينم عن ثورة نيوليثية (زراعة ، تربية مواشي ، تجمع سكاني ، نسيج ، صناعة فخارية) إلا ويعزى لتأثير القرطاجيين ، يتساءل غزال هل انتظر الأهالي (والمصطلح استعماري يدمجه في عصر ما قبل التاريخ راجع إلى همّ سياسي) البحارة السوريين ليتعلموا منهم تدجين المواشي

¹ SOUVILLE (Georges) Atlas Préhistorique De L'Algérie, T 4 , Ed Libyca , paris, 1956 , p 236.

² CAMPS(G) « Les Traces d'un Age de bronze en Afrique du Nord » in R A , vol 104 , Année, 1960 , PP 34-35

³ GSELL (S) L'Algérie Dans L'Antiquité, Ed Adolphe Jourdan, Nouvelle Edition, Alger 1903 p 6

⁴ GSELL (S) Les monuments Antiques de l'Algérie, Ed. Albert Fontemoing, T 1, Paris, 1901, P. 2.

⁵ جوليان (شارل أندري) ، تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي تعريب . محمد مزالي البشير بن سلامة ، دار الغرب الإسلامي، ج 1 . بيروت ، 1951 ص 44 .

والزراعة لكنه في الوقت ذاته لا يجيب عن السبب الذي يقف وراء تلك الثورة هل كان بتأثير خارجي أم بمبادرة منهم ؟ " 1 من جهة أخرى أرجع الفرنسيون تقدم الجزائر خلال فترة الاحتلال الروماني إلى المنشآت التي شيدها وهي المواقع الأثرية الرومانية التي لم يساهم الأهالي في تشييدها كونهم لم يتقبلوا الحضارة الرومانية.² نتساءل إذا صح القول بأن البناء روماني ألا يعد ذلك خطأ بإسقاطه على ظاهرة التمدن؟ وهل المنشآت العمرانية كافية لبعث حضارة محلية قائمة على أسس ثقافية ودينية ولغوية واجتماعية وسياسية؟

برع الفرنسيون في علم الجغرافيا فدرسوا مظاهر سطح شمال إفريقيا الممتدة من جبل طارق إلى حدود تونس شمالا، ومن الساحل الشمالي للبحر المتوسط إلى حدود الأطلس الصغير حللوا تضاريسها وترسباتها الجيولوجية من جبال وسهول وأنهار، توصل فيها الجغرافيون إلى تغيرات مناخية تأثر بها المغرب عموما وطال خصائصها الجغرافية . والخلاصة - شمال إفريقيا - منطقة غير متجانسة في طبيعتها الجغرافية جبال شكلت على مر التاريخ عوائق طبيعية ، اعتبرت أساس تجزأه ولم توفر له أي وحدة سياسية أو إدارية كاملة حسب نظرهم³ ومن ثمة تعايشت الحضارة و(البربرية) جنبا إلى جنب في علاقة متنافرة ميزها الصدام المستمر بين مجتمعاتهما سكان السهول الخصبة والهضاب الغنية وسكان الجبال والصحراء أقيمت في الأولى المزارع وشيدت الضياع ، وحافظت الثانية على بداوتها ، فاستوطنت الكتل الجبلية وانعزلت عن الحضارة.⁴

أشاد المؤرخون الاستعماريون بالنمط الزراعي الذي كان موجودا في الجزائر خلال فترة الاحتلال الروماني، والذي تمثل في سن القوانين الضريبية واستصلاح الأراضي وشق قنوات الري وعمليات المسح الكنتوري كنظام قياس اعتبره رؤاد المدرسة الاستعمارية إبداعا ومكرمة رومانية بامتياز والنتيجة رخاء اقتصادي لم تشهد البلاد مثيلا له قبل غزو الرومان ولا بعدها⁵ فلا وجود لنصوص تاريخية أثبتت قيام القرطاجيين بعملية مسح للأراضي الزراعية - في نظرهم -⁶ استغلت

¹ العروي، مرجع سابق، ص 44.

² GSELL(S) *Histoire et Historiens...* op cit, p 5.

³ GSELL (S) *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, T 1 , Ed Librairie Hachette , Paris, 1913 , P 1.

⁴ ibid, p 28.

⁵ حنيش (عبد الفتاح) التوسع الزراعي في افريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية ، مذكرة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، ديسمبر 2013 ص 67

⁶ GSELL (S), *Histoire Ancienne...*, T 7, Ed. Librairie Hachette, Paris, 1928, p 11.

السهوب الواقعة تحت سيطرتهم واستصلحت الأراضي على وجه أفضل من النوميديين الذين فضلوا الصحراء والجبال موطناً لهم بعيداً عن الحضارة انسجاماً مع طبيعتهم ونزوغهم للفوضى تطور الصراع بعدها إلى الإغارة على الضياع ومزارع المستوطنين وأدى بالرومان في النهاية إلى إنشاء استحكامات عسكرية وأبراج مراقبة وحصون لفرض النظام والقوة وتأمين استغلال السهول ووصول منتجاتها إلى موانئ تنس وشرشال وغيرها، وانتهاج خطط هجومية لتشتيت تجمعاتهم على هوامش الصحراء.¹

هكذا أخفى المؤرخون الاستعماريون وجود حضارة محلية قديمة وحديثة، فالشواهد على وجودها لا يمكن اعتبارها في نظرهم إثباتاً تاريخياً يمكن الاستناد عليه للتأصيل على إبداع ما سواء تعلق الأمر بالعمارة أو الزراعة أو النشاطات الحرفية عدّها الفرنسيون موروثاً حضارياً خارجياً ليقى الجزائري في دائرة البدائية والتخلف وعجزه الفطري عن إنشاء حضارة مستقلة به عند بعضهم أو تبعيته الحضارية لشعوب مجاورة، متجاهلين إسهام المغرب الأوسط (الجزائر) في الجهد الحضاري الذي نقله سكانها إلى الأندلس وأنشؤا على أرض المغرب أول دولة إسلامية وهي الدولة الرستمية أشار لها الأستاذ محمد البشير شنيقي من خلال إعطائه أبعاداً حضارية لها (ربطت بين إفريقيا جنوب الصحراء والبحر المتوسط تجارياً مخلفة نماذج رائعة للعدالة الاجتماعية وهو ما تشهد عنه أطلال عاصمتهم الثانية سدراتة المغمورة تحت الرمال ... كما حققت الدول الإسلامية المتعاقبة على المغرب الأوسط (الجزائر) نهضة إقتصادية قوامها العناية بالزراعة وتنظيم الري والتحكم في مصادر المياه وتشجيع التجارة ، وتأمين طرق القوافل الشيء الذي ترتب عنه نمو للمدن واتساع للأسواق وانتعاش للحرف والصناعات ورقى في المستوى العمراني)²

6- التشكيك في وطنية سكان الجزائر

ظلت الجزائر عبر جميع مراحل تطورها التاريخي في نظر المؤرخين الاستعماريين إقليمياً تابعاً لسلطة القوى المجاورة ساحة حرب بين غازي قديم وآخر يحل محله القرطاجيون والرومان والوندال ثم البيزنطيون، أرض ارتبط مصيرها دوماً بإرادة خارجية وتدخل واضح ومباشر عن طريق

¹ شنيقي (محمد البشير)، أضواء على تاريخ الجزائر القديم ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003 ، ص 10.

² شنيقي نفسه ، ص . 26.

استعمال حُكَّامها (العملاء) وتوجيه سلطتهم لخدمة مصالح الأجنبي، قدّم الفرنسيون لأجل إثبات نظرياتهم نموذج ماسينييسا الذي استعان بالرومان للقضاء على القرطاجيين بعدما كان حليفا لهم¹ في حين أكّدت الأحداث التاريخية أن ماسينييسا كان يريد استعمال روما للقضاء على الغزاة القرطاجيين بعد ما تحولت استضافتهم على أرض نوميديا إلى عداء مستمر وتهديدهم لأمن البلاد من خلال حياكة المؤامرات والتخطيط لاغتياله، لقد حاول الرجل بناء دولة نوميدية قوية وتوحيد شمال إفريقيا ككل لكن بعد استيعاب الحضارة البونيقية الشيء الذي تنبّه له الرومان وبادروا إلى القضاء على قرطاجة باحتلال بلاد المغرب.²

دلّت كرونولوجيا الأحداث استثمار ماسينييسا لمحتوى معاهدة زاما من أجل انتزاع الأراضي من قرطاجة وهو البند الذي ارتأت روما تركه مفتوحا، إذ لم تعين حدودا فاصلة بين مملكة نوميديا وأراضي قرطاجة بحكم المعاهدة لماسينييسا الحق في أخذ الأراضي حتى ولو كانت داخل حدود قرطاجة³ وكاد أن يحقق أحلام الأمازيغ ويقضي نهائيا على الوجود القرطاجي بين 207 - و 147 ق- م في ثورات حاول فيها تطبيق مبدأ (إفريقيا للأفارقة) الذي أعلنه صراحة واضطر على مفض التحالف مع روما أو لنقل إبعاد خطرهما أولا مع إضمار غايته القصوى في نفسه إنشاء مملكة أمازيغية موحدة مستقلة عن كُلي نفوذ أجنبي،⁴ تدخلت روما بعدها وعملت على إيقاف المشروع النوميدي في الوحدة بتدمير قرطاجة واحتلال إفريقيا سنة 146 ق -م تلاها قضية تدخلها في مصير العرش النوميدي بعد وفاة ماسينييسا بالفصل في قضية خلافته بين أولاده الثلاث التي كان شرطها الولاء لها⁵ بما يعني عند المؤرخين الاستعماريين العمالة لروما من خلال تلقي مجلس الشيوخ للرشاوى على شكل هدايا وهبات أصبحت بمرور الوقت تقليدا أمازيغيا في نظرهم.

¹ جوليان (ش. أ.)، تاريخ إفريقيا الشمالية ... مرجع سابق، ص. 115.

² دوكريه (فرانسوا)، قرطاجة الحضارة والتاريخ، ترجمة، يوسف شلب الشام، دار طلاس للترجمة والنشر، ط 1، 1994، ص 184-185.

³ GSELL, (S) *Histoire Ancien ...* op cit, p 312.

⁴ شفيق (محمد)، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، دار النشر تاوالت، المغرب، 1989، ص 34.

⁵ MERCIER(Ernest) *Histoire De L'Afrique Septentrionale (Berbérie) Depuis Les Temps Les Plus Reculés*

Jusqu' à La Conquête Française, Ed Ernest Leroux Editeur, T. 1. Paris, 1888, p 57

كنموذج آخر اعتمد عليه المؤرخون الاستعماريون في شأن تأخر إعلان ماسينيسا عن وريثه لخلافة العرش النوميدي بعد 57 سنة من حكمه، أعطى غابريال كامبس ثلاث احتمالات ، صَبَّتْ كُلُّهَا في اتجاه نزع صفة الحاكمية منه، الأولى أنه شكَّك في قدرة ولده الأكبر مكيسا على إدارة الدولة، والسبب راجع حسب رأيه إلى ضعف شخصيته والاحتمال الثاني أتى من إرادة خارجية فرضها الوضع العام في إفريقيا التي كانت محتلة في بعض أجزاءها من طرف الرومان ترك فيه ولاية العرش النوميدي لقرار مجلس الشيوخ الروماني، والثالثة مبدأ الحكم الجماعي السائد في الأقاليم والذي تميز حسب نظره بالفوضى والاختلاف وحالات العصيان فلكل حاكم رأيه القوي النابع من طموحات شخصية في الاستلاء على الحكم، ولو جمعنا هذه الاحتمالات الثلاث كلها لا نجد فيها رأيا واحدا يخرج عن نطاق محاولة إضعاف الحكم النوميدي وطرح إشكالية فرض النظام وإقامة الدولة عند الأمازيغ بشكل أو بآخر، عاد المؤرخ في النهاية وقَدَّمَ حكما رَجَّح فيه الاحتمال الثاني دور الأجنبي في التنصيب كان ذلك بقرار مباشر صادر عن مجلس الشيوخ أم بموافقة على رأي قدمه إليهم حاكم مؤسس للجزائر إسمه ماسينيسا¹

أمام هذا التحامل الذي صيغ في شكل أحكام يمكننا طرح أسئلة بخصوص الفرضيات إذا كان الاحتمال الأول صحيحا ما الذي منع ماسينيسا من طرح بديل عن ماكيسا وهو الحاكم الأول في البلاد، وإذا كان الاحتمال الثاني صحيحا وهو تدخل الأجنبي ماهي مظاهره وأشكاله؟ وهل يمكن للمؤرخ الاستعماري الفرنسي إبراز نوع العلاقة غير المتكافئة القائمة على الاملاءات بين نوميديا والرومان ؟ وإذا كان الاحتمال الثالث الذي يتمثل في عجز ماسينيسا عن إدارة البلاد أمام طموحات حكام أقاليمها كيف استطاع الرجل على مدى 57 سنة كاملة من حكمها بعد أن قام بتوحيدها في البداية ؟

أرَّخ سالوست (SALLUSTE) لحروب روما مع يوغرطة والتي اعتمد عليها المؤرخون الفرنسيون كوثيقة تاريخية لا غنى عنها ، قلَّت من مكانة الرجل فيوغرطة ليس أميرا بربريا بل ولا حتى قائدا محليا ، وإنما رجلا اتصف بالتحايل والمراوغة والخداع ، لم يمتلك في يوم ما مشروعا وحدويا لبلاد المغرب، وهو السياق الذي سار عليه كتاب المدرسة التاريخية الاستعمارية يقول

¹ كامبس (غابريال) ، في أصول بلاد البربر ... مرجع سابق، ص. 282.

ديرو دولامال (DELAMALLE) في هذا الشأن (... ظل يوغرطة ينتقل من منطقة إلى أخرى طريدا بعد أن فقد معظم جنوده الذين استسلموا للرومان أو التحقوا بجيش بوخوص، لم يكن يوغرطة راضيا عن خططه العسكرية ولا عن خياراته ولا أوامره التي كان يغيرها بين الفينة والأخرى مرة في اتجاه الصحراء ومرة أخرى في اتجاه الرومان، أوامر طغى عليها الاضطراب والحيرة وعدم الثقة فتحول من مقاتل إلى طريد يبحث عن مسلك للهروب، يغير على معسكرات الجنود الرومان على شاكلة اللصوص وقطاع الطرق، طلبا للمؤونة التي كانت تقل يوما بعد يوم، يستجمع حوله المقاتلين (البربر) الذين كان أغلبهم من سكان الأرياف المزارعين لكن سرعان ما تنهاوى دفاعاتهم عند أول مواجهة... لينتهي إلى مقاربة تاريخية بين جنود الغزو الفرنسي ومعارك الرومان قديما فالسر في عدم تمكن الرومان والفرنسيين من أسر (البربر) لا يرجع حسب رأيه إلى شجاعتهم بقدر ما يعزى إلى رشاقتهم في الهروب من ميدان المعركة)¹

في حين أكدّت الأحداث أن يوغرطة أراد إقامة إمبراطورية أمازيغية، لا بل والقضاء على روما نفسها أو ليس هو القائل (روما مدينة للبيع مصيرها الهلاك إن وجدت من يشتريها)² ولماذا لم يؤكد الفرنسيون مقولته التي أكدّها التاريخ بعد أربعة قرون من الزمن؟ والتي تمثلت في سقوطها ترى هل كان الفرنسيون يسكتون عن المشروع الوحدوي الذي نادى به يوغرطة وحاول بناءه في القرن الأول الميلادي لو تعلق الأمر برجل قومي من فرنسا أو من أوروبا قام بمثل ما قام به يوغرطة؟ الإجابة هي ليس من السهولة بمكان إبداء رأي مخالف بشأن ثورة يوغرطة ضد الرومان إلا في سياق ما كتبه المؤرخون الرومان القدامى، وهي مشاريع تتشابه في طبيعتها على اختلاف أزمتهما .

إن انتصار الرومان على يوغرطة لم يكن مردّه الخطط العسكرية بل الغدر الذي اتسم به هؤلاء عن طريق محاولة استمالة مساعديه وحلفائه بالرشاوى والامتيازات فأوقعوا به غدرا وغيلة سلوكيات طبعت الجندية الرومانية بشكل عام، قابلها ردود فعل القائد يوغرطة الذي شكك في

¹ DELAMALLE (Dureau) *L'Algérie Histoire De Guerres Romaines, Des Byzantins Et Des Vandales*, Ed Librairie Didot Frères, Paris, 1852, p 108.

² SALLUSTE *Jugurtha*, T F. Croiset, Ed. Librairie De La Hachette, Paris, 1850, p 35.

كل من يحيط به من قادة وأقرباء بعد اكتشاف المؤامرة،¹ فهل سقطت يوغرطة صريعا في ساحة المعركة أم اقتيد محتطفا أسيرا أعزل من السلاح نحو روما مقابل وعود وتمنّيات قدّمها مبعوث قائد روماني يدعى سولا إلى حاكم عميل يسمى بوخوص؟

أرّخ رواد المدرسة الاستعمارية لجميع الثورات التي تلت ثورة يوغرطة؛ كردّات فعل يائسة على أوضاع اجتماعية مزرية، فأقصى ما كان يطمح إليه السكان هو التخلّص من الضرائب والحصول على كسب مادي يقيهم شر السُّؤال، ساقهم الغضب والاحتقان إلى الثورة فاندفعت الجموع نحو نهب الضياع والممتلكات، فلا تمثل ثورات (البربر) التي اندلعت في الجزائر، حسب نظرهم أي تصور مستوحى من فكر مقاوم باعث على التحرر من الامبراطورية الرومانية، إذ أن سلطتها القوية كانت فوق التصور الذهني لقادتهم في تغيير النظام الامبراطوري في إفريقيا، أو حتى الوقوف منه موقفا سياسيا معارضا ناهيك عن الاستقلال،² فرموس (FIRMUS) حسب نظر دولامال (DELAMALE) (...) لم يكن قائدا محليا بل رجل متمرّد اعتاد على النهب وحرق المدن جمع حوله المرتزقة واللصوص وبالكاد وصل عددهم إلى 3500 رجل من القرويين، جعلهم الوضع الاجتماعي في حيرة من أمرهم بين مجاهدة تيودوس (THEODOSE) القائد الروماني أو الاستسلام لقدرمهم الخانع، لم يمتلك استراتيجية في بناء الدولة أو تحقيق الوحدة بين القبائل لا شعبية له تذكر في أوساط (البربر) كل ما فعله إغراء السكان بالمال أو التهديد بالقتل واختطاف أبناء رؤساء القبائل ووضعهم كرهائن لإجبارهم على المشاركة في قتال روما، وهي القبائل التي كانت تقيم في منطقة الونشريس لينتهي إلى تمجيد شجاعة الرومان وقوة بأسهم في القتال فحسب رأيه يمتلك الجنود الرومان مقدرة على القتال عكسه الوضع السياسي الذي يعزز الانتماء والولاء للسلطة المركزية في روما ...) ³

على هذا المنوال أرجع رواد المدرسة الاستعمارية أسباب الثورات جميعها إلى أصولها الاجتماعية وبواعثها الاقتصادية، اختزلت أحداثها في الإغارة على مخازن الحبوب ونهب الضياع في وقت أخفى فيه هؤلاء الأهداف التحريرية التي كانت وراء استقلال المدن تباعا الواحدة تلو

¹ محمد السيد (محمد عبد الغني)، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، المكتبة الجامعية، الاسكندرية، 2000م. ص 38.

² GSELL(S) *L'Algérie Dans L'Antiquité*, Ed Adolphe Jourdan, Nouvelle Edition, Alger, 1903, p 101.

³ DELAMALLE (D) *L'Algérie*, ..., op, cit, p. 207

الأخرى مثل شرشال (JULIA CEASARIA) والجزائر (ICOSIUM) وغيرها، ولم تنته ثوراتها إلا بعد أساليب الخداع والمؤامرات التي دأب عليها الرومان، امتيازات ورشاوى ووعود وتحالفات مع رؤساء القبائل، كان فيها اختطاف أبنائهم ووضعهم كرهائن ضمن خطط الحرب الرئيسية على غرار ثورة فيرموس التي يتحدث عنها الأستاذ محمد بوكبوت قائلاً (... ففي سنة 372م أدى تدخل قائد إفريقيا في النزاع بين أبناء أمير الحلف الحماسي إلى ثورة أحدهم وهو فيرموس معلنا الحرب ضد الرومان، فانضم إليه الدوناتيون¹ والدوارون²، الذين كانوا يدورون على مخازن الحبوب لنهبها فكانت النتيجة ثورة اجتماعية وقومية تحررية، إذ كانت زعامتها وقاعدتها أمازيغية، ولم تكتف قواتها بالإغارة على الضياع كما كان الشأن مع الدوارين بل نجدها تستولي على شرشال عاصمة ولاية القيصرية وإيكوسيوم (الجزائر) كما دحرت الجيوش الرومانية في عدة معارك...³

تعقيا من جانبنا على السياق التاريخي ما الضير إذا أغار السكان على مخازن الحبوب أو على خزائن النقود؟ فالعدو المحتل الذي خاطر الجزائريون بحياتهم أمام جحافلهم لا يمكنهم البقاء مكتوفي الأيدي أمام خزائنه، ألم يبدأ الفرنسيون ثورتهم بإطلاق سراح سجناء الحق العام والمجرمين من سجن لا باستيل والإغارة على المخازن قبل أن تنتقل إلى المطالبة بإسقاط النظام الملكي القائم؟ الشيعي الذي جسد انحرافا واضحا عن شعارات ثورتهم "الحرية والأخوة والمساواة" فليعالج المؤرخون الفرنسيون ثورة 1789م من زاوية إنسانية وليخضعوا أحداثها التاريخية لحكم القانون عندها ستتضح الصورة.

تكاد لا تخلوا كتابات المؤرخين الفرنسيين عن تاريخ الجزائر من بداية القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي من ذكر الاحتلال، غزو تلو آخر الفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون⁴ نتعرف على أصل السكان من خلال ما استجد من بحوث وكشوف أثرية قدمها لنا الفرنسيون بحجة أسبقيتهم في تناولها وبراعتهم في معالجتها، ونتعرف على الأحداث التي شهدتها بلادنا من خلال ما كتبه غيرنا غزاة محاربون وجواسيس دخلوا الجزائر تحت غطاء التجارة

¹ مذهب ديني مسيحي ظهر مع القس المسيحي دوناتوس قاومت السلطة الزمنية، ممثلة في المذهب الكاثوليكي.

² فئة من الشعب ثارت على الرومان، بمباركة من القس دوناتوس، قامت بالاستيلاء على مخازن الحبوب.

³ بوكبوت (محمد) الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، مركز طارق بن زياد، فيديرانت، الرباط، ط. 1، 2002 م، ص 76.

⁴ GAUTIER (Emille, Felix) *le passé de l'Afrique du nord les siècles Obscurs, Du Maghreb*, Ed. Payot, Paris,

ورحالة وجغرافيون ورجال دين مسيحيون، في مهام أطلق عليها بعثات علمية استكشافية¹ خطّ سطره كتاب المدرسة الاستعمارية في موضوع تاريخ الجزائر لا يخرج في مضمونه عن الإطار العام الذي يقلل من شأنهم وقدرتهم على كتابة تاريخهم.

اشتغلت الكتابات التي تناولت الرموز التاريخية الجزائرية في العصر الحديث على الخطّ من دورها الوطني على غرار الكتابات التي تعلق بشخصية الأمير عبد القادر الجزائري الذي اتهم بالتعصب الديني من خلال كتابات بول أزان (Aazan) " الأمير عبد القادر من التعصب الإسلامي إلى القومية الفرنسية" كما قال عنه جورج ايفير ما يلي : (...لم يكن بطل جنسية عربية في الجزائر لأنها لم توجد، ولم يكن سياسيا مجددا يهدف إلى إدخال الحضارة الأوروبية على مواطنيه الذين كانوا نصف برابرة، ولكنه كان مرابطا طموحا استغل الظروف وسلطته الشخصية التي قلّد فيها الأتراك للوصول إلى أهدافه، أضفى عليها نسبه الشريف وشجاعته الشخصية في حين كان تظاهره بالتدين والتسامح على وجه اتسم بالنفاق، ترصّد بصفة مستمرة ودائمة أخطاء الفرنسيين في البحث عن انتصارات للوصول إلى مكاسب على غرار معاهدة ديميشيل ومعاهدة التافنة، فتشابهت تنظيماته الإدارية مع الأتراك الذين قلّدهم في جمع المال عن طريق القوة وهو التنظيم نفسه الذي طبقه الفرنسيون بطابع إنساني من خلال ربط إدارة الأهالي بالحضارة الأوروبية ... وكان هدفه التخلص من أعداءه مسلمين ومسيحيين وأن أقصى ما كان يحلم به هو حكم العرب و(البربر) على حد سواء...) ² سياق يهدف في أساسه الكاتب إخراج نضال الأمير من إطاره الثوري التحرري، إلى نظام حكم دكتاتوري وسلطة استخدمت أساليب المكر والخديعة والطرق الملتوية لتثبيتها متجاهلا عزوفه عن لقب سلطان واكتفائه بلقب أمير للجهاد زهدا في مناصب الدنيا وتواضعا منه أثناء مبايعته سنة 1832 م بمعسكر.

لم يقف الأمر عند محاولة تشويه جهاد الأمير بل امتد إلى فترة وجوده محتطفا في فرنسا حيث صرح جون كلود فاتان (VATIN) قائلا: (... أليس الأمير من تأقلم مع الحضارة الأوروبية عندما كان أسيرا في فرنسا، أو ليس هو من انخرط في الماسونية التي حولته إلى صديق متحالف

¹ مثل كتابات دييغو دو هايدو، والطبيب تشاو، وغيرهم.

² GSELL Et Autres, **Histoire et Historiens** ..., op cit, p. 290.

معها؟ وجعله في النهاية ينقذ آلاف المسيحيين من مذابح محققة في دمشق؟ ألم يأمر أبنائه وأتباعه بوجود التخلي عن المقاومة ضد فرنسا أو حتى الوقوف منها موقفا معارضا؟...¹

أمام هذا التحامل على شخصية الأمير عبد القادر يمكننا الرّد من جانبنا على كتابات المؤرخين الفرنسيين بأسئلة نراها ضرورية لتنفيذ هذه الادعاءات الواهية، هل قدم الأمير إلى فرنسا مكرها أم مختارا؟ فالذي يتأثر بمظاهر الحضارة الأوروبية يجب أن تتوفر فيه شروط تتلخص في الحرية ورغبة الاستكشاف والإعجاب والاستعداد لتقبل نماذجها الفكرية والأدبية والمادية، فأى من هذه النماذج أولها الأمير عناية حينما كان مجاهدا أو محتطفا في لامبواز أو حتى حرا طليقا في المشرق أو في فرنسا نفسها؟

اطّلع الكثير من المؤرخين على حياة الأمير ونظمه فقال عنه بيرروجر (... كنا نعتقد في الأمير الشخص الذي يمدّن شعبه باسم فرنسا وأنه سينوب صراحة عن ملكها مقابل الاعتراف به كملك عليه غير أنه تكفل بإزالة هذه الأوهام كلها...)²

لم يكلف الأمير نفسه عناء أخذ نماذج من الحضارة الأوروبية، على الرّغم من إطلاعه على الدساتير الفرنسية ومواثيقها ونظمها وقوانينها، فلم ينشأ مطبعة كما فعل محمد علي في مصر ولم يجلب النظام العلماني إلى بلاده كما فعل مصطفى كمال في تركيا الذي استغنى عن الشريعة الإسلامية ظنا منه أنها سبب انحطاطها، أو حتى رفاعة الطهطاوي في مصر الذي ذهب إلى فرنسا إماما محافظا ورجع منها رجلا حدثيا، لم يقم الأمير بإنشاء مكاتب للترجمة والإعلام عند تلقي الأخبار ولم يقم بنشرها عن طريق الصحف رغم مقدرته بل فضّل استماعها من جلسائه مباشرة وفي ذلك إشارة إلى عزوفه عن تقليد الفرنسيين.³

هذا المسلك الخادع ضد الأمير عبد القادر هو محاولة فاشلة لتشويه جهاده وسيرته المجيدة فالمستهدف هو ما يمتلكه من قيم دينية ومثل وطنية وأخلاق ومبادئ ومواقف إسلامية، فلا يجب على المؤرخ الجزائري اعتماد مصادر غيره في كتابة التاريخ، دون تمحيص أو اجتهاد

¹ VATIN (J, C) *l'Algérie politique* ...op cit, p. 43.

² بيرروجير (أدريان) مع الأمير رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837م-1838م) تعريب، أبو القاسم سعد الله، منشورات (م و د ب ح و) الجزائر، 2005، ص 87.

³ سعد الله (أبو القاسم) « هل كان الأمير حدثيا » جريدة. الشروق، 17 ديسمبر، 2008م.

لخلفيات الكتابة التي تأثرت بأحداث الفترة التي سجّلت فيها والغرض الذي كان وراء كتابتها، كي لا يتحول تاريخ الشخصيات التي صنعت الحدث إلى مجرد روايات يشوبها الكثير من الافتراء والتزوير للحقائق وعلى نمط يكتسيه الانطباع بأننا نكتب تاريخنا في حين أننا نردّد ما قاله الآخرون عنا، كما لو كان الحال يتعلق بأحداث توثق بالصوت والصورة.

7- مقاربات استعمارية حول مسيحية الأرض والانسان (البربري).

أبدى المؤرخون اهتماما واسعا بالأحداث التي توثق للمسيحية داخل الجزائر وعلاقة سكانها بالدين المسيحي، فترصدوا مواقفهم إزاء التعاليم الدينية المسيحية والقوانين الرومانية الصادرة عن السلطة الوثنية في البداية، خاصة بعد تغلغل الدّين المسيحي إلى بلاد المغرب أواسط القرن الثاني الميلادي أي حوالي 180م، التي شهدت اضطهادا للسكان المسيحيين من قبل السلطة الرومانية الوثنية.¹

فحسب تريتيانوس² في كتابه الذي ألفه سنة 197 م فإن الدّين المسيحي في إفريقيا تغلغل قبل ذلك بكثير يقول: (... إنّ جميع التشريعات والقوانين التي سنّها الرومان ضد المسيحيين، قد اتخذت صفة العبيثية بعد أن كانت غير عادلة، وما أثبت ذلك تحاشي تطبيقها حتى من طرف الأباطرة السابقين السيئين... هاهم الرومان الذين اعتنقوا المسيحية سرّاً قد تخلو عن تقاليدهم السابقة، بل لم يتم مطاردة المسيحيين أو إلقاء القبض عليهم ورغم كل المزاعم يحافظ المسيحيون على أنفسهم من خلال حياة نقية، نحن لا نلتزم بعبادة آلهة الرومان لأنها ليست آلهة، بل الإله الواحد الذي كشفت عنه الكتب المقدسة أقدم من جميع الكتب الوثنية، احتوى على الطبيعة والولادة والحياة والمعجزات وصعود المسيح ... لم تكن الآلهة هي التي صنعت عظمة روما، فهذه كذبة كبيرة فالرومان ليسوا عظماء بسبب تقواهم لكن بسبب عقابهم، وليس باستطاعة الآلهة أن تفعل شيئا من أجل الإمبراطور ولا ينبغي له أن يضحي بنفسه من أجل آلهة عاجزة.. ألهمت الشياطين الفلاسفة والشعراء بخرافات تشبه العقائد المسيحية ... على الرغم من عددهم الكبير

¹ HAMMAN (Albert) *La Geste Du Sange*, Ed librairie Artheme Fayard, Paris, 1953, pp 60-62.

² تريتيانوس، كرينوس، سيبتموس، فلورس ولد حوالي 160 م من أبوين وثنيين درس القانون في روما ومارس المحاماة يعد من الأوائل الذين كتبوا عن الكنيسة الإفريقية واجه اضطهاد الوثنية مات في 225م. للمزيد يُنظر: فرح (عادل). *موسوعة آباء الكنيسة*، ج2، (كنيسة شمال إفريقيا) دار الثقافة القاهرة، 1999م من: ص. 155 إلى 199.

لا يفكر المسيحيون في الانتقام من الاضطهاد الذي تعرضوا له ومع ذلك سيكون من السهل عليهم الانتقام إن هم أرادوا، لسنا في حاجة إلى تذكيركم بخطاب الإمبراطور ماركوس أورليوس الذي استعرض فيه دعاء الجنود المسيحيين للجيش الذي أنهكه الضمأ وكاد أن يهلك لولا تدخل العناية الإلهية وسقوط المطر، نحن أبناء الأمس نملاً الأرض اليوم وممتلكاتكم - في إشارة إلى الرومان- من مدن وجزر ومواقع محصنة وبلديات وضيعات ومعسكرات ومقابر ومقر قيادة الجيش ومجلس الشيوخ ولم نترك لكم سوى المعابد، يمكننا إحصاء جيشكم وأن مسيحيي مدينة واحدة أكثر منكم عدداً ، يمكننا هزيمتكم بالانفصال عنكم بلا سلاح ولا تمرد...¹

صاغت الكتابات الاستعمارية الفرنسية صراعاً بين مذهبين مسيحيين أحدهما دوناتي نسبة إلى دوناتوس (DUNATUS)² من أصل جزائري والكنيسة الكاثوليكية في روما، أعطى المؤرخون الاستعماريون للمذهب الدوناتي توصيفاً غير دقيق، واعتبروه مذهباً متطرفاً نابعاً من ضعائن شخصية عقيمة لا تحررية استقلالية، امتدت منذ زمن تارتيليان في سجال عنيف تحول في كثير من المرات إلى ثورات دموية، قام بها السكان على أرض من الرمال والنار، فالدوناتية حسب نظرهم تميزت بالعناد والبدع والردة والاستقواء بالطبقات الاجتماعية الدنيا في إشارة إلى فئة الدوارين.³

من جهة أخرى أبدع المؤرخون الفرنسيون، وعلماء الآثار في الكشف عن الكنائس والنقوش النصرانية التي وجدت داخل المدن وماحولها، لمحاولة استنباط مقاربة تصب في اتجاه تأصيل التنصير وتعميمه على مختلف البلاد، بالاستناد أولاً على انتشار الكنائس فيها وما تحويه من كتابات دينية مسيحية شكلت أساس المعتقد الديني الذي ساد الجزائر قديماً؛⁴ فالدلائل الأثرية المسيحية - حسب نظرهم - قائمة في كل مكان وتحت أنقاض طمرت على مدى أربعة عشر قرناً من الزمن، كنائس ومدافن وصلبان وأضرحة كتب على شواهدها المشكلة من الرخام

¹ TERTULLIEN *l'Apologétique De Tertullien* Apologie Du Christianisme Ecrite En L'an 197 après

J-C (T,L) Waltzing (j. p) Ed Bloud Et Gay , Paris, 1914 , pp 4-6.

² دوناتوس قس أمازيغي، مسيحي، قاوم المذهب الكاثوليكي، انتهت حياته في سجون الرومان بإسبانيا.

³ FERNOND (MOURRET) *Histoire Générale De L'église, Les Origines Chrétiennes*, Ed Librairie Bloud Et Gay, Paris, 1928, p 439.

⁴ EGRON (Adrien) *l'Algérie chrétienne*, Imp. Lefort, Imprimeur- Libraire, Lille, 1847, p. 26.

المكسور أسماء أشخاص اعتبروا في نظر المسيحية شهداء على غرار قبر المسيحية الذي يعود تاريخه إلى زمن الخطيب تارتيليان بالقرب من مدينة شرشال.¹

رداً من جانبنا: لا يعدُّ انتشار الكنائس في نظر الباحثين دليلاً على عمق التأثير الإيماني للمسيحية آنذاك كما وأنَّ انتشار المساجد لا يشترط أيضاً بديلاً في التأصيل لانتشار الاسلام في أي منطقة من مناطق العالم، فالرُسوم المسيحية على التوابيت وأمكنة العبادة ليست دليلاً على إتباع سكان المنطقة في مجملهم للدين المسيحي، خلت الكتابات التاريخية الاستعمارية من تناول المذهب الأريوسي في الجزائر² والذي مثل أصل التوحيد في الدين المسيحي، فيما اعتبرت الدوناتية - في نظر مؤرخيهم - مذهباً متطرفاً، نابعا من ردّات فعل اجتماعية، والمحصلة محاولة إحياء للمذهب الكاثوليكي باعتباره المذهب الذي اعتنقه سكان الجزائر قديماً في وقت أشار تارتيليان - كما سبق - إلى انتشار الدين المسيحي في بلاد المغرب القديم خلال القرن الأول الميلادي؛ أي قبل انتشاره في أوروبا ووصوله إلى روما محرّفاً عن طريق رسول البدع والكفر بولس اليهودي³ الذي جاء من المشرق بضلالة بُنوة المسيح لله⁴ قبل أن تتحول المسيحية وتصبح ديانة رسمية قروناً بعد ذلك باعتقاد قائم على ضلالة أخرى... هي ضلالة التثليث التي أقرّها قسطنطين.⁵

8- نظرة الفرنسيين للمغرب الإسلامي (القرون المظلمة)

أدرج التأليف التاريخي الاستعماري الذي تناول الفترة الإسلامية بكاملها والأحداث التي ميزتها بطرح فيه الكثير من الغموض والتشويه، امتد بين الاحتلال الروماني والاستعمار الفرنسي للجزائر، رتب المؤرخون الاستعماريون المرحلة بناء على جرد للمعلومات التاريخية تلاها استنباط

¹ EGRON (Adrien) *l'Algérie chrétienne...* op, cit, p79

² المذهب الأريوسي مذهب ديني مسيحي، ينسب إلى القس الأمازيغي أريوس، الذي يعتبر المسيح نبياً من أنبياء الله، وتمثل رسالته في التوحيد، بشر بالنبي محمد انتشر في شمال إفريقيا ومصر، لقيت دعوته قبولا واسعا في القرن السادس الميلادي كما لقيت معارضة، وقمعا من قبل الرومان ومسيحيو التثليث. للمزيد يُنظر: جميل حمداوي، *الديانة عند الأمازيغيين* بدون تاريخ، ص. 10.

³ يعتبر بولس اليهودي السطوري المبلغ، أحد تلامذة عيسى بن مريم عليه السلام، الذي نشر أكذوبة بنوة المسيح لله،

⁴ الحواري (سفر بن عبد الرحمان)، *العلمانية، نشأتها، وتطورها، وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة*، بدون تاريخ، ص. 37.

⁵ أعتبر التثليث ديانة رسمية بعد مجمع نيقيا في القسطنطينية، الذي دعا له قسطنطين، في القرن الثالث الميلادي، ضم مختلف الطوائف المسيحية، انتهى باعتقاد مذهب التثليث ديانة رسمية لله، الإين، والروح القدس، واضطهاد الطوائف المسيحية الأخرى، بما فيها المذهب الأريوسي، الذي اعتبر المسيح عبدا رسولا. يُنظر: ثاوات (محمد أمين)، «دراسة تحليلية حول مجمع نيقية المسكونية»، *مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية*، ع. 1. مجلد. 5، السنة 5، 2010، ص. 15.

لأحكام قاسية في شكل تساؤلات جزئية بعيدة عن الوقائع والأحداث، فأطلق مصطلح الغزو العربي على فتوحات الأمراء المسلمين للمغرب والأندلس في القرن السادس الميلادي (641م- 711 م) وهي المدة التي ركز فيها المسلمون إخضاعهم للأراضي المجاورة بدافع الجهاد، اقترن في نظر المؤرخين الاستعماريين بتوسعات جغرافية قام بها العرب طيلة المدة التي تلت وفاة النبي عليه الصلاة والسلام فحسب مارسبي لا يمثل الغرب بالنسبة للمسلمين الفاتحين، أرضا للجهاد ونشر العقيدة بقدر ما يمثل أرضا للغنيمة وجمع المال.¹

استند غوتيه (GAUTIER) ومن نحا نحوه من المؤرخين على طول المدّة التي استغرقتها الفتح الاسلامي وأرجع سببها إلى المقاومات المستميتة التي أبداها السكان أمام الغزاة العرب - على حد قوله - والنابعة من اصرارهم على التمسك بالدين المسيحي كما دلّ على ذلك حروبهم أمام كسيلة ثم الكاهنة،² والثانية طمس حضارة الرومان من طرف البدو الهلاليين الذين غزوا بلاد المغرب في القرن الحادي عشر الميلادي، أدرجه جورج مارسبي وغيره ضمن ما وصفوه بقرون المغرب المظلمة هجرات تنالت على شمال إفريقيا خلال مدة قرن من الزمن أضع فيها المغرب - حسب رأيه - فرصة تأسيس دولة مستقلة أشاع فيها العرب الهلاليون الفوضى والتعريب والبداءة، وهو الشيء الذي أدى ببلاد المغرب إلى الدخول في طور جديد تميز بالانحطاط سماه بالخطر المميت،³ بل وتدخّلوا في السياسة من خلال صنع الملوك والتأثير عليهم فالأزمات الوراثة - على حد قوله - مرض فطري لدى الامبراطوريات الاسلامية، في بلاد البربر ووجود العرب يسهلها ويجعلها تتفاقم؛ لذا يجد المطالب بالعرش الذي عاش في معسكر البدو لديهم كل المساعدة في الحماية، واستعادة الحقوق أملا في ردّ الجميل بتوزيع الأراضي عليهم واعفاءهم من الضرائب.⁴

¹ بن عميرة (محمد) ، الفتح الاسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر، 2014 م، ص 10.

² GAUTIER (E.F) *Le passé de l'Afrique* , ...op cit , P. 224.

³ مارسبي(جورج) بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة. محمود عبد الصمد هيكل ، مراجعة. مصطفى أبو ضيف أحمد، توزيع منشأة المعارف بالاسكندرية ، 1999، ص 327 .

⁴ مارسبي(جورج) بلاد المغرب ، مرجع سابق، ص 326.

تعد الحركة الهلالية عند غوتيه حركة همجية شبيهة بحركة الشعوب المتبررة المحطمة لحضارة روما،¹ واستند على قول ابن خلدون (... إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب والسبب في ذلك أنهم أمة وحشية ، باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقا وجبلة، وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة؛ وهذه الطبيعة مناقضة للعمران ومنافية له، فغاية الأحوال كلها عندهم الرحلة والتغلب؛ وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له؛ فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافي للقدْر فينقلونه من المباني ويخربونها عليه... وإفريقيا والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلاثمائة وخمسين من السنين لحق بها الدمار وعادت بسائطه خرابا، بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمران؛ تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتمثيل البناء وشواهد القرى والمداشر...) ² تيرير سار عليه شارل أندري جوليان (JULIEN) الذي أعلن صراحة عجز المغرب إنشاء كيان سياسي مستقل خاص به والسبب وقوف العرب الهَمَج أمام طموحه في تحقيق هذه الغاية، حكم وضع المغرب ككل في حالة عجز عضوي عن بلوغ الإستقلال³ يضيف قائلا: (... يعاب على فرنسا سياستها الاستيطانية، فليكن لكن ما القول في غزو بني هلال وبني سليم خلال القرن الحادي عشر؛ وهم الذين شبههم ابن خلدون بالجراد المنتشر الآتي على الأخضر واليابس، وكانوا يجتزون ورائهم النساء والأطفال... هذا الغزو الذي كسر محاولة التوحيد المغاربي التي كان بربر صنهاجة على وشك إتمامه، والذي أقام في المغرب الكبير أكثر من مليون من الأجانب ... إن هذه الكارثة هي التي أدت إلى تعريب ثم أسلمة البلاد، لكن بثمان أنقاض لن تتخلص منها...) ⁴

نشر لويس هالفن (LOUIS HALPHEN) دراسة في هذا الشأن ربط فيها الهجرة الهلالية بأكبر الحركات المحطمة لحضارات العالم وأرجع تخريب بلاد المغرب المزدهرة في بناها الاقتصادية والاجتماعية -على حد قوله - إلى العرب الهلاليين،⁵ اتجاه سار عليه ألفريد بيل (BELL) من

¹ GAUTIER (E.F) *le passé....op. Cit*, p 389

² ابن خلدون، مصدر سابق، ص 125-126.

³ JULIEN (Charles. André) et COURTOIS *Histoire de l'Afrique du Nord*, Ed Payot, Paris, 1951, p 48.

⁴ JULIEN (Ch .A) *Afrique Du Nord En Marche* Ed. Julliard, Paris, 1972, p 253.

⁵ HALPHEN (Louis) *Les Barbares des grandes invasions aux conquêtes turques du XI siècle*, Ed. Félix Alcan,

خلال كتابه (الدين الإسلامي في بلاد البربر) حمل فيه العرب الهلالين ما وصل إليه وضع المغرب من تخريب؛ خصوصا ما تعلق منه بتعريب القبائل الأمازيغية.¹

تُعدُّ مسألة وجود القبائل العربية بالمغرب من خلال اتهام المؤرخين الاستعماريين لها بتخريب حضارته الموروثة من جهة وإعاقة نشاطه الاقتصادي من جهة ثانية ووقوفها أمام حركة الوحدة السياسية لأقطاره في تأسيس دول مستقلة من جهة ثالثة - في نظرنا - مثار جدل كبير وتحامل على تاريخ الجزائر والمغرب عموما، في وقت تجاهل فيه الفرنسيون تاريخ فرنسا نفسها، وما تعرضت له من غزو على يد القوط الغربيين والبرابرة والفرنجة، طال بناها السياسية والاقتصادية وأدّى في النهاية إلى عجزها عن إنشاء دولة مستقلة لها ملكها الخاص؛ بل وعجز سكانها أيضا عن استعمال لغتهم الفرنسية إلا ما بين (1515 م - 1545 م)² لذا يُعدُّ إجراء بحث منهجي تنظيري لهذه المسألة التاريخية من جانبنا أمراً في غاية الأهمية؛ أو الاكتفاء باعتباره حدثاً مرّ على المغرب بسلبياته وإيجابياته عوض تضخيمه وإعطاءه بُعداً لن يكون بحجم الخراب الذي خلّفه الاستعمار الفرنسي ليس في الجزائر وحسب، بل وفي كلِّ أرض غزاها جيشه.

أرجع المؤرخون الاستعماريون قبول سكان بلاد المغرب عموماً للدين الإسلامي إلى سببين

إثنين :

أولاً: الأمراء الفاتحون في نظرهم بدو رعاة، حملوا الدين الجديد على أسنّة الرّماح واجتازوا طرق الغزاة القدامى واصطدموا (بالبربر) فوقعت معهم حروب مستمرة، تم في نهايتها إخضاعهم بالقوة والقهر على حد قول مارسي (...). لقد احتاج العرب إلى ثلاث وخمسين سنة لاستكمال احتلال إفريقيا في وقت كانت ثلاث سنوات كافية لاحتلال كل من مصر وإسبانيا، وسبع سنوات لاستكمال احتلال كل الأراضي الفارسية... ارتبط احتلال فلسطين بموقعة أجنادين، وسوريا بمعركة اليرموك وتطلب الأمر في المغرب مائة وخمسين سنة، قاسى فيها الحكم العربي كثيراً من الفشل ليُطرح من جديد مستقبل الإسلام في شمال إفريقيا...، فيما أرجع سبب التأخير إلى

Paris, 1930, p. 374.

¹ BELL (Alfred) *La Religion Musulmane En Berbérie Esquisse D'histoire Et De Sociologie Religieuse*, Librairie Orientaliste Paul gautneur, Paris, T. 1. 1938, p. 209.

² حميش (سالم) « المغرب في الدراسات الإستشراقية » مطبوعة أكاديمية المملكة المغربية، ع. 10. أبريل 1993، ص. 83.

عدم اهتمام أمراء الإسلام بهذه البقعة لبعدها عن المشرق من جهة؛ ولوجود عوامل مثبطة تزامنت مع ظروف مَرَّ بها العالم الإسلامي كالحروب التي تلت مقتل الخليفة عثمان -رضي الله عنه - فعملية ترويض شعب نشأ على التمرد المستمر - حسب رأيه - لم تكن بالمسألة الهينة¹ ثانيا: إن حملة الدّين الجديد الفاتحين كانوا بدوا من الجزيرة العربية تتماثل طبيعتهم الرّعونية ونظامهم القبلي مع سكان بلاد المغرب فبين أعراب الجزيرة والقبائل (البربرية) خصائص مشتركة تجمعهم.²

رداً من جانبنا: إنّ سكان الجزائر توارثوا طبعاً مستقلاً لا فوضوياً متمرداً؛ كما يدّعيه كُتّاب المدرسة الاستعمارية فهم لم يتقبلوا الوافدين الجدد إلاّ بعد أن استساغوا تعاليم الدّين الإسلامي وهذا أمر طبيعي لامبالغة فيه، لأن المسألة تتعلق بدّين لا شرائع بشرية جاء إلى بلاد المغرب بلغة اختلفت عن لغتهم الأصلية، احتاج فيه المسلمون إلى وقت كاف استغرقه لتلقين شرائعهم، عكس ما يُروّج له رواد المدرسة الاستعمارية حول رفضهم للإسلام وتشبّثهم بالمسيحية فالإسلام في الجزائر باق ببقاء سكانها لا يجيد عن المنهج الأوّل الذي جاء به الفاتحون، في وقت عمّ المشرق مذاهبٌ اختلفت في طبيعتها ومعتقداتها بين المغالاة تارة والتقصير تارة أخرى، بين من يُلحّ على حكم الإمامة كمنهج شرعي، ومن يحرص على تثبيت أحكام اجتهادية كانت محلّ أخذ ورد .

وصف المؤرخون الاستعماريون المعتقد الاسلامي الذي اعتنقه المجتمع الجزائري بالطقوس الفلكلورية والعادات الوثنية التي تظهر في المناسبات وجاءت أحكامهم من خلال سلوكات منحرفة لمجتمعات حادت عن فهم الدّين وتفسير محتواه، أَلّف دوتي (DOTE) كتابا بعنوان (الإسلام الجزائري) وكتب تريميلي (TROMMULET) كتابا آخر بعنوان (قديسو الإسلام الجزائري) في إشارة إلى أن السكان لم يعتنقوا الإسلام عن وعي سليم ولم يمارسوه عن عقيدة صحيحة ومنهج قويم.³

¹ مارسى، بلاد المغرب....، مرجع سابق، ص. 31-32.

² MARCAIS (Georges) *Les Arabes en Berbérie du XI au XIV siècle*, Ed Ernest leroux, paris, 1913, p702.

³ سعد الله (أبو القاسم) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 3، 1990، ص 29.

تعد ثورات ما بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عند عامة المؤرخين الاستعماريين ردةً كان سببها رفض السكان لعقيدة الاسلام، في وقت يرى فيه معظم الباحثين الذين اشتغلوا في هذا المجال أسباب الثورة إلى استبداد ولاية المغرب المفسدين وحتى الخلفاء منهم خاصة في فرض الجزية على من أسلم مثل عبد الملك بن مروان¹ وهو الشيء الذي أدى إلى تدميرهم والانقلاب عليهم كانقلاب كسيلة على عقبة بن نافع الفهري نتيجة الاحتقار الذي أبداه الأخير تجاهه² أسقط فيه رؤاد المدرسة الاستعمارية انحراف سلوك قائد عسكري على انحراف عقيدة الإسلام، في وقت تشير فيه المصادر التاريخية والفقهية إلى نشره عن طريق التسامح ووفق مبدأ (لا إكراه في الدين) شرط دفع الجزية التي اعتبروها نهباً قامت عليه عملية الغزو، فالاسلام لم يأت ليحارب الأمم ويجبرها على اعتناق معتقداته وإنما تركت حرية الاختيار للشعوب في قبوله أو رفضه، وما الجزية التي يدفعها الذمي إلا ضريبة مقابل حمايته يقول المؤرخ سير توماس أرنولد في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" موضحاً الغرض من فرض الجزية ومبيناً على من فرضت "ولم يكن الغرض من فرض هذه الضريبة على المسيحيين - كما يردد بعض الباحثين - لوناً من ألوان العقاب لامتناعهم عن قبول الإسلام، وإنما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة وهم غير المسلمين من رعايا الدولة الذين كانت تحول ديانتهم بينهم وبين الخدمة في الجيش في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين"³ ولنا من نماذج التسامح التي تعايش فيها المسلمون مع اليهود والنصارى على أرض المغرب الشيء الكثير في وقت كانت فيه الحروب الدينية والمذهبية في المشرق على أشدها.

ثانياً - مصادر التاريخ الاستعماري

امتاز التأليف الاستعماري باعتماد الوثيقة كمصدر في كتابة التاريخ، تضمّنت السير وأحداث الماضي التي نقلتها كتب الدواوين ومراسلات الحكام إضافة إلى الروايات الشفوية والنقوش ورسوم الجداريات الأثرية والحفريات وحتى أنواع الصخور المستخدمة في البناء وما

¹ الصلاحي (محمد علي) خلافة عبد الملك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط. 1، 2010م، ص 193.

² فروخ (عمر) العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، من فتح المغرب وفتح الأندلس إلى آخر عصر الولاة (138 هـ-756 م) منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط. 1، 1959 م، ص 65.

³ أرنولد (توماس) الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة وتعريب. حسن إبراهيم حسن، عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، ط. 1، 1947، ص 60.

احتوته طوبوغرافيا المكان وطبيعته الجيولوجية-على حد قول-لوسيان فيبر (Lucien Febvre)¹ وعليه أُعطي للتاريخ اتجاه ومنطق مارسه الباحثون نقدا ضمن مجال دراستهم هو في الحقيقة مجموعة ملاحظات مترتبة عن تلك المبادئ ومطبقة على تلك المعلومات التقليدية.

1-المخطوطات :

اهتم الفرنسيون بالوثيقة التاريخية اعتمادا على ما جمعه أثناء حملاتهم أو خلال رحلاتهم العلمية من وثائق ومخطوطات كانت بين أيدي الجزائريين وحصل عليها هؤلاء إما عن طريق الغزو ونهب المكتبات أو داخل المساجد والزوايا وإما عن طريق الشراء من العائلات التي كانت تملك هذه المكتبات واضطرت تحت دافع الفاقة إلى بيعها للفرنسيين، رافق بيروجر الباحث في علم الآثار حملات الغزو الفرنسية على البلاد شرقا وغربا، مثل الحملة التي قادها دام ريمون (DAMREMONT) على مدينة قسنطينة وأدت إلى احتلالها سنة 1837م، وخلالها وضع يده على مكتبتها كما استولى قبلها على مكتبة الأمير المتنقلة بعد حملة كلوزيل (CLAUZEL) على معسكر سنة 1835م² واعتبر الفرنسيون ما عثروا عليه أو قاموا بمصادرته من الجزائريين غنيمة حرب، حُقَّ لهم امتلاكها والتصرف فيها كيف ما شاءوا.³

المخطوطات في عمومها كتابات حُطَّت باليد من طرف النساخين، تناولت الفقه والشريعة والحساب والفلك والطب والقصص والتاريخ والجغرافيا وحال المدن وسير الأشخاص والأنساب وغيرها، منها ما يعود إلى القرن الأول الهجري على غرار المصاحف وكتب السيرة قام الفرنسيون بطبعها ونشرها على كتاباتها الأصلية في دور نشر خاصة مثل مطبعة بيبير فونتانا، على غرار مخطوط "عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس" لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني القرن 11 الهجري 17 الميلادي، حيث تناول المخطوط تراجم علماء غريس في القرن الحادي عشر، مثل علي بن عبد الجبار الفجيجي وعبد القادر بن محمد بن عبد القوي رصد أنسابهم محاولا التدقيق فيها وتفصيل معطياتها وفق المنهجية والشروط التي توفرت لديه

¹ BRAUDEL (Francois) « Lucien Febvre Et L'histoire », in A E S C, 12 Année. Avril – Juin 1957,

Ed Armand Colin, p.180.

² سعد الله (أبو القاسم) الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، م و ك، الجزائر، 1992، ص 82.

³ سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت، 1998 م، ص 332.

والتزم بها كتاب ذلك العصر كما عرض معلومات حول الكتب المتوفرة، والمخطوط من مصادر علم الأنساب كون مؤلفه عاصر الأعيان الذين ترجم لهم.¹

نشر بارجس سنة 1852 م " نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان" للحافظ التنسي استهل تصدير مخطوطه بما دأب عليه الكتاب العرب من ذكر الله تعالى والصلاة على النبي محمد عليه الصلاة والسلام، قدّم فيه مديحا نثريا لأبي حمّو موسى الزياني جاء فيه ما يلي (... المتفرع من أشرف أرومة وأكرم أمومة وأبوة وارث المجد كما يراعى كابره، وأخذ الفخر ومنابره الذي جمع إلى عزة النصاب ومزية الآداب وإلى نباهة السلف ونزاهة الشرف وإلى ما طاب له من أصول وأعراق وسراوة التعبير ومكارم الأخلاق الملك الأصيل والمجد الأثيل مولانا أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مولانا أبي ثابت بن مولانا أبي تاشفين بن مولانا أبي حمّو بن مولانا الخلفاء الراشدين...) كما استطرده مخطوطه بذكر فصول الكتاب الذي قسّمه إلى خمسة أقسام قسم في التعريف بنسبه واشتمل على سبعة أبواب وقسم اختصاص بالملك والخصال وما يليق به من حسن السيرة وجميل الخلال وقسم في ذكر النوادر المستطرفة رؤيت عن أجناس مختلفة، وقسم في محاسن الكلام المستعملة في النثر والنظام وقسم في المواعظ والحكم الواردة مبتدئا بما أمكن من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.²

نشر دوغا (DUGAT) مخطوط « تنبيه الغافل وذكرى العاقل للأمير عبد القادر » سنة 1850م استهله باستفتاح الأمير مخطوطه الذي جاء فيه ما يلي: (الحمد لله الذي أرضى لنا البيان والآداب حتى انقاد في ألسنتنا وشاد مثواه في أجنحتنا وذلل لنا من الفصاحة فملكناه وأوضح لنا من مشكلاته ما تشعب فسلكناه وصار لنا الكلام عبدا يجيب متى طلبناه، وسهما يصيب إذا رميناه والصلاة والسلام على محمد الذي اصطفاه الله على سائر الخلق واجتبااه...) وهي على عادة الكتاب المسلمين في ذكر الله والصلاة على المصطفى نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والمخطوط استعرض فيه الكاتب ما أشار إليه صاحبه في شأن النسب والنسابين، وما يليق العمل به من نسخ للأصول متى أمكن التيقن منه، حيث استند فيه على أحاديث الإسراء التي

¹ التوجيني (عبد الرحمان) عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس ، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، بوسعادة الجزائر، ط. 1، 2005 ، ص 14.

² التنسي (الحافظ) نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان ، مخطوط. م و ج ، رقم 1876 ، الورقة، 1-2

ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام عندما سأل إدريس عليه السلام جبريل عن النبي فأخبر ردًا بوجود التحية على النبي الصالح والأخ الصالح ولم يقل الإبن الصالح استلهم منه الأمير وجوب التأصيل لعلم الأنساب.¹

هذه نماذج من المخطوطات التي عكف على نشرها رؤاد المدرسة الاستعمارية، كان الدافع وراء عملية جمعها ونشرها فيما بعد تجسيد السيطرة والهيمنة التي لا يمكن لها أن تتحقق إلا عن طريق جمع الآثار المكتوبة وغير المكتوبة تبين فيها سعيهم إلى إثارة النعرات القومية² وقدم المترجمون النسخ المنشورة منها أمام تلامذتهم لتكون في متناولهم خصوصا ما تعلق منها بالمنعطفات الحادة في تاريخ المغرب الإسلامي كالفترحات الإسلامية لبلاد المغرب، وثورات الأمازيغ ضد ضلم الولاة والتي أدرجها كتاب المدرسة الاستعمارية في إطار ردّة ورفض الأمازيغ للدّين الجديد كما تطرق هؤلاء للهجرة الهلالية وطبيعة العنصر العربي، اعتمادا على ما ألفه ابن خلدون في كتابه العبر، والبكري في مخطوطه " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب " و" تاريخ بني زيان وسلاطين تلمسان " لابن عبد الجليل التي نشرها البارون دوسلان بدعم من الإدارة الاستعمارية وصف فيه قيمة المخطوطات، التي جلبها بيربروجر معه في تقرير وقدمه إلى وزير التعليم العام،³ إضافة إلى مستشرقين آخرين كان لهم باع كبير في نشر مخطوطات نادرة مثل سيلفيستر دي ساسي، والبارون بواسوني ورونيه باصيه وأدريان دولباش وموتيلنسكي وهوداس وألفريد بيل وليفي بروفانسال والأخوان مارسويه، ناهيك عن بعض الموظفين في الإدارة الاستعمارية وضباط الجيش الفرنسي الذين استهواهم البحث عن تراث الجزائر المكتوب فقاموا بجمعه ونشره والكتابة عنه على شكل تقارير رفعوها إلى قادتهم.⁴

¹ الأمير (عبد القادر) تنبيه الغافل وذكرى العاقل، مخطوط. م و ف رقم 9682، الورقة 4-2

² السباعي (مصطفى) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق للنشر والتوزيع عمان، ط. 3 ، 1999 ، ص 23.

³ DE SLANE (William Mac Guckin) *Catalogue Des Manuscrits Arabes Les Plus Importants De La Bibliothèque D'Alger et De La Bibliothèque De Cid-Hammouda A Constantine*, Imp, de Paul Depont, Paris, 1843, p 01.

⁴ بوسعيد (أحمد) «البارون دي سلان (1801م-1879م) وحركة نشر المخطوط الجزائري » مجلة رفوف " م م ج ل ع 11 مارس 2017 ، جامعة أدرار ، ص ص 133-137

(2) الأرشيف:

أنشأ الفرنسيون مصلحة الأرشيف في الجزائر سنة 1830م، وعينوا بروسبير جيراردان (GERARDIN) رئيسا لها، ولكنه سرعان ما غادرها بعد مدة قصيرة ظل بعدها المنصب شاغرا مدة ثلاثين سنة إلى غاية سنة 1860م أين تم تعيين ألفونس لوموس (LAUMOSE) على رأس المصلحة التي بقي فيها إلى غاية 1866م قام بجمع الوثائق والمخطوطات في قالب موسوعي دون معالجتها أو جردها بشكل علمي منظم، وظل الوضع على هذه الحال إلى غاية 1908م، أين نظم الحاكم العام شارل جونار (JONNART)¹ مصلحة الأرشيف على أسس محترفة ووفق معايير علمية ارتكزت على الجرد ومعالجة الوثائق وترتيبها، فأصدر أمرية بهذا الشأن بتاريخ 6 أفريل 1908 م سمحت بالمحافظة على كم هائل من الوثائق والمخطوطات وحالت دون إتلافها خاصة ذات القيمة التاريخية على غرار العلبه F التي احتوت على وثائق تخص الإدارة حيث تم تصنيف الوثائق الأرشيفية إلى ثلاث مجموعات كبرى منها وثائق ما قبل تاريخ احتلال الجزائر وخصّصت وثائق عربية وتركية دبلوماسية وذات طابع تجاري.²

أنشأ أمين مدرسة دي شارت الذي شغل أستاذا للغات والأدب الأجنبية في مدرسة الآداب بالجزائر ما بين 1880-1884 جناح الأرشيف الإسباني خلال الفترة التي امتدت من القرن 16م إلى القرن 19م بعدما حصل على الوثائق من الضابط الفرنسي تيران (TIRAN) أثناء مهمة قام بها في اسبانيا بين سنتي 1842م-1848م، احتوى الأرشيف على ثلاث مجموعات تعلقت بالغزو (العربي) لإسبانيا إلى غاية خروجهم منها وأوضاع السكان المورسكين فيها والمؤسسات التي قام الإسبان بإنشائها على السواحل الجزائرية، فيما حاول جاكيتون تصنيف الأرشيف إلى مجالات سياسية وعسكرية واقتصادية تعلّقت بنشاط المؤسسات الإسبانية بما فيها عهد الرخاء التي عمّت الأقاليم وأشرف الإسبان على إدارتها.³

¹ شارل جونار JONNART CÉLESTIN, CHARLES, AUGUST ولد في 27 ديسمبر 1857 م، بفليشان ومات في 30 سبتمبر 1927 بباريس، نائب برلماني ما بين (1899م-1914م) عين حاكما عاما على الجزائر في 3 أكتوبر 1900 . واستمر إلى غاية 1911 م، ثم استدعي للعمل مرة أخرى سنة 1918، وغادرها سنة 1919 حاول تطوير مناهج تعليمية في الجزائر. للمزيد يُنظر :

Jean Vavasseur- Desperriers « Charles, Jonnart Et Le Parti Colonial Economie Et Politique » **Société Francaise D'histoire Des Outre Mers** numéro 6, Année 2008, Paris 121 a 134

² GSELL Et Autres **Histoire Et Historiens** ..., op. Cit, p. 382.

³JACQUETON (Gilbert) **Les Archives Espagnoles Du Gouvernement Generale De l'Algérie**, Librairie Adolphe

احتوى الأرشيف الفرنسي على وثائق ما بعد 1830م أدرجت تحت العلبة السياسية وتم جردها على نحو يحمل أرقاما وحروفا فرنسية على غرار العلبة (F) اشتملت على خطط الجيش ومراسلات قاداته في إطار توسيع الاحتلال وقمع الثورات، كما تضمنت تقارير الحكام العسكريين الذين تداولوا على إدارة الجزائر ووثائق أخرى عن تطور الاستيطان فيما خصَّ جانب منها الموروث الثقافي للشعب الجزائري وحضارته الإسلامية.¹

تعدُّ مجموعة فودوارد (VAUDOUDARD) التي وصفت بالموسوعة الجزائرية ووثائق في غاية الأهمية، تضمنت تصنيفات بليوغرافية وجدول زمني ارتكز على تقويم فلكي وجرّد جغرافي وبليوغرافيا في مائتين وثمانية وخمسين علبة، ألحقت بها مخطوطات ووثائق فوتوغرافية في أربعة وأربعين علبة تعود لحرب القرم (1853م - 1856م)، مثلت رصييدا تاريخيا هاما اشتغل على جمعه وجرده ساعده في ذلك مهمته التي انتدب من أجلها ضمن مصالح الشؤون الأهلية في الجزائر، كما اشتغل أيضا على جمع مختلف المراسلات والقرارات والتعليمات الوزارية الخاصة بشؤون (الأهالي) وأخرى تعلقت بالاستيطان والهبات وقضايا البيع والشراء والعقود المبرمة بين المؤسسات التجارية مثل الصفقات العمومية،² كما احتوى الأرشيف أيضا على مجموعة من الوثائق ذات طبيعة ثقافية وعلمية وملاحظات على الآثار في المناطق الزراعية، تم جردها تحت رقم أربعة وعشرون وتعلقت أخرى بالبحث واكتشاف القوانين والأعراف (البربرية) وتم جردها تحت رقم ثلاثة وعشرون فيما خصَّت وثائق أخرى المتاحف والفنون الإسلامية والتعليم الأهلي والابتدائي والتجارة والاقتصاد والصيد البحري والصناعة أدرجت في المجموعة المونوغرافية وتم جردها تحت رقم إحدى عشر.³

احتوى الأرشيف العربي التركي على كمِّ هائل من المخطوطات ضمَّت رصييدا مثل ما مجموعه مائتين وخمسين سجلا، قام دوفو (DEVOLUX) سنة 1850م بجرده وترجمته لأهميته

Jourdan, Alger, 1894, P.12.

¹ BOURGIN (Georges) « Les Documents de l'Algérie Conservées aux Archives Nationales » in R. A. Vol. 50, Année 1906, p. 157.

² BUSQUET (Raoul) « Note sur la collection vaudouard » in R. A. vol. 51, Année. 1907, p. 48.

³ LEUILLIOT (Paul) « Archives du Gouvernement général de l'Algérie, Séries E et EE » in A E S C N. 3, Année. 1950, PP 427-428.

التاريخية مهمة وجد المترجم صعوبة في إتمامها على نحو تميز بالدقة والموضوعية تعلقت في أساسها بتسمية بعض الحروف التي وردت في اللغتين ولم يجد مرادفا لها في اللغة الفرنسية زيادة على ضبط تواريخ بعض السجلات التي اختصر ترقيمها دون كتابة كاملة، وتعلقت بالجيش الأنكشاري وأعدادهم وأسماء جنوده وقادته ورتبهم العسكرية وتنظيماتهم والحاميات التي كانوا يتمركزون بها وقاربت أربعمئة وحدة أقيمت على تخوم مدينة الجزائر.¹

قُسِّم الرِّصيد العربي التركي إلى أملاك البايليك لعمالة الجزائر ووهران وقسنطينة وتم جردها من واحد إلى أربعة وأربعين أدرجت فيها الحدائق والبساتين من رقم مائة وتسعة وأربعين إلى مائة وتسعة وخمسين، وأملاك مكة والمدينة من مائة وستين إلى أربعمئة، وسبل الخيرات وهي الهبات المقدمة من السكان إلى الحكومة المركزية في سبيل الخير العام من أربعمئة وواحد إلى أربعمئة وثلاثة وأربعين، والمؤسسات الدينية كالمدارس القرآنية والمساجد، من أربعمئة وتسعة وأربعين إلى أربعمئة وثلاثة وخمسين، وأملاك الأتراك الانكشاريين من أربعمئة وستة وخمسين إلى أربعمئة وسبعة وخمسين، أما عمالة قسنطينة فتم جردها من أربعمئة وسبعين إلى أربعمئة وتسعين، وعمالة وهران من أربعمئة وتسعين إلى أربعمئة وواحد وتسعين، ضُمَّت مخطوطات خاصة بالقرآن الكريم ومخطوطات خاصة بالأشعار العربية وغيرها.²

تعدُّ الوثائق العربية المخطوطة لحمودة باي التي جلبها دوسلان (DESLANE) على قدر كبير من الأهمية احتوت على أربعة آلاف مجلد في حالة جيّدة، وصفها الكاتب بالمهمة والنادرة أعطى لها نماذج على غرار مجلد حمل عنوان (المقتبس).³

تعرضت الوثائق عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى التلف والضياع جرّاء حالة الفوضى والإهمال المتعمّد من طرف موظفي الجهاز الإداري والعسكري الفرنسي باعتراف قادتهم حيث ذكر بيليسيه دي رونو (REYNAUD) وهو نقيب في جيش الغزاة ما يلي: (... إن الفرنسيين كانوا يتعمدون تضييع السجلات في القصبه، لقد رأيت جنودنا يشعلون غليوناتهم من الوثائق

¹ DENY (Jacques) « Les Registres De Solde Des Janissaires Conservees A La Bibliotheque D'Alger » in R A Vol . 61, Année .1920, p 36.

² DENY (J) « A Propos Du Fonds Arabe Turc Des Archives Du Gouvernement Général De L'Algérie » in R A, vol 62, Année .1921, p 375

³ FAGNON (Edmond) « la collection de si Hamouda » in R A .vol. 36, Année. 1892, p 165.

المبعثرة في مدينة الجزائر تحت أنظار السيد دينيي (DENIEE) يضيف... لم أسمع بغزو على بلاد أكثر بربرية واستباحة للوثائق والكتب مما كان عليه الشأن في احتلال الجزائر وحتى بالنسبة للشعوب الأكثر توحشا مثل القوط والغاليين والعرب أثناء احتلالهم لإسبانيا...¹ وسار على هذا المنوال بقية المدن التي وقعت بعد ذلك تحت الاحتلال مثل قسنطينة 1837م وتلمسان وزمالة الأمير عبد القادر 1843م² فبعض الموظفين الفرنسيين الذين أوكلت لهم مهمة حفظ الأرشيف من قبل الإدارة الاستعمارية كألبير دوفو (DEVOULX) محافظ الأرشيف العربي بمصلحة الدومين لم يتورع في إخفاء كمّ هائل منها حمله إلى باريس ووثائق خصّصت مجموعة الدومين فالجزائر على حد تعبير الكاتب ظل تاريخها مجهولا إلى حد بعيد بسبب الإهمال الذي طال الأرشيف وكان يسمح بتسهيل إدارة المستعمرة لاحقا ومعرفة أسرارها العسكرية وتنظيماتها القبلية كتملكات البايليك الموثقة التي اشتملت على أربعة عشر وثيقة مرسلتها تبادها الداوي مع حكام الأقاليم (البايات) التي نقلها جيراردان (GERARDIN) إلى فرنسا يوم 30 أكتوبر 1833م.³

أهدى دوفو لباي تونس أثناء زيارته للجزائر بتاريخ 11 مارس 1858م مجموعات أرشيفية عددها ستون وثيقة احتوت على فرمانات ورسائل بالعربية والتركية جرت بين سلاطين الدولة العثمانية ودايات الجزائر⁴ إضافة إلى مائتي وثيقة ضاعت تحت مسؤوليته عندما كان قائما على مصلحة التوثيق في الأرشيف العربي تناولت في عمومها مراسلات الداوي مع مختلف القادة البحريين وضباط الانكشارية وملوك بلدان أخرى واحتوت على خمسة وعشرين فرمانا منها مراسلتان مع الداوي أمضاهما محمد على باشا حاكم مصر، وتقارير قدّمها ضبّاط الانكشارية بالأقاليم ودفاتر محاسبات خصّصت الشؤون العسكرية والجمركية والبحرية؛ استعرضت العلاقات الدولية القائمة بين الجزائر ومختلف الممالك الأوروبية في البحر المتوسط بما فيها العلاقة التي حكمت الجزائر مع الدولة العثمانية وأحداث الحرب البحرية ضد الأسطول الأوروبي بخليج موريا في اليونان سنة 1827م؛ وأخرى تناولت المواقف السياسية إزاء الحروب التي جرت بين الدولة

¹ DE REYNAUD (Pellissier) *Annales Algériennes*, Librairie Militaire, Paris, T 1 .1836, pp 74-75.

² AZANE (Paul) *L'émir Abdelkader (1808- 1883)* Ed. Hachette, Paris, 1925, p 189.

³ EMERIT (Marcel) *l'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, Ed La Rousse, Paris, 1951, p 240.

⁴ التميمي (عبد الجليل) « فهرس الدفاتر العربية التركية بالجزائر » م ت م ، ع ، 2. ، سنة 1974، ص . 138.

العثمانية وروسيا وحملت جردا وترقيما وملاحظات انتهى بها الحال إلى هواة جمع الوثائق في باريس.¹

على هذا النحو الذي تأرجح بين الإهمال تارة وبين الإخفاء المتعمد تارة أخرى ضاعت وثائق من الأرشيف العربي التركي ضمن أكوام عرضت للبيع على أرصفة الشوارع في فرنسا الشيء الذي أحدث نقاشا محتدما في الصحافة الفرنسية، وضجّة حول مصيرها وبقائها تحت طائلة الإهمال بدون رعاية أو تنظيم، وفق شروط الصيانة والتصنيف والجرد والنشر بما يضمن عرضها على القراء، حملت المناقشات الإدارة العسكرية مسؤولية ضياع الأرشيف الخاص بالشؤون المدنية في الجزائر على الرغم من احتواءه على وثائق رسمية ومعلومات في غاية الأهمية كان يجب على القائمين عليه استغلالها لمعرفة الظروف المحيطة بالأحداث التاريخية التي مرّت بها البلاد، تأسف الفرنسيون على ضياعها خلال عمليات نقل عشوائي تمت في السنوات الثلاثين الأولى من الاحتلال وضع عقد من مهمة المؤرخين في كتابة تاريخ المستعمرة، على وجه تميز بالدقة والمصداقية في وقت أشاد فيه المؤرخون بمجهودات فودوارد في جمع الوثائق.²

تأسست مراكز الأرشيف الخاص بالجزائر في عدد من البلدان الأوروبية مثل برشلونة (إسبانيا) والفايتيكان البندقية و نابولي وجنوة (إيطاليا) ومالطة ولندن وفرت رصيذا غنيا من الوثائق أغلبه تقارير وتعليمات وسجلات ومذكرات شخصية ومراسلات خاصة تعود إلى فرنسوا الأول مع خير الدين بربروس، اتصل قسم منها بالامتيازات التجارية الفرنسية وتعلق جانب آخر بالعلاقات الدبلوماسية بين فرنسا والجزائر كنتيجة للعلاقات السياسية والمعاملات الاقتصادية والاتصالات الدبلوماسية والتبشيرية التي قام بها رجال دين مسيحيون، احتوت أيضا على كتابات القناصل ومراسلات الأسرى الأوروبيين وتجارة موانئ البحر المتوسط الشمالية مع ميناء المدينة مركز الحكم وقاعدة النشاط البحري زادها زخما الرغبة المسبقة في معرفة كل ما يتعلق بالإيالة، حيث ظهر التنافس بين الأوروبيين لمعرفة موانئها وجغرافية أرضها وقلاعها وحصونها

¹ DENEY (J) « Annexe de procès – verbal, Documents Turcs Inedits Relatif A L'Algerie Des Années 1754-1829 »

In J. A, Série.11, janvier, fevrier –Mai, Juin 1914 (Séance Du 8 Mai) Ed, Ernest Leroux, Paris, T 3 1914, pp 708- 709.

² Debats Du 23 Décembre 1880. J D P L Ed. Matin, Paris, p 1.

وطرق المواصلات فيها وحركة التجارة بغرض وضع مشاريع عسكرية لاحتلالها،¹ هذا وقد تنوعت مراكز الأرشيف الفرنسية إلى أرشيف ما وراء البحار ويرمز له A O M ويضم وثائق أرشيف الإدارة الفرنسية بالجزائر المعروفة بالولاية العامة وأرشيف وزارة الحربية ويرمز له A M G ويضم قسما من وثائق تاريخ مدينة الجزائر قبل الاحتلال ومابعده تحمل رقم (H) والأرشيف الوطني بباريس A N P ويحتوي على وثائق في شكل تقارير عن أوضاع الجزائر العمرانية والبشرية بعد الاحتلال ومذكرات وقوائم إحصائية، وأرشيف الغرفة التجارية بمرسيليا ويرمز له بالرمز (M A CC) ويضم ملفات عديدة تتعلق بالاحتكارات التجارية الفرنسية في السواحل الجزائرية أدرجت تحت عنوان (Concessions D'Afrique).²

3) وثائق المكتبات :

يعود تاريخ تأسيسها إلى 1835م ضمت مجموعات من الوثائق والمخطوطات والمطبوعات وتحف وأشياء قديمة تعلقة بالتاريخ السياسي والطبيعي للجزائر، وصلت إليها في شكل هدايا من قبل قادة عسكريين فرنسيين، افتتحت أبوابها للقراء سنة 1838م بمقرها الأول بدار الحاج عمر صهر الداوي حسين ألحق بها متحف أثري غني وأصبحت مركزا لحفظ العديد من المخطوطات النادرة والوثائق الأرشيفية المهمة التي وصل عددها إلى ألف وثمانمائة مطبوع في سنة 1841م.³ والوثائق الأرشيفية التي تعود الى فترة ما قبل الاحتلال تم حفظها لضرورات إدارية ألزمت الدولة الوفاء بالعهود ضمن وثائق مكتوبة دونت معاملات المسلمين فيما بينهم⁴ مصداقا لقوله تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ⁵ » تكفل الفرنسيون بجمعها وجردها تحت رقم 1641 واشتملت على رسائل عددها مائة واثنان وثلاثون رسالة أغلبها من بايات الشرق في قسنطينة إلى وكيل الباستيون الفرنسي في القالة بعض منها نقل عن وثائق مفقودة⁶ وحظيت بترجمة من قبل الباحثين والموثقين الفرنسيين ونشر مترجما كما اعتمدوا على

¹ سعيدوني (ناصر الدين) وورقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني ، دار الغرب الإسلامي ، ط. 1 ، بيروت 2000 ، ص 76.

² نفسه ، ص. 77 .

³ سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي ، ج. 5 (1830) 1954 (دار البصائر ، الجزائر ، بدون تاريخ ، ص 341.

⁴ حياش (خليفة) كشف الوثائق ، عن تاريخ الجزائر ، في العهد العثماني بالمكتبين الوطنيين ، بالجزائر وتونس دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع ،

قسنطينة 2012م ، ص 7.

⁵ الآية 288 من سورة البقرة.

حياش (خليفة) نفسه ، ص 26⁶

قسم آخر في أبحاثهم ودراساتهم نسبوها لأنفسهم، افتقرت أعمالهم إلى الدقة في النقل والأمانة في الترجمة خاصة ما تعلق منها بالهوية الوطنية ومرحلة التاريخ الإسلامي وأصل سكان الجزائر من أمثال دوفو (DEVOULX) وبريسني (BRESNIER) ودالفان (DELPHIN) وديني (DENY) وكولومب (COLOMBE)¹

ضمّت مكتبة الجزائر في أول إحصاء لها سنة 1841م نحو 1800 من الكتب المطبوعة باللغة الفرنسية واللاتينية تعددت مواضيعها بين الأدب القديم والحديث والتاريخ والآثار والفلسفة والتاريخ الطبيعي والفيزياء والرياضيات والجغرافيا فيما تشكلت المخطوطات من كتب السيرة والعقائد والتفاسير وصحيح البخاري، وصل عددها إلى نحو 647 مخطوط منها 1400 جرى جمعها من طرف محافظ المكتبة بيروجر و 900 مخطوط في اللغة العربية ودواوينها كالشعر والمقامات والمعلقات ناهيك عن التاريخ والتراجم مثل كتاب الجمان للشاطبي ومختصر التاريخ العام وكفاية المحتاج والأمثال للميداني ضمّت 50 مخطوطا وأخرى في الطب والفلسفة والفلك والجغرافيا والفيزياء والعقيدة²

أنشأت المكتبة الجامعية سنة 1880م أي بعد تأسيس مدرسة الآداب والعلوم تداول على رئاستها بيرسون (PEIRSON) ولويس باولي (LOUIS PAOLI) الذي بقي على رأسها من (1884م - 1925م) كان عدد القائمين على خدمتها ثلاثة موظفين إلى غاية 1925م ووصل إلى ثمان وعشرون موظفا بعد تلك السنة، وقدر عدد الكتب التي تم جردها سنة 1888م إلى أربعين ألف مجلد منها سبعة عشر ألف وتسعمائة كتاب ومجلة، واثنان وعشرون ألف وأربعمائة من الأطروحات الجامعية والكتب الأكاديمية ليصل إلى مائة وتسع وسبعون ألف وستمائة وأربعين كتاب سنة 1910م ومائتان وثلاث وثلاثون ألف وأربعمائة مجلدا سنة 1920م.³

4- الكشوف الأثرية (التاريخ المادي)

انصبت عناية الفرنسيين بعد الاحتلال نحو الآثار الرومانية واللاتينية المسيحية على وجه الخصوص، وانطلقت أشغالهم الخاصة بالتنقيب عنها إثر اكتشافات مبكرة لضباط الجيش

¹ سعيدوني (ناصر الدين) ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، م و ك ، الجزائر، 1984 م ، ص 32-38.

² Tableaux de la situation des établissements en Algérie, Imp Royale, Paris 1841, pp. 107-108.

³ سعد الله ، تاريخ الجزائر... المرجع السابق، ص 352-353 .

الفرنسي الذين أدرجوا ما عثروا عليه ضمن تقاريرهم العسكرية، وصف فيها قادة الفرق مواقع أثرية لمدن قديمة كالرسالة التي بعث بها الجنرال نيقريي (NEGRIER) إلى جريدة الممّر (MONITEUR UNIVERSEL) سنة 1842 وصف فيه المعالم الأثرية لمدينة تبسة، تزامن مع تشكيل لجان تجريبية من جند الثكنات للبحث في تلك المعالم كالتي أسّسها العقيد دي لاروشيت (DELAROCLETTE) ببجاية سنة 1835م¹ ساعدهم في ذلك معرفتهم للغة اللاتينية التي نقشت على جدران المساكن والقصور والتوابيت والكنائس أو تم صكها على العملات المعدنية، ومنها أسّسوا المتاحف التي احتوت على مختلف الفروع والتخصصات كفرع التاريخ الطبيعي والمعادن والحفريات العضوية والكتابات والنقوش والنقود والعملات، وارتبطت الكشوف بأسماء لمعت في هذا المجال أمثال كرولي (CREULLY) وبايان (PAYEN) ودومايغ (DEMAEGHT) الذين كتبوا في المجلة الجغرافية والأثرية لمدينة وهران، والمعماري رافوازييه (RAVOISSET) دولامار (DELAMARE) اللذين نشطا في لجنة الاستكشاف العلمي التي زارت الجزائر بين سنوات (1837م-1842م)، كما طبق الفرنسيون مناهج علمية في أبحاثهم الأثرية اعتمدت على رسم خرائط طبوغرافية لحصر المدن والمواقع الأثرية والقيام بعد ذلك بعملية تصنيف لها وإعداد جرد شامل لمكوناتها وما احتوته من بنايات وشوارع ومعابد وكنائس وصهاريج مياه وغيرها²

وعليه يمكننا القول من جانبنا أن الفرنسيين قاموا بوضع مخابر ولجان أشرفت على دراسة القطع الأثرية في المواقع المكتشفة كقياس أبعادها وتواريخ بنائها والمواد التي صنعت منها وما له من ارتباطات بالجانب الثقافي والحضاري الذي ميز تلك الفترة التاريخية، لمعرفة ما إذا كان الموقع ذا طبيعة عسكرية احتوى على سور حماية خارجي وأبراج حراسة ومرابض خيول ومستودعات أسلحة، أم ذا تصنيف مدني اشتمل على مدن استيطانية ومؤسسات خدمية واقتصادية وتجارية فقط.

¹ منصورى (خديجة) « البحث الأثري في الجزائر أثناء الاحتلال » مجلة آثار ، ع.5 ، جامعة الجزائر ، 1999 م ص 26

² منصورى (خديجة) « البحث الأثري في الجزائر... » ، مرجع سابق، ص. 38.

تزامن ذلك مع إهمال تام بالموروث المعماري والثقافي الإسلامي دون عناية أو ترميم بقي عرضة للمسح والتخريب على خلاف المدن الرومانية القديمة في الجزائر التي بقيت شواهدا الأثرية من قصور وتوابيت وطرق قديمة، على نمطها المعماري الذي بنيت عليه فلم يقع أي تغيير أو تدمير غير الذي سببته عوامل الطبيعة كالزلازل والبراكين¹

قام الباحثون العسكريون الفرنسيون بدراسة نماذج معمارية كتلك التي تم اكتشافها في منطقة تسالة بعين تموشنت، عند مكان يسمى عين زرتينة وأخرى في موقع عين بنت السلطان تمثلت في آثار قديمة عادت إلى القرن الثالث الميلادي، شُيّد البناء على نمط عمراني بمواصفات عسكرية، احتوى على سور حماية وأبراج مراقبة متقدمة دفع الباحثين إلى تأكيد فرضية التواجد العسكري الروماني لحماية سهل تسالة من غزو البدو (البربر) أوحى لبعضهم فرضية استغلال السهل في زراعة الحبوب من خلال الاستحكامات والمراكز الدفاعية لصدّ هجمات (البربر) اتجاه دعمه - حسب نظرهم - احتلال قبائل (البربر) لتلك السهول في المراحل التاريخية التي تلت جلاء الرومان.²

أجريت دراسات من قبل بيربروجر على 6 لوحات من الغرانيت اكتشفها العقيد في الجيش الفرنسي مونفور (MONTFORT) في 18 أكتوبر 1836م بأرزو القديمة (بطيوة) (ARZENARIA) نقشت عليها رسائل تم تشفيرها فيما بعد واستقرأ كتاباتها اللاتينية توصل فيها الباحث إلى هوية بعض ساكنيها وهو LECIUS VALERIUS SATIRNUNIS كما استدل على القبيلة التي انحدر منها وهي كيرينا (QUIRINA) والوظيفة التي شغلها من قام بتدوينها على اللوحة الغرانيتية التي تعود لموظف روماني حظي بمنصب في البلدية أين كان يقيم مؤكدا فرضية وجود بلديات ونظام إداري خاص بالرومان في المدينة المطلّة على البحر من جهة كما أعطى تصورا على نمط التواجد الذي كان ذا طبيعة استيطانية.³

¹ HEURGON (Jacques) « L'oeuvre Archéologique Française En Algérie » in **B L G B** Lettre D'Humanité Numéro 15, décembre, paris 1956, p 7.

² DELAMARE (Adolphe Hedwige Alphonse) « Tessala Et Ses Ruines » in **R.A.** Vol. 2, Année .1857, pp 83-84.

³ DEMONTFORT (Henri) « Les Ruines De Veille Arzew » ibid ..., pp. 182 -183.

قام الجنرال توماس (THOMAS) بعمل أثري تمثل في دراسة على موقع أزفون (AZEFOUNE) بناحية تيزي وزو عاين فيه طبوغرافية الأرض وطبيعتها الجبلية ونوعية الأراضي قدّم فيه تصنيفا لبيئة رعوية ذات مردود زراعي ضعيف لم تكن محل استقطاب للمستوطنين قديما قد يدفعهم للاستقرار بل إلى اعتباره حصنا عسكريا رومانيا لتأمين الطرق استنادا إلى الحجارة التي بني بها وكانت من النوع الذي استخدمه الرومان في بناء المنشآت والحصون¹

حاول الباحثون في مجال الآثار الاستعانة بدراسة النقوش والكتابات القديمة للتأصيل على هوية سكان المدن من ذلك الرسالة التي بعث بها النقيب في الجيش الفرنسي لوفال (LEWAL) وهو قائد عسكري لمنطقة سوق أهراس بالشرق الجزائري، إلى بيربروجر بتاريخ 1 جوان 1858م أكّد فيها على وجود كتابات لاتينية قديمة نحتت على الصخر، أضفى عليها دراسة ذات طابع تحليلي ارتكز على مفردات لغوية أسقط فيها أحكامه على هوية سكان المدينة التي تعود حسب نظره إلى إسكافي روماني كان يزاوّل حرفته في سوق شعبي أقيم بمحاذاة المدينة.²

تنوع البحث الأثري في الجزائر، بين دراسة النقوش التي كتبت على الصخر في المدن الأثرية القديمة كشرشال إلى التحف المستخرجة من الحقول التي حملت أشكالها استخدامات وظيفية متعددة، وصل الأمر بعدها إلى تحويل مدن بكاملها إلى متاحف طبيعية كمدينة تيمقاد و لومباز سنة 1883م، وشرشال (JULIA CEASARIA) سنة 1886م وتبسة سنة 1888م ، وجميلة بمدينة سطيف سنة 1909م ، وقسنطينة (CIRTA) وعنابة (HIPHONE)³ كما أنشأ الفرنسيون المتاحف التي جاءت مكملة للمكتبات كمتحف شرشال سنة 1840م حاول علماء الآثار جعله ميراثا كنسيا كاثوليكيّا، أشرف على إدارته في البداية توماس (THOMAS) ثم بيكي (PEKET) ومتحف سكيكدة (PHILIPPE VILLE) التي كان يطلق عليها الرومان قديما ROSIKADA واشتهرت بمسارحها ومدرجاتها إضافة إلى متحف قسنطينة الذي تأسس بعد احتلال المدينة سنة

¹ THOMAS (Albert) « Ruines Romaines De Zeffoune (Razazus) » in R A..., op.cit, P. 441

² LEWAL (Jules-Louis) « Nouvelles Inscription De Souk Ahrass (thagsts) » ibid... , p. 452

³ HEURGON (J) « L'oeuvre Archéologique française en Algérie » in B L G B, ...op ; cit, p. 8.

1837م، ومتحف تبسة الذي ضمّ تماثيل مرمرية ومسلات وقطع من الرّخام كتبت عليها المراثي وزجاجيات وأدوات برونزية وفخارية.¹

حتى ولو سلّمنا جدلاً بأن المواقع الأثرية مدن رومانية إعتقاداً على هندسة العمارة ونوع الحجارة الذي استخدمه الرومان، نقول من جانبنا بأن الأصل في الشيء الأرض وليس البناء فالأرض جزائرية توارثها الإنسان منذ القدم، فمتى كان البناء دليلاً على شرعنة الاحتلال ؟ وإذا كان الأمر كذلك فالنظرية لا تنطبق على الجزائر وحدها إذ يمكننا التسليم بعد ذلك بأحقية الألمان في استباحة الأراضي الفرنسية طالما أن الغزاة أقاموا فيها حصوناً عسكرية ونظاماً إدارياً محلياً بغض النظر عن مدة إقامتهم أو مبررات تواجدهم؟ وهل كان اليهود في يوم ما سكان بلاد المشرق الأصليين على اعتبار أن حججهم تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنهم قد عاشوا في أرض مصر لقرون طويلة ؟ .

الإجابة أننا يجب أن نفرق بين مجيء هؤلاء جميعاً كغزاة محتلين لأرض تواترت عليها حضارات قديمة فالمشرق كان موطناً للفراعنة وللكنعانيين معا ، وان استقرار اليهود على أرض فلسطين ، والمشرق عموماً مرده إلى حياة البدو الرعاة المنفصلة عن حياة الاستقرار والاستيطان التي شهدتها الحضارات القديمة.

هكذا ظل جميع الكتاب في تاريخ الجزائر من مؤرخين وأثريين وجغرافيين وباحثين في مجال الأنثروبولوجيا واللّسانيات على علاقة بالنظام الاستعماري وواجهة دفاعية لمشاريعه، هدفهم الأسمى ربط تاريخ الجزائر بالمستعمرين القدامى ترسيخاً لفكرة تواجدهم على أرضها منذ عصور طويلة وتأسيساً لنظرية قبول الغزاة كأمر حتمي لا سبيل إلى مقاومته.

ثالثاً (مناهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر.

1- ترجمة المخطوطات:

أسّس الاستعمار معهداً في باريس أطلق عليه اسم المدرسة العربية خاص بالمتدربين من أبناء الأهالي استقدموا كمتترجمين للعمل في الجيش الفرنسي قام بتلقينهم دروساً ومناهج في إطار

¹ سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ... المرجع السابق، ص 409

شروط ضمنت بقاء الاستعمار والمحافظة على مصالحه¹ ومنه اتجهت حركة الترجمة إلى معالجة كتب التراث التي شارك فيها عدد كبير من العرب واليهود أغلبهم من المشرق كجورج قاو (GAOUE) وشارل زكّار (ZACCAR) وإبراهيم دانيوس (DANINOS) إضافة إلى جوانيي فرعون (FERRAOUN) وهو من أصول مصرية اشتغل على تقديم دروس في اللغة العربية شخصيات كان لها أثر في الترجمة على اختلاف درجاتها الوظيفية والعلمية فيما تكفل آخرون كابن الفكون وعلي بن محمد بالترجمة من الفرنسية إلى العربية.²

أصدرت الحكومة الفرنسية بتاريخ 3 نوفمبر 1845م قرارا يحمل رقم 125 خاص بإنشاء سلك المترجمين العسكريين الموجهين خصيصًا للعمل في الجزائر بعد استحداث وزارة الجزائر والمستعمرات،³ أصبحت الترجمة بمقتضاه قطاعا قائما بذاته اعتنى بنقل الموروث الثقافي الجزائري والبحث في مختلف النواحي التاريخية واللغوية التي نشط فيها بغية فهم طبيعة المجتمع وما تعلق به من عادات وأعراف وتقاليد وما احتكم إليه من شرائع تسهلا للخدمة التي كانت تقوم بها المكاتب العربية لغرض إدارة المناطق ذات الغالبية الجزائرية.⁴

اشتغل موتيلانسكي (MOTYLINSKI) على ترجمة بعض كتب الفلك مثل كتاب عجائب المخلوقات للقزويني الذي استعرض فيه أسرار الكون والمناخ وعلاقته بالزراعة، كما اختص بالإشارة إلى العديد من المصطلحات التي صاغها العرب في أبحاثهم⁵ وترجم إسماعيل حامد كتاب نور الألباب للشيخ عثمان بن "فوديو" التي تعني في لغة الهوسا (الإمام أو المفتي) أتبعه بمديح للشيخ عثمان الذي تلقى على يديه دروسا في الفقه، على غرار النسق اللغوي الذي دأبت عليه كتب التصوف⁶ فيما نشر شارل فيرو (FERAUD)⁷ بعض الأعمال المترجمة المتعلقة

¹ Ministère De La Guerre, **Tableaux de la situation des Etablissements Francais dans l'Algerie en 1838**, imp Royale, Paris, 1839, p 115.

² سعد الله، تاريخ الجزائر ... المرجع السابق، ص ص 152 – 153.

³ ABRIBA (Jules-Bernard) **Notice Sur Les Officiers Interprètes**, Imp Victor Bert Hod, Paris, 1931 pp 3-4.

⁴ MESSAOUDI (Alain) « Renseigner, Enseigner Les Interprètes Militaires Et La Constitution D'un Premier Corpus Savant Algérien (1830 – 1870) » in **R H V S** 30 décembre 2013, p 105

⁵ DOUTTE (Edmond) « Bulletin » in **R A** Vol 43, Année 1899 p 295.

⁶ HAMET (Ismael) « Nour - Al- Eulbab (Lumiere Des Cœurs) » in **R A** vol 41, Année 1897, p 296

⁷ شارل فيرو ولد 1829، بدأ مساره المهني في الجزائر كترجم وعمره لا يتجاوز 19 سنة، وكانت كفاءته محل اعتبار، ضابط سنة 1873، تولى منصب رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية العام 1876، ثم قنصلا عامًا لفرنسا في طرابلس العام 1877، وفي العام 1882 عين قائدا لجوقة الشرف فوزيرا مفعّوا

بالإثنوغرافيا (ETHNOGRAPHIE)¹ وأخرى بالخصائص اللغوية والحضارية والاقتصادية في منطقة القبائل² كما نشر شارل بروسيلار (BROSSELDARD) سنة 1859م كتاب الإخوان عن الطرق الدينية الإسلامية في الجزائر (les khouan de la constitution des ordres musulmans) استعرض فيه العلاقات الدينية التي ربطت بين أفراد المجتمع الجزائري من خلال المراجع المذهبية والأسس المشرفة لها،³ ناهيك عن كتاب غورغيوت (GOURGEOT) حالة الجزائر السياسية (Situation politique de l'Algérie) الذي طبع سنة 1881م، واستعرض فيه الكاتب خصوصيات المجتمع الجزائري، ألحَّ فيه على ضرورة وضع خطط لاحتلال الصحراء بمهادنة شيوخ القبائل ورؤساء الطرق الدينية فيها، فالأفضل بالنسبة لفرنسا مد جسور تعاون بينها وبين رئيس قبيلة أولاد سيدي الشيخ إن لم يكن من بُدِّ لاحتلال الصحراء فعلى الأقل عبورها إلى مناطق الساحل الأفريقي والسنغال، من خلال ترويض أمة من البرابرة - على حد تعبيره - تقف حجر عثرة أمام عبور الغزاة.⁴

تعدُّ الدِّراسات التي قام بها المترجم شارل فيرو (FERRAUD) عن منطقة القبائل من الأنشطة الاثنوغرافية التي أنجزت في هذا المجال حيث اهتم بالبحث في عادات المنطقة وخاض في العديد من المسائل المتعلقة بذهنية سكان الجزائر عموما والقبائل على وجه الخصوص⁵ إضافة إلى العديد من الأبحاث التاريخية التي اختصت بدراسة مدن الشرق الجزائري كمدينة القالة والصحراء الجزائرية.⁶

لفرنسا في المغرب العام 1884، هذا الضابط "المكتشف" كرس حياته للتنقيب في تاريخ أفريقيا الشالية وتدوينه بروح تملؤها الإرادة ومعرفة عميقة بالوسط الأهلي، أهم آثاره تاريخ بجاية، - تاريخ القالة والحوليات الطرابلسية، يُنظر: عقون (محمد العربي) «الاثنوغرافيا الاستعمارية شارل فيرو نموذجاً»، مجلة إنسانيات م ج أ ع ١ ، ع 28 ، 2005 ص. 72 .

¹ هي علم وصف الشعوب وتركز على التقاليد والعادات والأعراف والفلكلور والمعتقدات،

² عقون ... مرجع نفسه، ص. 58.

³ BROSSELDARD (Charles) **Les Khouan De La Constitution Des Ordres Musulmans En Algérie**,

Imp De La Bourget, Alger, 1859, p .10.

⁴ GOURGEOT (Francois) **Situation politique de l'Algérie**, Ed Challamel Ainé, librairie Algérienne et

Coloniale, Paris 1881, p .150.

⁵ مولوجي قروجي (صورية) « عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة الجزائر نموذجاً » مجلة إنسانيات أنثروبولوجيا المجتمعات المغاربية بين الماضي والحاضر، ع. 67 ، 2015 م و ب أ ل ث و ، ص ص 11-12.

⁶ مناصرية يوسف « دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر » «مجلة التاريخ» م و د ت ، الجزائر، 1982 ، ص ص 52-53.

أشرفت الحكومة الفرنسية على ترجمة الكتب والوثائق التي أرّخت لاحتلال السواحل الجزائرية من طرف الإسبان مثال ذلك ترجمة بيربروجر لكتاب ديغو دي هايدو (DE HAEDO) طوبوغرافية وتاريخ الجزائر العام وألحقه بشيء من التفصيل عن تاريخ مدينة الجزائر وعادات وتقاليد سكانها والثلاثين حاكما تركيا الذين تعاقبوا على السلطة فيها،¹ كما نشر أحمد الفكون ترجمات في الأدب والتاريخ كان موضوعها التاريخ الإسلامي وجغرافية الأندلس والمشرق وإفريقية مثل "الجوهر الوهاج المنقوش في غرائب ابن السراج الأندلسي"² ومخطوط "الإرشاد في أصول الاعتقاد" لصاحبه إمام الحرمين وهو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابوري المؤرخ في شهر ذو القعدة سنة 850 هـ الموافق لشهر ديسمبر 1450م احتوى على هوامش للشرح وصل إلى مكتبة الجزائر عن طريق عملية بيع عادية بقي المخطوط محافظا على سلامة صفحاته على الرغم من تقادم زمنه³ كما نشر الكاتب أيضا ترجمة لدراسة قام بها أحد الفرنسيين وهو ليون غالبيار (GALIBERT) بعنوان "الحكم العربي في إفريقية" استعرضها في عدة حلقات ابتداء من 26 نوفمبر 1868 م وغطت الفترة التي امتدت من ظهور الإسلام إلى سقوط الأندلس (622 م - 1490 م)⁴

تعدُّ ترجمة المخطوطات من المسائل العلمية التي تتطلب تحقّقا وتدقيقا في محتواها اللغوي والفكري كما يشترط فيها اطلاع الباحث المترجم للمخطوط والمحقق فيه، على الظروف التي أحاطت بكتابتها، شروط ظلّت إلى حد ما مجهولة عند أغلب المستشرقين والمؤرخين الذين تناولوا البحث في تراث المغرب الإسلامي، فهذا ليفي بروفانسال يقع في أخطاء فادحة عند شروعه في عملية ترجمة مخطوط "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب" والتدقيق في محتواه فهو لم يورد سيرة المؤلف ابن عذارى المراكشي ولا البيئة التي عاش فيها على الرغم من أهميتها ولا المصادر التي اعتمد عليها أثناء عملية التحقيق⁵ زيادة على افتقاد المخطوط لأجزاء منه لم يكلف نفسه

¹ DON DIEGO DE HAEDO, *Topographie Et Histoire Générale D'Alger* T. E Par Monnreau Et Berbrugger, Ed Adolf Jourdan, Alger, 1870, p 1

² سعد الله، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 192.

³ LUCIANI (Jean-Dominique) « Un manuscrit Arabe dans la bibliothèque Nationale d'Algerie » in *R.A.* vol. 70 An. 1929, p 59

⁴ سعد الله، تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص 195

⁵ بوتشيش (إبراهيم القادري)، إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزائر، 2002

عناء البحث في النسخ الناقصة بغية استكمالها، بل اعتمد على المتوفرة منها في الخزانة العامة بالرباط وعددها 232 نسخة¹... هذا إذا ما علمنا بأن الغاية من التحقيق في المخطوط هو إخراجها على نسق علمي يتحكم في سير العملية برمتها وما تتطلبه عملية النسخ للمخطوط الأصلي من مقابلة وتخريج وترجمة للأعلام والتعريف بالبلدان والأماكن وتقسيم النص المحقق وصنع الفهارس وغيرها.²

ردا من جانبنا يمكننا توجيه أسئلة نراها ضرورية حول محتوى السياق: هل قام الفرنسيون بعملية التحقيق في المخطوطات التي ترجموها اعتمادا على أساليب علمية كقراءة السياق غير اللغوي للمخطوط الذي يحدّد الخلفية المحيطة به كالحالة النفسية والعاطفية لأطراف العملية التواصلية؟ فأشعار أبي نواس - في نظرنا - ليست موروثا ثقافيا أصيلا التزم به كل شعراء العرب في العصر العباسي كما وأن ميراث الحلاج لا يعتبر مصدرا فقهيا قامت عليه الشريعة الإسلامية بقدر ما كان تصورا خرافيا لرجل انتابته أزمة روحية .

زيادة على ذلك هل كان المؤرخون الفرنسيون أثناء ترجمتهم للمخطوطات على ثقافة واسعة بشأن الإمام باللغة العربية من كناية واستعارة وتشابه وغيرها؟ على اعتبار المخطوطات التي قام الفرنسيون والمستشرقون عموما بترجمتها تناولت مبادئ العقيدة الإسلامية وأصول التشريع وما يحتمله ذلك من مبالغة أو تحريف أو الوقوع في أخطاء جسيمة تفتح بابا للتشكيك في قيمة المخطوط في حد ذاته فحروف النداء في اللغة العربية (كهذا وذاك وذلك) تتعدد ما بين المنادى للبعيد والمتوسط ومنها ما هو للقريب، وتصغير الأشياء ربما قصد من وراءه كاتب المخطوط تعظيم خطرها لا الانتقاص منه كمفرد الدهماء وهي المصيبة يقابلها الدهيماء وهي المصيبة الكبيرة. وهل طابقت عناوين المخطوطات التي اشتغل الفرنسيون على ترجمتها النصوص التي احتوتها وهي المتن؟ الشيء الذي يميلنا إلى مدى تشابه الخط في جل مراحل الكتابة ناهيك عن اسم المؤلف الذي قد لا يعيره صاحبه شأنًا وهي الكتب الخاملة غير المشهورة.

¹ زريوح (عبد الحق) « منهج تحقيق المخطوط » م آ ع 1 ، ع 10 مارس 2006 ، جامعة تلمسان ، ص 192
² لزهري(فارس) « قضايا تحقيق المخطوطات عند الأستاذ هادي نهر » مجلة تنوير، عدد 4 ديسمبر 2017، ص 36 .

لم يتوقف الأمر عند ترجمة المخطوطات العربية التي أرخت لبلاد المغرب بل استعان مؤرخوا المدرسة الاستعمارية بالكتب التاريخية المترجمة من قبل كتاب فرنسيين مثل "تاريخ الجمهورية الرومانية " الذي كتبه المؤرخ الروماني سالوست (SALLUSTE) وترجمه شارل دي بروس (DEBROSSE) في جزأين وكتاب "الحروب البونيقية" للمؤرخ اليوناني بوليب (POLYPE) وغيرهم أمثال هيروودوت (HERODOTTE) المؤرخ اليوناني الذي زار العديد من المدن في حوض المتوسط وتتبع أحوال الناس فيها وكتب عن المعارك والحروب ووصف التعامل التجاري بين القرطاجيين (ومملكة الماسيل) كما ذكر فيها أسماء القبائل وسكان المغرب القديم ومنها قبائل الأطلس والتي أخذت تسميتها من الجبال التي كانت تقيم على تخومها¹ كما ترجم الفرنسيون جغرافية المغرب القديم لسترابون (STRAON) التي أشار فيها إلى بلاد المغرب وما احتوته طبيعتها من أنواع النباتات والحيوانات على طول الساحل الشرقي لتونس حاليا وصولا إلى نهر ملوية بالمغرب الأقصى وصف فيها جغرافية الجزائر وموانئها التي أشاد بأهميتها على غرار ميناء بجاية وشرشال والمرسى الكبير التي أكد فيها على أصولها البونية نظرا لتشابه هندسة بناءها مع الموانئ البونية الأخرى²

ترجم إميل ليتري (LITRE) "التاريخ الطبيعي لبليين" Histoire Naturelle De Plin الذي كتب عن بلاد المغرب في القرن الأول الميلادي ونشره في جزأين سنة 1833م، احتوت أبحاثه على النظم السياسية القائمة آنذاك منها موريتانيا ونوميديا³ كما اهتم المؤرخون الفرنسيون بترجمة كتب الرومان ومنها كتاب المؤرخ TITUS LIVUS الذي عنوانه (Histoire Romaine) وضمنه أحداث الحروب البونية الثانية كما تطرق إلى أسماء بعض المدن البيونية القديمة في الجزائر.⁴ يقودنا البحث في مدى مصداقية المؤرخين الاستعماريين واعتمادهم على مصادر تاريخية قديمة استعرضت تاريخ الجزائر إلى طرح أسئلة نراها ضرورية: هل قام هؤلاء بالتدقيق في مؤلفات

¹ MERCIER(E) « Histoire Des Connaissances Des Anciens Sur La Géographie de l'Afrique Septentrionale » In. R S A C Numéro 16, 1873-1874, p. 31

² CAMPS (G) *Massinissa ou les débuts de l'Histoire (Aux origines de la Berbérie)* Ed. Lybica, Paris, 1960, p 170.

³ PLIN (Ancien) *Histoire Naturelle De Plin*, T F Par Littré, Imp De L'institut De France, T 1, Paris, 1877, p5

⁴ TITE – LIVE *Histoire Romaine*, Ed Weissenborn Et H J Muller, Berlin, 1962, p17

الإغريق والرومان أم اعتبروها مصادر لا غنى عنها ؟ وهل ساقهم البحث إلى زيارات ميدانية للمواقع التي كتبوا عنها لإجراء مقاربات تعتمد على تفقد الواقع أولا ؟ أم توقف الأمر بالنسبة لهم عند حدود اعتبارهم مؤرخين عاصروا الحدث وكفى ؟ وهل كانت استنتاجاتهم قائمة على نظرة شاملة أم صيغت على شكل أحداث مجزأة أخرجت النصوص عن سياقها التاريخي بالتأويل والاسقاط والتعميم لتاريخ الجزائر في جميع عصورها ؟

2- منهجية التحقيب الزمني

ليست الحقبة التاريخية فترة زمنية فارغة وإنما هي وحدة مستنبطة بعد دراسة الشواهد، فالحقبة تنظيم نفترض فيه قانونا ذاتيا يحاول المؤرخ الكشف عنه من خلال تشابه الأحداث التي تميزه عن باقي الفترات الأخرى قد تكون ثورة صناعية نقلت المجتمعات من بيئة متخلفة إلى بيئة مصنعة أو حدثا معلما كان له الأثر في سيرورة الأحداث التي جاءت بعده، وعليه امتاز التأليف الاستعماري بتوسيع مفهوم الوثيقة التاريخية على نسق ما كان موجودا في أوروبا جُمعت فيه الوثائق المكتوبة (مراسلات حكام، ودواوين شعر ومعارك) استدلت فيها المؤرخون بالحادثة التاريخية على المنعطفات الهامة في تاريخ الأمم قسموها بفواصل زمنية، تحقيب مستمد من فكرة الدورة الخلدونية الذي صنف فيه ابن خلدون أعمار الأمم إلى مراحل ارتبطت بالتقدم والانحطاط¹ وظهرت فيه بمسميات معينة فالتطور التاريخي حسب آراءهم ينحصر في أطوار ثابتة ومتتابعة على مذهب أساسه الترابط الداخلي بين الأشكال الحضارية المختلفة حلقات يفضي بعضها إلى بعض تمر خلاله المجتمعات بمراحل معينة من التطور الذي ينتهي إلى الانهيار وتتعاقب الحلقات على أساسه في صعود مستمر² فالعصر الحجري يرتبط بتقنية استخدام الحجارة في الحياة اليومية لإنسان ما قبل التاريخ، والعصر النيوليثي أي عصر البرونز ارتبط باستعمال الحديد، والتاريخ القديم بدأ باستخدام الكتابة والتدوين، والتاريخ الوسيط بدأ بمنعطف تاريخي حاسم جسده انهيار روما سنة 476م، والحديث بدأ مع النهضة الأوروبية باستعمال أدوات الطباعة، ومعاصر بدأ مع الثورة الفرنسية مع اختلاف في التصنيف بين المؤرخين.

¹ وفيه حدد المؤرخ ابن خلدون أعمار الدول قسمها إلى ثلاث مراحل هي مرحلة النشأة، والتأسيس، ومرحلة القوة، والتوسع، ومرحلة الانحطاط، والانهيار للمزيد يُنظر : سعد الله (علي)، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني، دار مجدلاوي، عمان، ط. 1، 2003 م. ص. 138.

² محمد حسين (محسن)، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، مؤسسة موكرياني للدراسات والنشر، أربيل، العراق، ط. 1، 2012 م، ص 67.

غير أن الاستوغرافيا الاستعمارية تطورت من خلال مناهج اصطحت في أسسها وسياقاتها موروثا إيديولوجيا مثخنا بأحكام سلبية مسبقة لتاريخ الجزائر، أولى فيها الباحث المؤرخ اهتمامه بالحدث من زاوية التوظيف السياسي منفصلا عن الشواهد الموضوعية، كمثل أرجع فيه كتاب المدرسة الإستعمارية عجز (البربر) على إنشاء كيان سياسي خاص بهم عبر كل مراحل تاريخهم، إلى ضعف بنيتهم الاجتماعية المرتكزة أساسا على القبيلة وقصورهم في استنباط مفهوم الدولة الوطنية وترجمتها على الأرض.¹

3- منهجية التخصص بالاعتماد على العلوم المكتملة (المساعدة)

اعتمد الفرنسيون على دراسة علم الجغرافيا الذي هو تاريخ المكان فدراسة التاريخ لن تكتمل في نظرهم دون أن نحدد مفهومه من زاوية جغرافية، ومعرفة تاريخه وصيرورة أحداثه وعليه فالتسمية في المنطوق الأكاديمي الفرنسي توجب تداخل تخصصين يتلازمان حضورا في تفسير الظاهرة ولتغيرات الطبيعة أثر كبير، منهج تأسس على يد الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي مونتيسكيو الذي فسّر الأحداث التاريخية بتقلبات المناخ والأحوال الجغرافية الأخرى على غرار الزلازل والبراكين وكوارث الطبيعة...²

أنشأ الفرنسيون مدارس في علم الجغرافيا تعددت تخصصاتها بين طبوغرافيا المكان وما احتوته المدن القديمة من مباني وطرق عكست حركة التجارة، ركّز عليها الفرنسيون في التأسيس لحضارة روما ومنه البعد الاستيطاني الذي قام عليه استعمارهم لإفريقيا استنسخ فيه منظروا الاستيطان الفرنسي فكرة استمراريته ونجاحه بما توصل إليه الرومان من هندسة بناء وطرق زراعة وطرحوا أسئلة : لماذا لم يقيم الرومان مستوطناتهم على أراضي وأقاموها في أراضي أخرى؟ وما علاقتها بالمناخ الذي كان سائدا في الجزائر ؟ أسئلة استمد منها الفرنسيون تشريعاتهم، مثل قانون الأهالي وقانون الحالة المدنية والبلديات والتجنيد الإجباري والنظام الضريبي وأساليب السقي واستصلاح الأراضي وتوزيع المدن وغيرها.³

¹ العروي، مجمل تاريخ المغرب ...، مرجع سابق، ص 15

² ويدجري (البان. جون) التاريخ وكيف يفسرونه، من كوفوشوس إلى توينبي، ترجمة. عبد العزيز توفيق برجوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972، ص. 143.

³ العروي، مرجع سابق، ص. 65.

استند الفرنسيون في بناء مستوطناتهم على ما خلفه الرومان من مدن في الجزائر قديما مثل روسيكادا Rosicada سكيكدة، وهيون Hippone عنابة، وشرشال Julia Cesaria وأهلوا باقي المناطق الأخرى وغيرها ؟ خطوة بخطوة وحتى أثناء إعداد مشروع الاحتلال الذي خطط له الضابط الجاسوس بوتان (BOUTIN) 1808م، عبر الغزاة الفرنسيون نحو مدينة الجزائر بعد نزول الحملة سنة 1830 م، انطلاقا من سيدي فرج على نفس الطريق الذي عبده الرومان قديما.¹

إن التأسيس للفكرة الاستعمارية الاستيطانية في أبعادها التاريخية لا يشذ عن الجانب الأثري المعماري ، فإذا كان علم الآثار هو تتبع الحالة الاجتماعية القديمة من خلال المواقع الأثرية أين يصير الإنسان وجميع مخلفاته محورا للدراسة مهما تعددت المكتشفات أو تشابهت في أشكالها تقودنا إلى فهم أعمق للظاهرة الانسانية التي طبعت المجتمعات القديمة² فإن التركيز على دراسة هذه الشواهد باعتبارها دليلا تواتر حضورا كان في إطار استعمار استيطاني قام على أساس طمس الهوية أعطى للباحث الاستعماري في علم الآثار نموذجا لا غنى عنه في إبراز نمط معين قامت عليه الإستوغرافيا الاستعمارية، فتواجد الرومان في تيمقاد مثلا وتأسيسهم حصونا متقدمة في نطاق السهوب على شكل قلاع تحيطها أسوار دفاعية في قلعة وسطيف أوحى للفرنسيين استغلال المشروع الروماني الاستيطاني على وجه المقاربة.³

اعتمد المؤرخون الاستعماريون على دراسة اللهجات حسب توزيعها الجغرافي ، وتطورها الزمني فلا جدوى للمؤرخ من دراسة الوثائق المكتوبة دون استيعاب منطق اللسانيات المعاصرة ألف بيربي (PERIER) كتابا عن السلالة (البربرية) ضم الكثير من الأبحاث والدراسات التي قام بها في هذا الشأن اعتماد على بعض المخطوطات واللهجات المتداولة في التواصل بين مكونات المجتمع الجزائري وتوصل إلى أحكام مفادها أن (البربر) ليسوا من السكان الأصليين لشمال إفريقيا مقدما فرضية انتمائهم إلى الجماعات البشرية التي استوطنت شمال أوروبا ونزحت إلى الضفة الشمالية عبر مضيق جبل طارق.⁴

¹ DEREYNAUD (P) *Annales Algériennes*, ...op ; cit , p44

² HINGLAIS (Ulysse) « Le Premier Demi-Siècle De La Société Archéologique De Constantine (1852 – 1902) » in *R S A C* numéro 36 Année 1903 .Imp Braham-Libraire-Editeur, Constantine1903, p 9

³ CAGNAT (René) « Fastes Municipaux De Timgad » in *R S A C* numéro 35 An .1902, p. 49.

⁴ PERIER (Louis) *Des Races Dites Berberes* ..., op cit, p. 35

قام رواد المدرسة الإستعمارية بالبحث في الآداب (البربرية) من خلال التأصيل للغة السكان المحليين بالجزائر، واشتغلوا على دراسة أجدديات النطق عندهم وانتهى بهم الحال إلى القول بقدوم اللُّغة التي تنحدر إلى الألف الثانية قبل الميلاد ، وتأثرت بالعديد من لهجات الغزاة الذين قدموا إلى شمال إفريقيا في إطار الحملات العسكرية التي تعاقبت على بلاد المغرب¹ واستعرض من خلال الدراسة بعض الأشعار المتداولة في كتاباتهم ارتبطت بمظاهر الطبيعة التي تعلق بها الإنسان (البربري) كالجبال والوديان وبعض القصص الأسطورية شكلت منطلق دراسته فيها وصف لبعض الحيوانات الموجودة ببعض مدن الجزائر مثل فيقي Féguig.²

تأسست الدراسات التاريخية الاستعمارية أيضا على أبحاث في الهجرات اجتاحت بلاد المغرب كالأبحاث التي قام بها مختصون في الأنثروبولوجيا مثل ميشال كاريت في إطار لجنة الإكتشاف العلمي، التي زارت الجزائر سنة 1837م، وتضمنت إعداد مؤلفات وثقت هجرات القبائل العربية التي استوطنت بلاد المغرب كقبيلة بني هلال وبني سليم في القرن العاشر الميلادي.³

أكد كامبس على وجوب أن تكون الدلائل الأثرية والإثنوغرافية حاضرة إلى جانب النصوص كلما استدعت الضرورة ذلك، حتى ولو تعلق الأمر بنصوص مكتوبة لملوك نوميديا القدامى الذين أجمع المؤرخون على مساهمتهم في تطوير الجزائر قديما كالحقبة التي حكم فيها الملك ماسينيسا وبدونهما لا يمكن كتابة تاريخ دقيق وشامل.⁴

على الرغم من اعتماد المؤرخ الاستعماري على العلوم المكتملة للتاريخ كالدراسات الإثنولوجية والأثرية والجغرافية ، إلا أن الواقع في كتابات هؤلاء غلب عليها الإفراط في التخيلات التي كانت نتيجتها السقوط في أخطاء فادحة قدّم منها الأستاذ عبد الله العروي نماذج (على غرار كاركوبينو (Carcopino) الذي قال أن المسعودي عاش في القرن الرابع عشر عوض القرن العاشر كما أثبت أن الخوارج ثاروا في سنة 657 م أي قبل إتمام الفتح الإسلامي لا لشيء إلا

¹ BASSET (H) *Essai Sur La Littérature Des Berbères*, Ed Jourdan Imprimeur Libraire, Alger, 1920, p. 10.

² BASSET (H) *Conte Populaire Berbères, Recueil Traduits Et Annotés* Ed Ernest Leroux, Paris, 1887, p. 102.

³ CARETTE (Michel ; Antoine) *Recherches Sur L'origine Et Les Emigrations Des Principales Tribus De L'Afrique Septentrionale* Imp Royale, 1845 ,p1..

⁴ كامبس، في أصول بلاد البربر... , مرجع سابق , ص. 27.

لأن الأول متخصص في الآثار والثاني أستاذ جغرافيا حيث يحيل مؤرخوا المدرسة الاستعمارية حججهم على أعمال زملاء لهم لا يقلون عنهم جرأة على الواقع والحقيقة. يحيل مؤرخو القديم على العهد الوسيط ، ودارس الحديث على باحث ما قبل التاريخ وهكذا¹ والنتيجة رواية لا تعدو أن تكون أدبية في محتواها مع سد للثقرات التاريخية باجتهادات فردية برع الفرنسيون فيها بالتوصيف تارة وإستنادا على شواهد أثرية تارة أخرى وحتى زراعية إقتصادية نфия أو إثباتا دون إحاطة تاريخية للواقع المعاش خلال تلك الفترة، ودون أدنى تمحيص للتغيرات التي طرأت على نشاط الانسان.

مثال ذلك: لم يقيم العرب مدنا على السواحل بل في دواخل البلاد والسبب عند المؤرخين الاستعماريين الخوف المستمر من غزو يأتيهم قِبَل البحر تفسير ينتقص من قدرة العرب على تأمين مناطق سيطرتهم، وهو التفسير نفسه الذي يحيلنا إلى أحكام مجزأة عندما يتعلق الأمر بطبيعة الاستقرار عند سكان الجزائر قديما، أرجع فيها رواد المدرسة الإستعمارية سبب استقرارهم في المناطق الجبلية والصحراوية دون سواها إلى طبيعتهم الفوضوية التي ترفض التمدن وتميل إلى منطوق الغزو والإغارة على ضياع المدن الرومانية المتواجدة في السهول الخصبة أحكام استقاها هؤلاء من نمط عمراني لا يزال حاضرا في منطقة القبائل والونشريس وغيرها ساوت بين المستعمر الذي دافع عن أرضه واحتمى بالشعاب والوديان والجبال و المستعمر الذي أراد احتلال شعب ولم يستطع معللا فشله برفض (البدو النوميدي الأغاليد) للحضارة التي منحها لهم الرومان والبنزطيون طوعا وتقبلوها كرها (أسلمة وتعريبا)² على يد العرب البدو الغزاة متجاهلين المناطق الحضرية التي أنشأها ماسينيسا واعتمد فيها على نظام البلديات أو المدن التي اتخذها بعض ملوك نوميديا كيوبا الثاني حاضرة ثقافية وتميزت بالرقى والتطور والتنوع من خلال مكتباتها.

4- الجمع والتصنيف (الفهرسة)

انصبت جهود الجرد والفهرسة التي قام بها الفرنسيون من خلال وضع تقنيات فهرسة للكتب والمخطوطات بالإعتماد على تصنيف خاص كالقاموس العربي الذي قدمه روني باصيه

¹ العروي، مجمل تاريخ المغرب، مرجع سابق ، ص. 28.

² مارسي، بلاد المغرب ...، مرجع سابق، ص. 45.

واحتوى على النباتات الرئيسية في منطقة الهضاب العليا والصحراء والقاموس الذي تضمن مجمل المفردات العربية المتداولة في الجزائر وما قبلها من مفردات فرنسية إضافة إلى الفهارس التي اقتصت بتصنيف المخطوطات وتقسيمها إلى مخطوطات محلية وإفريقية وعربية ناهيك عن جرد وضعه روني باصيه لمخطوطات زاوية الهامل وزاوية عين ماضي ومكتبة ميزاب،¹ توخى فيها الفرنسيون تصنيف الكتب على أساس محتواها ومادتها العلمية فصنفت كتب البكري ضمن أقسام الجغرافيا، وابن خلدون ضمن دائرة التاريخ، وأخرى في الدين والتشريع وهكذا...²

5- منهجية نقد المصادر التاريخية

اهتم الفرنسيون بالبحث عن المصادر المحلية لتاريخ الجزائر غير أن مبعثهم كان من زاوية التشكيك في قيمتها، اتهم الكتاب العرب بالمبالغة وعدم التمهيد في أخبارهم التي نقلوها ووصفوها بالقصص التي تحمل في طياتها الكثير من الأساطير، فيما اعتبرت تراجم الملوك والحكام بابا للتقرب منهم والاستفادة من عطاياهم وضعت في مجملها تحت خانة التجريد والانتقاص من مصداقيتها واتجه أغلبهم إلى تفضيل أخبار الأوروبيين الذين كتبوا عن الممالك العربية أو جالوا في أنحاءها وهي كتب انطباعات تراجم ومراسلات ملوك وعقود تجارية ومعاهدات سلم كان الأوروبيون طرفا فيها وعليه لم يثبت أن أشار المؤرخون الفرنسيون إلى أي مصدر من مصادر العرب دون التقليل من أهميته ، واعتباره غير ذي جدوى إلا فيما يتعلق برأي ابن خلدون في صفة الغلبة، التي ميزت العرب³ حيث سار على هذا النحو كل من استيفان غزيل (GSELL) ودوسلان (DESLANE) ومارسي (MARCAIS) وغيرهم.

وهنا يمكننا أن نرُد بالقول: ماذا يقول الفرنسيون عن رأي ابن خلدون في حكم الغلبة هل رأى فيه هؤلاء إسقاطا على ما يمكن تسميه استعمارا ؟ أم اقتصر المفهوم عندهم على حكم السلاطين العرب فقط الذين حكموا البلاد حكما مستبدا ؟ بهذه الانتقائية في الطرح الذي استأثرت به المدرسة الاستعمارية الفرنسية تتقاطع مع منهج آخر حدد طريقة الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر خلال العصر الوسيط وهو العصر الاسلامي كتعليق جورج مارسي MARCAIS

¹ MASSE (H) « Les Etudes Arabes En Algerie » in R. A. Vol .74, Année. 1933, p. 255

² ibid, p. 222.

³ GSELL Et Autres, *Histoire Et Historiens* ..., op ; cit, p. 161.

على حادثة انسحاب ابن سعد من بلاد المغرب بعد انتصاره في معركة سببلة سنة 647 م الموافق ل 27 للهجرة ورأى انسحاب العرب من بلاد إفريقية انعكاسا لتخلفهم في إدارة البلاد حيث يقول (إن انسحاب العرب مرده إلى تخلف استراتيجيتهم في الاحتفاظ بالأراضي التي احتلوها أو أنهم تلقوا أمرا بالرجوع من حيث أتوا)¹ في حين أرجع أرنست مارسسي (MERCIER) سبب العودة إلى طباع العرب التي جبلت على نهب المال والغنائم ورواية بطولات فتوحاتهم أمام بلاط الخليفة عثمان رضي الله عنه، بل والأكثر من ذلك فسّر الكاتب تراجع المسلمين عن فتح إفريقية إلى الحرب التي اندلعت بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما - أحدثت -حسب نظره- شرخا كبيرا في الدّين الإسلامي، وأدى في النهاية إلى خروج فرق مذهبية كالشيعة والخوارج استقرت في بلاد المغرب تأسف الكاتب على ضياع فرصة البيزنطيين في كسب ولاء (البربر) خلال مدة عشرين سنة كانت كافية لهم في إقامة جسور تعاون وتضامن تحول دون عودة العرب البرابرة² مسقطا اختلافات اجتهادية حول مفهوم الخلافة والقصاص عند المسلمين التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان - رضي الله عنه على أحكام العقيدة والدّين - ومن جهة أخرى أعاب المؤرخون الاستعماريون على المخطوطات العربية عدم إبرازها للتقويم الزمني إلا في محطات استثنائية والاكتفاء بالتعويم الذي عكس أحداثا شهدتها تاريخ العرب كعام القحط و عام الجراد و عام الطاعون و عام الفيل الذي صادف ميلاد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ومخطوطات تتحدث عن مناقب وكرامات أولياء لها علاقة بالصوفية وكتابات طغى عليها أسلوب الخيال والأسطورة في عمومها نابعة من ذاتية المؤرخ لا موضوعية الحدث.³

شكك الفرنسيون في الوثائق التي أرخت للعثمانيين وقللوا من مصداقيتها ومن ثمة في قيمتها فطالبوا بالتجريد وعدم الرجوع إليها إلا فيما يتعلق بالمراسلات التي سجلت بين الفرنسيين و- إيالة الجزائر- أي بين الفرنسيين والأتراك الذين حكموا الجزائر - على حد تعبيرهم - حيث قاموا بتسجيل نصوصها فشملت المعاهدات واتفاقيات الامتياز وكراء الموانئ، مثل ميناء القالة

¹ MARCAIS (G) *La Berberie Musulmane Et L'orient Au Moyen Age*, Ed. Montagne, Paris, 1946, p. 30.

² MERCIER(E) *Histoire De L'etablissement Des Arabes Dans L'Afrique Septentrionale Selon Les Documents Fournis Par Les Auteurs Arabes*, Ed Chalamel Libraire, Paris, 1875, p. 55.

³ بونابي (الطاهر) « أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط » م ج م جامعة أحمد بن بلة وهران، المجلد 1، ع 2، 2005، ص. 98.

وتنصيب القناصل وغيرها واعتمدوا فقط على الأرشيف الأوروبي والأرشيف التركي والرحلات الأوروبية وهو موقف يعكس روح الاستعلاء لدى الفرنسيين ففي نظرهم لا يستطيع الجزائري كتابة تاريخ سيده في إشارة إلى الأتراك، فالدولة الوطنية لم تكن موجودة في نظرهم خلال تلك الفترة¹ كل ما هنالك عصابات حاكمة يقول الأستاذ مولاي بلحميسي رحمه الله (إن معظم مؤرخي القرنين التاسع عشر والعشرين، تمثلت كتاباتهم في التركيز على العنف والحروب الداخلية والثورات المحلية وعلى الانقلابات والاحتلالات والمؤامرات والفتن والزوابع السياسية... يضيف العاصمة في مؤلفاتهم جحر اللصوص وعش الصعاليك وجحيم النصارى وجمهورية قطاع الطرق وأما رياس البحر وعظماء البحرية فهم المتعطشون للدماء ونهب الأموال)²

عالج المؤرخون الفرنسيون موضوع تاريخ الجزائري بطريقة انتقائية ومن خلال هذه الانتقائية أصدروا أحكاما جاءت كما ما يلي :

أولاً: الجزائر لم يكن لها في يوم من الأيام كيان سياسي مستقل، ومنظم بحدود وسلطة مركزية، وإنما كيانات (بربرية) متناحرة³ في حروب طويلة استمرت دون هدف ودون معنى تبعا لاختلاف مصالح أسرية وقبلية ضيقة وفي غياب أفق سياسي شامل حدد مفهوم الدولة وعمل المؤسسات.⁴

ثانياً : لا تعتبر الجزائر من الوجهة الجغرافية بوابة لإفريقيا بقدر ما ترتبط ارتباطا وثيقا بالمجموعة المتوسطة لخصوصيتها الجغرافية والتاريخية بقعة اختلفت كل الاختلاف عن إفريقيا الشمالية.⁵

ثالثاً : استعملت المدرسة التاريخية الاستعمارية الهوية الجغرافية بدلا من الهوية الأنتروبولوجية عند الإشارة إلى تاريخ الجزائر حيث ركز استيفان غزال على تسمية شمال إفريقيا في القديم عند التطرق إلى تاريخ الجزائر في مؤلفه الذي حمل نفس الإسم عكس التسمية التي أطلقت عليها قديما (نوميديا) للدفع باتجاه الفضاء المفتوح على الغزو الخارجي.

¹ GSELL et Autres, *Histoire et Historiens* ..., op ; cit, pp 6-7.

² بلحميسي (مولاي) « موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني » م د ت ، م 3 ، ع 5 ، 1988 ، ص. 105.

³ GSELL(S) *Histoire Ancienne* ...T1, op cit, p.2.

⁴ ibid , p. 27.

⁵ GSELL(S) *Histoire Ancienne* ..., op, cit p23.

رابعا : ربط المؤرخون تاريخ الجزائر فرنسا من خلال شخصيات دينية مسيحية مثل القديس الأمازيغي أوغسطين المنحدر من سوق اهراس لإيهام الدارس لتاريخ الجزائر بالمصير المشترك بين كل من فرنسا والجزائر قبل الإسلام حيث يقول شارل لافيغري " يلتقي تاريخ فرنسا والجزائر في شخص القديس أوغسطين " ¹

خامسا: لم يعرف البلد نموا اقتصاديا ورفاهية في العيش والأمن إلا خلال العهود التي تتابع على حكمها الرومان والبيزنطيون أي في القرن الثالث الميلادي ² تركزت الحضارة حول المدن وهي المناطق التي تواجد فيها الأجني في حين استقر (الأهالي) على تخوم الصحراء وفي الجبال والمناطق الوعرة يتصدون ضعف الغزاة للانقضاض عليهم ³

سادسا: فرنسا هي من وضعت حدودا للجزائر بالشكل المعروف عليه حاليا من خلال إثبات هوية لها، رومانية المنشأ مسيحية الدين لاتينية اللسان، تمكنت من إعادتها إلى الحاضنة الأوروبية وبدون هذه الحدود لن تعرف الجزائر إسما ولا كيانا مستقلا ⁴ وتاريخها كتب من طرف الفرنسيين ولهم واحتلالها يعتبر بمثابة تاريخ وحضارة وبعث جديد لها، في وقت عجز فيه (البربر) عن إنشاء دولتهم الوطنية ⁵.

استند المؤرخون الفرنسيون عموما في كتابة تاريخ الجزائر على ما يلي:

-جمعهم للمصادر والآثار وحفظها في المتاحف من خلال نشر الكثير من الآثار العربية والإسلامية بلغتهم فساهموا في حفظها على غرار جواني فرعون الذي نشر في 1832م الذي وضع أول قواعد للنحو في الجزائر باللُّغة العامية حتى تكون في متناول الفرنسيين وقام أونورات دولابورت (DE LAPORTE) رئيس المكتب العربي في عمالة الجزائر بمعالجتها وتعديلها وفاقنون FAGNON الذي نشر (أساطير) لقمان باللُّغة العربية سنة 1835م ومبادئ اللغة العامية واستعمالاتها في الجزائر سنة 1836 م وأشرف على تدريسها (BRESNIER) ⁶.

¹ كامبس في أصول بلاد البربر ... مرجع سابق، ص. 639 .

² GSELL, *Histoire Ancienne* ... T1, op, cit p22.

³ شنتي، أضواء ... مرجع سابق، ص. 11.

⁴ GSELL, *Histoire Ancienne* ... op, cit p 2

⁵ ibid ..., P 236.

⁶ MASSE « Les Etudes Arabe En Algerie..., op cit, p. 208.

- استخدام التقنية الحديثة في البحث كتصنيف المواد حسب الاختصاص وتنظيم الفهارس والتنظيم الأبجدي ومصطلح الفترات الزمنية والتصوير وعلم القياسات لدراسة نوعية البناءات المستخدمة ومقارنتها مع بناءات أخرى لتحديد أزمنتها وأنواع ملكيتها، وإن بدا هذا الجانب التقني واضحاً في الدراسات التاريخية والأثرية الفرنسية إلا أنه كان انتقائياً ركّز على جوانب معينة وأهم مراحل هامة من تاريخ الجزائر، فقاعة بني حماد ببجاية وتلمسان عاصمة الزيانيين وتيهرت عاصمة الرستميّين لم تلق اهتماماً من قبل علماء الآثار والمختصين في التاريخ الإسلامي وإن وجدت كتاباتهم فهي من باب التجريح والنقد والطنع والتشويه والتشكيك في مصادرها يشير الأستاذ محمد البشير شنيّتي في هذا الشأن (... يحتفظ التراب الجزائري بأطلال عواصم كقلعة بني حماد وحاضرة أشير الأمازيغية ، وسدراته عاصمة الرستميّين وتلمسان قلعة الزيانيين لكن هذه المعالم الإسلامية لم تلق العناية الكافية مما جعلها عرضة للإندثار والإهمال ويكفيها مثال واحد للبرهنة على هذا الإهمال الإرادي نأخذ من الأطلس الأثري للجزائر حيث لم يرد شيء حول العاصمة الزيانية في الورقة رقم 56 بينما احتلت بورابيا (PORABIA) القلعة الرومانية التي لم يبق من أثارها إلا القليل 67 سطرًا استقصى فيها غزال (Gsell) شذرات الأحرف اللاتينية المبعثرة في قطع الفخار المتناثرة ، وقس على ذلك بقية المدن الإسلامية كقلعة بني حماد، وتيهرت وغيرها . يضيف قائلاً... هذا الجانب التوثيقي يصدق أن أعمال التنقيب الأثري والنشر العلمي من قبل الباحثين الفرنسيين تميز بالانتقاء في الكشف عن الماضي وتحكمت في سلوكياتهم عواطف إيديولوجية وانتماءات حضارية)¹ ومنه نستنتج ما يلي:

- مجازاة العسكريين ورجال السياسة في تدوينهم لتاريخ الجزائر بحثاً عن المصالح الشخصية فقد ركز هؤلاء على التجارة والاقتصاد اقتداءً بالمغامرين الاستعماريين وحبهم للمال مما جعل دراساتهم تفتقد إلى روح البحث المجرد وتتصف بالطابع الرسمي الضيق.

- نقد المصادر والوقوف منها موقف الشك والتحفظ وإن بدا هذا المنهج علمياً في أساسه إلا أنه طبق فقط على المصادر العربية والإسلامية فقط²

¹ شنيّتي، أضواء...، مرجع سابق، ص 27

² سعد الله (أبو القاسم) أبحاث وآراء... مرجع سابق، ص 36.

-من عيوب الكتابة التاريخية الاستعمارية عند التطرق إلى تاريخ الجزائر القديم وظاهرة التحضر على وجه الخصوص، التركيز على المدن الرومانية المنتشرة والتي كانت تضم المستوطنين والأهالي المترومين - حسب تعبيرهم - اشاد فيه المؤرخون بالنظام الاداري المحكم والقوانين العدلية التي تضمنت جباية الضرائب وغيرها بما معناه التركيز على تاريخ الاحتلال الروماني في افريقيا

إن التاريخ الحقيقي هو تاريخ الريف الجزائري الذي كان على مدى كل العصور خزّانا بشريا لكل الثورات التي صنعت الحدث أو سببا في تغيير مجراه زيادة على ذلك هل التحجج بعدم قبول الأمازيغ للحضارة الرومانية وبقاءهم في دائرة البداوة - على حد قولهم - له ما يبرره ؟ وماذا تمثل هذه الحضارة اذا انتزعنا منها بعض المرافق العمرانية التي كانت في الأساس بناءات شيدت بأيدٍ أمازيغية ؟ وأين هي كتب الرومان القديمة ومكتباتها وسجلات الحالة المدنية والضريرية إن كانت هناك حضارة ؟ وما مدى انتشار لغتهم اللاتينية داخل الأقاليم؟ ولماذا وجد أوغسطين صعوبة في الدعوة لمذهبه باللغة اللاتينية؟ واضطر إلى اصطحاب مترجمين؟¹ في جزائر يتباهى المستعمرون بنظام مدني شيدوه على أرضها.

¹ شنياتي، أضواء... مرجع سابق ، ص. 14.

الفصل الثاني:

مشاريع ولجان البحث العلمي (1830 م – 1930 م)

أولاً: لجنة الإكتشاف العلمي للجزائر

(1837م-1842م)

ثانياً : لجنة الإحتفالات المئوية المخلدة للإحتلال

1830 م

حسم الفرنسيون مستقبل المستعرة وأعلنوها أرضا للاستيطان والاستكشاف العلمي واستغلال الموارد، فتنوعت طبيعة اللجان العلمية الاستعمارية التي زارت الجزائر مدة قرن من الزمن، بين بعثات دراسة وبحث اشتغلت على مختلف المجالات العلمية والتاريخية والثقافية لا يمكن حصرها والإلمام بنشاطاتها وجرى إنجازاتها فاقصرت الدراسة على اثنتين منها هي لجنة الاكتشاف العلمي التي زارت الجزائر بداية الاحتلال (1837 م-1842) ولجنة الاحتفال المئوي المخددة له سنة 1930 م التي عرضت حصيلة مائة سنة من النشاط العلمي.

أولا- لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر (1837م-1842م)

1- التحضيرات الأولية

دأب الفرنسيون على تشكيل لجان استكشاف علمي رافقت الجيوش مع كل غزو عسكري كاللجنة التي ترأسها شامبليون في حملة مصر سنة 1798 م، ولجنة موريا في اليونان سنة 1829م التي تشكلت بأمر من شارل العاشر (Charles X) واستغرقت ثلاث سنوات (1829م-1831م) وضع فيها فيكونت دي سيميون (DE SIMEON) مدير الفنون والعلوم بوزارة الداخلية برنامج الرحلة وترتيباتها خلال صيف 1828م¹

ترصد الفرنسيون بعد احتلال الجزائر مباشرة البقايا الأثرية التي خلفها الرومان من كتابات ونقوش لاتينية مسيحية كانت موضع اهتمام الباحثين العسكريين الذين رافقوا جيش الاحتلال وتصدروا مواقع القيادة، كالرسالة التي بعث بها النقيب في جيش الأركان (ROZET) إلى مدير أكاديمية العلوم- الفنون والآداب- بفرنسا المؤرخة في 4 سبتمبر 1831 م ضمّنها وصفا لتابوت حجري عثر عليه في نواحي مدينة الجزائر ويعود لكاهن مسيحي، أبدى من خلاله الباحث العسكري ملاحظات أشارت إلى تقارب بينه وبين بعض التوابيت المكتشفة في منطقة لافيرون (L'Aveyron) بفرنسا حصل فيها على تشجيع لجنة التراث القديم بالأكاديمية²

¹ NUMA (Broc) : « Les Grandes Missions Scientifiques Français Au Xix Siècle (Moree Algérie Mexique) Et Leurs Travaux Géographique » in *Revue D'histoire Des Sciences*, T. 34, N°3, presse universitaire de France, paris, 1981, p 320.

² ROUBET (Colette.) « Protohistoire Et Préhistoire En Algérie Patrimoine Dévoilé Entre 1830 Et 1962 » In: *Présence Française Outre-Mer (XVI – XXI Siècles)* T.2 Science.Religion.Culture. Karthala, Paris, 2012 p. 319.

أحضر وزير التجارة بالحكومة الفرنسية إلى أكاديمية الفنون والعلوم بفرنسا في 1 مارس 1833م نقوشا صخرية مسيحية تعود إلى القرن الخامس الميلادي أي حوالي 557 م وجدت في مدينة عنابة، عقد على إثره اجتماع في 26 أبريل من نفس السنة أبدى فيه المجتمعون اهتماما بالتراث المسيحي كُلف خلاله ديرو دو لامال (DELAMALLE) و لوترون (LETRONNE) وهاس (HASSE) بإعداد تقرير عن الحجر المنقوش الذي وضع داخل المتحف الخاص بمكتبة الأكاديمية كونه مثل تاريخ شعب تواجد على سواحل إفريقيا الشمالية حمل تراثا مسيحيا ظل مجهولا رغم تواجد البيزنطيين فيها مدة طويلة من الزمن تلتها مناقشات داخلية حول سير اختفاء الديانة المسيحية في تلك المناطق.¹

طُرحت إشكالية استمرار التوسع والاحتلال داخل المستعمرة فتشكلت اللجنة الإفريقية جوان 1833م² ودارت المناقشات داخل الجمعية التأسيسية حول تقرير مصيرها، بالتوازي مع ذلك أصرّ الفرنسيون على البحث والتنقيب في تاريخ الجزائر القديم دون توقف، وتشكلت لجان طبوغرافية قامت بحصر التراث القديم داخل الجزائر التي كانت تعرف بموريتانيا القيصرية كلفت خلاله أكاديمية العلوم بالشروع في أنشطتها واتخذت الإجراءات المناسبة التي رأتها ضرورية دون العودة إلى طلب تراخيص من ضبّاط الأركان، ووجه وزير الحربية الفرنسية رسالة بتاريخ 18 نوفمبر 1833م لأكاديمية العلوم والفنون والآداب بطلب الشروع في إعداد خريطة طبوغرافية لحصر المواقع الأثرية الرومانية اعتمدت كقاعدة بيانات في عمل اللجان وهو الانجاز الذي لقي تشجيعا من قبل الحكومة الفرنسية عُدَّ استكمالاً للنصر العسكري الذي حققه الجيش الفرنسي بعد مرحلة الإحتلال³

أبدت أكاديمية العلوم والفنون والآداب بفرنسا ممثلة في أعضائها وولكينير (WALCKENEAR) وراؤول روشات (ROCHETTE) ونودي (NAUDET) ودوساكي (DE

¹ HASE (Charles-Benoit) « Rapport sur quelques Inscriptions Latines récemment découvertes Dans L'ancienne Régence D'Alger » in (J. S) Année 1837. imp. Royale, paris, 1837, p. 706

² حول اللجنة الإفريقية أنظر: مختاري الطيب اللجنة الإفريقية رسالة ماجستير غير منشورة الجزائر (2) 2011م.

³ WALCKENEAR (Charles. Athanase) « Rapports Sur Les Recherches, Géographiques, Historiques Et Archéologiques, Qu'il Convient De Continuer Ou D'entreprendre Dans L'Afrique Septentrionale » in Mémoire De L'institut Royale De France, Académie Des Inscriptions Et Belles Lettres, imp. Royale, T 12 Paris 1839, p 98

(SAKY) وجومار (JOMARD) وديرو دولامال (DUREAU DE LA MALLE) ترحيها بالرسالة شريطة اتباع تعليماتها كما شددت على ضرورة مراقبة وزارة الأشغال العمومية لعمل اللجان وما يترتب عليه من تمويل يقع تحت مسؤولية الحكومة الفرنسية، التزمت خلاله بتقديم تقارير دورية إلى وزارة الحربية حصرت فيه جغرافية المستعمرة وتاريخ المواقع الاستيطانية الرومانية وطبيعة الآثار المتواجدة فيها¹ توسعت إلى خطة عمل بحثية شملت برنامجا متكاملا للتاريخ القديم بدءاً من القرطاجيين والرومان والوندال وحتى الأتراك في عصور متأخرة انتشرت الأبحاث على مساحة جغرافية امتدت من برقة بليبيا إلى ساحل الأطلسي ضمت في عضويتها علماء وباحثين في مختلف التخصصات من تاريخ وجغرافيا وآثار وعلماء لسانيات ومستشرقين لاستجلاء ما قد يتم العثور عليه من موروث تاريخي ورصيد علمي وفكري لعلماء وجغرافيين ومؤرخين أمثال ابن خلدون وابن بطوطة والإدريسي وغيرهم.²

ظلت الأمور تراوح مكانها بين وعود وزارة الحربية من جهة وبين ممانعة الإدارة الاستعمارية في الجزائر التي رأت ضرورة استكمال احتلال الجزائر أولاً قبل البدء في أي مشروع علمي وبين إلحاح أعضاء أكاديمية العلوم والآداب والفنون بضرورة تشكيل اللجان العلمية وإرسالها إلى المستعمرة، دون أن تدخر جهداً في جمع المعلومات الأولية للنقوش والعملات والمباني التي تعلق بالآثار القديمة في الجزائر، أسندت أعمالها للجنة مصغرة تشكلت في فيفري 1834م ضمت في عضويتها كلا من ديرو دولامال وولكينار وهاس قدمت مذكرة أولية بتاريخ 5 ديسمبر 1834م استعرضت فيها مجمل تاريخ الجزائر³ نوقشت خلال اجتماع الجمعية التأسيسية الفرنسية كالدراسة التي أعدها دولامال أبحاث عن طوبوغرافية قرطاج (Recherches Sur La Topographie De Carthage) ونشرت بتاريخ 1835م، استعرض فيها الكاتب وضع قرطاج ومحيطها الاجتماعي و نمط العمارة التي ميزت مدنها القديمة.⁴

¹ WALCKENAER (Charles. Athanase) « Rappports Sur Les Recherches, pp 133- 134

² ibid , p. 132.

³ ROCHETTE (R) « Rapport Sur Les Recherches Archéologiques A Entreprendre Dans La Province De Constantine Et La Régence D'Alger » in *Mémoire De L'institut Royale ...* op cit. p 135.

⁴ DELAMALLE (Dureau), *Recherches sur la topographie de Carthage*, Avec Des Notes Par M Dusgate,

طغت أعمال الغزو وحملات الإبادة الجماعية في حق الشعب الجزائري خلال السنوات الأولى من الإحتلال كمجزرة قبيلة العوفية التي ارتكبتها الدوق دو روفيقو (DEROVIGO) في مدينة البليدة سنة 1832 م واحتلال تلمسان ومعسكر 1835م وغزو مدينة قسنطينة واحتلالها في 1836م-1837م وردود فعل المقاومة مما أدّى إلى تباطؤ الإجراءات الإدارية المقررة سلفا والواجب تنفيذها من طرف أكاديمية العلوم في الجزائر¹ على الرغم من ذلك لم تتوقف جهود البحث والدراسة داخل إطار الأكاديمية فواصلت أبحاثها من خلال لجنة متعددة المهام تنوعت بين الأعمال الطبوغرافية والجهود الاستعمارية الرامية إلى تكريس الاحتلال انتهت بمراسلات للحكومة الفرنسية في شكل تقارير تاريخية حملت وصفا لمكتشفات أثرية تم العثور عليها في الجزائر كالرسالة الموجهة إلى الحاكم العام بالجزائر كلوزيل (CLAUZEL) بتاريخ 29 أكتوبر 1836م.²

هكذا مع احتلال مدينة قسنطينة سنة 1837م، ازداد اهتمام الغزاة بما رأوا فيه إرثا حضاريا أوروبا مسيحيا قديما عدّ البحث فيه انتصارا علميا مكملا لعمليات إحكام السيطرة بالقوة العسكرية ودعم فيها قناعتهم التمسك بالجزائر وتوسيع احتلالها، وإن كان الأوّل في سياق ومنهج مخالف ميزه البحث والدراسة والاستكشاف، بعيدا عن المغامرة والاستيطان والجشع واقتطاع الأرض التي اتسم بها المستوطنون.

2- تشكيل اللّجنة وبدء الأشغال (1837م -1839م)

أمر وزير الحربية الفرنسية المارشال سولت بتشكيل لجنة علمية لاستكشاف الجزائر، وأخطر الحاكم العام في الجزائر المارشال فاليري (VALEE) في رسالة موجهة له بتاريخ 14 أوت 1837م تضمنت ضرورة اتخاذ الإجراءات الكفيلة باستقبال البعثة دون ممانعة أو تأخير مشددا عليه في نفس الوقت عدم جدوى التحجج بالأوضاع غير المستقرة التي كانت موضع تبرير في السابق³

Ed. Firmin Didot Freres Paris ,1835 p1.

¹ BRETEUIL (Arsène) *L'Algérie française, Histoire, Mœurs, Coutumes, Industrie, Agriculture*, Ed. Dentu, Laibraire, Editeur. T 2. Paris, 1856, P 21.

² C A O M Serie F° 80 Carton 1590, (Lettre A Monsieur Le Marechal Valée)

³ Ministère De La Guerre, *Tableau De La Situation Des Etablissement Français Dans L'Algérie En 1838*, Paris, imp. Royale, juin 1839, p. 113.

كما تم الطلب أيضا من أكاديمية العلوم - الفنون والآداب - الاشتغال على إعداد قائمة من الباحثين المتخصصين والمهتمين بالآثار والتاريخ الطبيعي والجيولوجيا ورسامين وفنانين تم توزيعهم على الوزارات التالية الأشغال العمومية والتجارة والزراعة وغيرها، دون اكتراث لاعتراضات الإدارة العسكرية في الجزائر ممثلة في الحاكم العام المارشال فالبي.¹

بعث وزير الحربية رسالة في 28 نوفمبر 1837م إلى المارشال فالبي تلاها في مداولات عامة بأكاديمية العلوم - الآداب والفنون - بتاريخ 1 ديسمبر من نفس السنة طرح فيها أهداف اللّجنة وطبيعة عملها، التي تمحورت حول جمع المعلومات الضرورية الخاصة بجغرافية وتاريخ وأثار وصناعة وعلوم وفنون الجزائر حدّد فيها ربيع 1838 م تاريخا لانطلاق نشاط اللّجنة.²

اعترض أكاديمية العلوم - الآداب والفنون - صعوبات تعلقت في مضمونها بعملية تسجيل المرشحين للقيام بمهام البحث وتركز الانتقاء على إحصاء من تتوفر فيه الخبرة والنزاهة والانضباط توزع المرشحون بين أعضاء يحسبون على وزارة الحربية الفرنسية وآخرون تم تعيينهم من طرف الأكاديمية، فيما تكفلت وزارة الأشغال العمومية بتغطية نفقات البعثة³ في وقت دار فيه جدل كبير داخل الأوساط السياسية والأكاديمية وحتى العسكرية حول إمكانية نجاح البعثة على أرض اعتبرها البعض ساحة حرب وكفى، تزامن ذلك مع وضع الخطوط العريضة من طرف رئيس اللّجنة العقيد بوري دي سان فانسان (DE SAINT VINCENT) بناء على التعليمات المسندة إليه من طرف وزير الحربية حدّد فيها أهداف المشروع والنتائج المرجوة من خلاله أعطيت الأولوية للفرق الطبوغرافية التي عملت على إعداد خريطة جغرافية متكاملة حصرت فيه المناطق التي تواجدت فيها معالم التراث القديم.⁴

شرعت اللّجنة في إحصاء الأعضاء يوم 18 سبتمبر 1839م، فأوصت باختيار ليون فودوايي (VOUDOYER) عضوا في اختصاص الهندسة المعمارية كما عينت بيربروجر

¹ C.A.O. M Série f°80 Carton 1590 (Lettre Du Maréchal Valée Au Ministre De La Guerre)

² Academie Des Inscription Et Belle Lettre Correspondance de 1838.

³ **Tableau De La Situation...** op cit, p114.

⁴ BIOT (Jean. Baptiste) Note sur un moyen de puiser de l'eau de mer. Rapports de la commission

Chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838, pp 73-74.

محافظ مكتبة الجزائر و باول بريار (PRIEUR) المتصرف المالي العسكري لإقليم وهران كمنسقين بين أفراد البعثة فيما أدرجت ضمن عضويتها ضابطي المدفعية برونال (BRUNEL) وبوب لاي (BOB LAYE) والنقيب في هيئة الأركان كاسيمير كاي (KAY) على خلفية إتقانه التحدث باللّغة العربية والمستشرق دولابورت (DE LAPORTE) الذي أنجز بحوثا حول قرطاجة والرائد ميشال وأنطوان كاريت (CARETTE) الذي كُلف بالبحث في أصول اللّغة والأثنيات داخل الجزائر المستعمرة فيما أسندت لبروسبير أونفونتان (ENFANTIN) الذي ينتمي إلى الحركة السانسيمونية¹ مهمة البحث في الأثنوغرافيا والتاريخ والتقاليد الجزائرية.²

تعززت الشكوك اتجاه محاولة حصر التفوق العلمي داخل جيش الغزاة على غرار انتصاراته العسكرية على الأرض، بعد تدخل وزارة الحربية التي حاولت فرض أسماء أخرى خدمت في الجيش الفرنسي وكانت محل ثقة عند قيادة الأركان، قابله إبداء أكاديمية العلوم تخوفاتها في مراسلة رسمية إلى وزير الحربية تضمنت ضرورة الخضوع لمقاييس الكفاءة وضرورة الالتزام بمواصفات الانضباط والحيادية والكفاءة العلمية في عملية الانتقاء من قبل اللّجنة المختصة على أمل أن تفهم الوزارة الشروط الأكاديمية المقدمة من طرفها.³

أقر وزير الحربية النظام المتبع في الأشغال وأمضى على ميزانية البعثة التي احتوت على أجور الباحثين ورؤساء اللّجان فكانت 500 فرنك فرنسي راتبا شهريا للرؤساء و300 فرنك لأعضاء البعثة بتاريخ 18 أوت 1839م، مع مكافآت معتبرة منحت للأشخاص الذين حققوا تقدما في مشاريعهم المسندة ضمن إطار البحث، خصوصا ما تعلق منها بالمكتشفات الأثرية شرط أن تحظى بتقدير رئيس اللّجنة فيما أوكلت مهمة النفقات والميزانية إلى مفتش المالية

¹ حركة سياسية اجتماعية فرنسية بدأت مع بداية النصف الأول من القرن التاسع عشر، أسّلتها أفكار الفيلسوف السياسي الفرنسي هينري سان سيمون (1760-1825) للمزيد ينظر: دياب (محمد حافظ)، « أقنعة السانسيمونية جدل الامبريالية والتحديث » مجلة نزوى ع 11 عان 2012

² LACROIX (Alfred) Notice historique sur quatre botanistes membre ou correspondants de l'Académie des Sciences, ayant travaillé pour la France d'outre-mer, de la fin du siècle dernier à nos Jours : lecture faite en séance annuelle du 19 décembre 1938, Ed. Gauthier-Villars. Paris 1938, p 26.

³ C.A.O.M Serie.F° 80 Carton 1593 (Lettre Au Ministre De La Guerre 30 Decembre 1837)

جو دوروفارسو (DEREVERSEAU) الذي كان معروفا بسوء التسيير أعاق فيه مسار الأشغال وأصابها بالشلل.¹

تم تحديد تاريخ 20 نوفمبر 1839م موعدا لانطلاق الرحلة من ميناء طولون، على أن تجمع كل الطاقم ممن شملهم التعيين بما في ذلك العسكريين الذين صادف تواجدهم أثناء الخدمة في الجزائر، الشيء الذي أجبر بعضهم إلى رفع تقارير إعفاء من التنقل على غرار النقيب باكويي (BACCUET) الذي ينتمي إلى الفرقة العاشرة للفرسان كما حمل رئيس اللجنة العقيد بوري دي سان فانسان رسالة من وزير الحربية غداة وصوله يوم 11 ديسمبر 1839 م إلى المارشال فاليري حثَّ فيها الأخير على وجوب تأمين عمل البعثة ومساعدة طاقمها.²

3- تركيبة اللجنة

ضمّت اللجنة واحد وعشرون عضوا بينهم عشر عسكريين وإحدى عشر مدنيون، توسعت قبل انطلاق البعثة يوم 20 نوفمبر 1839م إلى أربعة وعشرين عضوا اثنان دائمان وهما رونو (RENOU) ورافوازيي (RAVOISIER) واللذان استخلفا فودوايي (VAUDOYER) فيما عين النقيب دولامار (DELAMARE) كملحق بالبحث في مجال الآثار وغيشنوت (GUICHENOTE) في اختصاص التاريخ الطبيعي وييربي (PERRIER) كطبيب جراح وعضوان آخران أوكلت لهما مهمة الترجمة وهما أوربان (URBAIN)³ وتشوسباو (SCHOUSBOE) حيث تعهد الجميع بوجوب التحفظ على سرية العمل وعدم نشره خارج إطار الدولة أو دون إذن من وزارة الحربية خصوصا ما تعلق بالمكتشفات الأثرية التي احتوتها المواقع من أضرحة ومباني ونقوش وغيرها إلى حين نشرها من طرف الوزارة المعنية،⁴ هذا وكانت القائمة على النحو التالي :

1-3 الأعضاء الملحقون: شارل وباسكال مونار (MONART) وكلاهما طبيبان مختصان عملا

في الجيش الفرنسي وأوغست إيبيير وارني (WARNIER) الذي عين في 18 سبتمبر 1840م كجراح

¹ C.A.O.M Serie F°80 Carton 1598 (Dossier Dereverseau)

²C.A.O.M. Serie F° 80 Carton 1593 (lettre de ministre de la guerre au maréchal valée)

³ Thomas Urbain يحسب على الفئة السانسيونية للمزيد أنظر : REGNIER (Philippe) **Les Saint- Simoniens En Egypte (1833-1851)** Banque de l'Union européenne Paris 1989, pp, 87-88.

⁴ C.A.O.M. serie F° 80 carton 1590, (Lettre à BORY du 5 août 1840)

مساعد، اشتغل على إحصاء سكان الجزائر من أهم أعماله " جدول إحصائي للعمليات الثلاث حالة السكان، التنظيم القبلي لعمالة وهران وقسنطينة والحالة الصحية للسكان Tableau Statistique Des Trois Provinces Etat De La Population Organisation Tribale Des Provinces D'oran Et De Constantine Etat Sanitaire Des Populations وجورج إيبي (AIME) أستاذ الفيزياء في مدرسة العلوم بالجزائر عين سنة 1840م.¹

2-3 الأعضاء المساعدون

عين لويس أسالم لونغا (LONGA) في عمل البعثة كرسّام ومصمم ألحق بالبحث في تصنيف المجموعات البشرية، اختص في تصوير الأشكال الإنسانية وجون أندري بيربي (PERIER) كطبيب جرّاح عمل في مجال النظافة وتشخيص أمراض الأهالي، و غيشنوت (GUICHENOT) موظف سابق في متحف باريس وعضو مساعد في اللجنة اختص في التاريخ الطبيعي واشتغل على جرد أنواع الأسماك والزواحف نشرها في دورية خاصة² ونيكولاس بوفي (BOVE) الذي تميز برحلاته إلى المشرق وألحق باللجنة واختص في الزراعة اعتمد على تواصله مع السكان وساعده في ذلك إتقانه للغة العربية، غير أن إمكانياته العلمية بقيت محدودة مات بالجزائر دون أن يتم أعماله.³

3-3 الأعضاء الدائمون

رئيس اللجنة العقيد بوري دي سان فانسان (DE SAINT VINCENT) واسمه الكامل JEAN BAPTISTE GENEVIEVE MARCELLIN وهو باحث مختص في علم النبات والحيوان ترأس اللجنة العلمية في موريا باليونان - أنطوان ميشيل كاريت (CARETTE) نقيب خدم في الجيش الفرنسي منذ 1835م، درس بعناية التاريخ القديم للجزائر عين عضوا في اللجنة وعمل كمترجم لاتقانه للغة العربية إلى جانب اللغة التركية بالإضافة إلى اختصاصه التاريخي من إنجازاته خرائط حول الجزائر القديمة، اشتغل على جمع معلومات أثرية عن إفريقيا الرومانية، وعن التقسيم الإداري للجزائر خلال العهد الروماني فاستحق تشجيع أكاديمية العلوم - الآداب

¹ BALTEAU (Jules) *Dictionnaire de Bibliographie Française* Éd : Letouzey et Ané, T 1, Paris, 1932 pp. 979-980.

² Archives nationale F° 17 cartons 3913 (Dossier GUICHENOT)

³ Ministère de la guerre: *Tableaux de la situation des Etablissements Français dans L'Algérie en 1840*, Imp, Royale, Paris 1841, p 110.

والفنون -¹ و باكويي (BACCUET) نقيب في فرقة الفرسان اهتم بتصوير المناظر - لويس أدريان بير بروجر (BERBRUGGER) محافظ مكتبة الجزائر عين عضوا في اللجنة بتاريخ 21 أوت 1839م على الرغم من انجازاته العلمية الكثيرة حول آثار الجزائر إلا أن أبحاثه ضمن اللجنة لم تكن مرضية وبيليسيه دي رونو (DE REYNAUD) ضابط في الجيش الفرنسي شارك في غزو الجزائر واحتلالها كما تدرج في المناصب العسكرية اشتغل ضمن طاقم البعثة في اختصاص التاريخ والتقاليد والمؤسسات الجزائرية، بروسبير أونفونتان (ENFANTIN) من السانسيمونيين اشتغل في المجال الاثنوغرافي تميز بعدم انضباطه وخروجه الدائم عن التعليمات المنصوص عليها غالبا ما تحدث إلى الصحافة الشيء الذي اعتبره رئيس اللجنة خروجاً على مشاريع البحث،² دونوفو (DENEVEU) نقيب في جيش الأركان استدعي للخدمة ضمن الفرقة الثالثة والخمسين من المشاة اختص في الجغرافيا والفيزياء حصيلة أعماله مجموعة ملاحظات في طقس الجزائر نشرت سنة 1846م، وميشال شال ديريو (DURRIEU) نقيب في الفرقة الثالثة والستين من المشاة اختص في النبات تميز بحماسة العلمية، استدعي إلى فرنسا سنة 1842 وعاد إلى الجزائر برخصة استثنائية إلى غاية 1847م سافر إلى الأطلس والصحراء وجمع فيها أنواع النبات اشتغل بعد تقاعده من الجيش سنة 1848م مديراً لحديقة بوردو (BORDEAUX) دي شاي (DESHAYES) اختص في تصنيف أنواع الحيوان ومعرفة بيئتها جون جاك لوفيون (LEVAILLANT) نقيب في الفرقة التاسعة مشاة اختص في علم الطيور والثدييات، لم تلق أعماله استحساناً من قبل اللجنة ليون فودوايي (VAUDYER) مهندس معماري اقترح للعمل من قبل أكاديمية العلوم غير أنه سرعان ما استقال وعين مكانه رافوازيي (RAVOISIER) بير هيبوليت لوكاس (LUCAS) عمل عضواً مساعداً في التاريخ الطبيعي اختص في تصنيف الحشرات³ إيميليان رونو (RENOU) نقيب في الجيش الفرنسي اشتغل على الجيولوجيا وعلم المعادن⁴ أدولف ألفونس دولامار (DELAMARE) نقيب في سلاح المدفعية في الجيش الأفريقي

¹ A.I.B.L ... séances 1841.

² C.A.O.M, Serie F° 80, Carton 1596. (Dossier ENFANTIN)

³ C.A.O.M Serie F° 80 Carton 1597 (Dossier LUCAS)

⁴ C.A.O.M Serie F° 80 Carton 1598 (Dossier EMILIEEN RENOUE)

بالجزائر عين في نوفمبر 1840م عضوا مساعدا في عمل اللجنة وحصل على ترسيمها في 1841م، اقتص بالآثار هنري رافرجي (RAVERGIE) تم اختياره من طرف وزارة الأشغال العمومية كمختص في علم المعادن إلا أنه اشتغل مع المجموعة النباتية¹، وأما بل رافوازيي (RAVOISIER) باحث معماري شارك في بعثة موريا 1829م، تم اقتراحه من طرف وزير الأشغال العمومية بعد استقالة فودوايي (VAUDOYER) جون لويس جونوفياي غيون (GUYON) انضم الى الجيش الفرنسي منذ 1833م خدم كطبيب جراح تميز بعدم انضباطه في عمل اللجنة من انجازاته ملاحظات طبيّة في الجزائر له أبحاث تاريخية واثنولوجية.²

4- مهام اللجنة

أكد التقرير الذي رفعته اللجنة بتاريخ 23 جويلية 1838 على ضرورة أن يكون البحث والاستكشاف شاملا لكل المجالات من ذلك التاريخ الطبيعي الذي حدّد أنواع الحيوان والأسماك بنوعيتها أسماك المياه العذبة والبحرية وأنواع الأصداف واللائي والمرجان (الشعاب المرجانية) وضرورة اعتماد الباحث في استكشاف الشاطئ وصبر أغواره على استخدام جهاز ابتكره بولان (PAULIN) مكن الإدارة الاستعمارية من استثمار المناطق التي احتوت على هذه النماذج في تطوير قطاع السياحة والصناعة وتوجيه اقتصاديات هذه الأقاليم، وجعلها مكتملة للاقتصاد في فرنسا الأم (المتروبول).³

استعرض التقرير ضرورة استكشاف وجمع وإحصاء كل أنواع النبات ووضع خرائط جغرافية لمناطق انتشارها بما فيها عقد مقارنة بينها وبين تلك التي تنمو في فرنسا وأوروبا عموما مع تقديم كشف طبيعي لنباتات المناطق الجبلية والأطلس التلي وضاف الوديان وتلك التي تنمو في المناطق الساخنة على أن تجرى أبحاث على الأشجار والنباتات الموسمية وعلاقتها بكميات الأمطار المتساقطة اعتمادا على جهاز الباروميتر ومقاييس الرطوبة المحددة لمعدلات الطقس وكميات هطول الأمطار وإجراء أبحاث على نباتات لها استخدامات طبية علاجية بما في ذلك

¹ C.A.O.M Serie F° 80 Carton 1598 (Dossier RAVERGIE)

² Archives nationale F° 17 Carton 3163 (Dossier GUYON)

³ Dumeril (M) Rapports Concernant La Zoologie, Rapports De La Commission Rapports De La Commission., op Cit, p 4.

كيفية تقليم الأشجار وتلقيحها للاستفادة منها في تحسين الإنتاج الزراعي اعتمادا على جرد قدّمه العالم المختص في نباتات شمال إفريقيا ديسفونتان (DESFONTAINES) سنة 1783م ونشره في مهمة علمية إلى كل من الجزائر وتونس.¹

حتى وإن بدا المنهج علميا في استخلاص النتائج فقد ظهر التوظيف الاستعماري واضحا في كيفية التعامل مع مستوطنين جُدد، اعتادوا على بيئات متنوعة وطبيعة نباتية خاصة، أراد الباحثون من خلال هذه الدراسات المبكرة إعطاء انطباع خاص للأوروبيين حول نجاح التجربة الاستعمارية في بعدها الاستيطاني اعتمادا على نماذج نباتية ملائمة لنمط معيشة المستوطنين وثقافة استهلاكهم خاصة المنحدرين من الأصل اللاتيني.

أما في مجال الجيولوجيا فقد انصبّت الاهتمامات الأولى على معرفة أنواع التربة ومكونات طبقات الأرض، وما احتوته من مخزونات معدنية استخدمت في التصنيع أكدّ التقرير على خصوصية الجزائر كأرض عذراء لم يشرع في استغلالها تميزت بالكثير من التنوع في بناها الجيولوجية، ترسبات ثلوثية اكتشفها بعض رحلتهم ومظاهر سطح معقدة وكتل جبلية من الحجر الجيري ربما احتوت -في نظرهم- على مستودعات ضخمة من المياه يمكن استخراجها بالتقنية الأرتوازية على عمق معين، أشار التقرير إلى ضرورة الاعتماد على هذه الدراسات باعتبارها مثلت منطلقا لاكتشافات ساعدت طاقم اللّجنة في إنجاز مهمته بما فيها اكتشاف جيولوجيا الصحراء من خلال قيام أفراد البعثة برحلات إليها في ضوء وجود مخزونات من المياه الباطنية تحت رمالها إذ من السهولة بمكان ملاحظة انتشار بخار الماء في درجة حرارة مرتفعة تغطي كل مناطق الجنوب تقريبا إضافة إلى الينابيع الحارة المنتشرة في أرجاء الجزائر والصخور التي حملت في طياتها كمّيات من الكبريت وودائع الفحم تصلح لئ تكون وقودا للسفن البخارية² ألحت البعثة في عملها الذي تعلق بالمظاهر الجغرافية على ضرورة وضع خرائط جديدة للمستعمرة، أتاحت لضباط الأركان القيام بمهام المسح الطبوغرافي وتعيين المناطق الأهلة بالسكان أو ذات الأهمية العسكرية ، لاستخدامها في تسهيل مسارات الجيوش الفرنسية وتفادي

¹ BRONGNIART (Alaxendre) Rapports Concernant La Botanique, Rapports De La Commission..., op.cit pp 7. 8

² DE BEAUMON (ÉLIE) Rapports concernant La Géologie, Rapports De La Commission ... ibid, p12.

الخسائر الناجمة عن الجهل بطبيعة الأرض، فالخنادق والشعاب والمنحدرات الجبلية غالباً ما كانت منطلقاً لهجمات قام بها الجزائريون ضد الجيش الفرنسي، كما أن تتبع تحركات المقاومة ونصب الكمائن خلف خطوط جيش الأمير عبد القادر وتوزيع الفرق العسكرية، من مهام سلاح الهندسة اعتماداً على خرائط ضباط الأركان وقادة الفرق. أشار التقرير في شقه العسكري إلى ضرورة القيام بتصحيحات دورية للمواقع الثابتة عن طريق التواصل مع (الأهالي) واستبيان المفاهيم والأسماء المرجعية الشائعة الاستخدام بينهم، بما فيها الاستعانة بتقنيات البوصلة والخرائط لتحديد المناطق الصالحة للاستيطان.¹

طرحت اللجنة العلمية مسألة صحّة المستوطنين أولاً وقبل كل شيء إذا ما أرادت فرنسا الاحتفاظ بالمستعمرة، فإحصاء الأمراض والأوبئة المنتشرة في المناطق الجزائرية وشروط الوقاية منها أمر أساسي في هذا الشأن، أكدّ التقرير على وجوب زيارة الأماكن التي تتجمع فيها المياه كالمستنقعات الراكدة التي تعدّ بؤرة للحشرات والأمراض الموسمية خاصة مع فصل الصيف مع وجوب الاعتماد على الوثائق التي أرّخت للأوبئة ومعرفة مصدر انبعاثها وانتشارها عن طريق العدوى بالرياح والمناخ والحرارة التي تشابه البيئة الاستوائية والعروض المدارية على غرار الطاعون الذي ضرب مدينة الجزائر سنة 1818م وكان منشأه مصر من خلال أعراض حمى شديدة سميت بالشفاه الغليظة وأخرى ظهرت على شكل طفح جلدي مثل التيفويد،² أما فيما يخص الشبكة الهيدروغرافية والملاحة فطرحت اللجنة في تقريرها مسألة السواحل من خلال استثمار الخليجان ووضع خرائط لها اعتمدت في بناء الموانئ لنقل موارد المستعمرة ومرافق استغلت لصيد الأسماك، كما ألحّ التقرير أيضاً على ضرورة تجميع المعلومات بشأن توزيع الأودية ومعرفة مسالكها،³ أما فيما يخص الصناعة الجزائرية فأكدّ التقرير على ضرورة الاطّلاع على الصناعة الجزائرية وحرف السكان (الأهالي) وتوظيفها في أعمال تجارية مكتملة لاقتصاد فرنسا الأم (المتروبول) كالخشب

¹ DE SAINT-VINCENT (BORY) Rapports concernant La Géographie Et La Topographie, Rapports ...ibid, p50.

² SERREE. Rapport Concernant La Medecine, Rapports De La Commission ... op. cit, p54.

³ FREYCINET (Louis) Rapports De La Commission L'hydrographie Et La Marine, Rapports De La Commission... ibid p 65

المستخدم في المباني والمنشآت وأنايب الفخار وطرق النسيج لديهم من ملابس وأفرشة وزراعة زيتون وكيفية استخلاص الزيوت منها لاستخداماتها في الإضاءة¹

5- مسارها الاستكشافي: (1839م-1841م)

مع وصول اللجنة عملت على نصب مخيمها على تخوم مدينة الجزائر وبدأت في تقسيم أفرادها كل حسب اختصاصه المعد سلفا ضمن برنامج المهمة، قام بيربروجر المتخصص في الآثار بتفقد المواقع الأثرية الرومانية فزار شرشال أولا واحدة من أربع مواقع هي جميلة وتيمقاد وقلمة حددتها اللجنة ضمن برنامج عملها فحرر تقارير علمية تضمنت أخذ عينات وملاحظات لمكتشفات أثرية، كما قام بعض أعضاء الفريق بأخذ عينات من المواقع قيد الدراسة خاصة ما تعلق منها بالجانب الحيواني والنباتي وجيولوجيا المعادن، كما قام بعض أعضاء الفريق مثل باكويي (PACUET) بتصوير لوحات ونماذج وأشكال توضيحية استجمعت عند الضرورة.²

لكن هل سار النشاط البحثي وفق برنامج حرّ ونزيه أملتة الشروط الموضوعية للمستعمرة؟ أم خضع لمخبر إيديولوجية كان الدافع السياسي الاستعماري عاملا مهما في صياغتها؟

بيّن الواقع تحرك أفراد اللجنة وفق برنامج وزارة الحربية الذي أملاه الوزير نفسه، فقد اشترط على اللجنة أولا وقبل كل شيء جمع بيانات حرارية على مدار السنة في المناطق التي تشهد تقلبات في الطقس، بما يعطي إشارة إلى اهتمام السلطات الاستعمارية بمناخ المستعمرة، وبالتالي تفادي خسائر أعاققت عمليات التوسع العسكري أو شكلت عاملا مثبطا في استقرار المستوطنين وإلاّ كيف نفسر تحرك طاقم اللجنة باستجلاء المناطق التي احتوت على ثروات الجزائر وقام خبراء المعادن والباحثون في الجيولوجيا والنبات والحيوان بالاشتغال عليها؟ بل لماذا استقدم هؤلاء أصلا؟ ولماذا شكلت تخصصاتهم موضع اهتمام في برنامج الرحلة؟ وما الذي دفع السلطات الاستعمارية إلى الموافقة على اختيار بروسبير أونفونتان (ENFANTIN) وهو الباحث في مجال الاثنوغرافيا والمعروف بانتقاداته اللاذعة للحكومة الفرنسية ضمن طاقم اللجنة غير محاولة استجلاء طبيعة الأعراق والتقاليد والعلاقات الاجتماعية والمؤسسات المرجعية للسكان الجزائريين

¹ SEGUIER, Rapports Concernant L'industrie Algérienne, Rapports De La Commission... ibid pp 68-69

² C.A.O.M, Série F° 80 carton 1599 (Dossier PACUET)

مكنت الإدارة الاستعمارية لاحقا من وضع برنامج سياسي وإداري بُني عليه التعامل معهم وبالتالي تفادي انتفاضاتهم المتكررة وهو الشيء الذي حصل فعلا بإنشاء المكاتب العربية في 12 فيفري 1844م.¹

تلقى بعض أفراد الطاقم إشعارات بالتوقف عن العمل نهاية شهر أكتوبر 1841 م وكانت مفاجئة لهم بررته السلطة الاستعمارية بنقص الموارد المالية المخصصة للبحث شمل التوقيف أونفونتان وغويون وبيربروجر ورافوازي ومورلي وباكوي وبيري² لكن لماذا استثنى بعض أفراد الطاقم العلمي من إشعارات التوقف؟ ولماذا لم تكن شاملة للجميع؟ الملاحظ أن جل من شملهم التوقيف ينتمون إلى تخصصات تاريخية أو اثنوغرافية أو أثرية تم انتقائهم من طرف أكاديمية الآداب والفنون أو دخلوا في خلافات مع السلطات الاستعمارية في الجزائر على غرار بروسبير أونفونتان الذي حاول إعادة استقراء التاريخ من منظور إيديولوجي اشتراكي أصبحت فيه أبحاثه موضع ترصد مستمر إضافة إلى انتقاده الدائم لعمل الحكومة الفرنسية³ وقد يعزى ذلك إلى تخوف الإدارة الاستعمارية من وصوله إلى نتائج عكسية صادمة حول أصول وهويات سكان الجزائر والتي أراد الاستعمار استغلالها في التسويق لوجود إثنيات عرقية اعتبرها بمثابة حاضنة اجتماعية للاستعمار الشيء نفسه حصل مع الدكتور وارنيي (WARNIER) وهو طبيب جراح اشتغل في عمالة قسنطينة والذي أبدى امتعاضه من تدخل السلطة العسكرية حتى بلغ حد العداء المباشر بينه وبين الجنرال نيقريي (NEGRIER) حاكم العمالة بعد محاولة الأخير توجيه أبحاثه بما يتماشى والمصالح الفرنسية عند إشارته إلى القبائل العربية المتواجدة في العمالة.⁴

لم تقتصر متاعب الفريق مع السلطات الاستعمارية التي اتهمت بالتضييق على تحركات أعضائه تارة وبين محاولة التدخل في توجيه مسار الأبحاث تارة أخرى، بل ساد الخلاف طاقم البعثة نفسه، فاتهم رئيس اللجنة بوري دي سان فانسان بمحاولة الاستئثار بالنتائج المحققة ابتغاء الحصول على تقدير وزارة الحربية، كان الأخير طموحا للغاية في استعجال الحصول على التقارير

¹ Recueil Des Actes Du Gouvernement De L'Algerie (1830-1850), Imp, Du Gouvernement, Alger 1856, p 269.

² C.A.O.M. Série F° 80 Carton 1599

³ Numa (B) : Les Grandes Missions..., op cit, p 320

⁴ C.A.O.M, Serie F° 80, Carton 1590 (Dossier WARNIER)

بل وربما دفع به الأمر إلى إنهاء خدمات بعض من تأخروا في كتابة تقاريرهم أو تماطلوا في تقديم أعمالهم مثل أدولف دي بارو (DE BARREAU) المختص في النبات الذي طلب راحة موسمية أملاها وضعه الصحي ردًا عليه رئيس اللجنة بمراسلة وزير الحربية إنهاء مهمته.¹

6- لجان النشر

تم تكليف أكاديمية العلوم بجمع الوثائق من أعضاء اللجنة تمهيدا لنشرها إذ لا جدوى من القيام بعمل البحث دون إتمام توثيقه، غير أن توفير مستلزمات الطبع وإعادة قراءة الوثائق والتدقيق فيها تطلب أيضا إنشاء لجنة مختصة لهذا الغرض في وقت أصبح فيه بعض أعضاء اللجنة دون وظيفة كما تم تهميش الباقي مثل بروسبير أونفونتان الذي ناشد وزير الحربية التدخل لصرف مستحقات البحث والإسراع في نشر أعمال فريق البحث.²

عمل بوري هو الآخر على مراسلة وزير الحربية للقيام بشيء ما أملا في تسريع إجراءات الطبع والنشر فسننتان ونصف - حسب رأيه - من الأبحاث العلمية في إفريقيا كافيتان لإعطاء نموذج متحضر لأوروبا التي لم يتمكن الفرنسيون من إبرازها سابقا في إشارة إلى اللجنة العلمية التي رافقت حملة نابليون بونابارت على مصر سنة 1798م وفشلت في توثيق ما توصلت إليه من اكتشافات أثرية.³

كلف وزير الحربية من طرف ولكينار (WOLCKENAER) بتشكيل لجنة احتفظت بنفس التسمية - لجنة اكتشاف الجزائر العلمي - منحها الوزير صلاحية مطلقة في التسيير والإشراف على تدقيق ونشر الوثائق وعد الاجراء ايجابية ومطمئنا لأعضاء اللجنة، فيما ألحت أكاديمية العلوم على الأخير تقلد المنصب في الاجتماع الذي عقد بتاريخ 29 أوت 1842 م وضم كلا من ديرو دولامال (DELAMALE) وراؤول روشات (ROCHETTE) وهاس (HASSE) وكاترومار (QUATEMERE) أين اقترحت تسميتها باللجنة الأكاديمية للنشر والتحقق⁴ توزعت مهامها كالآتي:

¹ C.A.O.M, Serie F° 80, Carton 1596 (Lettre de Bory au ministre de la guerre du 24 mai 1841)

² A.I.B.L ... Correspondance de 1842 (Lettre D'enfantin Au Nom De La Commission Au Ministre De La Guerre 19 Octobre 1842)

³ DE SAINT VAINCENT (B) **Expédition scientifique de Morée**, F.G Imprimeur Libraire, T 1, Paris ,1836 p 8

⁴ Service Historique de l'Armée de Terre, S.H.A.T ...H 227

- 1-والكينار، أمين أكاديمية العلوم - الآداب والفنون - رئيسا
- 2-جومار، رئيس التحرير بالإضافة إلى اختصاصه في الجغرافيا.
- 3- راؤول روشات وكاترومار وهاس وديرو دولامال اختصاص التاريخ والآثار
- 4- بوري دي سان فانسان، مختص في الطبوغرافيا والجغرافيا
- 5-بريسو دي ماربال (DE MIRBEL) مختص في علوم النبات
- 6-أراقو (ARAGO) مختص في علوم المادة
- 7-سار (SERRE) مختص في الطب
- 8-ديفريسيني (DE FREYCINET) الموارد المائية والملاحة
- 9- سيقبي (SEGUIER) الصناعة الجزائرية
- 10-بونسولي (PONCELET) الميكانيك
- 11- ديميريل (DUMERIL) مختص في علوم الحيوان
- 12- بارون ديبان (DUPIN) الاقتصاد والإحصاء والسياسة
- 13- لويس هيبوليت لوبا (LE BAS) مختص في العمران
- 14- برادبي (PRADIER) مختص في التماثيل
- 15-تارديو و ريكهوم (TARDIEU و RIC HOMME) مختصان في النقوش
- 16- هوراس فارنبي (VERNET) مختص في الرسم.¹

بدأت اللجنة في تجميع الأعمال والدراسات قبل أن تعترضها الكثير من العراقيل فلهوة واسعة بين أهدافها كجهة أكاديمية محايدة التزمت الموضوعية والأمانة وبين الأهداف المسطرة من قبل الجهات الوصية ممثلة خصوصا في وزارة الحربية التي طرحت مطالبها السياسية عند كل عملية نشر تقوم بها، كما طُرح مشكل إعادة القراءة ممثلة في المراجعة والتدقيق للتقارير العلمية التي دوَّنها الأعضاء في مهمتهم بما معناه حصولها على تفويض رسمي من قبل وزير الحربية نفسه مخافة السقوط في متاهة التأويل إضافة إلى مسألة سلطتها على دور الطباعة إذ يعد الإجراء كفيلا

¹ A.I.B.L ... correspondance... 1842 (membres de la commission de publication)

بقطع الطريق أمام بعض الأعضاء الذين حاولوا مرارا طبع تقاريرهم مباشرة في المطبعة الملكية دون المرور على التحكيم¹

تمثل التحدي الأكبر للجنة النشر في المخصصات المالية ومن يملك حق التصرف فيها كان لوزير الحربية صلاحية تنفيذ الأمر بالصرف ولكن إعطاء الأمر عاد إلى الغرفة البرلمانية التي دخلت في سجل عقيم حول آلية تسيير نفقات النشر.²

جمعت المنشورات في 23 أوت 1842م تصدرتها الأبحاث المتعلقة بالعمارة القديمة لرافوازي على خلاف زملائه الذين تأجل تقديم أعمالهم مدة سنة كاملة، لم يكن في مستطاع وزير الحربية دفع أعضاء اللجنة وإجبارهم على تقديم أعمالهم في الآجال المحددة أو الإسراع في كتابة تقاريرهم على الرغم من دعواته الملحة والمتكررة³ ناهيك عن صعوبة تصنيف الأعمال والعجز في التمييز بين التخصصات العلمية عند بعضهم مما استدعى إعادة ترتيب التقارير بما يتناسب والتخصص المسند لكل عضو، وهي حالة طرأت على العسكريين منهم خصوصا ممن افتقدوا إلى منهجية البحث العلمي الأكاديمي، فهذا بروسبيير باكويي (PACUET) وهو عسكري برتبة نقيب في الجيش الفرنسي صرح علنا بجهله العمل الأكاديمي⁴ شكلت سلبيات انتقاء الأعضاء سجلت على حساب وزارة الحربية، تدخلت أكاديمية العلوم - الآداب والفنون - وساهمت في تحرير تقارير بعض الأعضاء الذين عجزوا في إنجاز مهمتهم فاكتفوا بجمع المخطوطات والصور عن الأماكن محل الدراسة، بل والأكثر من ذلك اجتهدت في تعديل بعض النماذج لتظهر في شكل أكاديمي لائق، فالهوة واسعة بين الباحث وبين محرر المقال تحولت إلى احتقان وعداء دائم على غرار الباحث والرسام جون جاك لوفيون (LEVAILLANT) الذي افتقدت رسوماته للدقة والوضوح ودخل في صراع مع عضو لجنة النشر دوميريل (DUMERIL) بل وتعدى الأمر إلى تماطله في تقديم إنجازاته على الرغم من الإعدارات المتكررة له بوجود التقيد بالآجال المحددة، وكونه نقيباً في الجيش الفرنسي أرجع التأخر إلى التزاماته العسكرية فطلب إجازة مدتها سنة

¹ C.A.O.M Serie F° 80 Carton 1596.

² Service Historique de l'Armée de Terre, S.H.A.T, H 227 (Négociations Entre Le Ministre De La Guerre Et Les Chambres Parlementaires)

³ A.I.B.L ... correspondance... 1842 (Dossier RAVOISIER).

⁴ C.A.O.M Serie F° 80 Carton 1593 (Dossier pacuet).

لاستكمال أعماله غير أن لوفيون (LEVAILLANT) وعلى الرغم من منحه الإجازة بقي على إهماله ومماطلته الشيء الذي دفع وزارة الحربية إلى توجيه توبيخ له ومطالبته بإرجاع المنح التي حصل عليها سابقا.¹

7-الانجازات العلمية (الكتب، التقارير، الدراسات)

صادق وزير الحربية على أمرية البدء في طبع المنشورات العلمية حسب التخصصات المبينة احتوت على برنامج محدد بآجال زمنية امتد إلى غاية سنة 1848م وتم الاتفاق على صفحة الغلاف الخاص بالمنشورات تحت العنوان التالي:

Commission Scientifique D'algerie Premiere Exploration 1840-1842

خاص بالمنشورات التي طبعت سنة 1842م، أماالعنوان الثاني فكان:

Exploration Scientifique Historique Et Archeologique De L'algerie Pendant Les Annees 1840 - 1841 Et 1842 Par La Commission Scientifique Publiee Par Ordre Du Gouvernement Sous La Direction De La Commission Prise Dans Le Sein De L'institut De France

واختص بالمنشورات التي طبعت سنة 1843 م وما بعدها.²

1-7 العلوم التاريخية والجغرافية:

- دراسات حول المسالك والطرق العربية في القسم الجنوبي الشرقي من الجزائر و إيالة تونس-

للنقيب في سلاح الهندسة أنطوان ميشال كاريت (Antoine Ernest Hippolyte Carette) وحمل عنوان:

Etudes Sur Les Routes Suivies Par Les Arabe Dans La Partie Meridionale Et De La Regence De Tunis Pour Servir A L'etablissement Du Reseau Geographique De Ces Contree Accompagnee D'une Carte Itineraire

قام المؤلف بجمع وثائق رحلات الإدريسي والبكري في شأن جغرافيا الجزائر وإقليمها الجنوبي أدرجها الكاتب في سياق ملاحظات افتقدت إلى الدقة العلمية فجل ما حققه

¹ A.I.B.L ... correspondance... 1842.

² C.A.O.M serie F° 80 carton 1594.

المستكشفان لا يعدو أن يكون - في نظر الكاتب - وصفا أقرب إلى التاريخ منه إلى الجغرافيا أشار الكاتبان إلى الممالك التي استوطنت إفريقيا وأخطأ كل منهما في تحديد الاتجاهات والمسافات بين الأقاليم والمناطق عند اعتمادهما على منابع المياه التي مثلت مبدأ تقليديا في القياس عند العرب وهو الخطأ نفسه الذي تكرر عند تحديدهم للمناطق على أساس ديموغرافي قبلي فقبيلة كتامة التي كانت تقيم بين نواحي سطيف وعنابة لم يعد لها وجود على الأرض التي كانت تستوطنها وبالتالي من الخطأ الاعتماد في توثيق الجغرافيا على الأحداث التي تؤرخ للأمم إذ أن حركية القبائل وتنقلها بين المناطق بحثا عن الأمن أو عن الكلاء هي من خصوصيات البدو الرحل.

اعتمد الكاتب على الجغرافي ليون الإفريقي من أصول أندلسية والمستكشف الانكليزي تشاو (SHAW) الذي عمل في قنصلية الجزائر قبل احتلالها، من خلال وثائق ومؤلفات قدمها الأخير عن مدن في الجزائر وتونس، غير أن اكتشافاته الطموحة لم تتعد الساحل (البربري) على حدّ وصفه كثير من الأفكار وقليل من الرّحلات، طرحت الكثير من الشكوك حول تلك المدن فوجود المستكشف من عدمه على الأرض - حسب رأيه - كفيل بتأكيد الحكم على الشيء أو نفيه.¹

انتقل كاريت إلى توضيح تقنيات العمل الجغرافي في قياس الأبعاد والمسافات بين معلمين (نظام القياس الرقمي) الذي لا يقبل الخطأ أو التغيير، فاعتمد على الأدلاء الذين قاموا بعمل وظيفي في تحديد الاتجاهات والأماكن، أضاف مشكلة اللّغة التي تحدث بها السكان واستوجب إحضار المترجم للتواصل والحصول على المعلومات التي تفيد الدّراسة... أضاف الكاتب... إلّا أن الاعتماد عليهم كآلية طرح شكوكا عميقة حول مصداقية العمل وتأثره بمرجعياتهم السّياسية والدّينية والقبلية وهي في نظر الباحثين من عيوب الاستدلال الجغرافي، ناهيك عن صعوبة الدّقة في اعتماد المصطلحات التي لا يستطيع الجغرافي التعبير عنها أو توضيحها فمصطلح القبيلة في

¹ CARETTE, (E), *Etudes Des Routes Suivie Par Les Arabes*, Exploration scientifique de L'Algérie Pendant les Année 1840-1841-1842 et Par ordre du gouvernement et avec le Concours d'une commission Académique, imp, royale, paris 1840 p 8

فهم الأهالي كثيرا ما اقتترنت بمظاهر السطح وتضاريس الطبيعة¹ إسقاط اعتبر سكان الجبال والصحراء قبائل لاستيطانهم هذه الأراضي وهو المنطق نفسه الذي يقودنا إلى تجريد فرنسا وأوروبا عموما وأراضي إفريقيا المنبسطة من نظام القبيلة بدليل عدم وجود تلك المظاهر منطوق غير سليم في نظرنا لمجتمعات اعتمدت في نسيجها الاجتماعي على نظام قبلي جوهره الأسرة لا يزال قائما في بعض مجتمعاتها وتجلت مظاهره حتى من خلال ممارساتها السياسية.

عاد الكاتب إلى استخلاص عيوب القياس عند العرب فأوجز اعتمادهم على قياس المسافات الذي ارتكز على أيام الرحلة، وهي المدة التي تقطعها القوافل للوصول إلى محطاتها التجارية، دون مراعاة لأسباب تؤدي إلى تأخر القافلة عن موعد وصولها المرتقب مثل عوامل الطبيعة كالعواصف أو تعرضها لغارة من قطاع الطرق، اضطرت خلالها إلى التوقف أو التخفي أو تغيير اتجاهها فالأساس عندهم متى انطلقت الرحلة ليس بالساعة بل بقياسا إلى الظاهرة الفلكية كأن نقول الظهيرة أو عند مطلع الشمس أو غروبها وهكذا..²

اجتهد الإدريسي في وضع تقدير للمسافة قارب إلى حد بعيد نظام الميل الذي ابتكره الرومان 1512 متر حسب كتابات دوسقايت (DUSGATE) - Notice Sur Les Poids -، Monnaies Et Mesures De Tunis لكن على الرغم من هذه الجهود التي بذلها الجغرافي والرحالة الإدريسي فإن جلّ العرب من سكان الجزائر كانوا يجهلون هذا القياس فالميل عندهم ليس وحدة لقياس الطبيعة بل هو وحدة قياس للتمييز بين طول الرجل و المرأة³

قام كاريث بتتبع مسارات رحلته في القسم الجنوبي من الجزائر عن طريق جرد للمسافة التي ربطت بين مدنها وقراها مع وصف للمناظر الطبيعية التي تخللتها رحلته والكتاب الذي ألفه الكاتب في سنة 1842 م لا يعدو أن يكون وصفا للطرق والمدن بطريقة يغلب عليها الحساب.

¹ CARETTE, (E), *Etudes Des Routes...op cit*, P40

² *ibid*, p LII.

³ *ibid*, p LVII

- أبحاث حول جغرافية وتجارة جنوب الجزائر

Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale

استعرض فيه الكاتب نفسه التقسيم الإداري والطبيعي للجزائر في قسمها الجنوبي الذي وصفه بالجزء الغامض واستلزم التأمل والاستكشاف

وهو من جزأين اختص الجزء الأول بدراسة الجانب الجغرافي حصره الكاتب بعمق 150 كلم إلى الجنوب من الساحل بين الحدود المغربية إلى إيالة تونس مروراً بالبيض المسيلة بسكرة وتقرت فيه وصف لمظاهر السطح والبيئة النباتية بوجه عام كزراعة النخيل والخضراوات والأشجار المثمرة كالتين التي انتشرت في الواحات، قام كاريت بالتواصل مع سكان الجنوب من الباعة والمتسوقين وساعده في ذلك إتقانه للغتهم مكنته من الاطلاع على جانب مهم من حياتهم وتقاليدهم وأنماط معيشتهم وأصناف النباتات وأنواع الحيوانات التي يستهلكونها.¹

استعرض المؤلف في الجزء الثاني التبادل التجاري ومختلف أنواع التجارة التي تتم بين القبائل بيعة وشراء، درس فيها وضعية الأسواق وطبيعة التعاملات النقدية، ونظام المقايضة بما فيها الطرق التي كان سلكها التجار والمتسوقون للوصول إلى الأسواق دراسة مكنته من تصنيف المنتجات الزراعية التي انتشرت في جنوب الجزائر والصحراء بشكل عام.²

Recherches - أبحاث حول أصل الهجرات للقبائل الرئيسية في شمال إفريقيا وتحديد الجزائر
Sur L'origine Et Les Migrations Des Principales Tribus De L'afrique Septentrionale

نشر الكتاب في 1853م احتوى على 499 صفحة، صنّف فيه الكاتب سكان الجزائر في العصر القديم اعتماداً على كتابات المؤرخين القدامى وهي الثعوت التي أطلقها كل من بتوليمي (PTOLEMEE) وسترابون (STRABON) وبلين (PLINE) وهيروودوت (HIRODOTTE) ألحقها بفصل تكلم فيه عن أصل (البربر) من خلال الكتابات التي أرّخت لهم، على غرار كتاب العبر

¹ CARETTE (E) : **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale**, imp: Royale Paris 1844

p9.

² ibid, p 161.

لابن خلدون والطبري إلا أنّ الكاتب رجح انحدارهم من مجموعات بشرية قديمة تسمى المازيك (MAZIQUE) استوطنت ألمانيا وسط أوروبا¹

صنّف الكاتب (البربر) إلى قبيلتين رئيسيتين هما البرانس التي ينتمي إليها كسيلة والبر التي تنتمي إليها الكاهنة استمدته من تاريخ ابن خلدون قام بعدها بعملية جرد للأنساب فالبرانس ومنهم كتامة ومصمودة ووربة وعجيسة وصنهاجة والبر ومنهم هواره ونفوسة والأدراسة.² استعرض كاريت التطورات السياسية للجزائر في قالب كرونولوجي استنادا على الوثائق التاريخية التي وصفت أحداث المغرب كالدولة التي أقامها الصنهاجيون في مدينة بجاية على يد حمّاد بن بلكين وتحولت فيما بعد إلى عاصمة لهم، ساق فيها العلاقات السياسية ومختلف المبادلات التجارية التي أقامها الصنهاجيون إلى غاية سقوط دولتهم.³

حدّد الكاتب موقع قبيلة مصمودة الجغرافي واستعرض التطورات السياسية التي حدثت فيها وثورتهم ضد المرابطين التي قادها ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي، أشاد الكاتب بالحكمة السياسية للأخير من خلال نظامه الضريبي وتماسك إمارته وتوسعها وتسامحه تجاه العرب بعد نجاح حملته عليهم في الصحراء، قبل أن يقوم بنو مرين بالانقلاب على الدولة الموحدية.⁴ وصف كاريت في كتابه أمراء العرب وصفا غير دقيق استعرض فيه قيام حسّان ابن النعمان بنهب ممتلكات (البربر) قبل أن يقوم عبد الملك بن مروان في سنة أربع وثمانين للهجرة بتقنين عملية النهب في إشارة إلى الخراج، كما قام فيها - حسب رأيه - بعملية تطهير عرقي لمنطقة الأوراس والناماشة من خلال تهجير قبائل هواره وزناتة ومكناسة من مواطنها الأصلية في اتجاه الغرب الشيء الذي أضعف قدرتها على مقاومة (احتلالهم) تلخصت أعمال العرب الفاتحين - في نظره - على النهب وسفك الدماء وسي النساء والأطفال عوض بناء المدن وتعميرها... أضاف قائلا... عومل (البربر) معاملة الوحوش الضارية جُلّ ما قام به العرب الغزو والإغارة على المناطق الآمنة التي لم تسلم منها حتى الواحات في قلب الصحراء، جرائم ألفها الغزاة في

¹ CARETTE (E) Recherches Sur L'origine Et Les Migrations Des Principales Tribus De L'Afrique Septentrionale Imp, Imperiale, Paris, 1853, p. 26.

² ibid, pp 45-46.

³ ibid, p. 100

⁴ ibid , p-123

مواطنهم الأصلية كتقطيع الآذان والأيدي وتشويه الجسد، طريقتهم في نشر الذعر بين الناس تحول فيما بعد إلى حركة تمرد وكراهية ضدّهم أدّت إلى مقتل عقبة بن نافع على يد كسيلة (حادثة تاهودة)¹ تفرقت بعدها جموع البرابرة في صحراء بسكرة وانتظرت أربع سنوات قبل أن تعيد توحيد صفوفها من جديد في مقابل هذا كله أبدى (البربر) حسن نيّة وكرم تجاه الغزاة..² في فصل أسماء عصر الفوضى التي حلّت بالمغرب أطلقه على الفترة التي تلت سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس استعرض كاريت أصداء التغيّرات السياسيّة في بلاد المشرق وانعكاساتها على بلاد المغرب، انقسم فيها الولاة-حسب رأيه- بين مؤيّد ومعارض للنظام الجديد استغل فيها (البربر) فرصة ضعف الدولة المركزيّة، فقاموا بتأسيس كيانات سياسيّة قطرية على غرار إمارة بني مدرار في سجلماسة وإمارة بني رستم في نواحي وهران،³ تلتها حركات تمرد وانفصال وثورات أدّت في النهاية إلى إعلان الأغلبة استقلالهم عن المشرق وتأسيس دولتهم على يد ابراهيم بن الأغلب في وقت سادت فيه قطيعة تامة بين ولاة الأندلس والسلطة المركزيّة في بغداد.⁴

تزامن ذلك مع هجرات بشرية قدمت من ناحية الشرق وحطّت الرّجال بأرضهم في إشارة إلى بني هلال وبني سليم لم تكن هذه القبائل التي استوطنت أرض المغرب - حسب نظره - تحمل مشروعا سياسيا يدعو إلى التمرد عن سلطة الإمارات المستقلة في بلاد المغرب، بقدر ما كانت تمارس النهب والتخريب للعمران والحضارة فأتجهت إلى اللّصوصية وقطع الطريق والإغارة على المدن والقرى فعلق قائلا: (...تحكمت القبائل التي هجرت المشرق واستوطنت بلاد المغرب في مصير هذه الرقعة الجغرافية، إذ كانت بداية تغيّر ديموغرافي مهد لانتشار الجنس العربي في بلاد (البربر) ليس عن طريق الغزو العسكري كما كان عليه الشّأن سابقا، بل عن طريق اكتساح أمواج بشرية أخذت في التوسع شيئا فشيئا وبطريقة بطيئة قرنا بعد قرن، ومع توسعها هذا تسارعت وتيرة التخريب والانحطاط ...أضاف ... لا يمكن مقارنة غزو الأمراء العرب لبلاد

معركة قرب بسكرة دارت بين كسيلة الذي كان يحمل حقدًا على عقبة انتهت بهزيمة الأخير واستشهاده.¹

² CARETTE, *Recherches Sur L'origine Et Les Migrations ...* op. cit, p ,86 .

³ ibid, pp-362 -363.

⁴ idem, p371.

إفريقيا بغزو هذه الجموع فإذا كان الأوّل ذا طبيعة سياسية، فإن الثاني كان ذا طبيعة اجتماعية... الأمر لا يتعلق بأشخاص حاولوا تزعم الأحداث واحتلال المدن وإخضاعها بقدر ما تعلق بقبائل حوّلت المدن في حد ذاتها إلى أطلال، قبائل لم تحمل معها أي شرائع أو قوانين تذكر بل أعراف اعتادت عليها طبيعتها الرّعونية... مثل الماء الذي يبعث عن مجراه ، واصلت مسيرتها التخريبية في اتجاه الغرب نحو المحيط الذي شكل العائق الوحيد أمام تقدمها محطة موروثا حضاريا تراكم على مدى 10 قرون من الزمن..¹

وعليه أخلط الكاتب في التفريق بين العرب والأعراب، وأسقط ثقافة البدو القائمة على النهب والفضوى على عنصر سُلالي حمل رسالة الحضارة (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)²

- دراسات حول بلاد القبائل: (Etudes sur la Kabylie proprement dite)

طبع الكتاب في المطبعة الوطنية سنة 1849م بعد إقرار الجمهورية الثانية لميزانية النشر التي اعتمدها الحكومة السابقة ملكية لويس فيليب (PHILIPPE) تناول فيه موضوع تاريخ وجغرافية منطقة القبائل باعتبارها المنطقة الحيوية الرئيسية في الجزائر المستعمرة، التي عرفت بتنوع مواردها الطبيعية وكثافة سكانها، قام الكاتب بعملية جرد أجاب فيها على التساؤلات الملّحة التي ارتبطت بالمصالح الفرنسية، مثل تعيين الحدود والتقسيمات الإدارية وطبيعة الأرض وتقاليده العمل والمعاملات التجارية ومصادر الثروة في بلاد القبائل وكذا العلاقات السياسية والاجتماعية بينها و الجرد الذي قام به كاريت ما كان ليتم - حسب رأيه - لولا تعاون السكان المحليين الذين قدّموا له معلومات ديموغرافية وحرفية كل حسب موقع تواجده ومهنته في القبيلة، وهكذا تم الحصول على المعطيات الضرورية التي تعلق بالدراسة.³

انقسم الكتاب إلى جزأين تعلق الجزء الأول بطبوغرافية بلاد القبائل، التي امتدت من دلس إلى خليج بجاية على مسافة بحرية تجاوزت مائة وستة وأربعون كلم تلاه وصف التجارة والسكان بينما خصّص الجزء الثاني لوصف مدن القبائل وقراها من زاوية تاريخية، تناول فيها مدينة بجاية

¹ CARETTE, *Recherches Sur L'origine Et Les Migrations ...* op. cit, p399.

² القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 110

³ CARETTE (E) *Etudes Sur La Kabylie Proprement Dite*, imp: Nationale, Paris, 1848, p 2

التي وصفها بالإستراتيجية والاقتصادية والعسكرية أهلها لأن تكون عاصمة الإقليم ضمت خمسة عشر مقاطعة، عيّن حدودها ووضع تقسيماتها الإدارية من مقاطعات ودوائر وبلديات فتح فيه المجال أمام تكريس التحكم والهيمنة والاحتلال، وصف الكاتب اللّغة المحلية التي تحدث بها السكان باللّغة الحية رغم ضعف مفرداتها وركاكة أسلوبها، حافظت لقرون عديدة على وجودها أمام لغات قوية دخيلة وحضارات قدمت إلى بلاد المغرب من كل الاتجاهات.¹

وصف الكاتب في الفصل الثالث بلاد القبائل بشكل عام فذكر الطرق الكبرى والمسالك التي اجتازها الرّحالة في أسفارهم كما وصف مجرى النهر الذي ينبع من يسّر ويصب في غابة أكفادو مجتازا طرقا ملتوية أعطت المنطقة منظرا جماليا قويا ورائعا.²

درس الكاتب في الفصل الرابع الحرف والأنشطة الاقتصادية المختلفة التي كان يمتهنها سكان القبائل، بدءا من زراعة الحبوب إلى صناعة الحُلي والذهب والعملات، واعتبر بعضها مخالفا للقانون ترقى إلى مستوى الجرائم في نظر الفرنسيين، لا لسبب إلا لكون ممتهنيها لا يتمتعون بتفويض قانوني يتيح لهم ممارسة النشاط من قبل السلطات، أما في ما يتعلق بالتجارة فقد خصص الكاتب جزءا من دراسته للأسواق الشعبية والمعاملات التي كانت تتم بين السكان من مختلف المناطق، كما وصف الطرق التجارية التي سلكها الباعة والمتسوقون، فالأسواق حسب رأيه ليست مقصدا للربح فقط، بل تجمعا سياسيا ومكانا تفض فيه النزاعات يجتمع فيه القاضي الذي ينحدر من أصول مرابطية أولا ويحمل مرتبة دينية نتيجة لعلمه بأمر الشرع والقضاء ثانيا يُعيّن مكان اجتماعه إلى جانب شجرة مثلت بعدا روحيا لاهوتيا أو إلى جانب ضريح ولي صالح انتسب إليه السكان في إشارة إلى وجوب الخضوع لأحكامه التي تحمل صفة نافذة، غير أن اختصاصه لا يتعدى الأمور المدنية - حسب نظره -³ لقي أسلوب القضاء الجزائري إعجابا من قبل الكاتب، الذي قام بمقاربة بينه وبين القضاء الفرنسي حيث أكّد قائلا " يحتكم فيه الجميع

¹ CARETTE (E) *Etudes Sur La Kabylie...*, op, cit..., p 6

² ibid, p7

³ ibid, P 12.

إلى الطريقة الدّينية التي ينتمون إليها فلا وجود لتكاليف مالية تفرض على المتخاصمين ولا أجرة للقاضي وهي حالة تعم الجزائر ككل¹

خصص الكاتب فصلا استعرض فيه المسار التاريخي لبلاد القبائل التي اعتبرت على مدى أزمنة طويلة أرضا مستقلة بكيانها السياسي القبلي المستمد من مظاهر سطحها المحصن بسلاسل جبلية، أطلق عليها الرومان قديما سلاسل الحديد، امتزجت في نظامها الاجتماعي والسياسي ثلاث كتل أرستقراطية ودينية وديمقراطية فروح الديمقراطية حسب نظر الكاتب سادت كل طبقات المجتمع من خلال معاملاتهم وقوانينهم وتجارتهم، بتغير سلس للسلطة مرة كل سنة نهاية فصل الصيف حيث يجتمع شيوخ القبيلة لتحديد موعد الانتخاب العام الذي يستفتى فيه السكان لاختيار ممثليهم.²

– مذكرات تاريخية وجغرافية حول الجزائر

(Memoires Historiques Et Geographiques Sur L'Algerie)

تناول بيليسيه دي رونو مؤلف الكتاب الأحداث التي وقعت في بلاد المغرب والجزائر في قالب كرونولوجي بدءا من سقوط غرناطة 1492م إلى غاية 1816م تاريخ الحملة البحرية الانكليزية للورد إكسماوث (EXMOUTH) على ميناء الجزائر، استهلها بالحملة الأسبانية على ميناء مرسى الكبير من قبل الإسبان في 11 سبتمبر 1505م، أرجع أسباب النصر إلى سوء تقدير توقيت وصول القطع البحرية المعادية المدافعة عن شواطئ الميناء، ناهيك عن تأخر وصول المدد إلى موقع المعركة بعد نشوبها الأمر الذي أتاح للإسبان النزول بالمرسى الكبير واحتلال مينائه،³ وشجّع الإسبان على المضي في مشاريعهم لإخضاع باقي أراضي الساحل الإفريقي من مدن وقرى قاموا بمحاصرتها كمدينة وهران سنة 1509 م التي حظيت فيها حملتهم بمباركة الكنيسة الكاثوليكية من خلال الدعوة التي أطلقها الكاردينال غزيميناس (XIMENES) مشجعا على المشاركة وتواطأ فيها اليهود مع بعض القادمين من الأندلس بعد عملية استطلاع قام بها الغزاة

¹CARETTE (E) *Etudes Sur La Kabylie...*, op, cit, P 12.

² Ibid, P 14.

³ DEREYNAUD, (Pellissier) *Mémoires Historiques Et Géographiques Sur L'Algérie* Exploration Scientifique De L'Algérie Pendant Les Années 1840 imp. Royale, 1844, p 8

للأراضي المجاورة للمدينة ونجحوا على إثرها في عملية الحصار ومن ثم احتلالها كلية والقضاء على حاميتها العسكرية، فر بعدها السلطان أبو عبد الرحمن مع بعض جنوده وكانت مقدمة لسقوط المدن والمرافئ الجزائرية تباعا الجزائر ودلس ومستغانم وتلمسان في وقت انشغل فيه سلاطين بني زيان بعقد اتفاقيات تفاهم مع الأعداء وحكم إماراتهم بالوكالة عن الملك الاسباني.¹

تابع الكاتب سرد الأحداث التاريخية فاستعرض مجيء الأتراك العثمانيين وصعود القوة البحرية لهم في الحوض الغربي للمتوسط، وصف الكاتب الأخوين عروج وخير الدين بالقراصنة² اللذين عملا على الاستيلاء على مدينة تلمسان بالتزامن مع حملة دون دييغو (DON DEIGO) على مدينة الجزائر والتي انتهت بالفشل إثر معركة بحرية جرت سنة 1518 م وقتل فيها أربعون بحارا وأربعة آلاف مقاتل اسباني، ألح السكان في طلب تولى شؤون الإمارة من خير الدين الذي خلف أخاه بعد مقتله في المعركة، غير أنه اشترط موافقة السلطان العثماني سليم الأوّل على طلبهم³ أملا في مساعدته لهم وهو الأمر الذي تحقق بعد ذهاب وفد من مدينة الجزائر إلى الاستانة، تحررت بعدها مدن تلمسان وتنس تباعا وفشل الاسبان في استرجاع المدن من الأتراك رغم حملاتهم المستميتة في وقت تصاعدت فيه القوة البحرية للجزائر بدعم من السلطان العثماني سليمان القانوني، قام خلالها خير الدين بإبرام اتفاقيات صلح مع القبائل لتوسيع سلطته التي شملت مدينة قسنطينة حيث استعادها من سلطان تونس⁴ أكد الكاتب على بقاء ميناء مدينة الجزائر تحت سلطة الاسبان الذي استعاده خير الدين لاحقا بعد حصار متواصل⁵

توالت حملات الأوروبيين ضد الجزائر في محطات مختلفة من التاريخ وصفها الكاتب بحملات المذّ والجزر تخللها معاهدات سلام بين القراصنة الأتراك -على حد وصفه - وممالك أوروبا كمملكة فرنسا التي أبرمت عقود كراء لموانئ القالة وامتيازات تجارية واقتصادية أخرى وتكلفت بمعاهدات سلام تبادل فيها البلدان السفراء والقناصل بينهما.⁶

¹ DEREYNAUD, (Pellissier) *Mémoires Historiques Et Géographiques Sur L'Algérie...*, op cit, pp 14-16.

² ibid, p. 23.

³ idem, p. 34

⁴ idem, p.44

⁵ idem, p. 36.

⁶ DEREYNAUD, (Pellissier) *Mémoires Historiques Et Géographiques Sur L'Algérie...*, op cit, pp. ,289

- تاريخ إفريقيا للقيرواني *Histoire de l'Afrique de Mohammed ibn Abi Raini*

Alq'airouani لنفس الكاتب وهو ترجمة لكتاب القيرواني الذي وصف فيه بشيء من الوضوح والدقة والنقد كل ما كتبه المؤرخون السابقون عن بلاد البربر عموما منذ الغزو الإسلامي لبلاد المغرب على يد عقبة بن نافع الفهري

الكاتب وان كان بصدد التأريخ لتونس فانه قام باستطراد الأحداث التي مرّت على المغرب ككل كونه شكل وعلى مراحل مختلفة من التاريخ وحدة جغرافية متكاملة تداولت على حكمها العديد من الممالك كالخلافة الإسلامية للأمويين وبنو العباس ومملكة الأغالبة والفاطميين والمرابطين والموحدين. لم يعرف المغرب - حسب نظره - استقلالاً متميزاً إلا بعد سقوط دولة الموحدين سنة 1212م حكم الزيانيون المغرب الأوسط (الجزائر) وحكم الحفصيون المغرب الأدنى (تونس) في وقت خضع المغرب الأقصى لحكم المرينيين استطرده بسرد أحداث (بلاد البربر) دون استثناء . استفرد بعدها بدراسة تاريخ تونس خلال حكم بنو حفص ومن بعدهم الأتراك إلى غاية 1681م فوصف تونس¹ تلاه لوصف افريقية ككل أي " بلاد المغرب "² ثم غزو الأمراء العرب والولاة الذين تداولوا على حكم المغرب في الفصل الثالث³. وفي الفصل الرابع تناول فيه الدولة العبيدية من ولاية الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الملقب بالإمام المهدي إلى العاضد لدين الله أي الفترة الزمنية التي امتدت من سنة 909م إلى غاية 1171م، وفي الفصل الخامس تناول الأمراء الصنهاجيين⁴ من عهد منصور بن بلكين بن زيري بن مناد إلى الحسن بن علي بن المعز بن باديس . أما الفصل السادس فتناول فيه الكاتب دولة بنو حفص⁵. من خلافة عبد المؤمن إلى إدريس بن سعيد شمل نظام الحكم الذي أسسه المولى أبو محمد إلى السلطان محمد استعرض في الفصل السابع الحكم العثماني مع مجيء سنان باشا انتهاءً بالبباي حسن علي⁶.

¹ DEREYNAUD (P) : *Histoire De L'Afrique De Kairaouani*, imp, Nationale, Paris, 1848, p 1.

² ibid , p. 21.

³ idem, p. 36.

⁴ idem, p 89

⁵ idem, p 124

⁶ DEREYNAUD (P) : *Histoire De L'Afrique De Kairaouani*, op cit, p 305.

– رحلات في الجنوب الجزائري والإمارات البربرية في الشرق والغرب
(voyages dans le sud de l'Algérie et des États Barbaresques de l'Ouest et de l'Est)

للكاتب أدريان بيربورجر وهو ترجمة لمخطوطين يعودان لصاحبيهما العياشي والمولى أحمد ملحق بمعلومات عن مسار رحلة تازة - تونس للكاتب فابر (FABRE) جلبهما الكاتب من مكتبة الجزائر احتوى على أربعة مائة وخمسة وخمسين صفحة، تناول فيه ملاحظات عن رحلة العياشي والمولى أحمد فوضح معنى الصحراء عند العرب وصحح المفهوم الذي انتشر عند بعض الفرنسيين اعتمادا على مظاهر السطح الذي طغت عليه الرمال أضاف يعد شاطئ سيدي فرج وتخوم سهل متيجة أراض صحراوية إذا ما قمنا باحتساب هذا المعيار في حين يعني مصطلح الصحراء الأرض غير المعمّرة الخالية من السكان، حدّد بعدها موقعها الجغرافي الذي امتد على شكل حزام من تافيلالت بالمغرب الأقصى إلى حدود طرابلس، تساءل الكاتب عمّ إذا كان ضمّ هذه الأراضي الشاسعة إلى الوطن الأم (الميتروبول) بإمكانه مضاعفة قوة فرنسا الاقتصادية والديموغرافية ويزيد من تعزيز تفوقها العسكري¹

قام الكاتب بسرد رحلتي الحج للعياشي والمولى أحمد فوصفهما بالشخصيتين المتعلمتين اللتان تشغلان مكانة مهمة في المجتمع اجتاز كل منهما الطرق الجنوبية التي عبرها الحجيج عادة لأداء الفريضة والتي لم تكن متاحة للعديد من السكان لمشقتها من جهة وصعوبة الحصول على تراخيص مرور من السلطة المركزية من جهة أخرى، لخصّ العياشي والمولى أحمد في كتابيهما الكثير من العادات والتقاليد والطقوس الدينية كما ذكر كلاهما شيئا من القانون والتاريخ الذي يصف ماضي الأمم والقبائل التي اجتازها خلال رحلتيهما لأداء فريضة الحج.²

الرحلة الأولى لأبي سلام العياشي كانت سنة 1059 للهجرة الموافق ل 1649م والرحلة الثانية سنة 1063 للهجرة الموافق ل 1653 م والثالثة سنة 1073 للهجرة الموافق ل 1661م انطلقت من قبيلة آيت عياش التي ينتسب إليها أي " أولاد عياش" وتقع في مرتفعات الأطلس عند منبع نهر ملوية تتبع طرق القوافل التجارية القديمة توات ورقلة وتقرت مارا بمنخفض إمارة طرابلس ذهابا وبسكرة

¹ BERBRUGGER (Adrien) Voyage Dans Le Sud De L'Algérie Et Des Etats Barbaresques De L'ouest Et De L'est,

Par : M Fabre, Imp, Royale, Paris, 1846. p 5.

² ibid. p. 8.

عين ماضي وفقيق أثناء عودته .بينما انطلقت الرحلة الأخرى للمولى أحمد المغربي الذي ينتسب إلى Tamekrount إمارة جنوب المغرب الأقصى من سجلماسة بين واحات فقيق عين ماضي بسكرة والكاف ذهابا ومارا بالقرب منها أثناء عودته.¹

تتبع الكاتب سيرة العياشي والمولى أحمد لإعطاء صورة عنهما للقراء فالعياشي فذكر اسمه الكامل الإمام أبو سلام السيد ابن عبد الله بن محمد بن أبو بكر العياشي واعتبره من الأعيان الأفاضل لعلمه وورعه وصدقه في المعلومات التي أوردتها في كتابه وكذا زهده في الحياة وضع عكسه رحلة الحج إلى مكة التي قام بها مشيا على الأقدام اقتداء بمن سبقه من الحجيج الشيء الذي فتح المجال لتكهنات الكاتب حول وضعيته الاجتماعية وقدرته على توفير متطلبات التنقل.²

جمع بير بروجر عدة مخطوطات للكاتب مثل الأنوار الزاهية وهو كتاب في الرحلة للمؤلف المولى أحمد كما جمع أيضا الأجوبة الناصرية أجاب فيه الأخير على تساؤلات أهل البادية فيما يخص تعاليم الدين الإسلامي كما جمع أيضا الأنساب التي انحدرت منها قبيلته (الناصرية) محاولا اختصار مقاطع منه والتخلي عن أجزاء من المخطوط تسهيلا للقراءة وجد الكاتب في ورداء الكتابة وبعض التشطيب والحشو وقدم الصفحات صعوبة في ترجمتها حرص على تبيانها تبعا لمقتضيات الأمانة - حسب تعبيره - عند الضرورة، كما أدرج فصلا عن زيارة قام بها الكاتب لضريح ولي صالح أثناء رحلته مع رفاقه أنجز خلالها مقاطع شعرية دينية دونها في كتابه.³

الكتاب الذي اشتراه بيربروجر بعد سقوط قسنطينة أكتوبر سنة 1837 م من أحد الأعيان سلط الضوء على الطرق التي اتخذها الحجيج مسلكا لهم للوصول إلى بيت الله الحرام وهي الطرق نفسها التي توزعت على حافتيها مراكز التجارة ونقاط البيع والشراء⁴ ومن جانبنا نقول أنها الطرق نفسها أيضا التي أراد الاستعمار الوصول إليها والتحكم فيها كونها فتحت أفقا للغزو لاحتلال باقي مناطق إفريقيا والسودان وجنوب الصحراء.

¹ BERBRUGGER (Adrien) *Voyage Dans Le Sud De L'Algérie...*, op, cit, p. 9.

² ibid, p. 11

³ Ibid, p. 18

⁴ Ibid, p. 19.

- خصوصيات الفقه الإسلامي أو مبادئ التشريع الإسلامي الدينية والمدنية حسب
المذهب المالكي للخليل ابن إسحاق (Précis de jurisprudence musulmane ou principe
de législation musulmane civile et religieuse selon le rite malékite

يقع المؤلف في خمسة أجزاء ترجمه بيرون (PERON) وطبع في المطبعة الوطنية سنة 1848م
أشار المترجم اطلاعه على التشريع الإسلامي حيث يعدُّ القرآن الكريم مصدر لأحكام الفقه
والتشريع غير قابلة للتعديل أو الحذف كما هو الشأن في القوانين الوضعية الأخرى...أضاف
"في الإسلام لا يوجد قانون غير قانون الشريعة، الذي تحمله النصوص القرآنية لقد تحول إلى
عقيدة عند المسلمين وأن ماعدا ذلك مجموعة أوامر خاضعة للسلطة ينفذها أشخاص تبعاً
لمقتضيات العصر قابلة للتعديل أو التغيير"¹

قسم الكاتب الشرع الإسلامي إلى قسمين العبادات والتي أسماها التطبيقات الدينية تقوم
على أداء الشعائر الدينية ومن شروطها الطهارة أما الثانية فهي المعاملات سماها المترجم -
بالعقود الاجتماعية - يلتزم فيها الفرد بالقيم التي يحددها المجتمع والخطأ في التشريع الإسلامي -
حسب رأيه - تدخل العبادات والعقائد التي يمثلها رجل الدين وهو يعني بذلك الإمام الفقيه في
توجيه الحكم والسياسة الأمر الذي أحدث تضارباً لا يمكن تصوره في دين المسلمين.² وقصد من
خلاله ظهور المذاهب السياسية والدينية التي انتشرت في العالم الإسلامي وأثارت جدلاً حول
نظرية الحكم والامامة كاخوارج والمعتزلة والمرجئة وباقي المذاهب الأخرى التي اجتهدت في تطبيق
نصوص فقهية .

انتقل بعدها المترجم إلى تصنيف العقوبات التي تنتج عن التقصير في تطبيق العبادات
وحدها بين الكبائر والآثام والذنوب. أضاف قائلاً... (في الشريعة لا توجد فوارق بين الماديات
والجوانب الروحية لدى المسلم، تفاصيل العبادات صفة ملازمة لحياته اليومية فمراسم الدفن مثلاً
ومصاريف المقابر والجنازات تدفع من صندوق الزكاة الذي يفرض إلى ميسوري الحال - الأغنياء -

¹ PERRON (L) , Précis De Jurisprudence Musulmane Ou Principe De Législation Musulmane Civile

Et Religieuse Selon Le Rite Malékite, Imp, Nationale, Paris, 1848, p. 1.

² ibid, p 3

كما أن الطقوس التعبدية في إشارة إلى صلاة الجنائز تستلزم أجرا عند الله الشيء الذي أثار استغراب ودهشة المترجم¹

حاول بيرون التركيز على فقه الزكاة عند المسلمين، ففتح له مجالا موسعا من الدراسة لفهم الظاهرة وإدراك جوانبها الاجتماعية والاقتصادية، والبحث عن آليات تطبيقها في آن واحد أملا في سن قوانين استعمارية ضريبية لا تؤدي إلى أي رد فعل عكسي من قبل (الأهالي) على حد وصفه كما استعرض المترجم اختلافات القانون الجزائري بين الشرع الإسلامي والقانون الفرنسي فالقتل يوجب عقوبة الإعدام - القصاص - على القاتل وهي نفس العقوبة التي تسلط على المرتد عن دينه بترك أحد أركان الإسلام، حكم المرتد أزعج بيرون كثيرا حيث دعا إلى ضرورة الإسراع في الإصلاح بالتغيير أو التعديل أو الإثراء للقانون الشرعي لدى المسلمين، حتى يتناسب مع تطور القوانين الذي دأبت عليه فرنسا مدة طويلة.²

هكذا أخلط الكاتب في فهم العقيدة الإسلامية وتطبيقاتها العملية، فصفا المرتد لا تنطبق على المسلم الموحد الذي ترك أحد أركان الدين كالصلاة أو الزكاة على الرغم من فضاة الذنب الذي اقترفه، وإنما على من أنكر وجود ركن من أركانه ثبت إقراره بالقرآن والسنة ولا يتم الصفح عنه إلا بعد التوبة والإقرار بالذنب. مصداقا لقوله تعالى (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)³

تحدث بعدها عن تنظيم الشريعة الإسلامية من قبل الفقهاء الأربعة الذين وضعوا المناهج الدينية للتطبيق في شؤون العبادة والمعاملات الأخرى، فالفتاوى -على حد تعبيره- هي الأحكام التي ينطق بها المشرع الفقيه فضلا في القضايا التي تهم شؤون العامة، تماثل في أهميتها قوانين الجمهورية الفرنسية، بل وربما وصلت إلى درجة القداسة...أضف لا تستند على أرقام ومحاضر وتواريخ كما هو الشأن في التشريع الفرنسي، بل على مرجعيات دينية تناقلت أحاديث النبي (صلى الله عليه وسلم) بين القرن الثاني الهجري وبدء الدعوة وأجرت عليها منطق القياس.⁴

¹ PERRON (L) *Précis De Jurisprudence Musulmane*, op cit, p7

² ibid, p 8

³ سورة التوبة، الآية، 5.

⁴ PERRON, *Précis De Jurisprudence Musulmane* ...op cit, p.9.

تناول المترجم قضية التوثيق عند المسلمين والتي لم تظهر إلا في عهد الخليفة عثمان بن عفان إذ كان الصحابة - حسب رأيه - من الدعاة الذين يحفظون كتاب الله وسنة نبيه عن ظهر قلب دون الحاجة إلى توثيق ما حصلوا عليه من أحاديث سمعوها من نبيهم عليه الصلاة والسلام والسبب يعود في تدوين القرآن إلى استشهاد العديد منهم لذلك أمر عثمان بجمع آيات القرآن الكريم في مصحف واحد ناهيك عن اتساع رقعة الإسلام وامتدادها الجغرافي شرقا وغربا واستلزمت وضع مناهج دينية موثقة لتعليم سكان البلدان المفتوحة، وهو التوثيق نفسه الذي طال السنة النبوية في القرن الثاني الهجري حيث عمل الخليفة هارون الرشيد على جمعها والتأكد من صحتها بالاعتماد على سندها مصادر اعتمدت على مصداقية الرواة وورعهم في نقل سنة النبي عليه الصلاة والسلام وكانت وراء سرّ قبول الأحاديث أو رفضها.¹

انتقل بعدها المترجم إلى شرح الكتاب الذي استغرق المؤلف في تدوينه أكثر من خمس وعشرين سنة² فأضاف له فهارسا وفقرات لم تكن مدونة في المخطوط تسهيلا للقراءة كما عنون الفصول وقسمها إلى أبواب، الإضافات التي أدرجها المترجم - حسب رأيه - لم تؤثر على محتوى الكتاب ولم تغير في مضمونه بشيء ألحق تشويها لأفكار الكاتب.³

قد يعتبر ذلك صحيحا - حسب نظرنا - فيما يخص الفهارس والفصول إلا أن المترجم سدّ الثغرات بفهم خاص به لم يعتمد على أية مرجعية فقهية، محاولا خلالها اجتياز أحكام خاطئة ناتجة عن أخطاء ترجمة المفردات ناهيك عن استحالة ترجمة أفكار الكاتب لغير الناطقين باللغة العربية نظرا لاتساعها وشمولها، كما حاول الكاتب أيضا قراءة الأحكام الفقهية التي تعلقت بأمور الدين والسياسة من زاوية أحداث مثلتها المنعطفات الحادّة في التاريخ الاسلامي وهذا خطأ جسيم أضاف تحريفا خطيرا أدّى إلى ظهور المذاهب السياسية التي عدّها الكاتب مذاهب فقهية.

¹ PERRON, Précis De Jurisprudence Musulmane ...op cit, p. 10.

² ibid, p. 19.

³ idem, p. 24.

2.7- المنشورات الأثرية

– لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840م -1841م - 1842م -1843م -1844م و1845م (الآثار) للمؤلف دولامار (Adolphe Hedwige Alphonse Delamare) احتوى على مائة وثلاثة وتسعين صفحة طبع في المطبعة الوطنية سنة 1850م
 قدّم فيه الكاتب مسارا لرحلاته الأثرية التي امتدت من سنة 1840م إلى غاية 1845م استثناء له على بقية أعضاء اللّجنة لاشتغاله ضابطا في المدفعية، الشيء الذي ساعده على استثمار إقامته في الجزائر والقيام بنشاطاته الميدانية مرافقا للحملات العسكرية كحملة الجنرال غالبوا (GALBOIS) في سيق بوعثمان وعين البيوش وحملة الدوق دوما (D'AUMALE) سنة 1844م في نواحي بسكرة وأولاد السلطان، مكنته من اكتشاف ودراسة آثار لومباز بباتنة القنطرة وسيدي عقبة وظلّت مجهولة – حسب رأيه – إلى وقت قريب من تاريخ الغزو الفرنسي على الجزائر¹

احتوى الكتاب على مشاهد تصويرية للمواقع الأثرية بطريقة مختصرة تم فيها إدماج اللّوحات المتشابهة مثل التيجان والأعمدة والزخارف الفسيفسائية والرسوم الجدارية ونمط العمارة، تبعا لمقاييس وأبعاد اعتمادها المؤلف تخفيضا لتكاليف النشر إلاّ أن الشيء اللافت للنظر هو تركيزه على الصلبان والكنايس والرّموز اللاتينية ومرثيات الأضرحة المخلدة لشهداء المسيحية.²

– لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840م -1845م (الآثار) نص توضيحي
Exploration scientifique de L'Algérie pendant les Années 1840- 1845 (Archéologie)
 -Texte Explicatif -

للمؤلف استيفان غزال ألحق الكتاب بأعمال اللّجنة وطبع سنة 1912م، استعرض خلاله الكاتب مسار رحلة دولامار والمواقع الأثرية التي زارها من 1840م إلى غاية 1845م في قالب كرونولوجي ذكر مرافقته للجنرال غالبوا في حملته على عين البيضاء ومسكيانة وموقع رأس الواد

¹ DELAMARE (Adolphe) *Exploration Scientifique De L'Algérie Pendant Les Années 1840-1845, (Archeologie)*, imp, Nationale, Paris, 1850, p. 2.

², *ibid*, p. 9.

بين قسنطينة وسطيف خلال صيف 1840م وإقامته في مدينة سطيف خلال فصل الصيف ومدة من الخريف التي زار خلالها جميلة ومن ثم عودته إلى قسنطينة خلال شهر نوفمبر¹

احتوى كتاب دولامار على مائة وأربعين لوحة تصويرية تمثلت في مواقع احتوت على قطع أثرية في شكل نقوش مسيحية نحتت على الصخر توابيت وصلبان قلال ومعاصر زيتون، كما وجد غزال وثائق غير منشورة في متحف الجزائر تعود لدولامار ونسخ من مجموعة أخرى لنفس الكاتب بمتحف اللوفر بفرنسا على الرغم من اقتراح المكلف بأعمال الأخير على لجنة النشر ووزير الحربية سنة 1850م الإسراع في نشر تقاريره التي ضاع الكثير منها.²

تمكّن الباحث في علم الآثار من جمع المنحوتات الحجرية الأساسية خاصة ماتعلق منها بالتراث المادي القديم ووضعه في جناح القسم الإفريقي لمتحف اللوفر، وكان من المفترض على دولامار وضع نصوص توضيحية لإنتاجه الفني تكفل غزال بإعداد تقارير خاصة عنها³ الشيء الذي تأسف له غزال كثيرا وصعب من مهمته للغاية خصوصا ما تعلق بتحديد عناوين المعالم الأثرية وقياس أبعادها الحقيقية، زادها صعوبة الفاصل الزمني الذي ناهز ثلاثة وستين سنة استغرقه العمل بين التصوير الذي قام به دولامار والنص التوضيحي الذي أنجزه غزال.⁴

اعتمد الكاتب في تأليف نصوصه التوضيحية للوحات دولامار على مجموعة إصدارات له دونها خارج إطار لجنة الاستكشاف العلمي (1837-1842) مكنته إلى حد بعيد من فك رموز الأشكال والتصاميم التي أنجزها خلال مهمته نذكر منها على سبيل المثال:

- بطاقة فنية حول لومباز (LAMBESE) نشرها في المجلة الأثرية خلال سنوات (1847-1848)⁵
- بطاقة فنية عن بعض المدن الرومانية في الجزائر القنطرة (EL KANTARA) قلما (ANOUNA) نقاوس (NGAOUS) نشرها في المجلة الأثرية خلال سنوات (1849م-1850م)¹

¹ FERAUD (Charles) « Les Ben Djellab, Notice Historique Sur La Province De Constantine » in R, A vol 28, Année 1884, p478.

² GSELL (S) **Exploration Scientifique De L'algerie Pendant Les Annees 1840- 1845 (Archeologie) Texte Explicatif**, Ed, Ernest Leroux, Paris, 1912, p. 13.

³ RENIER, (L) « **Quatrieme Rapport En Mission Dans La Province De Constantine, Pour La Recherche Des Monuments Epigraphiques** » **Archive** Des Missions Scientifiques Et Litteraires Chiox De Rapports Et Instructions, Imp: Nationale, Tome II, n°1, Paris 1851, p 483.

⁴ GSELL (S) **Exploration Scientifique** ...op cit...p. 3.

⁵ DELAMARE, (A) « Note Sur Lambesa » : in **R. AR** Dexieme Partie 1847-1848, p 449

- رحلة إلى أطلال خميسه في 1843م من خلال معلومات أدلى بها النقيب ميتريسي (MITRECE)²

في نظر استيفان غزال كان دولامار رسّاما أكثر منه كاتباً ومع رسوماته تلك ظهرت إشكالية الطبع التي لم يتسع إطار صفحات الكتاب استيعاب صورها، رُسم بعضها بألوان داكنة ومائية وقليل منها بقلم الرصاص زادها صعوبة تدخل أطراف مساعدين له مثل غيبي (GUILLET) مما استلزم إعادة رسمها من جديد بقياس مناسب، حاول غزال اختصار نصوصه كما حاول أيضا تصحيح بعض الأخطاء التي وقع فيها دولامار، لا تصلح رسومات الأخير -حسب رأيه- في دراسة خصائص الكتابة التي نقشت على الصخر، بقدر ما اقتصر على معرفة نوع ومقاييس الحجارة المستخدمة في البناء، وعليه لا يعدُّ الكتاب مرجعا أثريا قدّمه الكاتب بل تعليق على رسومات معينة.³

ثانيا- اللجنة المؤقتة للاحتفال 1930م.

1- التحضيرات الفرنسية الاحتفالية الأولى:

أصدر الحاكم العام في الجزائر طوماس ستاغ (STEEG) بتاريخ 24 ديسمبر 1923م مرسومات تنفيذيا بناء على اقتراح قدّمه الأمين العام للحكومة الفرنسية في الجزائر، شكّل بموجبه هيئة عليا تحت رئاسته أشرفت على وضع الترتيبات الأولى للاحتفالات المؤقتة المخددة للاحتفال، تلاه صدور عدة قرارات على غرار القرار الصادر بتاريخ 22 ماي 1924م تضمنت إنشاء لجان منظمة جندت فيها كل القطاعات الحيوية العسكرية والسياسية والأكاديمية وأعطت انطبعا موجها للرأي العام الفرنسي والأوروبي عموما مفاده قدرة فرنسا على الاحتفاظ بالمستعمرة وجعلها تابعة للوطن الأم (الميتروبول)⁴

¹ DELAMARE (A) « Note Sur Quelques Villes Romaines De L'Algerie » in : R. AR, VI, 1849-1850, p 1

² DELAMARE, Excursion Faite En Juin 1843 Au Ruine De Kherimissa Dans La Province De Canstontine (Algerie), in : R. AR, Leleux Libraire Editeur Année 1856, p -637

³ GSELL (S) **Exploration...** Op cit ...p 11

⁴ Journal Officiel De La République Française, **Lois Et Décrets**, 23 décembre, 1923.

2- اللّجنة التاريخية المنظمة:

أستدعي فيها مؤرخون وباحثون ومستشرقون وآخرون اشتغلوا في مجالات وظيفية متنوعة تحت رئاسة تاليار (TALLIART) عميد جامعة الجزائر وعضوية ألكيي (ALQUIER) محافظ مصلحة الأرشيف في عمالة قسنطينة وألفريد بيل (BEL) مدير مدرسة تلمسان، وكاربونال (CARBONNEL) مدير مطبعة الجزائر وإسكير (ESQUER) محافظ مكتبة الجزائر وفايول (FAYOLLE) قابض في بريد الجزائر وكلين (KLEIN) رئيس لجنة قدماء الجزائر، ولوسيان (LUCIANI) ممثلا المالية ومارسي (MARCAIS) أستاذ بكلية الآداب بجامعة الجزائر والدكتور كانتار (QUINTARD) مستشار عام مدينة بون ولوسيان رينو (RYNAULD) مدير مصالح النظافة والصحة العمومية بالجزائر، وجورج إيفير (YEVEER) أستاذ بكلية الآداب بجامعة الجزائر ورافيني (RAVENET) رئيس مصلحة الأشغال العمومية في إقليم جنوب الجزائر.¹

3- تركيبة اللّجنة العلمية التاريخية والأثرية ومهامها: أعطي التاريخ الجانب المهم في التحضير للاحتفالات المثوية من أجل التأسيس لفكرة الجزائر الفرنسية، سخرت له كل الإمكانات المادية لإنجاح فعالياته وانصب الانشغال بالآثار القديمة، عملت اللّجنة على جلب السياح والزائرين والتعريف بماضي الحضارة الرومانية، تشكلت هيئة علمية تنفيذية مختصة رأسها أوجين ألبرتيني (ALBERTINI) مدير متحف الجزائر، والمعروف بكتاباته في المجلة التاريخية والأثرية التي كانت تصدر من حين لآخر أما عضويتها فكانت كالتالي:

1- ألكيي (ALQUIER) أمين عام الجمعية الأثرية لقسنطينة.

2- بالي (BALLU) مختص في العمارة القديمة بباريس.

3- كريستوفل (CHRISTOFLE) مختص في العمارة القديمة بالجزائر .

4- دومارغ (DOMERGUE) رئيس الجمعية الأثرية والجغرافية لوهران .

5- كلينا (GLENAT) محافظ متحف الجزائر.

6- غزال (GSELL) عضو معهد باريس.

¹ MERCIER (Gustave) *Le Centenaire De L'Algérie, Gouvernement General De L'Algérie, Commissariat Général Du Centenaire. T 1, Paris, 1931 ; p. 56.*

- 7- ليتشي (LESCHI) عضو المدرسة الفرنسية في روما وأستاذ محاضر بكلية الآداب.
- 8- لوسيانى (LUCIANI) رئيس الجمعية التاريخية الجزائرية .
- 9- غوستاف مارسى (GUSTAVE MERCIER) رئيس فرع الجزائر " أصدقاء قرطاج والمدن الذهبية "
- 10- الدكتور كانتار (QUINTARD) رئيس أكاديمية عنابة .
- 11- رايقاس (REYGASSE) مكلف بالدروس في معهد الآداب بالجزائر ومدير متحف باردو
- تركزت اهتمامات اللجنة على تسجيل الملاحظات وتوجيه الأعمال التي شرعت فيها الفرق المختصة بالآثار القديمة وتقييم الأضرار وتحرير التقارير واقتراح الموارد المالية المخصصة لأعمال الترميم حيث قامت بإعداد وتجهيز متحف باردو (BARDO) بالجزائر ومتحف قسنطينة ووهران كواجهات أثرية استوعبت القطع القديمة التي تم العثور عليها أثناء عمليات الحفر والتنقيب عن التراث القديم بالمستعمرة.¹

4- لجنة النشر وميزانيتها

- أصدر موريس فيوليت (VIOLLETTE) بعد تعيينه حاكما عاما جديدا في الجزائر بتاريخ 12 ماي 1925م قرارا بإنشاء لجنة خاصة بالنشر اعتقادا منه بأهمية المنشورات كوثائق أكاديمية لا غنى عنها في إبراز فعاليات الاحتفالات المثوية ضمت في عضويتها:
- 1- تاليار (TALLIART) عميد جامعة الجزائر رئيسا.
- 2- لوموان (LEMOINE) مستشار الحكومة الفرنسية.
- 3- أوغيستان بيرنار (BERNART) أستاذ معهد الآداب بجامعة باريس.
- 4- استيفان غزال (GSELL) أستاذ تاريخ بجامعة الجزائر.
- 5- مونار (MORAND) عميد جامعة الحقوق بالجزائر.
- 6- مارتينو (MARTINO) عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر.
- 7- ميليو (MILIOT) أستاذ الحقوق بجامعة الجزائر.
- 8- طرابو (TRABUT) أستاذ الطب بجامعة الجزائر.

¹ MERCIER (G), *Le Centenaire ...op cit*, p 57.

- 9- مير صور (SAURT) أستاذة العلوم في جامعة الجزائر
- 10- ألبرتيني (ALBERTINI) وايفير (YEVEER) ومارسيي (MARCAIS) أستاذة معهد اللغات بجامعة الجزائر.
- 11- بول ألازار (ALLAZART) ولارنود (LARNAUDE) أستاذة كلية الآداب بجامعة الجزائر.
- 12- إيدموند سارجان (SERGENT) مدير معهد باستور بالجزائر.
- 13- لوسيان رينو (RYNAULD) مدير معهد النظافة بالجزائر.
- 14- أورليك (HORLUC) مفتش الشؤون الأهلية.
- 15- ألفريد بيل (BEL) مدير مدرسة تلمسان.
- 16- ليسبيس (LESPES) أستاذ ثانوية الجزائر.
- 17- إيسكير (ESQUER) محافظ مكتبة الجزائر بالإضافة إلى رئيس المصالح الطبوغرافية ومدير معهد الخرائط.¹

أخذت اللجنة على عاتقها مهمة تصنيف الموضوعات المقترحة للبحث تعلق في أساسها بمختلف الأنشطة الاستعمارية في الجزائر مدة قرن من الزمن، مسّت الجوانب الادارية والاقتصادية والعلمية والتاريخية والأثرية، فيما عمل محافظ مكتبة الجزائر ومستشار الحكومة وعميد جامعة الجزائر على التنسيق بين البحث والتحقيق الأكاديمي وعملية طبع المنشورات.²

اقتضت الضرورة إعداد منشورات ومطويات خاصة لهذا الغرض فطرح الحاكم العام الجديد فيوليت في 9 جويلية 1925 م مشروع قرار على الجمعية التأسيسية الفرنسية تضمن إنشاء لجان تنفيذية لشؤون البحث والنشر أشرفت على تسيير الميزانية، منحها صلاحية الإفراج عن الاعتمادات المالية في اجتماعاتها الدورية حال قبول الأعمال الأكاديمية من طرف اللجنة المحكمة بعد دراسة محتواها انطلقت في أشغالها شهر جويلية 1929م ونص قرار

¹ Journal Officiel De La République Française, **Lois Et Decrets** Année, 1925.

² Mercier (G), **le centenaire** ...op. Cit, p. 30.

25 مارس 1928م في مادته السابعة التي تعلقت بالتحويلات المالية على صلاحية أمين الخزينة العامة للجزائر في الموافقة على الإفراج على الاعتمادات المالية من عدمه.¹

5- التحضيرات النهائية

ترأسها وزير الداخلية أندري تارديو (TARDIEU) بمساعدة النائبين ألبرت سارو (SARRAUT) و ألبرت ليرون (LEBRUN) كما ضمت في عضويتها ثلاث نواب عن عمالة كل من الجزائر وهران وقسنطينة، بالإضافة إلى الحكام العامين السابقين للجزائر جول كامبون (CAMBON) ولولين (LEPINE) وستيق (STEEG) وفيليت (VIOLLETTE) والعديد من الشخصيات السياسية التي أسندت لها مهمة الإشراف على فعاليات الاحتفالات نذكر منها النائب فرانسوا مارسيل (MARSAL) الذي رأس لجنة الاستعراضات وميسيمي (MISSIMY) الذي ترأس اللجنة العلمية للمستعمرات، وموريس أوردينار (ORDINAIRE) الذي ترأس لجنة الاجتماعات الخاصة بالدراسات الجزائرية، وألسيد دولمون (DELMONT) رئيس المعهد الاستعماري وهنري لورين (LORIN) أمين عام الجمعية الجغرافية التجارية، ودووارين (DEWARREN) رئيس اللجنة الصحراوية، وهانوتو (HANOTAUX) رئيس أكاديمية العلوم الاستعمارية، فيما استدعي ممثلون عن الوزارات الفرنسية كالأشغال العمومية والخارجية والحربية والمستعمرات والمالية وعين آخرون محافظون ومدراء للاحتفالات.²

عقدت جمعية الاحتفالات المئوية أوّل اجتماع لها في وزارة الداخلية يوم 5 جوان 1929م برئاسة وزير الداخلية أندري تارديو الذي استهل الاجتماع بالإشارة إلى أهمية الاحتفالات المئوية المخددة للاحتلال الفرنسي واعتباره حدثا شكلا منعظا حاسما ليس في تاريخ الجزائر فحسب بل في تاريخ فرنسا ككل، كلف بعدها المحافظ العام للاحتفالات مارسسي (MERCIER) بالإشراف على الميزانية المخصصة لتسييرها مذكرا إياه بالمسؤولية الضخمة الملقاة على عاتقه انتقل بعدها إلى وضع برنامج خاص بها استجمع فيه العناصر المهمة لتاريخ وزراعة وديموغرافية الجزائر منها خطابا بتمنيات نجاح الاحتفالات للمساهمة في بناء مشروع نهضة في المستعمرة

¹ قدرت ميزانية الاحتفالات المئوية للجزائر ب 82 مليون فرنك فرنسي يُنظر:

Hodeir (Catherine), Michel (Pierre) *L'exposition coloniale de 1931*, Andre Versaille Editeur, Paris, 2011, p. 29.

² Journal Officiel De La Republique Française, *Lois Et Decrets*, Paris, 11 Mai 1929, p. 5347.

أكد بعدها على ضرورة تحسيس الفرنسيين داخل الإمبراطورية بإنجازات الجيش الفرنسي الذي قام بالحملة داخل الجزائر سنة 1830م، ليس من زاوية اعتباره جيش غزاة بل مؤسسا للدولة الجزائرية الحديثة أقام جسرا حضاريا بين ضفتي البحر المتوسط اللاتيني، كما ثمن دور الصحافة في إبراز فعاليات الاحتفال قائلا: (يجب أن تكون الصحافة الفرنسية في مستوى تغطية الحدث على امتداد الأيام المخلدة للاحتفال من خلال برمجة محاضرات داخل قاعات السينما في المدارس وفي الميادين المخصصة للتجمعات، بل ومن خلال اللوحات الاشهارية والطابع البريدية أيضا ... فرنسا مستعدة لأن تضع الموارد المالية تحت تصرف اللجان) كما ألح على ضرورة تشكيل خلية اتصال دائمة مع المحافظة العليا للاحتفال لينهي خطابه برسائل وجهها عبر مستمعيه إلى الرأي العام الفرنسي والأوروبي مستعرضا الانجازات العلمية والتقنية والحضارية الاستعمارية انجازات ما كانت لتتحقق - حسب رأيه - لولا تضافر الجهود على الرغم من التغيرات السياسية التي شهدتها فرنسا خلال قرن.¹ تلى ذلك تنصيب اللجان المنظمة للاحتفال كلجنة الدعاية التي عقدت اجتماعاتها يوم 5 جوان و2 و9 و31 جويلية و21 نوفمبر، و9 ديسمبر للاحتفالات التي عقدت اجتماعاتها يوم 24 جوان و2 و9 و31 جويلية و21 نوفمبر، و9 ديسمبر 1929م، و11 جويلية 1930م واللجنة التنفيذية التي عقدت اجتماعاتها يوم 6 أوت و24 أكتوبر و7 نوفمبر 1929م، و11 و28 جانفي و21 فيفري و8 أفريل و26 ماي 1930م.²

6- أهداف الاحتفالات المئوية ووسائل تطبيقها:

قام الجنرال (FERAUD) أمين عام اللجنة المئوية في 24 جوان 1929م، بوضع دراسة أولية تضمنت الأهداف والوسائل والترتيبات التي يجب اتخاذها لإنجاح الاحتفالات تمثلت فيما يلي: توجيه الرأي العام الفرنسي والعمل على تجنيده بما يخدم المشروع الاستعماري داخل الجزائر والعمل على تثمين الانجازات ووضعها في إطار خدمة الإمبراطورية عن طريق بناء مؤسسات إفريقيا الفرنسية على جميع الأصعدة والمجالات وتكريس المشروع الاستعماري اعتمادا على

¹ Gouvernement général de l'Algérie conseil supérieur du gouvernement session ordinaire de 1929 Discours Du Ministre De L'intérieur Devant Le Comité De La Propagande Du Centenaire De L'Algérie Le 25 Juin 1929, imp. Victor Heintz, Alger 1929, p 8.

² Cahier du centenaire de l'Algérie. Carte index, glossaire, documents annexe, rapport général, (P, C, N, M, C, A), 1931, p 58.

المدرسة. ووضع الصحراء الجزائرية في إطارها الطبيعي كبحر داخلي يربط بين بلدان الإمبراطورية الفرنسية داخل إفريقيا والعاصمة الفرنسية بعدما كان في السابق أرضا جرداء قاحلة تنعدم فيها مقومات الحياة.¹

أما وسائل تطبيقها فكانت من خلال:

1- الصحافة باعتبارها وسيلة إعلامية لنقل فعاليات الاحتفالات المئوية إلى الرأي العام الفرنسي داخل وخارج الجزائر، أشاد أمين عام الهيئة العليا على دورها في إنجاح الاحتفال بالإضافة إلى الكتب والمنشورات حيث أكد فيها على ضرورة إتاحة الفرصة للأقلام الفرنسية شرط أن تكون هادفة في محتواها نصا وروحا توثيقا وترتيبيا، مع إلزام الكتاب بإرفاق صور مونوغرافية للإنجازات التي قامت بها فرنسا مدة قرن من الزمن طبعت منشوراتهم بإذن اللجنة المشرفة على الاحتفالات ووزعت على قاعات المحاضرات والسينما والثكنات العسكرية، تركز فيها النشاط على المدارس الفرنسية باعتبارها مجالا خصبا استمرت فيه الإنجازات على نطاق واسع، قام فيها أساتذة جامعيون أكاديميون وضباط عسكريون كل حسب موقعه بشرح الإنجازات، وتابعت فيها اللجنة ووزارة الحربية والأشغال العمومية نشر الوثائق الخاصة بالاحتفال في ديوان أعمال كاملة أطلق عليها " CAHIERS DU CENTENAIRE DE L'ALGERIE " ²

2- حاول المشرفون على تنظيم الاحتفالات المئوية في الجزائر تكملة التوثيق الكتابي للكراسات الاثني عشر بتوثيق رحلات استكشاف نظمتها اللجنة المشرفة، وزعت خلالها منح خاصة لشخصيات أكاديمية وصل عددها إلى مائتي أستاذ ومعلم، زاروا مختلف أنحاء الجزائر خلال العطل التي تخللت (1929م - 1930م) حرروا فيها تقارير عن رحلاتهم العلمية جمعت في كتاب حمل عنوان " الجزائر من خلال جامعات فرنسا " تدعمت به مكاتب ومتاحف الجزائر المستعمرة.³

¹ Cahier du centenaire..., op. Cit, p. 60.

² ibid, p. 62.

³ ibid, p 69

7- الأبحاث التاريخية والأنشطة الأثرية للاحتفالات المئوية: تجسدت الأنشطة الأثرية في بناء المتاحف وتجميع القطع الخاصة بالتراث القديم، والفن الإسلامي وعقد مؤتمرات تاريخية وأثرية أمكن إبراز دورها العلمي من خلال ما يلي:

1-7 المتاحف:

- متحف الجزائر

بادرت جمعية " أصدقاء متحف الجزائر " التي ترأسها باطوني رودولف (RODOLPHE) بدراسة مشروع توسعة متحف الجزائر سنة 1927م، ضمّ المشروع الذي كلّف به الحاكم العام للجزائر فيوليت والمختصان في علم العمارة والآثار رونيي (REGNIER) وغويون (GUION) وشجعه محافظ متحف الجزائر أليازار، مساحات خضراء قدرت بعشرين هكتارا ألحقت بها مدرجات وقاعات اتسعت للزائرين والسيّاح فيما تعهدت لجنة المالية والنفقات بتغطية مصاريف التجهيز، قام بنك الجزائر بتمويل المشروع الذي تم تدشينه من قبل رئيس الجمهورية الفرنسية دومارغ (DOUMERGUE) يوم 4 ماي 1930م.¹

هكذا تنوعت المعارض الأثرية بين التحف و اللّوحات والنقوش والرسومات جمعت خلال قرن من الأبحاث وأعمال الحفر وعرضت للزائرين بين شهري ماي وجوان 1930م، جسّدت ماضي الجزائر وتاريخها من العصور القديمة إلى تاريخ إقامة المعرض، تصدرت مجموعاتها الكتب والمنشورات المطبوعة الخاصة بالتاريخ القديم أشاد فيه القائمون بدور فرنسا في إحياء الموروث الروماني والبيزنطي المسيحي وإهمال كل ما له علاقة بالحضارة العربية الإسلامية أو حتى الحضارات المحليّة لسكان الجزائر منذ فجر التاريخ.

- متحف وهران البلدي : أعدت السلطات الفرنسية خطة توسعة للمتحف على مساحة خمسة آلاف متر تبعا للتقرير الذي رفعه رئيس اللّجنة المعمارية للاحتفالات المئوية غاستافينو (GUASTAVINO) أشرف على تجهيزه وبنائه وإعادة تنظيمه المهندس المعماري وولف (WOLFF) تطلب المشروع غلافا ماليا قدر بثلاثة ملايين فرنك فرنسي ودامت أشغاله سنتين

¹ OULEBSIR, (Nabila), *Les Usages Du Patrimoine. Monuments, Musees Et Politique Coloniale en Algérie (1830-1930)* Ed. Maison De Science De L'Homme Paris, 2004, p. 267.

قام الحاكم العام للجزائر بورديس (BORDES) و محافظ الهيئة العليا للاحتفالات غوستاف مارسويه (MERCIEERS) ورئيس بلدية وهران مول (MOLLE) بتدشين المتحف الذي أطلق عليه اسم دومايغ (DEMAEGHT) تخليداً للمؤسس الأوّل، احتوت قاعات المتحف على أكثر من ألف لوحة فنيّة كما ضمّ العديد من المجموعات الأثرية والقطع والمنحوتات جسّدت عدة محطات من تاريخ الإقليم الوهراني.¹

- متحف قسنطينة

اعتبر الفرنسيون مدينة سيرتا عاصمة إقليم قسنطينة الغني بمعامله الأثرية النوميديّة محطةً للعديد من الباحثين في علم الآثار القديمة، شكلت منطلقاً لاهتمام لجنة الاحتفالات المؤبوة المخلدة للاحتلال، فعلى غرار التحسينات التي قامت بها السلطات الفرنسية في كل من وهران والجزائر العاصمة، تمت هندسة مشروع التوسعة والبناء وفق عمارة بونيقية قديمة، تماشياً مع محتويات المتحف الذي اشتمل على التحف والقطع الأثرية سالف الذكر، أسند مشروع التوسعة للمهندس المعماري غاستيلي (CASTELLI) انطلقت الأشغال به في 28 جوان 1929م وانتهت بتاريخ 15 ديسمبر 1930م قدر غلافه المالي بثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف فرنك فرنسي²

انقسمت غرف المتحف إلى قاعات للفن الفينيقي القديم، وأخرى لآثار ما قبل التاريخ اشتملت على مختلف القطع الأثرية التي تم العثور عليها داخل الإقليم، كما احتوى أيضاً على عدة لوحات فنية وتماثيل وصور ملوك تداولوا على حكم قسنطينة قديماً، ماسينيسا يوغرطة وماسينيسا عرضت فيه النقود المتداولة قديماً إضافة إلى العديد من الأعمال الفنيّة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر.³

2-7- المؤتمرات المخلدة للاحتفال

-التاريخية: انعقد المؤتمر التاريخي الثاني في قصر الجمعية العامة بالجزائر العاصمة، تحت إشراف الحاكم العام بورداس (BORDES) ورئاسة كوفيل (COVILLE) عضو معهد الآداب بمعية

¹ MERCIER (G), le centenaire ...op cit, p. 245.

² ibid, p. 253.

³ OULEBSIR (N) Les Usages du patrimoine...op cit, p. 269.

غال (GALLE) فيما ترأس برونيل (BRUNEL) رئيس بلدية الجزائر اللّجنة المالية، شارك في المؤتمر شخصيات أكاديمية من الجزائر وخارجها مثل بوغل (BOUGLLE) مدير المدرسة العليا بالجزائر كما شارك أيضا سي صالح ممثلا عن بلاد القبائل وتاليار عميد جامعة الجزائر، وحضر المؤتمر منتسبو الجامعة مثل مارتينو (MARTINO) وروير (ROUYER) وكاميل بلاش (BLOCH) ولويس رو (REOU) ورونوفان (RENOUVIN) وجورج إيغير (YEVEY) وإسكير (ESQUER) استعرض الحاكم العام خلال افتتاحه لجلسات المؤتمر الانجازات الفرنسية التي تحققت بفضل جهود العلماء والمؤرخين الذين منحهم صفة المراقب والمسؤول عن كتابة تاريخ الجزائر الفرنسية¹ كما شهد المؤتمر مناقشات استعرض فيها جورج مارسبي أستاذ كلية الآداب في جامعة الجزائر تاريخ سكان الجزائر (البربر) في العصر الوسيط ناقش خلاله التأثيرات الأوروبية الغربية التي طغت على أعمال الفن والصناعة لديهم كما استعرض الصراع الدائم بينهم وبين الشعوب المجاورة التي جاءت من قبل المشرق في إشارة الحضارة العربية الاسلامية (فالبربر) -حسب رأيه- لا يمتلكون مقومات بناء حضارة مستقلة أو كيان سياسي خاص بهم وهي الصورة النمطية التي جمعت كتاب المدرسة الاستعمارية الفرنسية بخصوص تاريخ الجزائر وموروثها الحضاري.²

- المؤتمرات الأثرية:

افتتح المؤتمر الخامس للآثار يوم 14 أبريل 1930م من طرف الحاكم العام للجزائر بيار بورداس (BORDES) بمعية استيفان غزال عضو معهد الآداب بالجزائر الذي أسندت له رئاسة المؤتمر كما حضر رئيس أساقفة الجزائر لينود (LEYNAUD) ورئيس اللّجنة المالية للاحتفالات غال (GALLE) ومحافظ الهيئة العليا للاحتفالات غوستاف مارسبي (MERCIER)، وعميد كلية الآداب مارتينو (MARTINO) ومدير متحف الآثار القديمة في الجزائر ألبيرتيني ونخبة من علماء الآثار الأجانب مثل مدير متحف الآثار القديمة ببرلين وايجاند (WEIGAND) وبوتش غيمبرا

¹ ESQUER (Gabriel) « les expositions rétrospectives du centenaire » in. R. A vol 71, Année 1930, p 191.

² BORDES (Pierre) *Le Livre D'or Du Centenaire De L'Algérie Française, 1830-1930 : L'Algérie, Son Histoire, L'œuvre Française D'un Siècle, Les Manifestations Du Centenaire*, Ed, gouvernement général De l'Algérie, Alger, 1930, p147

(GIMBERA) الأستاذ بجامعة برشلونة في إسبانيا والكونت بيلاكاتي (PELCATI) مفتش العام للآثار القديمة بروما.¹

تنوعت مواضيع المؤتمر الخامس للآثار الذي انعقد بالجزائر بين آثار ما قبل التاريخ وفيها قدم أستاذ جامعة برشلونة بوتش غيمبرا روابط حضارة العصر الحجري الحديث بين إفريقيا وإسبانيا وعرض جولو (JOLEOUD) أستاذ جامعة باريس دراسة عن التطور التاريخي لحضارات ما قبل التاريخ في إفريقيا الشمالية، فيما قدّم الأستاذ موتشي بجامعة فلورنسا عرضاً أثريا عن التحولات الصناعية التي شهدتها العصر الحجري القديم في إيطاليا وتأثيراتها على بلاد (البربر). وقدم أوبر ماير (OBERMAIER) أستاذ علم الآثار في جامعة مدريد محاضرة بعنوان "عصر الفن الصخري بإفريقيا الشمالية" وألقى ريغاس (RAYGASSE) أستاذ جامعة الجزائر محاضرة عن الحضارة الموسستيرية الإفريقية، فيما قدّم فيرون (FERAND) ملاحظات حول القياسات الطبوغرافية القرطاجية، وفانسان (VINCENT) تقريراً عن أعمال الحفر في منطقة وهران، ومدير الدراسات في المدرسة العليا في جامعة الجزائر زيلر (ZELLER) عرضاً أثريا جسّد فيه تاريخ إفريقيا الشمالية القديم خلال الفترة المسيحية، أما الآثار الإسلامية فقدم فيها وانفرد ألفريد بيل مدير مدرسة تلمسان بتقرير عن الحفريات التي قام بها سلّط فيها الضوء على عصور (النخاسة في الإسلام).²

3-7- منشورات لجنة الاحتفال المتوية

وصل عددها إلى خمسين كتاباً نشرها كتاب ومؤرخون فرنسيون شغلوا مناصب في التدريس ضمن لجنة أكاديمية عينها الحاكم العام فيوليت تحت رئاسة عميد جامعة الجزائر سنة 1925م عالجت مواضيع متخصصة كالمالية والتشريع والاقتصاد السياسي والعلوم والاستعمار والآثار والتاريخ وغيرها، على غرار إيكونوغرافية تاريخ الجزائر لغابريال إيسكير وعمالة الجزائر في 1830 م لجورج إييفير والسياسة الاستعمارية خلال فترة الملكية الدستورية الفرنسية لكريستيان شيفير

¹ BORDES (Pierre) *Le Livre D'or Du Centenaire...*, op cit, p 149.

² ESQUER, (G) « les expositions ... » in *R A ...*op cit, p. 191.

والجيش الإفريقي للجنرال باول أزان¹ وتاريخ ومؤرخو الجزائر (1830-1930) لمجموعة من المؤرخين الاستعماريين الفرنسيين.²

- الكراسات الاثني عشر

- تاريخ الجزائر إلى غاية التغلغل الفرنسي في الصحراء : للكاتب بورجي (BOURGET)

النقيب في فرقة مدفعية الشرف ومحرر جريدة صحيفة النقاشات (Journal Des Débats) احتوى الكتاب على ست وتسعين صفحة في ثلاثة فصول تطرق الكاتب في الفصل الأول إلى وضع الجزائر قبل مجيء الإسلام من الفترة القديمة التي أسس فيها الفينيقيون مدينة قرطاجنة اعتبرها الكاتب بداية لحضارة انتشرت في شمال إفريقيا ورغم إقراره بوجود حضارات ما قبل التاريخ، إلا أنه أشار إليها في سياق حضارات مجاورة انتشرت في حوض المتوسط (الهيلينية والفرعونية) فلا وجود لحضارة جزائرية أصيلة بل حضارات بدائية كانت من نتاج سلالة بشرية انقرضت ولم يعد لها وجود، فيما أرجع أصول سكان المغرب إلى السلالة الفرعونية ودعم فرضيته بتشابه اللغة والطقوس الدينية مع تلك التي تكلم بها أو مارسها النوبيون سكان مصر القديمة، - في نظر الكاتب- لم يتمتع شمال إفريقيا (الجزائر) المتاخم لتونس موطن القرطاجيين بأي سيادة تذكر على أراضيه، والسبب يعود إلى مهارة الغزاة في التوغل داخل الأوساط الاجتماعية (للبربر) ومحاولة كسب ودّهم عن طريق المصاهرة، قدمت الفتيات القرطاجيات زوجات لرؤساء القبائل النوميدية نتج عنه جيل جديد من المولّدين حملوا بصمة قرطاجية قدّم الكاتب نموذجاً لافتراضاته على جيش حنبعل الذي غزا به روما أثناء الحرب البونيقية الثانية وكان جل محاربيه من النوميديين، وحول نهاية قرطاجنة أرجع الكاتب سبب انهيارها إلى هزائمها المتكررة أمام الرومان الذين أخذت قوتهم في التصاعد دون أثر للسكان المحليين على كلا الطرفين أسقط فيها انعدام المقاومة المحليّة ضدّ الوجود الأجنبي أياً كان نوعه فالغازي الجديد يزيح الغازي القديم.³ في نظر الكاتب أضفى تواجد الرومان على شمال إفريقيا شيئاً من الاستقرار والهدوء والازدهار، ما كان

¹ سعد الله) أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي ج 6، (1830-1954) دار الغرب الإسلامي ط 1، 1998، ص 89

² GSELL et Autres, *Histoire et Historiens ...op cit*, p 7.

³ BOURGET (Jean-Marie) *L'Algérie Jusqu'a La Pénétration Saharienne, Première Partie L'Algérie Avant L'islam*, (P, C, N, M, C, A), Alger 1930, p 1

ليتحقق - في نظره - لولا براعة هؤلاء في إدارة المناطق التي تواجد فيها (الأهالي) ترك الرومان حرية إدارة شؤونهم في نطاقات جغرافية تمتعت بالحكم الذاتي وأدّت واجباتها المالية ضمن قانون الضرائب وهي الطريقة نفسها التي اعتمدت في إدارة المناطق البعيدة عن المدن عهد الرومان إدارتها إلى فرق عسكرية عملت بالتنسيق مع رؤساء القبائل (الأهلية)¹ وعليه لم يضيف الفرنسيون خلال فترة احتلالهم للجزائر شيئاً جديداً على ما ابتكره الرومان فالمكاتب العربية التي استحدثها هؤلاء سنة 1844 م ماهي إلا نسخة مشابهة من الإدارة الرومانية القديمة.

أعاب الكاتب على القبائل الواقعة داخل الطوق العسكري عدم استعدادها لتقبل الحضارة الرومانية وأرجع سبب ثورتها عليهم إلى طبيعتها المتمردة داخل تحصيناتها الجبلية المساعدة على التمرد الأوراس جرجرة والونشريس، حالة من الفوضى أوجدها هؤلاء داخل إفريقيا الرومانية استغلها الوندال -حسب رأيه- في اجتياح شمال إفريقيا وإخضاع مدنها، حكم الوندال الأجزاء الغربية من تونس بطريقة غلب عليها الطابع الديني كان فيها قادة الفرق العسكرية أنفسهم رسل العناية الإلهية نتيجة اعتناقهم المذهب الأريوسي أمام اضمحلال المذاهب الأخرى كالدوناتية والكاثوليكية احتلال ما كان لينتهي حسب نظر الكاتب لولا الحملة العسكرية للبيزنطيين التي قادها بليساار (BELISSAIRE) سنة 533م في عهد الإمبراطور جوستينيان (JUSTINIEN). وخارج حدود السيطرة البيزنطية أقام (البربر) ممالكهم التي عرفت من خلال كتابات ونقوش لأضرحة أسرٍ وجدت في منطقة تيهرت.²

لم يتمتع (البربر) في الجزائر خلال الحكم الإسلامي بأي سيادة تذكر على أرضهم وظلّوا في تبعية مستمرة للفاطميين والأمويين في المشرق والأندلس من ناحية الغرب ومع تبعيتهم ظلّ المغرب الذي حدّده الكاتب جغرافياً بالأجزاء الغربية من تونس إلى سواحل الأطلسي عرضة للفوضى وانعدام الأمن.³

استعرض الكاتب وضع الجزائر خلال العهد التركي فأوضح سبب مجيء الأتراك الذين أخذت قوتهم في التصاعد على أنقاض الخلافة العباسية وضع كان من ورائه تحرير اسبانيا من

¹ BOURGET (Jean-Marie) L'Algérie Jusqu'a La Pénétration Saharienne..., op, cit. P 17

² ibid, p. 21.

³ Ibid, p. 25

العرب المورسكيين وتبعهم على سواحل إفريقيا، كان حكام الجزائر حسب رأي الكاتب قرصنة مغامرين جمعوا ثروة هائلة من خلال الإغارة على السفن في عرض البحر أضاف قائلًا: اعتمدت الجزائر خلال حكم الأتراك على قوة الفرق الانكشارية التي وصف طريقتها في الحكم باللصوية وحياسة المؤامرات وجمع الضرائب تحت مسمى الحرب المقدسة ضد أوروبا في إشارة إلى الجهاد البحري.¹

أرجع الكاتب غزو فرنسا للجزائر إلى تعاظم الخطر البحري الذي مثلته القرصنة في الحوض الغربي للمتوسط، زادها تأزما قضية وسطاء التجارة في حكومة الداوي بكري وبوشناق وما انجر عنها من تلاعب في الديون الفرنسية، التي أفقدت الداوي لياقته الدبلوماسية من خلال الإساءة إلى قنصلها دوفال (DUVAL) وما تلاه من إجراءات انتهت بإرسال حملة بحرية أفلعت من ميناء طولون يوم 14 ماي 1830م وانتهت باحتلال الجزائر، سياق تاريخي الغرض منه تبرير الاحتلال وشرعنته أرجع الكاتب سهولة احتلال الموانئ والمدن الجزائرية إلى تعاون (الأهالي) مع جيش الحملة لطردهم الفرق الانكشارية والانتشار مكانها، وبعد أن ذكر أحداثا للمقاومة الجزائرية وصل إلى مقارنة تاريخية بين الاحتلالين الروماني والفرنسي فكلاهما حسب رأيه حاول فرض السلام والازدهار والرفاهية للسكان على الرغم من حركات المقاومة داخل المستعمرة إلا أن الاختلاف بين الاستعمارين الفرنسي والروماني تمحور حول الطريقة التي تمت بها إدارة الجزائر تميزت بالمرونة من طرف الفرنسيين الذين نجحوا في إيجاد وحدة ديموغرافية للسكان وفشل الرومان في استيعاب (الأهالي) ضمن حاضنة اجتماعية، تُعدُّ السياسة الضريبية للاستعمارين الروماني والتركي - حسب رأي الكاتب - مساسا بكرامة الجزائريين كانت وراء انفجار الثورات ضدهم وفشلهم في البقاء²

هل طبَّق الفرنسيون حقا سياسة ضريبية حافظت على كرامة الجزائريين؟ إن جلّ ما فعله الاستعمار في الجزائر منذ احتلالها الفوضى والنهب والمصادرة، ضرائب على الأرض المؤجرة وعلى رؤوس الماشية وعدد أفراد الأسرة بل وأبدع الاستعمار في استحداث ضرائب عدّها حقا

¹ BOURGET (Jean-Marie) L'Algérie Jusqu'a La Pénétration Saharienne..., op, cit, p. 39.

² ibid, p. 93.

يجب اقتطاعه كالهواء الذي يستنشقه (ضريبة الريح) وضع فيها البلاد تحت رحمة قوانين زجرية نفذها ضباط عسكريون أشبه ما تكون بالقوانين المطبقة على الهنود الحمر سكان أمريكا الذين أبادهم الرجل الأبيض باسم الحضارة الأوروبية، يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن "إن تخريب المغاني وهي الفيلات الفاخرة والحدايق كانت من طبيعة الجيش الفرنسي الذي تسللت عصابات جيشه فحطمت الجدران أملا في إيجاد الكنوز المخبأة"¹

- سياسة التهدة والتغلغل في الصحراء الجزائرية (1852 م 1930 م) للكاتب الجنرال أوليفي مينيير (MEYNIER) مدير أقاليم الجنوب الجزائري احتوى المؤلف على تسعة فصول تطرق الكاتب في الفصل الأول إلى محاولات الفرنسيين الأولى التغلغل في الصحراء الجزائرية وأشار إلى رحلة دوفيريبي (DUVEYRIER) التي عدّ فيها احتلال الأغواط سنة 1852 م بداية اختراق أراضي الجنوب، ذكر فيها اتفاقيات الحماية التي عقدها الجيش الفرنسي مع رؤساء القبائل في كل من غرداية وواد ميزاب -حسب رأي الكاتب- يعود اهتمام الأوروبيين بالصحراء الإفريقية إلى الرحلة الاستكشافية التي قام بها المستكشف الألماني بيرث (BARTH) جلبت نتائج مرضية ومطمئنة في اتجاه إخضاع القارة السوداء²

تطرق الكاتب في الفصل الثاني إلى مشروع الكاردينال لافيغري (LAVIGERIE) الذي جاء تكملة للمشروع العسكري في الصحراء، انصبت جهود الأخير على التعليم والتوعية والنشاط التبشيري في محاولات عكست مدى استجابة القبائل وإدراكها للتسامح الذي أبداه رجال الدين المسيحيون بالواحات الجزائرية³ وأشار في الفصل الثالث إلى خطّ السكة الحديدية الذي تأجل مشروع انشائه داخل المناطق الصحراوية بعد مقتل فلاتيرز (FLATERS) من طرف الطوارق في 16 فيفري 1881 م وفشل بعثته الاستكشافية في صحراء تقرت⁴ خصّص الكاتب الفصل الرابع لبعثة فيرولامي (LAMY) تلاه فصل تحدث فيه عن التقسيم الإداري لأقاليم الجنوب الجزائري بعد دراسات ديموغرافية وطبوغرافية واقتصادية قام بها الباحثون في هذا المجال،

سعد الله (أبو القاسم) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص. 91.

² MEYNIER (Olivier) LA pacification du Sahara, et la pénétration saharienne (1852- 1930) Alger 1930, p 8

³ ibid, p 11

⁴ Ibid, p 15

شمل التقسيم الجديد مناطق تفرقت وبسكرة والأغواط الجلفة ومشيرية فيما خصّصت الإدارة الاستعمارية ميزانية لهذه المقاطعات ضمن قانون استحدثه الفرنسيون في 24 ديسمبر 1902م¹ تطرق الكاتب للشخصيات السياسية والدينية والاقتصادية التي لعبت دورا في استكشاف وتحديث الصحراء، على غرار لابرين (LAPRRINE) وليوتي (LYAUTEY) وشارل دوفوكو (FOUCAULD) تلاه فصل خصصه الكاتب للمجهود الذي قام بها الحاكم العام للجزائر شارل ليتود (LUTODE) الذي خلف شارل جونار (JONNART) انصبت فيه جهود الأخير على ترقية المناطق الصحراوية وهيئتها تمكينا لاستغلال مواردها الطبيعية المنجمية والطاقوية اشتغل الفرنسيون على البحث والتنقيب فيها²

تحدث الكاتب عن دخول العربات والمركبات الحديثة إلى الخدمة في الجنوب خلال الفترة التي امتدت بين (1920م - 1925م) أشار إلى انتشار المناجم والورشات الصناعية التي بناها رجال الأعمال والمغامرون الفرنسيون بهدف تحقيق الأرباح وجمع الثروة، مشيدا بالأهمية الاقتصادية للصحراء محفزا على استغلالها لما تمتلكه من عمق استراتيجي تتداخل فيه الإمكانيات والموارد الطبيعية الضخمة التي توفرها مع تقاطع الطرق التي تربطها بباقي البلدان المستعمرة في القارة الإفريقية.³

- تطور الجزائر بين 1830 م - 1930 م لإميل فيليكس غوتيه (GAUTIER)

اشتغل المؤرخ أستاذا بكلية الآداب تحدث في الفصل الأول عن الحملة العسكرية التي بدأها شارل العاشر وأتمتها حكومة لويس فيليب ولم تصل -حسب رأيه- إلى جني ثمار الحرب استعرض بعدها إنجازات الجمهورية الثانية التي تركت أثارا في المجال الديموغرافي للجزائر، من خلال الهجرة الأوروبية الجماعية خصوصا الإيطالية والاسبانية والتي حملت إيديولوجية لائكية مستعرضا فترة الإمبراطورية التي حكم فيها نابليون الثالث فرنسا وكانت في نظره أشبه بإمبراطورية عربية أراد تشكيلها على غرار نظام الحماية الذي طبّقه فرنسا في تونس والمغرب، انطلاقا من معطيات مثل فيها العرب أكثرية ديموغرافية تركزت في الأرياف والمناطق الجبلية وأقلية من العنصر

¹ MEYNIER (Olivier) LA pacification du Sahara.... op cit, p 24

² ibid, p 38

³ ibid, p 46

الأوروبي استوطنت المناطق الخصبة والسهول الساحلية والمدن، نظام تخلت الجمهورية الثالثة بعد تعيين أول حاكم عام مدني لها وهو ألبيرت غريفي (GREVY)¹ حصلت خلالها الجزائر بعد إصرار اللجان المالية في البرلمان المصغر على تسيير ذاتي واستقلال مالي لشؤون الميزانية العامة تحدث بعدها عن الشخصيات السياسية التي لعبت دورا أساسيا في هذه المرحلة كشارل جونار الذي عين لثلاث عهديات متلاحقة أبدع خلالها في تطبيق سياسات إصلاحية أضافت تطورا ثقافيا وسياسيا هيكليا على البلاد وساهمت إلى حد بعيد في ترقية نموها الاقتصادي وأخرى برلمانية قدمت مجهودات إصلاحية في التعليم على غرار جول فيري (FERRY) و باول بيرت (BERT) وبوردو (BURDEAU) اللذان لعبا دورا في استقلال الجزائر المالي والمارشال ليوتي (LEYAUTY) والجنرال لابرين (LAPERRINE) اللذان قاما بتهدئة الأوضاع في الصحراء الجزائرية والمغرب حاول الكاتب من خلال التفصيل إيجاز رسالة إلى المستوطنين الذين حاولوا الانفصال عن فرنسا الأم (الميتروبول) مفادها أن الجزائر لم تعرف الازدهار منذ ألفي سنة إلا من خلال استعمار خارجي وعليه فالعناصر السكانية (الأهلية) لا ترضخ إلا للأجنبي في إشارة إلى المستوطنين الذين حاولوا الاستقلال عن فرنسا.²

في فصل خصصه للتعمير بداية الاحتلال أبرز الكاتب الشكوك الاستعمارية من جدوى إفساح المجال أمام المهجرات الأوروبية مستدلا على رأي دوفيفي DUVIVIER في كتابه " حلول المسألة الجزائرية " سنة 1841 م قائلا ما يلي (يجب أن يتوقف الاحتلال عند حدود الساحل من بئر خادم إلى الدويرة) والأسباب تعود - حسب رأيه - إلى جهل الفرنسيين التام بطبيعة الأرض والمناخ مثلت عائقا أمام تقدم الفرنسيين فسهل متيجة وعنابة ليس إلا بؤرة للموت والمرض نفس التوجه عبر عنه الجنرال والحاكم العام بيرتيزين (BERTEZENE) قائلا " لا تمثل متيجة سوى مستنقع كبير نعوش لمن أراد التوغل داخلها أو القيام بأي نشاط في اتجاه استغلال أراضيها ... يضيف قائلا ... " لا جدوى من إقامة مستعمرات خارج نطاق الساحل " اتجاه كان محل نقاش كبير داخل الغرفة البرلمانية في فرنسا خلال اجتماعها يوم 7 مارس 1834

¹ GAUTIER (F) L'Evolution De L'Algérie De 1830 A 1930, (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930, p. 6.

² ibid, p13

م حيث أكد دوبان Dupin وهو نائب برلماني قائلاً " التعمير شيء مجهول مخيف ومظلم والفرنسيون ليسوا على استعداد لركوب مغامرة محفوفة بالمخاطر"¹ وعليه يمكننا القول من جانبنا بأن المعمرين هم من كان وراء تكريس التوسع خارج نطاق الساحل، بداية الاحتلال نتيجة جشعهم وحبهم للمغامرة وجمع الثروة كما وأن الاتجاه الذي عكسه القادة العسكريون مثل بيرتيزين (BERTEZENE) أو ساسة برلمانيون آخرون مثل دوبان (DUPIN) كان معبرا عن تيار براغماتي أكثر واقعية وتبصرا تبعا لميزان الريح والخسارة الذي كان سيكلف الحكومة الفرنسية الشيء الكثير إذا ما انسأقت وراء أطماع لانهاية لها.

قام الكاتب بجدد إحصائي لتطور السكان في الجزائر (1856م - 1926م) عالج فيه أسباب انخفاضهم بين (1856م - 1872م) أرجعه إلى عوامل الطبيعة القاسية التي يعرف بها شمال إفريقيا عموما وأدت إلى هلاك الآلاف من سكانه على الرغم من الظروف السياسية المساعدة خلال تلك الفترة التي منحت فيها الجمهورية الثالثة الجزائريين حكما ذاتيا وإصلاحات أكبر وسلطة أوسع لهم في مجال تسيير الموارد² تبرير سخيف ساقه الكاتب جرد الاستعمار من جرائمه التي ارتكبها على الشعب في القرى وميادين القتال ومن خلال مصادرة أرزاقهم والاستيلاء على أراضيهم وإتقال كاهلهم بالضرائب والغرامات في إطار قوانين جائزة كقانون الأهالي 1871م وما تلى ذلك من عمليات انتقام وتهجير نتيجة المقاومة التي أبدتها الشعب ضد الغزاة .

وفي فصل آخر تحدث المؤرخ الفرنسي عن الموارد الطبيعية الزراعية التي تزخر بها الجزائر كالفلين والحلفاء واستخداماتها الصناعية وأشاد الكاتب بزراعة الكروم والتبغ في إطار الزراعة النقدية³ و كالزيوت كصناعة غذائية استحدثتها الاستعمار بعدما كانت الأراضي تنتج محاصيل استراتيجية كالحبوب اعتبرت خزانا للغذاء على مدى عصور طويلة ودونما مراعاة لخصوصيات المجتمع الجزائري المسلم، استعرض بعدها أنواع الصناعة التي ارتكزت في الأساس على المناجم بالإضافة إلى السياحة ونظام البنوك الذي سهل عمليات التمويل بالقروض لصالح المستوطنين⁴

¹ GAUTIER (F) L'Evolution De L'Algérie op cit, pp 17-18

² ibid, p 27

³ ibid p 40

⁴ idem p 66

فأشار المؤرخ إلى المجهودات التي قامت بها فرنسا في اتجاه تطويرها للمواصلات والتجارة كخطوط السكك الحديدية عبر المناطق الصحراوية وإنشاء الهياكل الضخمة من مدن وموانئ ومرافئ وغيرها أكسبت الإدارة الاستعمارية ميزانا تجاريا راجحا فاق ثمانية ملايين فرنك فرنسي كافية - حسب رأيه- لمحو آثار اهانة الدّاي حسين كرامة فرنسا في 1830م،¹ الشيء الذي يذكرنا بالمفاوضات التي باشرها حمدان بن عثمان خوجة وابن العنابي والعرض التي قدّمها للماريشال دي بورمون أثناء حصاره القصبة وقتله الآلاف من السكان، راجين منه محاسبة الداوي واقتلاع رأسه إن كان ذلك يشفي غيظ الفرنسيين ويزيل غضبهم، فكان ردّ الماريشال الفرنسي (إن ملك فرنسا يفضل أخذ المدن بدلا من رؤوس أعداءه)

- الجنود العظماء للجزائر (Les grands soldats de l'Algérie) للجنرال باول أزان (AZAN) استعرض فيه الكاتب مجموعة من قادة الجيش الفرنسي قدّمها في شكل تراجم استهلها بترجمة لشارل دوبورمون (DE BOURMONT) قائد الحملة الفرنسية على الجزائر عين حسب نظر الكاتب من قبل الملك شارل العاشر لدواعي سياسية عرف بجاذبيته وشعبيته، فيما اختير (DUPERRE) على أساس خدماته البحرية التي أهّلته لأن يكون قائدا للأسطول الذي حمل الغزاة من طولون عرف دوييري بانتقاداته اللاذعة لحكومة شارل العاشر كما عرف أيضا بطبعه الحاد وأفكاره الليبرالية تلاه ترجمة للضابط بوتان (BOUTIN) تكلم فيها عن مهمته التجسسية للجزائر من (24 ماي إلى 17 جويلية 1808م) استحق الجاسوس تسجيل اسمه في الكتاب الذهبي ليس لمعرفته الحصون والقلاع المحيطة بالعاصمة بل كونه رسم مخططا كاملا لاحتلال الجزائر بدءا من الإنزال في سيدي فرج وحتى الاستيلاء على حصن الداوي فيما اعتبر المارشال كلوزيل (CLAUZEL) مؤسساً لفرقة الزواوة قام بتوسيع الاحتلال في متيجة وبوفاريك والبليدة والمدية واستعاد مرسى الكبير ووهران أراد كلوزيل وأراد السيطرة على إقليم وهران وقسنطينة من خلال إشراف تونسي تضمن للخزينة الاستعمارية مداخيل في وقت كانت فيه فرنسا عاجزة عن صرف مرتبات جنودها أو لمواصلة تجنيد فرق جديدة لمواصلة الغزو، حسب نظر الكاتب تعرض الأخير لانتقادات على مشاريع استعمارية لم يستطع أصحاب القرار في باريس فهم حيثياتها

¹ GAUTIER (F) L'Evolution De L'Algérie ...op cit, p 78

انتهت به إلى العزل من منصبه¹ تسائل الأستاذ أبو القاسم سعد الله "ماذا حقق المارشال كلوزال هذا في الجزائر غير إحداه الفوضى؟ لقد أرسل جنوده هنا وهناك محاولاً قهر الشعب الجزائري ووضع أسس الحكم الفرنسي لقد كان محبوباً من طرف الجيش الفرنسي لأنه أطلق يده ضد الأهالي الجزائريين"²

تطرق بول أزان في كتابه إلى شخصية الأمير وأرجع سبب عدائه لفرنسا إلى سوء ترجمته لمفاهيم ركن الجهاد في القرآن الكريم، شأنه في ذلك شأن باقي الجزائريين الذين شكّلت عقيدة الإسلام أساساً في تكوين شخصيتها، وبعدها ذكر مراحل المقاومة التي أعلنها الأمير ضد الفرنسيين وما تخللها من انجازات عسكرية وسياسية تطرق الكاتب إلى شخصية الأمير (الحقيقية) الذي بدأ ظهورها في عام 1847 م جعلت منه رجل فرنسا الأول أين تحدث الأمير لأول مرة دون ضغينة تذكر للمسيحيين مع الجنرال دوماس (DUMAS) الذي أشرف على حراسته في سجن لومبواز عن تقارب عقيدة الإسلام والمسيحية على اعتبار كليهما كتاباً سماوياً³ كما تطرق أيضاً إلى شخصية بيجو (BUGEAUD) التي جمعت الصفات العسكرية والإدارية والسياسية في آن واحد وحققت له شعبية لا مثيل لها في أوساط المجتمع الفرنسي داخل الجزائر وفي فرنسا مكنته لأن يكون محل احترام من قبل نواب البرلمان الذين قدّروا آراءه في مخططات الحرب ومشاريع السياسة وميزانية الاستيطان.⁴

– الحكومة الجزائرية Le gouvernement de l'Algérie

للويس ميليو (MILLIOT) أستاذ كلية الحقوق بالجزائر تطرق الكاتب إلى سعي فرنسا لبناء مشروع استيطاني توسعي بشيء من التحليل لمؤسساته السياسية والتشريعية والقانونية مستعرضاً طرقه في النمو والتوسع والنتائج التي حققها في مجال تسيير المستعمرة، تحدث الكاتب في الفصل الأول إلى وضع الجزائر قبل 1830 م فأكد على انعدام وجود كيان سياسي بحدود جغرافية تميزه عن باقي الدول الأخرى بل قوة بحرية اشتغلت على القرصنة⁵

¹ AZANE (Paul) *Les grands soldats de l'Algérie les conquérants d'Alger*, (P, C, N, M, C, A) Alger 1930, p 14

² سعد الله، أبحاث...مرجع سابق، ص 95

³ AZANE, op cit. ... pp 54-55

⁴ ibid, pp 62-63

⁵ MILLIOT (Louis), *Le gouvernement de l'Algérie*, (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930, p 4

تطرق بعدها في الفصل الثاني إلى التنظيمات الإدارية (المكاتب العربية) التي استحدثتها الحكومة الفرنسية سنة 1844م واستخدمتها في تنظيم شؤون (الأهالي) ومراقبة نشاطهم بإشراف ضباط عسكريين يتقنون التحدث باللغة العربية وعلى معرفة كاملة بالأعراف والتقاليد التي يخضعون لها¹ انتقل بعدها لتحليل المشروع الذي طرحه نابليون الثالث وحاول تطبيقه في الجزائر " الإمبراطورية العربية " فأصدر مرسومين إمبراطوريين مرسوم 22 افريل 1863 ومرسوم 14 جويلية 1865 مشروع أثار في نظر الكاتب جدلا واسعا داخل الأوساط السياسية الاستعمارية قابله المستوطنون بالرفض كما تطرق لإصلاحات 1919م وناقش وضع الأهالي داخل المستعمرة فالجزائر ذات المناخ المتوسطي والتركيب السكانية المتناثرة استطاعت -حسب رأي الكاتب- استيعاب الفائض من السكان الذي اكتظت به الضفة الجنوبية لأوروبا حصل المستوطنون على سبعة 7 ملايين هكتار كافية لإشباع هم الوافدين الجدد تطرق بعدها في الفصل الثالث إلى وضع المستعمرة من خلال القوانين الفرنسية التي حاول الاستعمار تطبيقها في الجزائر مع استثناءات طرحت كبديل تبعا لمعطيات ديموغرافية فرضها تواجد العنصر (الأهلي) المحلي في إشارة إلى الجزائريين²

تحدث الكاتب في عرض كرونولوجي لتاريخ المستعمرة عن العملات الثلاث الجزائر قسنطينة ووهران التي خضعت لسلطة الحاكم العام المدني وإشراف مباشر من وزير الداخلية وفقا لقانون 24 أكتوبر 1870 استعرض مهام الحاكم العام المدني وصلاحياته في إعداد الميزانية والإشراف على مختلف المصالح المدنية والعسكرية ومع كل هذه الصلاحيات يعد الحاكم العام موظفا لدى مصالح وزارة الداخلية يتقيد بقوانين الجمهورية الفرنسية ومسئولا أمام الرأي العام الفرنسي في الجزائر الذي يملك السلطة الفعلية في منحه الثقة في البقاء على رأس الحكومة أو التنحي عنها واستبداله بموظف آخر، استعرض الكاتب خصوصيات إقليم الجنوب ومساحته الجغرافية التي فاقت إثني مليون كلم مربع كما استعرض كثافته السكانية التي تقل عن إقليم التل بعشر مرّات إقليم حرصت فرنسا على إثبات وجوده بحدود جغرافية لدواعي أمنية واقتصادية ضمن قانون مؤسس صدر بتاريخ 2 ديسمبر 1902 م وقرار تنفيذي صدر بتاريخ 30 ديسمبر

¹ MILLIOT (Louis), **Le gouvernement...**, op, cit p 15

² ibid, p 18

1903 م أعطى صلاحية الإشراف عليه لضابط سام في الجيش الفرنسي خضع لأوامر مباشرة من وزير الحربية.¹

–السياحة في الجزائر L'Algérie touristique

للجنرال دي بونفال (DE BONNEVAL) تطرق في سياق مونوغرافي لمظاهر سطح الساحل والسلسلة الأطلسية والهضاب والصحراء، فاستعرض الشبكة الهيدروغرافية والمناخ الذي تنوع تبعا لتنوع التضاريس المؤثرة قام بعدها بدراسة إحصائية لسكان الجزائر الذين وصل عددهم إلى ستة ملايين شكل المستوطنون الأوروبيون سدسهم توزعوا بين العمالات الثلاث توزيعا غير متكافئ مثل فيه البربر العنصر (الأهلي الأصلي) 30% من السكان يتكلمون اللغة البربرية في حين مثل العرب الذين قدموا من الجزيرة العربية في القرن الثامن الميلادي والقرن العاشر 70 % تواصلوا بينهم بلغة مستوردة غلب عليها الرّعونة والابتدال.²

تطرق بعدها الكاتب إلى تنظيم السياحة في الجزائر قام بمقاربة بينها وبين النظام المعتمد داخل فرنسا الأم (الميتربول) استعرض وسائل النقل والخدمات الإدارية وتمويل الأشغال السياحية ووضع الميزانية التي ارتبطت بمديرية التجارة كما أشار إلى دور البنوك والفنادق في تسيير الخدمات السياحية تسهيلا لاستغلال هذه الثروة الموجودة في بلده - على حد قوله - تطرق بعدها إلى الحمامات المعدنية التي احتوت على الكبريت والحديد والصوديوم وغيرها كما تطرق أيضا إلى الصيد البرّي والبحري³ قدّم الكاتب دليلا سياحيا أبرز فيه خرائط المناطق الأثرية والفنادق والحمامات تجنب الكاتب في مؤلفه هذا أي عرض غير مجد للجوانب الجغرافية ركّز فيه على الجهود الاستعماري الذي حوّل منطقة (بربرية) غير صحّية ودون ثقافة تذكر- في نظره - وبمساحة جغرافية فاقت مساحة فرنسا الأم إلى حلم للسياح.⁴

¹ MILLIOT (L) *Le gouvernement...* op. cit, p 25

² DE BONNEVAL, *L'Algérie touristique* (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930, p 8

³ ibid, p. 25

⁴ ibid, p 30

- وسائل النقل والاتصال البحرية والجوية والبرية في الجزائر

Moyens De Transports Et De Liaisons Maritimes Aériennes Et Terrestres En Algérie

للمؤلفين جون دينيزي (DENEZET) عضو هيئة التدريس في المدرسة الفرنسية بروما، والعقيد دي (DHE) مدير الطيران في الجزائر استعرض فيه الكاتبان مجمل الطرق البرية والبحرية والجوية التي ربطت المناطق والمدن الجزائرية كما استعرضا أيضا وسائل الاتصال مثل الهاتف والتلغراف والبريد بشكل عام.¹

- المنتجات الجزائرية (les Productions Algériennes)

- للكاتب جون بلوتير (BLOTTIERE) المهندس في الفلاحة والملحق بديوان التجارة، تطرق فيه الكاتب إلى أنواع المنتجات الفلاحية كالحبوب والزيتون والتمور والخضروات التي شكلت موارد الزراعة الرئيسية للجزائر، كما تطرق أيضا إلى الموارد ذات الطابع التجاري والصناعي كالنبتة والقطن والثروة الغابية كالفلين والحلفاء؛ أو ذات المصدر الحيواني كالجلود والصوف والوبر أضاف إليها الموارد المعدنية من فوسفات وحديد توفرت عليها البلاد بكميات معتبرة موارد استغلت من طرف المستوطنين بعدما ظلت لقرون عديدة ثروة خام وعقيمة تمكن الاستعمار من استغلالها وتحويلها إلى فرنسا باعتبارها بلدا صناعيا.²

- العادات وأنماط المعيشة في الجزائر (La vie et les mœurs en Algérie) لبيار دي لونكل

(DELONCLE) عضو اللجنة العليا للاحتفالات المئوية تطرق الكاتب إلى المساكن والحدائق الجزائرية وأماكن التجمع والمقاهي والحمامات، أشار إلى الخيام في الهضاب والصحراء وداخل الواحات، قدّم مشهدا تصويريا للحياة اليومية للجزائريين، تنوعت بين الحرف والتجارة تطرق إلى الأسواق ودورها في عملية التبادل التجاري ووصف طرق القوافل في ربوع الصحراء³ وإلى أنواع الترفيه كالموسيقى والرقص الشعبي والقصائد الملحّنة والمهرجانات الشعبية من فروسية وضرب

¹ DENEZET(Jean) Les **Liaisons Maritimes, Aériennes et Terrestres de l'Algérie**, (P, C, N, M, C, A),

Alger, 1930, p 1

² BLOTTIERE (J) les **Productions Algériennes**, Cahier du centenaire, (P, C, N, M, C, A), Alger, 1930 p1

³ DELONCLE (Pierre) **La vie et les mœurs en Algérie** Cahiers du centenaire (P, C, N, M, C, A) Alger 1930, p5

بالبارود، تناول بعدها نظام القضاء المحلي وكيفية فض المنازعات بين (الأهالي) ومواكب الجنائز وطقوس العزاء وعن روح التسامح والتضامن بين السكان الذي تجلت مظاهره في تقديم العون للمرضى والمعوزين والأرامل واليتامى، تحدث عنها الكاتب في جوانب ثقافية وفكرية ضمن تقاليد استنبطت من عقيدة المسلمين... أضاف.. إليها صفة الوفاء بالوعد وصدق القول صفات حدّدت مكانة الرجل ومرتبته الاجتماعية في الجزائر المسلمة.¹

– فرنسا والأعمال الأهلية في الجزائر La France et les œuvres indigènes en Algérie

للكاتب جون ميرانت (JEAN MERANTE) مدير الشؤون الأهلية في الجزائر، احتوى الكتاب على ثمان وخمسين صفحة تناول فيه التغيرات التي لحقت بالمجتمع الجزائري (الأهلي) خلال الفترة العثمانية، وصفه بالأوليغارشي الذي تقاسمت فيه الأقلية التركية ورؤساء القبائل العربية النفوذ والسيادة والسلطة المطلقة دون رقابة تذكر، حكم الأتراك القبائل البدوية التي تجمعت في شكل حشود بشرية متخلفة افتقدت إلى تنظيم اجتماعي وسياسي، مقابل طبقة برجوازية ظهرت بشكل مفاجئ يصعب معرفة أسباب حصولها على الثروة والجاه أو معرفة انتماءاتها العرقية، لم يقدّم الأتراك في نظر الكاتب أي شيء يستحق الذكر في المجال الاجتماعي الحضاري أو السياسي المؤسسي غير نشر الفوضى والفساد واستغلال السلطة وجمع الضرائب مظاهر سادت إيالة الجزائر قبل 1830م.²

انتقل بعدها إلى تعريف الأجواد والشرفاء نخبة جزائرية أصيلة من الأعيان انتشرت في إقليم قسنطينة على وجه الخصوص، عدّ الكاتب الباشاغا مرتبة سياسية لا علاقة لها بالأصول الاجتماعية أو الإثنية فغالبية من حملوا هذه الصفة في نظره انحدروا من أصول بربرية على غرار عائلة المقراني، استثمر الاستعمار في هذه الفئة من الجزائريين فأطلق عليهم تسمية القياد توفرت فيهم الشروط المهنية والمواظبة وخدمة الإدارة الاستعمارية اعتبرها الكاتب تطورا سياسيا مكّن السلطة الاستعمارية من إدارة المستعمرة بطريقة صحيحة،³ أشار الكاتب إلى ظاهرة التحضر التي اقتصر على المدن فقط فالحياة الريفية في الجزائر لم تصل إلى حدّ التطور على مدى القرون

¹ DELONCLE (Pierre) *La vie et les mœurs en Algérie...*, op, cit, p 10

² MERANTE (Jean) *La France et les œuvres indigènes en Algérie* (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930, p 5

³ *ibid*, p 8

الماضية شكلت فيه القبيلة وحدة ضمّت أفراداً على نسق اجتماعي تداخلت فيه عوامل البيئة والجغرافيا أي الموطن الواحد لا عوامل العرق والسُّلالة، اعتمد في إثبات مقولته على الدراسات الأنتروبولوجية التي قام بها أوغستان بيرنار (BERNARD) في المغرب والكتاب في مجمله استعراض إحصائي لديموغرافيا سكان الجزائر¹ لخص فيه الأعمال الحرفية التي كان امتنها (الأهالي) قبل 1830م كالسجاد والحلي والسيوف وأدوات الطهي.²

انحصر التعليم في نظر الكاتب قبل الاحتلال على الرّوايا والكتاتيب نظام تعليم رديء ومتخلف، لقن النشء مبادئ لاهوتية غير ذات قيمة اجتماعية أو أخلاقية في إشارة إلى القرآن الكريم.³

– التاريخ ومؤرخو الجزائر: لمجموعة من المؤلفين الفرنسيين وهم على التوالي: غزال (GSELL) وجون أليزار (ALAZART) وجون البيرتيني (ALBERTINI) وبرودل (BRAUDEL) وإسكير (ESQUER) وإميل فليكس غوتيه (GAUTIER) وجورج مارسسي (MARCAIS) ووليام مارسسي (MARCAIS) ومارتينو (MATINO) ومورون (MOROND) ورايقاس (REYGASSE) وتاليار (TAILLIART) وزيلر (ZEILLER) وايفير (YEVEVER)

بمقدمة على شكل تساؤلات كتبها استيفان غزال، استعرض فيها هوية الجزائر وتاريخها الممتد على مراحل كتراث غير معرف لشح الكتابة عنه، كنائس بيزنطية تواجدت في عموم الجزائر وأعمال فنية غنية بقيت على الرغم من غناها مقطوعة الصلّة بمحيطها الأصلي الطبيعي ومن قام بانشائها في إشارة إلى التراث البيزنطي...أضاف... ليس هناك ما يثير الاهتمام حول تاريخ البلاد البربرية خلال الفترة العربية إلاّ من خلال ما كتبه الرحالة الأوروبيون كليون الإفريقي الايطالي الذي تحول في أنحاء البلاد أو شهادات بحارة أوروبيين تحدثوا عن القرصنة الجزائرية.⁴

حسب اعتقاده للجزائر تاريخ مزدوج الأوّل خاص (بالأهالي) الذين ارتبطوا بعادات بدائية مجهولة منذ فجر التاريخ مجتمع غير متحضر عجز على إنشاء كيّان سياسي قوي ردّ الغزو

¹ MERANTE (Jean) *La France et les œuvres...*, op, cit p15

² ibid, p 44

³ idid, p 73

⁴ Gsell, *Histoire et Historiens* ...op cit, p 1

والاجتياح - في إشارة إلى العرب الفاتحين - والثاني اختص بحضارة المستعمرين داخل المدن والحواضر، تأسف الكاتب على الفرصة التي أضاعها الرومان لرومنة شمال إفريقيا، كما تأسف أيضا على الكنيسة التي لم تبذل جهدا كافيا لتحويل المجتمع البربري إلى مجتمع لاتيني مسيحي في وقت تمكن فيه العرب من أسلمته وتعريبه بوسائل قليلة وجهد متواضع في وقت قصير.¹

ومرّت مائة واثنان وثلاثون سنة من احتلال الفرنسيين، بذل فيها الغزاة جهدا جبارا متواصلا من التأليف لكتابة تاريخ جديد للجزائر، هدم الاستعمار المساجد وبنى الكنائس ومنع تدريس اللّغة العربية ضيق فيها على العبادات وقطع الحجّ تحت مسمى التحريض على التطرف، نشر الانحلال وسنّ قوانين زجرية جرّدت الجزائري من كل شيء. فهل أصبحت الجزائر فرنسية أم بقيت عربية مسلمة؟

¹ Gsell, *Histoire et Historiens* ...op cit, p 5

الفصل الثالث:

النشاط العلمي للجمعيات التاريخية والأثرية

(1830 م – 1930 م)

أولاً: الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة

(1852م-1930م)

ثانياً : الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر

(1856م-1930م)

ثالثاً: الجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران

(1878م-1930م)

استمر تنفيذ مشاريع البحث العلمي على جميع الأصعدة والمجالات، فتشكلت الجمعيات العلمية التاريخية والأثرية والجغرافية وفق آليات وبرامج أعدت لهذا الغرض، كالجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة التي تأسست في سنة 1852م وكانت أول جمعية علمية في الجزائر انصبت جهودها على البحث في التراث القديم بشكل عام والتراث الروماني والمسيحي البيزنطي بشكل خاص برزت من خلال التنقيب عن المكتشفات، تلاها تأسيس الجمعية التاريخية على يد محافظ مكتبة الجزائر بيروجر سنة 1856م والتي أصدرت مقالاتها في المجلة الافريقية إضافة إلى الجمعية الجغرافية والأثرية لمدينة وهران التي تأسست في سنة 1876م، واستمر نشاطها إلى غاية استقلال الجزائر 1962م حيث نشرت أعمالها التاريخية والجغرافية والأثرية في منشورات خاصة، والجمعيات ليست الوحيدة في الجزائر فهناك أكاديمية هيون والجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وغيرها لذا اختيرت النماذج تبعا لتوزيعها الجغرافي التي انتشر نشاطها على العمالات الثلاث.

أولا: الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة 1852م

1- ظروف نشأتها

تأسست بتاريخ 5 ديسمبر 1852م في أحد قاعات المدينة¹ حيث اجتمع عدد من الهواة الباحثين في مجال التاريخ القديم وهم كرولي (CREULLY) عقيد في سلاح الهندسة بالجيش الفرنسي وتيكسي (TEXIER) مفتش عام للعمارة المدنية، وشوازي (CHOISNET) أمين عام عمالة قسنطينة ودي لانوي (DE LANNOY) مهندس عام في الأشغال العمومية والجسور وميلوشان (MILLOCHIN) مفتش الأملاك والتسجيلات وفيتال (VITAL) وهو طبيب رئيسي وأوبير (AUBERT) وهو مهندس معماري اشتغل في العمارة المدنية وبروسلار (BROSSELDAR) رئيس المكاتب العربية في الإقليم، ولوبارون (LE BARON) عقيد في سلاح الهندسة، والمستشرق شاربونو (CHERBONNEAU) أستاذ اللُّغة العربية التقى الجميع لمناقشة وسائل جمع وحفظ المعلومات التاريخية والأثرية التي تعلق بتراث مدينة قسنطينة ، واتفق الكل على ضرورة إنشاء جمعية اصطلاح على تسميتها الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة، حيث انصبت

¹ MERLIN (Alfred) « le centenaire de la société Archéologique de Constantine » in. J S Année 1954,

انشغالهم على وضع إطار قانوني حدّد مهامها ونظم عملها اختير ثلاثة من بينهم أشرفوا على كتابة القانون الأساسي للجمعية.¹

2- إطارها القانوني:

ضمّ المكتب الإداري للجمعية الرئيس ساعده نائبان وثلاثة أمناء أمين خاص بالأرشيف والوثائق وأمين مساعد وآخر خاص بالخزينة، تشكل مجلس الإدارة من خمسة أعضاء انتخبوا بالأغلبية النسبية من الأصوات تمثلت مهام رئيس المجلس في المحافظة على النظام داخل الجمعية في حالة حدوث انقسام خلال المداولات،² كما أسندت له مهمّة توقيع جميع المراسلات الإدارية فهو الوحيد الذي يمثل الجمعية كما جرى اختيار النواب على الطريقة التي تم بها انتخاب الرئيس فيما كانت مهام أمين المكتب تحرير التقارير وإمضاء محاضر الاجتماعات وتقديم حصيلة إنجازات الجمعية كل سنة، تمثلت مهام أمين الخزينة في جمع اشتراكات الأعضاء مع تسيير نفقات الموظفين وألزم القانون مكتب الإدارة بالتكفل بجميع الشؤون الداخلية من مراقبة سير النفقات والأرشيف والمراسلات، حُدّدت اجتماعات المجلس مرة كل شهر في الحالات العادية، انعقدت استثناء بطلب من رئيس الجمعية، لا ينتخب فيها مدّة أخرى إلاّ بعد مرور سنة على انقطاعه فيما استمر أمين الخزينة وأمين الأرشيف في أداء مهامهما مدة سنتين، ونص قانون الجمعية على إعادة انتخابهما بصفة دائمة شرط تجديد الاقتراع، فيما قدّمت الجمعية حصيلة إنجازاتها العلمية كل سنة تمثلت في كتب ومشاريع بحث ومكتشفات أثرية وغيرها.³

3- تركيبها (الأعضاء المؤسسون)

- 1- بروسار (BROSSELDARD) رئيس المكاتب العربية في الإقليم
- 2- سوكالدي (CECCALDI) طبيب رئيسي في المستشفى العسكري بمدينة قسنطينة
- 3- شاربونو (CHERBONNEAU) أستاذ حلقة اللّغة العربية في قسنطينة
- 4- شوازي (CHOISNET) أمين عام عمالة قسنطينة.
- 5- دي لانوي (DE LANNOY) مهندس عام في الأشغال العمومية والجسور.

¹ Hinglais (U) « Le Premier Demi Siecle ... » op ; cit. P1

² « Statut De La Société Archéologique De La Province De Constantine » in A.S.A.C Constantine, Année 1853, p1

³ ibid, p-8

- 6- ميلوشان (MILLOCHIN) مفتش الأملاك والتسجيلات بقسنطينة.
- 7-فيتال (VITAL) طبيب رئيسي بمستشفى قسنطينة.
- 8- أوبير (AUBERT) مهندس معماري في العمارة المدنية.
- 9- لوبارون (LEBARON) عقيد في سلاح الهندسة.
- 10-دوبار (DUBART) وهو نائب إمبراطوري في قسنطينة.
- 11-لابي دي غلاتيناى (DE GLATINAY) رئيس محكمة قسنطينة.
- 12-دي نوفو (DE NEVEU) وهو رئيس سرية في قيادة الأركان ورئيس المكاتب العربية بالإقليم.
- 13- فالوا (VALOI) قاضي الصلح بإقليم قسنطينة¹

وعليه اختلفت انتماءات الأعضاء ومرتباتهم الاجتماعية ومناصبهم المهنية ودرجاتهم العلمية، فمنهم القضاة وموظفوا الإدارة العمومية والأطباء وحتى العسكريون، لم تضع الجمعية حواجز تذكر أمام الراغبين في الانضمام إليها من الفرنسيين فتزايدت أعدادهم لاهتمام الكثير منهم بتاريخ الجزائر وتراثها المادي الأثري في وقت ضيقت فيه قوانينها على انضمام أقلام جزائرية إلى مجلتها.

4- نشاطاتها البحثية

تركت الجمعية حرية إبداء الرأي حول ما توصل إليه كتابها من أبحاث تاريخية واكتشافات أثرية، تمحورت بين المجموعات والحواليات التي كانت تصدرها من حين لآخر.

1-4- الحوليات:

اشتملت على ستة أعداد نشرت من سنة 1853م إلى غاية 1862م، تضمنت مقالات حول الآثار القديمة في مدينة قسنطينة² وبقايا آثار الاحتلال الروماني لمدينة سكيكدة،³ وترجمة لكتاب إفريقية المسيحية كما تم التطرق إلى الأثاث الموجود في كنيسة قسنطينة التي تم تأسيسها سنة

¹ « Liste des membres fondateur », in A.S.A.C ... op cit, p 10

² ANONYME (Frédégair) « Coup D'œil Sur Les Antiquites De La Province De Constantine » in A.S.A.C Année 1853 p 13

³ MARSSILLY (C) « Notice Sur Les Vestiges De L'occupation Romains Dans Le Cercle De Philippeville » in A.S.A.C ... ibid p 20

303م¹ وأخرى تنوعت بين كتابات لاتينية وبونيقية قديمة اكتشفت في العمالة ومذكرات تاريخية وأثرية عن مدينة تبسة،² ومقالات عن نقوش احتوت على كتابات لاتينية ذات دلالة دينية جنائزية على شكل مراثي نقشت على التوابيت، وأخرى جداريات حملت كتابات لموظفين إداريين اكتشفت في مدينة قسنطينة.³

2-4- المجموعات للبحوث والمذكرات

بدأ صدورها منذ 1863م تضمن العدد الأول مقدمة وقائمة بأسماء الأعضاء الرئيسيين والشرفيين والمراسلين مع أعضاء المكتب الإداري وأعضاء لجنة معالجة المخطوطات بالإضافة إلى الجمعيات التي ارتبطت، كتب بول (POULLE) رئيس فرقة الآثار بأكاديمية عنابة مقالة حملت عنوان " من خلال موريتانيا السطيفية " تحدث فيها عن مدينة سطيف العاصمة الإدارية لموريطانيا والتي اقتبست تسميتها من المدينة المذكورة،⁴ كما أشاد الكاتب بدور الإمبراطور الروماني سيبتيموس سيفيروس (SEPTIME SEVERE) في ازدهار إفريقيا من خلال ما شيده الرومان من مدن احتوت على طرقات ومباني وحصون.⁵

نشر الباحثون في التراث القديم مقالات عن نقوش على الجدران وحلّي وأدوات طهي وجدت داخل التوابيت⁶ ورفات موتى دفنت في وضعية جلوس وفسيفساء عادت إلى العصر البيزنطي⁷ بالإضافة إلى تقارير ورسائل في شكل إشعار إلى الجنرال ديسفوكس (DESVEAUX) قائد عمالة قسنطينة بعث بها النقيب بايان (PAYENE) مسؤول قطاع برج بوعريريج حول الأشغال المائية القديمة في منطقة الحصنة تمثلت في مكشفات لمجاري مائية حجرية احتوت على

¹ MOLL (A) « Note sur des fouilles faites à Lambèse aux sources d'Ain Drinn et d'Ain Boubennana » in **A.S.A.C** Année 1956-1957, p 157

² ibid, 169

³ CHERBONNEAU (Auguste) « Inscriptions latines découvertes dans la province de Constantine » in **A.S.A.C**, Année 1858- 1859, p 114

⁴ POULLE (A) « A travers la Mauritanie Sétifiene, » in **R.S.A.C** Année ,1863 p 158

⁵ ibid, 156

⁶ CHERBONNEAU (Auguste) « Explication des objets antiques dessinés par Féraud » in **R.S.A.C**, ibid, p 261

⁷ ibid, p 294

مصباتٍ وأفنية وآبار وأحواض وسدود استخدمت في الشرب وسقي المزروعات،¹ إلى جانب منها بقايا آثار لتجمعات سكانية أشار فيها الكاتب إلى وجود مستعمرة رومانية قديمة.² احتوت المجلة على مقالات لحيوانات استأنسها الإنسان القديم في منطقة ليبيا وأشار إليها المؤرخ الإغريقي هيرودوت (HERODOTTE)³ وأخرى تعلقت بحملة الكونت أوريلي (O'REILLY) ضد مدينة الجزائر سنة 1775م،⁴ ومقالا على لسان كاتب مسلم تحدث فيه عن غزو مدينة الجزائر من قبل الفرنسيين سنة 1830م، عالج فيها الكاتب مخطوطات على شكل رسائل اقتناها من أولاد بن جلول مراسلات تمت بين أعيان مدينة الجزائر بعد سقوطها أغلبها يدعو إلى الجهاد ضدَّ الفرنسيين⁵ وتضمنت المجلة مقالا استعرض فيه الكاتب بالتفصيل رسالة موجهة من الخبر الأعظم لليهود (CAHEN GRAND RABIN) إلى أمين عام الجمعية فيرو (FERAUD) أشار فيها إلى دور يهود تقرت في إفشال الحملة الاسبانية على ميناء الجزائر سنة 1775م، مبررا وقوفهم ضد الاسبان على خلفية الاضطهاد الذي تعرضوا له في الأندلس بعد سقوط غرناطة⁶ كما أوضح الضابط الباحث توكسيي (TAUXIER) بعد الدّراسة والمقارنة خصّت الكتابات النوميديّة القديمة وجود تشابه كبير بين اللّغة (البربرية) واللّغات الشرقية القديمة الأخرى مثل العبرية والأمهرية والكلدانية انحدر جميعها - حسب رأيه - من الأصل السامي،⁷ تضمّنت المجلة عرضا تاريخيا خاصا بالكاهنة وتصديها لغزو (العرب) في بلاد إفريقيا⁸ وقدم فيرو عرضا حول القبائل العربية المتواجدة في عمالة قسنطينة التي انحدرت أصولها حسب رأيه من أحد المرابطين وهو أحمد

¹ PAYEN (Capitaine) « Notice sur les travaux hydrauliques anciens, dont il existe encore de Nombreux Vestiges dans la partie du Hodna dépendant de la province de Constantine » in **R.S.A.C**, Année, 1864, pp 1-2

² ibid, pp .14-15

³ JUDAS (A) « Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote » in **R.S.A.C**, Année 1865 p. 122

⁴ FERAUD (Laurent Charles) : « Expédition du comte O'Reilly contre Alger en 1775 [récit de Si Ahmed el-Anteri], » in **R.S.A.C** ..., op cit , pp. 47

⁵ FERAUD (L) « La prise d'Alger en 1830 d'après un écrivain musulman (papiers de famille des Oulad ben-Djelloul) » in **R.S.A.C**, ... ibid, pp. 67-68

⁶ CAHEN (Abraham) « Lettre sur les Juifs de l'Algérie et de Tuggurt » in **R.S.A.C**, Année 1866, pp. 1-2

⁷ TAUXIER (Henri) « Sur la détermination et le sens de plusieurs mots de l'ancienne langue numide » in **R.S.A.C** ...ibid, pp. 100-101

⁸ MERCIER (Ernest) « Une page de l'histoire de l'invasion arabe. La Kahena » in **R.S.A.C** ..., ibid, p. 241

ابن تاميمونت الذي هاجر من الساقية الحمراء واستقر في سهول قسنطينة، والمقال تيممة لمقال آخر نشره الكاتب سنة 1864م، ضمّنه عادات وتقاليد وطقوس دينية مارستها قبيلة أولاد عبد النور،¹ فيما عرض أيضا تاريخا مقتضبا عن بجاية إحدى مدن عمالة قسنطينة² ومقالات عن الطائفة القادرية من خلال طقوسها الدينية والمتمثلة في التصوف³ ومقالات أخرى حول تاريخ مدن العمالة ومنها سطيف⁴ برج بوعريرج⁵ المسيلة⁶ وبوسعادة⁷ وأخرى عن الثورات والحروب الذي عمّ شمال إفريقيا بين سنتي (1184م - 1233م) من خلال مخطوط قام المؤرخ بمعالجته وعاد للقيرواني⁸ ونصوصا قانونية لبوخوص صهر يوغرطة الذي اتهم بالخيانة والعمالة للقائد الروماني سولا (SOULA) عثر عليها الكاتب في جداريات صخرية⁹ كما نشرت المجلة عرضا تاريخيا للتمرد الذي قامت به القبائل العربية ضد القوانين الضريبية التي سنّها النظام المركزي (التركي) في الجزائر سنة 1804م،¹⁰ أي خلال فترة حكم الداوي حسن بما يدعم افتراضاتهم النمطية في اعتماد السلطة المركزية آنذاك على أساليب القهر ونشر الذعر بين السكان من خلال فرض الضرائب لتثبيت حكمهم.

لم تخل أعداد المجلة من فهارس خاصة بمتحف قسنطينة الذي تأسس مع إنشاء الجمعية سنة 1852م بغية الحفاظ على الآثار القديمة، استقبل أول قطعة أثرية سنة 1853م تلقى فيه القائمون على إدارته غلafa ماليا قدر بعشرة آلاف فرنك فرنسي، قدّمته الإدارة الفرنسية من أجل شراء بعض القطع الأثرية الرومانية والإفريقية، توزعت أجنحة المتحف على أقسام اختصت بآثار نوميديا وقسم آخر تعلقت محتوياته (بالحضارة الرومانية) وجناح خصّصه القائمون لأعمال

¹ FERAUD « Histoires des villes de la province de Constantine » in **R.S.A.C**, Année, 1869, p 1

² *ibid*, p 85

³ MERCIER (E.) « Étude sur la confrérie des Khouan de Sidi-Abd-el-Kader-el-Djilani à propos d'un Catéchisme à l'usage de ladite secte » in **R.S.A.C...**, *ibid*, p. 409

^{4 4} FERAUD « Histoire des villes de la province de Constantine (Sétif) » in **R.S.A.C**, Année, 1871. P5

⁵ FERAUD « Bordj bou Arréridj » in **R.S.A.C** ...*ibid* p. 179

⁶ *ibid* p.322

⁷ *idem* p 341

⁸ MERCIER (E) « Révoltes et dévastations en Afrique des deux Ibn-R'ania (1184-1233) in **R.S.A.C** ...*op cit*, p381

⁹ FERAUD « Notice sur la statue de Bacchus (découverte à Constantine) » in **R.S.A.C** ...*ibid*, p 408

¹⁰ FERAUD « Nouveau document sur l'insurrection contre les Turcs en 1804 » in **R.S.A.C...** *ibid* p 41.

(الأهالي) كما احتوى أيضا على أسماء شخصيات ساهمت في إثراء المتحف، وجرداً تضمن عرضاً شاملاً لمحتوياته الأثرية¹ وعظام بشرية عادت إلى فترة ما قبل التاريخ اكتشفها دوبروغ (DEBURGUE) أثناء حفريات قام بها داخل كهوف علي باشا.²

استعرضت المجلة العهود الشفوية المستخدمة في أعراق القبائل المحليّة الجزائرية تطورت وأصبحت قانوناً التزم به (الأهالي) في مجالسهم، أرجعها الكاتب إلى انحطاط ثقافة المجتمع والجهل بالتوثيق والكتابة عنده³ كما تناول دوبروغ (DEBRUGUE) المهن الصحراوية في فترة ما قبل التاريخ ومقتنيات جُلبت إلى متحف المدينة احتوت على قطع استخدمها الانسان الحجري؛ سهام ونصال وأوعية فخار ومجموعة عصيّ معكوفة استخدمت في اقتلاع الجذور⁴ لم يشر الكاتب خلال معالجته لتلك المكتشفات إلى أي مقارنة دلّت على وجود تطور حضاري شهدته الجزائر في فترة ما قبل التاريخ.

هكذا عالجت المقالات في مضمونها التراث الأثري للعمالة خلال فترة الاحتلال الروماني ساقه الباحثون في إطار عام لحضارة الرومان وخصّ مجالات التطور عندهم، عدّها كتاب الجمعية فترة مشرقة في تاريخ الجزائر، احتوتها صفحات مجلتها خلال عشرين سنة الأولى من تأسيسها تضمّنت بعض أعداد المجلة أكثر من مقال لكاتب واحد على غرار شارل فيرو الذي نشر له ثمانية عشر مقالا في عدد واحد، كما ضمّت المجلة في عناوينها بحوثاً ميدانية تعلّقت بالأرض وأملاك (الأهالي) واعتبرت مقالاتها وتقاريرها دليلاً علمياً لمن أراد أن يتعرف على تاريخ الجزائر من وجهة نظر استعمارية طبعاً.

ثانياً- الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر 1856 م

1- ظروف تأسيسها : اجتمع محافظ متحف ومكتبة الجزائر يوم 1 مارس 1856م بالجزائر العاصمة مع المستشار المدني لدى الحكومة الفرنسية بيكي (BEQUET) والموظف في الخزينة

¹ ARGUEL (M) « Catalogue du musée archéologique de Constantine » in **R.S.A.C**, Année 1876-1877 p. 1 -2

² DELISLE (Fernand) « Deuxième note sur les ossements humains préhistoriques de la grotte Ali Bacha (Fouilles de M. Debruge) » in **R.S.A.C**, Année 1906 pp. 197 -198

³ ROBERT (A) « Étude sur les serments des indigènes d'Algérie » in **R.S.A.C**, ibid, pp. 465-466

⁴ DEBRUGE (A) « Industries Préhistoriques Sahariennes. Presentation De La Vitrine n° 8 du Musée De Constantine » in **R.S.A.C...**, ibid, pp. 507-508

العمومية بيرار (BERARD) الذي شغل مهنة قابض و بريني (BRUNI) أستاذ حلقة اللُّغة العربية بالجزائر وكلاارك (CLERC) وكان مترجما عسكريا من الدرجة الثانية ودوفو (DEVOULX) محافظ الأرشيف العربي بمصلحة الأملاك وإيلمور (ELMORE) قنصل بريطانيا بالجزائر وتشوسباو (SCHOUSBOE) وهو مترجم عسكري ملحق بالحكومة العامة ودوسلان (DESLANE) وكان مترجما عسكريا استهل بير بروجر الاجتماع بالإشارة إلى رسالة الحاكم العام راندون (RONDAN) وأبلغ فيها الحضور ضرورة إنشاء جمعية تاريخية في الجزائر تم إعلانها لاحقا تحت مسمى "الجمعية التاريخية الجزائرية" استنادا إلى التعليمات الصادرة بتاريخ 22 فيفري 1856 م عبّر من خلالها على الأهداف المرجوة من وراء إنشائها تعززت بعدها ثقة الحضور وتزايدت حماسهم وألحوا على ضرورة صدور مجلة خاصة بما قُيّدت في نشرة خاصة لهذا الغرض¹ فتشكل مجلس مصغر ضم الأعضاء التالية أسماؤهم :

1- بيربروجر (BERBRUGGER) رئيسا.

2- البارون دي سلان (DE SLANE) نائبا للرئيس.

3- كلاارك (CLERC) أمينا عاما للجمعية.

اقترح أحد أعضاء المكتب المصغر الذي تشكل حديثا ضرورة توسيع نشاط الجمعية في نطاق جغرافي ضم كل إفريقيا بما فيها توسيع مجال الدراسة ليشمل السطح والموارد وأعراف السكان زيادة على التاريخ والآثار، وجهت الدعوة إلى شخصيات أكاديمية وحكومية لحضور اجتماع موسع ضمّ الأعضاء المؤسسين بتاريخ 8 مارس 1856م.²

تحدد اللقاء بحضور أعضاء عسكريين مثل كالينيي CALINIER عن هيئة الأركان ممثلا للحاكم العام، وماكرتي (MAC CARTHY) مهندسا طبوغرافيا تم خلاله تحرير القوانين الأساسية ومناقشتها من قبل الأعضاء وتميرها للتصويت في جلسة حدّدها رئيس الجمعية لاحقا بتاريخ 15 مارس 1856م، وسُمِّيَ المارشال راندون رئيسا شرفيا للجمعية، خلال الاجتماع الذي عقد في التاريخ المعلن تمت مناقشة بعض القضايا التي تعلق بالبحث التاريخي والنشاط

¹ « Procès verbaux, première séance » in RA vol 1, Année 1856, p11

² ibid, p13

الأثري والدراسات المكتملة لهما والصعوبات التي قد يصادفها الباحث في الميدان، كما تم التطرق أيضا إلى بعض القضايا التي تعلق بتنظيم الجمعية منها طلب اعتمادها الرسمي من قبل الحكومة العامة في الجزائر.¹

عقد رئيس الجمعية اجتماعا آخر بتاريخ 21 أبريل 1856م، تطرق فيه إلى موافقة المارشال راندون على طلب اعتمادها وقبوله للمنصب الشرفي، كما عرض فيها طلبات العضوية الواردة وهي في الغالب اشتراكات مراسلين أعضاء شرفيين أو دائمين وخلال الاجتماع، تم التوافق على تعيين بيرار أمينا للخزينة والوثائق الخاصة، تعهد الأخير بالعمل وفق القانون الذي حدّدته نصوص الجمعية خاصة في ما تعلق بميزانية النشر في المجلة التي تم التوافق على تسميتها «المجلة الإفريقية»²

2- قانونها الأساسي:

نظمت الجمعية عملها في إطار قانون فسح المجال فيه للمنخرطين دون تحديد عددهم توزع فيه الأعضاء بين الدائمين والمراسلين وحتى الشرفيين الذين منحت لهم الجمعية هذه الصفة تبعا لموقعهم السياسي كأعضاء الحكومة ورؤساء المؤسسات التجارية، رغبة منها في الحصول على مساعدات مالية، منح المقيمون بمدينة الجزائر العضوية الدائمة نظرا للاستمرار الدائم في التواصل معهم، فيما اعتبر القاطنون خارجها أعضاء مراسلين، حدّد القانون خمسة أعضاء أشرفو على الإدارة وهم الرئيس ونائبه وأمين الجمعية ونائبه المساعد مكلفا بالنشر والوثائق وأمين الخزينة، شرح البند الخامس مهام رئيس الجمعية الذي ألزمه بتقديم تقرير سنوي لنشاطها والتوقيع على انخراط أعضائها الجدد والفصل في القضايا الخلافية بين أعضائها ترأس اللجان وتحضير الاجتماعات المقررة إلا في حالة عذر مثبت، كما حدّد القانون في بنده السادس مهام أمين الجمعية فكلفه بتحديد تواريخ اجتماعاتها وإرسال الاستدعاءات لأعضائها وتحرير تقاريرها والتوقيع على انخراط الأعضاء الجدد وحفظ سجل المداولات الرسمية، أما مهام الأمين المساعد فتمثلت تعويض الأخير حالة عذر استلزم غيابه، فيما تلخّصت مهام أمين الخزينة في جمع اشتراكات الأعضاء وجرد التبرعات والهبات وتغطية مرتبات الأعضاء نفقات لجان البحث³

¹ « Procès verbaux ... » in R A vol 1, ... op cit, p13

² ibid, p14

³ « Rapport, Sur La Situation De La Société Historique Algérienne » in. R A, vol 1, op, cit, p, 329

منع القانون أمين الخزينة من الاحتفاظ بالمبالغ المالية التي تفوق مائتي فرنك إلا من خلال مصرف تعاملت معه الجمعية ونصّت بنودها بالتصويت على رئاسة المكتب التنفيذي وفق آلية الاقتراع السري بداية كل سنة لعهدتين فقط فيما استمر تجديد عضوية النواب دون شرط عقدت الاجتماعات بصفة دورية بداية كل شهر على داخل قاعة واقتصر الحضور على أعضائها الدائمين يتم فيها الاطلاع على نشاطات رئيس الجمعية ومحتوى التقارير التي حرّرها الأمين العام بما فيها الرسائل الواردة لمقرّها وتحكيم مقالات الأعداد قبل نشرها والتصويت على قبول أعضاء جدد، تم الفصل في القضايا الخلافية باقتراع سري حالة اعتراض عضو من أعضائها نشرت أعمال المجلة وتقاريرها حصرا في أعداد المجلة الإفريقية كل شهرين حال موافقة لجنة النشر على ذلك وبعد تقرير موقع من طرف رئيسها وغالبا ما أعادت المجلة نشر أعمال الأعضاء و الاقتباس من تقاريرهم الخاصة بتاريخ الجزائر بعد موافقتهم وحصل الأعضاء الشرفيون على نسخ منها، تم قبول الأعضاء الجدد بتزكية عضوين من أعضائها وبعد حصوله على موافقة ثلثي أعضاء الجمعية، أما الميزانية وتسيير النفقات فنص القانون على جمع اشتراكات الأعضاء بداية شهر جانفي من كل سنة حدّد فيها مبلغ الاشتراك للأعضاء الدائمين بخمسة وعشرين فرنكا والمراسلين بعشرة فرنكات فيما بلغت القيمة النقدية للشهادات المسلمة من طرف الجمعية بخمسة فرنكات، ويعد المتخلي عن دفع الاشتراكات في حكم المستقيل، وضمن أحكام عامة أعطى قانون الجمعية صلاحية متابعة تنفيذ القوانين والتشريعات لمكتبها الإداري كما منح أيضا صلاحية تعديلها تبعا لطلب يقدمه خمسة أعضاء يمرر على الجمعية للتصويت ولا يصبح نافذا إلا بعد حصوله على أغلبية الأصوات.¹

رأى بيربروجر مؤسس الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر أن قرار إنشائها جاء نتيجة فشل الدوريات والجرائد في إبراز الصورة العلمية الحقيقية قائلا: (...لقد أسهمت هذه الدوريات في إعطاء لمحات عن البحث العلمي في هذا البلد، غير أن النتائج المتوصل إليها لم تكن منظمة تنظيما محكما أسس لقواعد بحث علمي حقيقي وهو الأمر الذي دفعنا في الجمعية التاريخية إلى إنشاء المجلة الإفريقية...)²

¹ « Statuts De La Société Historique Algérienne » in R A vol 79, Année, 1870, P 7

² BERBRUGGER (A) « Introduction Du Premier Numéro » in R A vol 1, ..., op cit, p 3

انطلقت الجمعية في كتابتها لتاريخ الجزائر من البعد العام الذي اتصل بتاريخ شمال افريقيا من العهد اللبيني القديم إلى غاية الاحتلال الفرنسي، اعتمد فيه الكتاب على عملية جرد ودراسة وتعريف شملت الجانب اللغوي والجغرافي والتاريخي والأثري بما فيه الفنون، استخدمت الجمعية كل الوسائل للحفاظ على المعالم التاريخية التي أصّلت للبعد (الحضاري الروماني والبيزنطي المسيحي) القديم من آثار مدن وتمائيل وأقواس وكتابات على شواهد أضرحة وجدران كنائس وغيرها.¹ أما أقسام المجلة ومحتوياتها فقد قسمت إلى ثلاثة أقسام.

القسم الأول: وتضمن الدِّراسات والتحليلات أطلق عليه مصطلح مقالات أساسية " Article De Font"²

القسم الثاني: واتسع لصفحتين أو ثلاث اختصر تقارير عن مواقع لمكتشفات أثرية أطلق عليه أخبار " Chronique "

القسم الثالث: وفيه إعادة ملخصات أثرية أو نصوص لكتابات بعض المستشرقين وأطلق عليها " Bulletin "

أما القسم الرابع: فتعلق بملاحظات موجّهة إلى القراء والمراسلين أطلقت عليه المجلة " ملحوظات متنوعة (Notes Diverses) ³ وخصّصت مجالات الدراسة فيه جانب الفن والآثار والكتابات المنقوشة والجغرافيا والأدب واللّسانيات والحقوق والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم الفلك والتنجيم وعلم المناخ، إضافة لأعداد خاصة بالمؤتمرات التي انعقدت بالجزائر منها مؤتمر المستشرقين الرابع عشر 20 افريل 1905م.⁴

3- نشاطاتها العلمية (مواضيع البحث)

سارت المجلة في نشر أعدادها منذ بداية تأسيسها سنة 1856م بصفة منتظمة واستمرت إلى غاية 1962م تاريخ استقلال الجزائر، وتوقفت في إصدار أعدادها خلال فترة الحرب العالمية الأولى ما بين (1914م - 1919م) استعرض كتابها تاريخ الجزائر من العصور القديمة إلى بداية

¹ « Partie Officielle De La Société Historique Algérienne » in R A vol 9, Année 1865, pp 13-14

² BERBRUGGER (A) « Article De Fond » in R A vol 1, Année 1856, p16

³ BERBRUGGER « Notes Diverses » ... ibid, p77

⁴ POUSSIN (v) « Les Congrée D'avril 1905 A Alger » in R A vol 49, Année 1905, p 263

الاحتلال الفرنسي جُمعت فيها الوثائق ونُشرت المقالات والتقارير فضمّت الدّراسات تاريخ الأعلام والشخصيات والمدن والحواضر، كما اشتغل المؤرخون على ترجمة المخطوطات والتعليق عليها وفهرسة أعدادها مثل مخطوط (الإرشاد في قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد) لمؤلفه ابن يوسف النيسابوري و(البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب) للبكري،¹ واهتمت المجلة الإفريقية أيضا بالتصوف الإسلامي من خلال دراسات نشرها الكُتّاب تناولت تياراته وأصوله العقائدية وحفّلت أعدادها بتراجم شخصيات جزائرية قادت المقاومة ضدّ الاحتلال الفرنسي مثل الأمير عبد القادر الغاية منها تشويه رموزها من جهة واستجلاء الأفكار المذهبية التي أصّلت للفكر الجهادي بغية تخفيف منابعه الثورية المتمثلة في الزّوايا من جهة أخرى.²

استرعى اهتمام المجلة المناطق الجغرافية وما احتوته أراضي الجزائر من موارد اقتصادية، نشر الكتاب مقالاتهم في شكل بطاقات فنيّة احتوت على مواقع وأرقام وجداول إحصاء، ربطت تاريخ المستعمرة ومناطقها الجنوبية بما أقامه الرومان من منشآت عمرانية واقتصادية هناك،³ كما احتوت أعدادها أيضا على مقالات أرّخت لغزواتهم ونظامهم الإداري المطبّق على السكان،⁴ والغاية من نشر المقال إثبات سهولة خضوع مناطق الجنوب والصحراء، اعتمادا على لمعطيات جغرافية وديموغرافية وحتى تاريخية تمثلت في انخفاض العنصر البشري المحلّي المقاوم للإستعمار وانعدام التحصينات الطبيعية الحاضرة للمقاومة، كالجبال والخوانق والمساحات الغابية وانتهاء بإعطاء ومضات تاريخية حول نجاح التجربة الرومانية في بعدها الاستيطاني بأقاليم الجنوب والصحراء، أملا في الاقتداء بها من طرف الغزاة الجدد وفتح آفاق نحو امبراطورية استعمارية فرنسية ضمّت نصف أراضي إفريقيا تقريبا خلال مدة قرن من الزّمن.

¹ جيبيك (زروق): «اهتمام الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية، المجلة الإفريقية أنموذجا»، مجلة رفوف (م، م، ج، ل)، جامعة

أدرار، الجزائر ع. 5، مارس 2015 ص 161

² بوحلوفة (محمد الأمين): «الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر من (1856 م الى 1960 م) قراءة من حال المجلة

الإفريقية»، مجلة العلو الإسلامية والحضارة، ع 5، مارس 2017، ص 185

³ BERBRUGGER (A) « Les Romains Dans Le Sud De L'Algérie – Haut Plateaux Et Le Sahara Du

Centre » in R A vol 2, Année 1857, pp 267-268

⁴ BERBRUGGER (A) « Domination Romain, Dans Le Sud De L'Afrique Septentrionale » in R A, vol 3,

Année 1858, pp 379

3-1 المخطوطات

أولت الكتابات الفرنسية التي تضمنتها أعداد المجلة الافريقية اهتماما بشأن المخطوطات المحلية، لمعالجتها المواضيع التي اهتمت بالحياة الدينية والثقافية والتاريخية وحتى العسكرية والسياسية وتعود الأسباب إلى جهل المؤرخين الفرنسيين بتاريخ الجزائر الذي اقتصر على كتب انطباعات لقناصل خدموا في الجزائر وتقارير جواسيس أوروبيين جالوا في مناطقها تحت غطاء التجارة وأسرى معارك بحرية كتبوا رسائل إلى ذويهم دَوَّنت جغرافية البلاد والحصون التي امتدت عبر أرجائها ووصفت الفرق العسكرية المرابطة داخل حامياتها، هذا وقد ازداد فضول المؤرخين الاستعماريين بعد الاحتلال بتراث الجزائر ومنها المخطوطات التي تنوعت ما بين المشرقية والمحلية العربية و(البربرية).

-المخطوطات المحلية العربية: تناولها المؤرخون والمستشرقون الفرنسيون تداخلت فيها أحداث بلاد المغرب مع تاريخ أوروبا، تناول فيها المؤرخون الفرنسيون والمستشرقون عموما حملات الغزو وعقود التجارة وكتابات الرحالة واتفاقيات تبادل القناصل ومعاهدات السلم وتبادل الأسرى التي تمت بين دايات الجزائر وملوك أوروبا، تم إدراجها ضمن المقالات الأساسية في أعمدة المجلة مثل:

-البيان المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب:

لصاحبه أبو عبيدة البكري قدّم الكاتب في مقدمته المشهور من المدن أثناء رحلته من مصر إلى برقة وصولا إلى المغرب الأقصى ضمنه وصفا لأسوار المدن ومساجدها وقصور الروم وبساتينها وتطرق إلى مدينة برقة التي نسب تسميتها إلى الإغريق وتعني بنطاليس (خمس مدن) استعرض الكاتب أحداث المدينة التي قام عمرو بن العاص (رضي الله عنه) بفتحها عرّج بعدها على بقية المدن الأخرى مثل سرت التي ذكر فيها شعرا:

فلا رحم المهيمن أهل سرت
ولا سقاهم عذبا زلالا¹

ترجم البارون دوسلان المخطوط سنة 1857 تحت عنوان وصف شمال افريقيا Description de L'Afrique Septentrionale علّق بيربروجر على المخطوط وبين عيوب التحقيق في صفحاته التي أرجعها إلى اعتماد المترجم المحقق على نسخة واحدة دون العودة إلى نسخ أخرى لإثبات محتواه

¹ البكري(أبي عبيد) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المثنى بغداد ، 1857 ص 6

الأصلي وتطابق صفحاته وتنقيته من شوائبه بالإضافة والتعديل، عاد الكاتب واستدرك أحكامه بسعي المحققين دوسلان وكلاارك وأشار إلى اجتهادهما في ترجمة المخطوط والتحقيق في صفحاته من خلال اعتماد نسخ أخرى.¹

-مخطوط الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد:

لمؤلفه أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري الملقب بإمام الحرمين ترجمه وحقق فيه لوسيانى اعتماداً على ثلاث نسخ منها نسخة الجزائر وتونس وأخرى حصل عليها في باريس، تحدث الكاتب فيه عن حقيقة العلم وطرق إثباته وتنوع مجالاته فهناك العلم بوحدايته الله سبحانه وإثبات صفاته وحكم الاستطاعة وإثبات النبوءات وصدق الأنبياء والآجال والرزق والثواب والعقاب وشروط الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والآخرة والتوبة وحقيقة الاختيار،² ذكر المترجم أهمية المخطوط عند فقهاء وعلماء الشرع العرب كما تطرق إلى حجم المخطوط وعدد صفحاته ونوع الحبر والورق المستخدم وتاريخ تدوينه، اعتماداً على التقويم الهجري وما وافقه من التاريخ الميلادي، أشار الكاتب إلى اقتناء المخطوط الذي تم عن طريق الشراء دون ذكر مصدر شراءه، دَوّن المخطوط - حسب نظره - بكتابة واضحة ومقروءة مع هوامش مرقّمة استعملت في الإيضاح كما احتوى على بعض المقاطع التي تفاوتت في ترقيمها بين نسخة وأخرى.³ وتعليق لوسيانى لا يعدو أن يكون وصفاً للمخطوط في جانبه الشكلي فقط، نتسائل عن قدرة المترجم دوسلان في استجلاء أفكار الكاتب من خلال ترجمة حرفية لمفردات المخطوط التي دَوّنت بلغة عربية فصيحة لاتبّيح المؤهلات اللغوية للمترجم المحقق ومحدودية إطلاعه، إلا على الوقوف عند حدود الشرح دون التحقيق.

-مخطوط التحقيق في النسب الوثيق:

للشيخ الامام أحمد بن محمد العشماوي قام بترجمته جياكوبيتي (GIACCOBITTI) تناول شجرة الانساب في بلاد المغرب الأوسط، أعطى له الكاتب المترجم عنوان (النسب) كتبت عن

¹ BERBRUGGER (A) « Description de L'Afrique Septentrionale », in R. A, vol 1..., op, cit, p 148

² الجويني "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى، علي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي مصر، 1950، ص 145-455

³ LUCIANI (J.D) « Un Manuscrit Arabe De La Bibliothèque Nationale, D'Alger » in R A vol 70, Année, 1929

أصلها العربي لكن بحروف لاتينية، تناول فيه نسب شرفاء المغرب الأوسط الذي انحدر من الشجرة النبوية، كما عالج موضوع الطرق الصوفية من التيجانيين والوزانيين، وتُرجم المخطوط بعدة عناوين منها " السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر"¹

–مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني:

لصاحبه أحمد بن محمد بن علي بن حنون الشريف، أشير إلى المخطوط في دراسة قام بها المستشرق غورغيوس (GORGUOS) في القسم الخاص بالمقالات العربية تحت عنوان معلومات عن باي وهران محمد الكبير، عالج الكاتب المخطوط في جانبه البلاغي واللغوي والتاريخي مع الإشارة إلى تاريخ تأليفه استطرده بإسهاب تحدث فيه عن صمود مدينة وهران في مواجهة الاحتلال الاسباني.²

–عجائب الأسفار ولطائف الأخبار:

لصاحبه أبو راس الناصري قدّم فيه المترجم العسكري أرنو (ARNAUT) قصيدة أبو راس الناصري (السينية) ذكر فيها فتح وهران، مدح الباي محمد الكبير مشيدا بانتصاراته على الإسبان من خلال خطته العسكرية المحكمة التي أمدّها بقادته المحاربين رغم وجود الأخير في مدينة تونس.³

–عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس: وفيه ترجمة لأشرف قبيلة غريس بنواحي معسكر خلال القرن العاشر والحادي عشر الهجريين، تحدّث فيه الكاتب عن أصول القبائل العربية التي سكنت المنطقة ومنها قبيلة غريس التي تنوعت بين أصول شريفية وهو – حسب نظر الكاتب- شرف عام اتصل بقبيلة قريش وشرف خاص حظي به المنتسبون إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أبناء فاطمة رضي الله عنها.⁴

¹ GIACCOBITTI « Kitab En Nasab » in R A, vol 46, Année 1902, p118

² GORGUOS (Auguste) « Notice Sur Le Bey D'oran, Mohammed El Kebir » in R A, vol 1 Année 1856, p 404

³ GUIN (Louis) « Beylik D'oran : De La Suppression Du Manuscrit : Les Reflexions Brillantes De Jupiter Ou Commentaire Du « Collier Precieux » Qu'avait Rédige Mohammed Bou Ras Ben En- Naçer » in R A, Vol 31, Année 1887, pp 72-73

⁴ GUIN « Le Collier De Perles Precieuses Ou Mention Des Principaux Personnages, D'origine Noble (De La Region) Du R'eris » in R A, Vol 35, Année 1891, p 240

-البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان: لصاحبه محمد بن أحمد الشريف الملبتي المديوني التلمساني المعروف بابن مريم أنماه في 1014 هـ الموافق ل1605م، ذكر فيه الكاتب مصدر المخطوط الذي عاد لابراهيم بن الزروقي باش عدل من أعيان تلمسان، حمل المخطوط عنوان (البستان) استعرض فيه بيبولوجيا صلحاء تلمسان خلال تلك الفترة من خلال ملاحظات استعرضها الكاتب أثناء تحقيقه،¹ قدّم فيه حياة رجل من أهل العلم والورع افتقد المخطوط - حسب رأي الكاتب- إلى عنصر التأريخ في إثبات الوقائع وسدّ ثغرتة بالاستناد على ما اتصل به من أحداث كانت موضع إجماع عند الباحثين وضعها في سياقها التاريخي، كما اكتفى بترجمة أجزاء من المخطوط وإسقاط أخرى لاحتوائها على مسائل عدّها غير ذات قيمة تاريخية،² حاول المترجم تتبع الخطّ الذي سار عليه المؤلف في تسلسل كرونولوجي توقف عند حدود الوصف تميزت فيه الترجمة بالانتقاء المتعمد للمواضيع، الشيء عرّض المخطوط للتشويه والقارئ لطائلة التأويل، فلا يعدو الإحجام عن ترجمته كاملا تحت مبرر انعدام قيمته التاريخية -في نظرنا- إلاّ شكّا بمصدقية الكاتب وانتقاصا من أمانته العلمية تبعا لخلفياته الاستعمارية.

-بھجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر:

استعرض المترجم محاولات احتلال الاسبان لمدينة وهران ومليلة المغربية من خلال المخطوط وأجرى مقارنة بينهما أرجع فيها صعوبة توغل الغزاة في إقليم مليلية المغربي إلى مظاهر سطحها الجبلية المعيقة لأي توسع، قبائل استقرت بين تلاله وسفوحه واعتادت على خوض المعارك فيما خلت تضاريس منطقة وهران من تلك المظاهر، استغل الاسبان السهول المتاخمة للمدينة كسهل ملية وسيرات للهجوم على أسوارها، دخل بعدها الغزاة في صلح مع قبيلة بني عامر تكلفت باستغلال السهول في الرعي وإقامة شراكة اقتصادية معهم، فيما توقفت مطامع الاسبان في احتلال مدينة مليلية، ردّها الكاتب إلى العلاقة الطيبة التي جمعت بين ملك اسبانيا وسلطان المغرب مولاي محمد بن عبد الله في مواجهة الخطر الانكليزي المشترك³ علاقة لازالت قائمة إلى

¹ Delpech (Adrien) « Resume Du « Bostane » (Le Jardin) Ou Dictionnaire Biographique Des Saints Et Des Savants De Tilimsane » in R A, Vol 27, Année 1883, pp 380-381

² ibid, pp 395-396

³ BODIN (Marcel) « Notice Historique Sur Les Arabes Soumis Aux Espagnols Pendant Leur Occupation D'oran, Par Si Abd-El-Kader El Mecherfi » in R A, vol, 63 Année 1924, pp 13-14

يومنا هذا احتل فيها الاسبان سبته ومليلية وجزر مغربية أخرى، تحوّلت فيها جغرافية الخطر نحو الجنوب تحت مسمى تهديد الوحدة الترابية للمغرب الأقصى ضد شعب لازال يناضل من أجل تقرير مصيره الذي أقرته الأمم المتحدة في بند (تصفية الاستعمار).

-نفخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب:

لأحمد بن محمد المقرئ التلمساني الذي ولد في القرن السابع الهجري والعاشر الميلادي حقق فيه وترجمه مجموعة من المستشرقين تقدمهم غوستاف دوغا (DUGAS) احتوى المخطوط على ألف وثمانمائة صفحة من الحجم الكبير¹

- كتاب علاج السفينة في بحر قسنطينة:

ألفه الشيخ بركات الشريف في القرن الرابع عشر الميلادي استعرضه المترجم شارل فيرو في مقالة بالمجلة الإفريقية تحت عنوان (فترة استقرار الأتراك بقسنطينة) استعرض فيها الأحداث التي شهدتها المدينة خلال عهد الأتراك وكذا بعض الاتفاقيات التجارية المبرمة بين أهالي قسنطينة والتجار الأوروبيين.²

-فتوح افريقية: لكاتب غير معروف قام شاربونو بترجمة جزء منه تعقلت بالأحداث التي أدّت إلى فتح مدينة تبسة من طرف المسلمين.³

- تاريخ البربر لابن خلدون:

ترجمه وحقق في جزأه الخاص بافريقيا دوسلان (DESLANE) استعرض فيه الوضع الديمغرافي للمناطق (البربرية) كما تطرق إلى عادات وتقاليد سكانها والطقوس الديّنية التي كانوا يمارسونها في (إشارة إلى الدين الاسلامي) خصّ الكاتب المحقق جزءا من الترجمة لدراسة اللّغة (البربرية) تحت عنوان (Note Sur La Langue, La Littérature Et Les Usage Des Peuples Berbères) اعتبرها شاربونو من أحسن الأعمال وأتمّها على الاطلاق.⁴

¹ DOGAT(G) « Sidi Hamed Ben Mohamed Mokri » in R A, vol 5, Année 1861, p 422

² FERAUD (Ch) « Constantine A L'époque De L'établissement Des Turc » in R A, vol 10 Année 1866 p179

³ CHARBONNEAU « Relation De La Prise De Tébessa Par L'armée Arabe En L'an 45 De L'hégire » in R A, vol, 13, Année 1869 p 225

⁴ CHARBONNEAU « Bulletin Bibliographique » in R A, Vol 1. ...op cit. P 148

-شرفاء زاوية تمشلوحت :

ترجمه محمد بن أبي شنب أستاذ كلية الآداب بالجزائر الذي اختص بالدراسات الإسلامية لشمال إفريقيا والمذاهب الطرقية ونسب الأشراف حملت الترجمة عنوان (Notice Sur Deux Manuscrits Sur Les Chérif Du Zawiya De Tameshlouht) جلبهما إدموند دوتي (DOUTE) أورد المترجم في المخطوط الأوّل النسب الشريف لأبناء زاوية تمشلوحت وعين الفطير على الرغم من العيوب التي قدّمها الكاتب حول المخطوط وتمثلت في افتقاده لمقدمة وخاتمة اقتطعت منه ردّها إلى عمل مقصود وعلى الرغم من الكتابة التي رسمت بخط مغربي عاد إلى القرن الخامس للهجرة وحمل أخطاء لغوية، فان الكاتب تمكن من ترجمته حيث أشار إلى نسب القبيلة وانحدارها من بطون صنهاجة،¹ أورد الكاتب في المخطوط الثاني ترجمة لحياة أبي يعزى جلبيه دوتي من المغرب الأقصى واحتوى على مائة وواحد وأربعين صفحة كتبت بخط مغربي من طرف أبو القاسم التادلي مؤرخة في 15 شوال 1252 هـ الموافق ل 24 جانفي 1837م استعرض فيه صحّة وصدق نسبه كما أبان من خلال التحقيق عن شيء من كراماته استطرده بالإشارة إلى شيوخه الذين تتلمذ على يديهم.²

استعرضت المجلّة دراسات أخرى تناولت المخطوطات العربية بإفريقيا لتداخل تاريخ الجزائر مع إفريقيا الغربية جنوب الصحراء في إطار التبادل التجاري والثقافي العلمي، وكذا لدور الطرق الصوفية وتأثيرها على دواخل القارة كالتجانية والقادرية من خلال المخطوطات، قام الكاتب إدموند ديستنج (DESTAING) بإحصائها ووجد بعضها في مالي على حالة سيئة جدا لانعدام شروط الحفظ وما ترتب عليه من تلف جزّاء تعرضها للحرارة والرطوبة وعوامل أخرى كنقل كمّيات منها دون اعتماد مقاييس علمية تعلق بالحفظ والترتيب، أحصى الكاتب واحدا وسبعون مخطوطا دوّنّها في ثلاث مقالات بالمجلة تناولت المعلومات التي تعلقت بكل مخطوط وملخصا عن محتواه³ كما تناولت المجلة مخطوطا (بربريا) ترجمه الكاتب إلى اللّغة الفرنسية تحت

¹ BEN CHENAB (M) « Notice sur Deux Manuscrits Sur les Chérifs de Zawiya de Tameslouhet »

In R A, Vol 52, Année 1908, pp 105-106

² ibid, pp110-111

³ DESTAING (E) « Notes Sur Des Manuscrits Arabes De L'Afrique Occidentale » in R A, Vol. 55.

عنوان (الحوض) في إشارة إلى الحوض الذي ورد ذكره في الأحاديث النبوية الشريفة، وعاد تأليفه إلى محمد بن علي بن ابراهيم قارب فيه بين من ينهل من المخطوط وبين من شرب من حوض النبي لا يظماً بعده أبداً، اعتمد الكاتب في تحقيقه على ست نسخ منها ولقي صعوبة في ترجمتها لاحتوائها على مفردات تأثرت باللّهجات المتداولة اختلفت بين بيئات النسخ تناول فيه صاحبه أصول العقيدة والفقهاء والشريعة،¹ بما يؤكد وجود المذاهب الطرقية الصوفية في منطقة القبائل، بل وحرص سكانها الذين التزموا بنصوص شيوخهم المرابطين في صون عقيدة المسلمين إضافة إلى مخطوطات إسبانية كتبت باللّغة العربية تناولت شرحاً لسورة الفاتحة، دوّنت آياتها بحروف إسبانية دفعت الكاتب إلى طرح فرضية الأصول الموريسكية² لصاحبه تفادياً لمحاكم التفتيش التي انتشرت في ذلك الوقت وتبعت المسلمين بالقتل والتنكيل، إضافة إلى حصول دانيال روس (ROSSE) وكان قد شغل عضواً في المكتب العربي بمدينة الجزائر على مخطوط كتب باللّغة الإسبانية احتوى على أسئلة طرحها اليهود في مكة على النبي عليه الصلاة والسلام، كشكل الكعبة والوحي ومسائل تتعلق بالغيب والنبوءة.³

3-2- الطرق الصوفية:

نالت الطرق المذهبية الصوفية في الجزائر نصيباً وافراً من البحث والدراسة لدى كتاب المدرسة الاستعمارية الفرنسية في المجلة الافريقية (1856م-1930م) لفهم الظاهرة وما تقوم عليه من معتقدات دينية وطقوس تعبدية مارسها معتنقوها، ظهرت تجلياتها على المجتمع الجزائري من خلال المقاومة والجهاد ومواقف الدفاع عن الأرض. تناول لويس أرنو الطريقة التيجانية وذكر حياة سيدي أحمد التيجاني ورحلاته وسعيه المستميت في رفض (الاحتلال التركي) من خلال أساليب الرفض والتمرد التي تطورت إلى معارك خاضها أتباعه في بايليك الغرب الجزائري، بين الكاتب الحاضنة الاجتماعية لمؤسس الطريقة التيجانية والتحالفات التي كان يقيمها مع شيوخ

Année 1911, p.65

¹ LUCIANI (J- D) « El- H'aoudh, Manuscrit Berbere De La Bibliotheque- Musée D'Alger » in R A Vol 37, Année 1893, pp 151-152

² فئة من العرب، بقيت في الأندلس بعد سقوطها على يد الإسبان وأظهرت ولائها للسلطة، أعلنت ظاهراً تنصراً بينما احتفظت سرّاً بعقيدتها الإسلامية.

³ BERBRUGGER (A) « Manuscrits Espagnols En Caracteres Arabes » in R A, Vol 04. Année 1859-1860 pp 297-298

الزوايا في المغرب مثل سيدي الحاج علي الفاسي اعتبر الكاتب مدينة فاس مركز استقطاب وإشعاع للفكر الصوفي، حظي فيها مؤسس الطريقة التي اختارها ملجأً له باحترام كبير من قبل سكانها الذين قدّموا له قصراً أقام فيه مع عائلته وخدمه وأغلبهم من العبيد¹ حاول الكاتب في مقاله إيجاد صراع بين السلطة المركزية والطرق الصوفية التي مثلت بعداً روحياً للمجتمع الجزائري وحافظت على مقومات وجوده من خلال اختيار نموذج تميز بالاستقلالية الروحية النابعة من معتقدات مذهبية لاعلاقة لها بالسلطة، أسقط عليها رؤاد المدرسة الاستعمارية نشاطاً سياسياً تمثل في الانفصال والتمرد وتحت عنوان " أطلال المرابط سيدي عبد القادر في مليانة" تناول بيربروجر مكان الضريح وطريقته بناءه والمسكن التي أحيطت به واستعملت كمكان إقامة خدمت الزوّار من مردييه في قالب مونوغرافي تناوله الكاتب من زاوية أثرية،² وبالمقابل سعى إلى إعطائه بعداً روحياً دينياً لاتصحّ العبادة إلاّ بطقوس وقربات قدمت للضريح في خلط مقصود أسقط فيه ممارسات كهنوتية لفئة من المجتمع ظلّت في فهم الدّين على ركن من أركان الإسلام وهي الصلاة طريقة كتاب المجلة في التأسيس للطريقة كواجهة خدمت الاستعمار ما بعد المقاومات الشعبية.³

واصلت المجلة الافريقية في أعدادها دراسة الطرق الصوفية من خلال طرق منابعها الفكرية فأشار كتابها الى أشهر مؤسسيها كالدراسة التي قام بها أرنود " دراسة في التصوف بواسطة الشيخ الهادي بن رضوان الأبياري" تناول فيها ترجمة من كتاب "سعود المطالع" وهي مقتطفات في أخلاق التصوف بنيت على الخروج من كل خلق دنيء سعياً لكمال إيمان الإنسان عن طريق التحصن بالآداب الشرعية والحرص على الزهد في الدنيا. فالمسلم فقير بأصله قوي بالله جل جلاله وجب معه استحضر الشكر له واستظهار ضعفه لخالفه،⁴ انتقل الكاتب إلى تبرئة الطريقة من الصفة التي ألصقت بها والتي تمثلت في استظهار ملابس الصوف على من سلك طريق

¹ ARNAUD (L) « Histoire De L Ouali Sidi Ahmed Et- Tedjani » in R A, vol 05, Année 1861, pp 468-469

² BERBRUGGER (A) « Ruines Du Marabout De Sidi Abd El-Kader Sou Maliana » in R A, vol 08. Année 1864. P 454

³ سراج (جيلالي) زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، ماجستير، جامعة تلمسان، 2014-2015 ص 8

⁴ ARNAUD (M) « Etude Sur Le Soufisme Par Le Cheikh Abd El Hadi Ben Ridouane » in R A, vol, 31 Année 1887, pp 350-351

التصوف من شيوخها استدرك الكاتب أثر المعنى الذي أرجعه إلى صفاء القلب والجوانح والرُّوح من كل عالقة دنيوية وأضاف على ترجمته اللُّغوية المسائل التي تحدثت عن أمور غيبية خارقة أعطيت للذين مَنْ الله عليهم بالكرامة كرؤية الملائكة الأبرار ومعجزات أجراها الله على يد من اصطفاهم من عباده الأتقياء.¹ كتب جولي (JOLY) مقالا في عدد من متلاحقين تحت عنوان « الطريقة الشاذلية » تطرق فيها إلى مفهوم وأسس العقيدة في المذهب وتطوره الهرمي في المجال الفكري التعبدي طرح في بداية مقاله مجموعة من الأسئلة تعلقت في مجملها بالوظائف التي امتهنتها شيوخ الطريقة أعطى فيها مقاربات مكنت الإدارة الاستعمارية لاحقا من استغلال الزوايا وترويض أفكارها باستعمال وجوه دينية، حثت على مهادنة الاستعمار وتلميع صورته وتحريم مقاومته، فتاوى صدرت من شيوخها تلميحا وتصريحا، بعدما كانت حاضنة اجتماعية للثورات وخزانا للمقاومات الشعبية² وهي الأسئلة الملحة التي طالبت بها الادارة الاستعمارية مرارا لمعرفة سبل تقييدها في مقاومة الاستعمار كمرحلة أولى وإضفاء طابع الشرعية باستمالة زعاماتها واستقطابها من خلال الولاء له بمغريات مادية في مرحلة ثانية.

تتبع الكاتب السُّلم الهرمي للطريقة الشاذلية بدءًا بشيخ الزاوية والمقدم والمريدين وال دراويش واستعمل في وصفه مصطلح (المذهب الصعلوكي) أطلقه على من قاوم الاستعمار من شيوخها استعملت الطريقة حسب وصفه أصحاب النفوس الضعيفة الذين شبههم بالغوغاء في إثارة التمرد على الجيش الفرنسي والعبارات احتقارية مهينة³

أكمل جولي دراسته للطريقة من زاوية سياسية في عدد صدر لاحقا في المجلة، ببيولوجرافيا للمؤسس الأول الشيخ الميسوم استعرض فيها تأثيراته الاجتماعية ودعايته السياسية ضد الاستعمار والمقال تحليل للخطاب الديني من خلال معاينة ميدانية في شكل زيارة قام بها الكاتب إلى مقعد الطريقة بقصر البخاري أشار فيها إلى هياكل الزاوية الشاذلية قائلًا: (...مدرسة لا تكاد تستوعب أربعين تلميذا وعلى الرغم من قلّة متمدرسيها فان الزاوية حظيت باحترام كبير من طرف السكان، وصل تأثيرها إلى أرجاء واسعة من إقليم الغرب الجزائري شملت

¹ ARNAUD (M) « Etude Sur Le Soufisme » op cit, p 388-389

² JOLY (Alexandre) « Etude Sur Les Chadouliyas » in R A, vol 50. Année 1906, pp 336-337

³ JOLY « Etude... » op, cit, pp 345-346

مدن مستغانم وغليزان ومعسكر وحظيت أيضا بدعم مادي قدّمه التجار المتجولون لشيخ الزاوية في شكل هبات وهدايا...¹

حسب نظر الكاتب حرصت الطريقة في مرحلة لاحقة على اتباع منهج وسط في التعامل مع الاستعمار أسلوب توقف عند حدود المهادنة والمقاطعة وعدم المجابهة، انسجاما مع العقيدة المتمرّدة التي نبذت المغريات المادية للسلطة على وجه العموم²

تتبع المجلة الطرق الصوفية وتاريخ مؤسسيها فكتب مارسيل بودان (BODIN) ترجمة في شكل ملاحظات ساقها عن شخصية سيدي أحمد بن يوسف التيجاني مستفتحا مقاله بعبارة من الشعر ردّدها الشيخ في شأن التقرب من الصالحين:

أحب الصالحين ولست منهم رجاء أن أنال بهم شفاعة

وصفه بالرجل الكبير الذي حظي بشعبية واسعة في أوساط السكان، ومن الذين عاصروا سقوط غرناطة وقاوموا الاحتلال الاسباني أيام أفول مملكة الزيانيين، تحدث عن النوازل التي لحقت بالمغرب جرّاء تلك الهزيمة كما أشار إلى علاقته مع العثمانيين مستطردا بعبارات ردّدها في شكل أبيات شعرية مثل:

ليس للوحدة قيمة ساعة منها غنيمة

كل من رام سواها فذاك والله بهيمة³

أثرت شخصية سيدي محمد بن يوسف على المجتمع - حسب نظر الكاتب - فقبيلة أولاد عدّة وبني عمرو من القبائل التي اقتاتت على كرم الزوار بطقوس خرافية مارستها على ضريحه بغية الاسترزاق، استغفلت فيه جموع العامة من الطبقات الدنيا وقدّم فيه شيوخها أنفسهم (خُدّاما) منصبين خيامهم طلية موسم الزيارة التي حدّد مدّتها بنهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف،

¹ JOLY « Etude Sur Les Chadouliyas. Les Origines Et Les Débuts De Cheikh El Elmicoume » in

R A, vol 51. Année 1907, pp 6-7

² ibid, p 25

³ BODIN (M) « Notes Et Questions Sur Sidi Ahmed Ben Yousef » in R A, vol 66. Année 1925. pp

125-126

أثارت الظاهرة استغراب الكاتب الذي اقتبس عن شيوخها عبارة رَدَّدها بعض العوام من بعدهم (الجنة في الدُّنيا زيارة قبور الصالحين)¹

وعليه يمكننا الرَّد من جانبنا على كتابات المؤرخين الاستعماريين التي عاجلت الطرق الصوفية من خلال المجلة ما يلي:

جاءت دراساتهم في شكل سرد قصصي تناول كرامات مؤسسيها واتخذت منحى تضليليا بعد استكشاف ركائزها ومعرفة مدى تأثيرها على الواقع الاجتماعي الجزائري نظرا لمرجعيتها الدِّينية أولا وما شكلته على مدى عقود من مقاومة شرسة للاستعمار الفرنسي، استند فيها الكتاب على بعض الانحرافات في العقيدة الصوفية صدرت من بعض شيوخها وعمامة مرديها، استغلت في التأسيس للفكر الخرافي الذي مارسه الطُّرقية في مرحلة لاحقة من بداية القرن العشرين، فلا يمكننا إطلاقا وصف دراساتهم للمذهب الصوفي بمثابة مدِّ جسور تواصل ومعرفة للآخر، بقدر ما كانت معول هدم وتحريف واستقطاب وتزييف للواقع الدِّيني في الجزائر المسلمة.

3-3-المقاومات الشعبية:

احتوت أعداد المجلة على مقالات كثيرة تناولت المقاومات الشعبية ضد الاحتلال بدءا من سنة 1830م كتب روبان (ROBIN) مقالا تحت عنوان ملاحظات تاريخية حول منطقة القبائل (Notice Historiques Sur La Grande Kabylie De 1830-1838) عالج فيه استعداد سكان منطقة القبائل للدفاع عن الجزائر ضد الغزو الفرنسي استعرض فيه قدومهم نحو العاصمة بمجرد استجابة للنفي عين الكاتب مواقع تحصيناتهم التي تركزت في منطقة الحراش كما استعرض تنقلاتهم والأسلحة التي كانوا يدافعون بها وأشاد بروح المقاومة التي أبداه المقاتلون في معركة سطاوالي قدر الكاتب عدد من حضر لمواجهة الفرنسيين بعشرين ألف محارب استنفرها الداوي الداوي حسين من خلال رسائل دعا فيها قبائل آيت ايراثن إلى الجهاد المقدس ضد الغزاة الكفار جاء فيها ما يلي : إن الفرنسيين قد جهَّزوا حملتهم لاحتلال مدينة الجزائر، وأنتم الشجعان المدافعون على الاسلام لذا فإن حكومة الداوي تدعوكم إلى واجب الجهاد المقدس فهي إحدى

¹ BODIN (M) « Notes Et Questions... » op, cit, pp 186-187

الحسنين إما نصر يمن به الله عليكم ومغانم كثيرة تأخذونها أو شهادة يكتبها الله لكم تكون لكم حرزا من النار ومفتاحا إلى الجنة"¹

تناول ترجمة لزعامات قبائلية شنت حربا ضد الغزاة مثل محمد الحناشي نايت أوعمر الذي حمل راية الجهاد ممثلا عن زاوية الشيخ أوعراب وسي السعيد السحنون الذي قاد قبائل بني فراوسن وبني خليلي وبني بوشعيب منضوية تحت لواء زاوية الشيخ الحاج صالح نايت داوود وقبيلة بني جناد التي قادها محمد العربي نايت بابا منضوية تحت لواء الشيخ العربي نايت تازروت، وصف الكاتب شجاعة سكان بلاد القبائل وإقدامهم على القتال ومقدرتهم على الرماية من أبعاد وزوايا مختلفة قائلا: (... سكان القبائل قوم شُبُّوا على الرماية منذ الصغر واعتادوا على إبراز شجاعتهم من خلال دقتهم في التصويب في مناسبات احتفالية شتى كالأعياد يتنافس فيها الرجال على الرمي مدّة ثلاثة أيام متواصلة) حمل الكاتب الداوي مسؤولية أخطائه الاستراتيجية بخصوص امتناعه عن توزيع الذخيرة على المحاربين من سكان القبائل إذعانا للإقتراح الذي قدّمه له بعض مستشاريه بالإبقاء على كميات منها في المستودعات بدل توزيعها على المتطوعين ما شكل عامل إحباط لهم² واصل الكاتب استعراض مقاومة بلاد القبائل بعد سقوط حكومة الداوي في الجزائر فحسب رأيه تأخر احتلال المنطقة بسبب انشغال الفرنسيين بمقاومة الحاج أحمد باي في الشرق ومقاومة الأمير عبد القادر الذي حاول مد سلطانه إلى منطقة القبائل عن طريق الطلب من سكانها مبايعته في رسالة وجهها إلى قبائل أهل القصر وبني سالم سنة 1839م³ والمقال تكملة لتاريخ المنطقة استعرضه الكاتب من سقوط الجزائر إلى غاية استسلام المقاومات الشعبية فيها سنة 1857م تحدث بعدها عن نصوص معاهدة التافنة التي جرت بين الأمير والغزاة وعن حدود دولة الأمير التي ألحق بها منطقة القبائل محمية له وبين حدود الاحتلال الفرنسي الذي ضم منطقة الساحل وباقي الأقاليم الأخرى المتبقية وما نجم بعدها من خلافات ردها الكاتب إلى الترجمة الرديئة لنصوص المعاهدة استغلها الأمير في بسط سلطانه على منطقة القبائل بتعيين أحمد

¹ Robin (Joseph -Nil) « Notice Historiques Sur La Grande Kabylie De 1830-1838 » in R A vol, 20, Année 1876, Pp 43-44

² ibid pp 53-54

³ Robin (N) « Notes Historique Sur La Grande Kabylie De (1838-1851) » in R A vol 46, Année 1902 pp 41- 42

الطيب بن سالم خليفة له على إقليم القبائل وجرجرة استعرض الكاتب نسب الخليفة الجديد الذي انحدر من مراكش ونزحت قبيلته الى منطقة القبائل قبل (الاحتلال التركي) أسس جدّه زاوية في كنفدرالية ضمّت واحدا وعشرين قبيلة صغيرة، أتمّ الكاتب مقاله الكاتب في أعداد متلاحقة استعرض فيها بعض التطورات التي حدثت داخل الاقليم وأرجعها إلى انعدام شروط التوافق بين معارض لزعامه بن سالم ومؤيد لها.¹

تناول روبين (ROBIN) ثورة الشريف بوبغلة² من وجهة نظر فرنسية اعتمادا على الوثائق التي عثر عليها وتمثلت في مراسلات بين قادة فرق عسكرية فاعتبرها الأشرس على الإطلاق دفعت الجيش الفرنسي إلى وضع حاميات عسكرية لتأمين مواقعه الاستيطانية استهل الكاتب ثورة القبائل بدءا من سنة 1845م تاريخ انطلاقة مقاومة محمد بن عبد الله الذي لقبه الكاتب (أبو الفرس) (Père Au Cheval) تسفيها واحتقارا له، مصطلحات دأب عليها كتّاب المجلة في تحريف النص عن محتواه، فأبو الفرس أو (الشريف بوبغلة) مصطلح استعمل للتعريف بالرجل الذي كان يتنقل على دابة اتخذها وسيلة خاصة به لازمته في جميع مراحل جهاده، فلا يعدو أن يكون وصفا لا تسمية له أضاف الكاتب عبارات مغالطة وتحريف لجهاده ليبدو في صورة صراع ديني مسيحي إسلامي لا أرضا احتلها المستعمرون وطالب الشعب بتحريرها، فذكر عنه مقالة أنّه بُعث مفوضا من الله لتصفية الحساب مع المسيحيين³ واصل الكاتب سرد تطورات الثورة التي انتهت بتسليم أغلب سكانها صكوك الأمان للسلطات الفرنسية في وقت كان الأمير في طريقه إلى سجون فرنسا، والغاية من تتبع كتابة صاحب المقال بيان نزعة الاستخفاف بقبائل جرجرة المدعنة تارة لصوت الفرنسيين وأخرى لسوط الأمير⁴

واصل الكاتب سرد أحداث الثورة بعد مقاومة الأمير، قائلا: (... استجمع الشريف بوبغلة قوات محاربيه المشكلة أساسا من قبائل زواوة وبني صدقة في موقع يسمى خميس المتقة

¹ Robin (N) « Notes Historique ... » op, cit, p 74-75

² هو محمد الأجد بن عبد المالك استقر في سور الغزلان قادمًا إليها من النواحي الغربية عام 1849 قاد عدة معارك ضد الفرنسيين منها معركة اوزلاقن جوان 1851 م واستمات في الدفاع عن جرجرة في مقابل الجيش الفرنسي الذي دفع بالاف من جنوده لقمع الثورة التي زادت اتساعا بعد اضمام لالا فطمة نسومر ولم تنته مقاومته الا بعد استشهادة بوشاية دبرت ضده سنة 1854 م للمزيد: بنظر القرص المدمج « تاريخ الجزائر (1830-1962) » أعدّه المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، وزارة المجاهدين، 2008

³ ROBIN (N) « Histoire Du Cherif Boubar'la » in R A, vol 25, Année 1881. Pp 66-67

⁴ ibid p70

معارك جرت بين كّر وفر، اتبع الفرنسيون فيها سياسة الأرض المحروقة... اعتبرها الكاتب وسيلة ناجعة أدّت إلى استسلام أغلب القرى للجيش الفرنسي، كما استعرض الكاتب مجموعة مراسلات عسكرية تضمنت تحركات المقاومة وخطط الغزاة واستعداداتهم لمواجهة¹

كتب شارل فيرو مقالا تحت عنوان " وثائق تخص تاريخ عنابة " تطرّق فيه إلى حرص المارشال كلوزال على التخلص من الحاج أحمد باي قسنطينة واحتلال المدينة، قبل أن يقيم (الأهالي) دولتهم على أنقاض حكومة الداوي المنتهية، أشار الكاتب إلى معارضة وزير الحربية المارشال سولت الذي فضّل نصائح قدّمها له بعض مستشاريه رأت فيه السلطة الاستعمارية مجازفة قد تكون باهضة الثمن وغير مأمونة العواقب على مصير جنود الاحتلال في عموم المستعمرة، بناء على معطيات جيو استراتيجية تمثلت في تشتت الجيش الفرنسي وقلة عتاده وتباطؤ المدد، استعرض الكاتب حصار مدينة عنابة من طرف القائد بن عيسى والذي كاد أن يؤدي إلى استسلام حاميتها العسكرية لولا تعاون الكرتيلي مع الاستعمار لحسابات شخصية تم عن حقه الدفين على الحاج أحمد باي دفعته في النهاية إلى الانقلاب عليه لقاء وعود قدمها له الفرنسيون وتصلوا منها لاحقاً²

واصل الكاتب استعراض تاريخ مدينة قسنطينة في مقال آخر حمل عنوان "سيرتا، قسنطينة حملة وحصار مدينة قسنطينة (1836م - 1837م) من خلال وثائق تركها بيربروجر" تناول فيه المعارك التي جرت بين المقاومة والجيش الفرنسي، اعترف فيها ببسالة أحمد باي في الدفاع عن المدينة في مرحلة أولى ومواصلة جهاده بعد سقوطها في مرحلة ثانية، تطرّق الكاتب إلى سعي الفرنسيين في الاستفراد بالحاج أحمد باي وتحييد الأمير ضمن استراتيجية تبناها الاستعمار من خلال عقد معاهدة التافنة كان الغرض منها على حد قول الكاتب حشد القوى التي كانت على أبواب المدينة وفشلت في دخولها سنة 1836م³.

¹ ROBIN « Histoire Du Cherif Boubar'la, Suite » in R A, vol 26, Année 1882. pp 53-54

² FERAUD (Ch) « Documents Pour Servir A L'Histoire De Bone », in R A, vol, 32, Année 1888. pp 6-7

³ FERAUD (Ch) « Notice Historique De La Province De Canstantine. » in R A, vol, 28 Année, 1884.

تعدُّ مقاومة الأمير عبد القادر من المقاومات التي تناولتها المجلة الافريقية في مقالات كثيرة وأسهم الكتاب في تحليل مجرياتها والنسق الذي سارت عليه والأساليب التي اعتمدها الاستعمار في حربه ضد الأمير كتب دالباش وهو مترجم قضائي تحت عنوان: تاريخ الأمير برواية ابن عمه الحسين بن علي *Histoire D'el-Hadj Abdelkader Par Son Cousin El-Hossein Ben Ali* ، (Ben Abi Taleb) ترجمة أورد فيها نبذة عن حياته ضمَّنها فصولا من مقاومته للاحتلال الفرنسي قائلا (...) في سنة 1843 م وبعد معركة جرت وقائعها بين العقيد تومبور (TEMPOURE) جنوب وهران تم أسر محمد بن الحسين ابن عمِّ الأمير عبد القادر من طرف فرسان القوم التابعين للجيش الفرنسي، سهَّل بعض المتواطئين مهمة هربه من سجنه، وظل يتنقل بين القبائل قبل أن يلتحق به الأخير الذي عاتبه على استسلامه للفرنسيين...¹

كتب النقيب في شؤون الأهالي بوردجاد (BOURDJADE) مقالا تحدث فيه عن منطقة قلعة ووقائع احتلالها بعنوان *Note Chronologique Pour Servir A L'histoire De L'occupation Française Dans La Région D'Aumale* أكد فيه بداية العمل على احتلال مدينة قلعة منذ سنة 1850 م ضمن خطط عسكرية وصفها بالدقيقة غير أن الظروف الجوية وتقلبات الطقس كانت وراء تأخر تلك وعرقلة جهود التحرك العسكري لحصار المدينة إضافة إلى مشكلة التواصل مع قبائل وقرى المنطقة² أشار الكاتب إلى اكتفاء الجيش الفرنسي بتحسين خطوط اتصالاته عن طريق التلغراف في وقت تنامت فيه روح العداء للفرنسيين بصعود قادة جدد للمدينة عرفوا بطبعهم المتمرد أمثال مولاي ابراهيم ومحمد بن مسعود واللذين استطاعا جمع القبائل لمواجهة التوسع الاستعماري، عرض الكاتب أحداث منطقة قلعة في قالب كرونولوجي إلى غاية إحكام السيطرة على المدينة اعترف فيها بشراسة المقاومة التي كلَّفت العدو خسائر كبيرة في الأرواح والمعدَّات العسكرية.³

¹ DELPECH (Adrien) « Histoire Del Hadj Abdelkader Par Son Cousin El Hossin Ben Ali Ben Abi Taleb (Traduction) » in **R A**, vol, 20 Année 1876, p 418

² BOURDJADE (G) « Note Chronologique Pour Servir A L'histoire De L'occupation Française Dans La Région D'Aumale (1845-1887) » in **R A**, vol 33, Année 1889, pp 258

³ - ibid 294- 295

كتب العقيد في الجيش الفرنسي جوزيف غابريال سيروكا مقالا تحت عنوان الجنوب القسنطيني بين (1830م-1855م) طرح فيه مجمل الأحداث التي مرّت على الإقليم استعرض فيه أحداث منطقة الزيبان ببسكرة قائلا: (... لم يرفع العلم الفرنسي مدة أربعة عشر سنة منذ سقوط الجزائر على أراضي بسكرة...) تمحور المقال حول أحداث مقاومة الحاج أحمد باي ابتداء بمعركة سطاوالي وانسحابه من الجزائر وعودته إلى قسنطينة ومرابطته على مرتفع المنصورة كما ذكر تحالفه مع شيخ العرب الحاج بن قانة وجموع القبائل التي أتت لنصرته.¹ وأشار إلى شخصية فرحات بن سعيد في قالب بيبولوجرافي، ضمّنه مسيرة الرجل وجهاده والمواقع التي تصدى فيها للفرنسيين كمعارك البشيرة والحازمة ومراح جازية قرب بسكرة وهجمات طولقة انتهاء باستدراجه واغتياله على يد نيقربي واستسلام قبائل بن غانة الحاضنة له وخضوعها لشروط الفرنسيين والمقال لا يعدو أن يكون ملخصات لتواريخ وأحداث مرّت على المنطقة.²

كتب النقيب لوي رين (RINN) رئيس المكتب العربي ببسكرة ثم باتنة مقالا عن ثورة أحمد المقراني والشيخ الحداد (1870م-1871م) انطلاقا من وظيفته وخدمته العسكرية التي ساعدته على معرفة المنطقة وما جرى فيها من تغيرات وأحداث كما ساعدته أيضا مناصبه الإدارية التي شغلها لاحقا على تكوين رؤية واضحة حول الثورة وصف الشيخ أحمد المقراني برئيس العصاة وأرجع أسباب انتشار ثورته في جبال البابور وجرجرة والصومام الى تحالف ومؤازرة الشيخ الحداد وزاويته الرحمانية مكنته من كسب تحالف القبائل المحيطة بمعقل الثورة.³ قدّم رين شخصيات حظيت باحترام الفرنسيين مثل بومزراق فعلى الرغم من انهزامه في العديد من المعارك ضدّهم وانسحابه فيما بعد وأسرّه على الحدود الشرقية للجزائر فإنه لقي معاملة خاصة من طرف الفرنسيين⁴

استعرض مونقان (MANGIN) مقاومة بن ناصر بن شهرة التي تأرجحت في نظره بين الكبر والفر أو ما يطلق عليه حديثا (حرب العصابات) كانت التحالفات السّمة البارزة في عملها

¹ SEROKA (Joseph-Adrien) « Le Sud Constantinois de (1830-1855) » in R A, vol 56, Année 1912, pp 375-376

² ibid, 445- 446

³ RINN (Louis) « Deux Documents Indigènes Sur L'histoire De L'insurrection De 1871 » in R A, vol 35, Année 1891, pp 21-22

⁴ ibid, pp 35-36

المقاوم ، أرجع الكاتب قصر مدّة ثورة بن ناصر بن شهرة وفشلها في النهاية الى الحضور الفرنسي وقواته الرديفة من القبائل التي تزعمها القيّاد وشكّلوا بها واجهة دفاعية له أخلطت أوراق المقاومة في الجنوب الجزائري وشتّت مساعي الرجل خصوصا بعد الطوق العسكري الذي فرضه الاستعمار وأدّى إلى احتلال مدينة الأغواط آخر حصن شكل حاجزا أمام تقدم الفرنسيين نحو التوسع في منطقة الجنوب والصحراء،¹ تلخّصت أحداث الثورة ضمن رؤية تفائلية اصطبغت بحماسة وحب الكاتب للمغامرة، في وقت غابت عنه حقيقة الشعب الجزائري من خلال رفضه ومقاومته للمستعمر واستماتته وتمسكه بالأرض، كشفت عنه المعارك التي شهدتها الصحراء فيما بعد كحادثة مقتل الجاسوس فلاتيرز في تقرت سنة 1881م والجاسوس دوفوكو على يد قبائل الطوارق سنة 1916م. أما ثورة أولاد سيد الشيخ فكتب عنها تروميلي (TRUMELET) مقالا خصصه لثورة اولاد سيد الشيخ اهتمت بها المجلة الإفريقية لسببين أولهما اتساع مجالها الجغرافي من أقصى الجنوب الغربي وصولا إلى حدود قسنطينة والزيان وضمنت إلى صفوفها العديد من القبائل والزعامات والثانية امتداد إطارها الزمني لأكثر من عشرين سنة فكانت أطول مقاومة على الإطلاق توالى على قيادتها العديد من القادة كالبشاغا سليمان بن حمزة منذ 1862 م وخلفه أخاه محمد منذ 1864 م وبن أخيه لعلّ الذي جمع سكان الأغواط فرنّدة بوغار وعين وسارة وسيدي بلعباس إلى حين استشهاده في 4 فيفري 1865 م ومن بعده أخيه أحمد بن حمزة الذي واصل الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي الى غاية وفاته سنة 1886م حيث دفن بالساورة²

4-3- سير الأعلام:

نشر بيربروجر ترجمة عن حياة المجاهد الحاج موسى الذي خلف مفتي الأغواط الشيخ قارة وقاوم الاستعمار الفرنسي فاستعرض مراحل جهاده إلى غاية استشهاده سنة 1853م³ والمقال فيه إهانة للرجل فوصفه بصاحب الحمار أو (بوحمار) في اشارة الى الدابة التي كان يتنقل عليها في مسيرة جهاده كما استعرض غورغيوس (GORGUOS) ترجمة لباي وهران محمد الكبير الذي

¹ Mangin (Charles, Marie, Emmanuel) « Note Sur L'histoire De L'aghouat » in R A, vol 38, Année, 1894, p 105

² TRUMELET (Corneille) « Note Pour Servir A L'histoire De L'insurrection Dans Le Sud De La Province D'Alger De 1864 – 1869 » in R A, vol 25, Année 1881, pp 33-34

³ BERBRUGGER (A) « El-Hadj-Moussa, ou l'homme à l'âne et l'émir Abd el-Kader en 1835 » in R A, vol 1, Année 1856, p41

كان له دور في صدّ هجمات الإسبان وتحرير ميناء المرسى سنة 1792م تحوّلت على إثره عاصمة البايك من معسكر إلى وهران الترجمة مقتبسة من قصيدة (نفيسة الجماني في فتح الثغر الوهراني) لقي فيه الكاتب صعوبة عند تحريره لاجتزائه وتقطع جزئه الأوّل أما الجزء الثاني فهو ترجمة أدبية لمخطوط حول الباي عشر عليه الكاتب في مكتبة الجزائر تحدث عن حملة عسكرية قادها الأخير ضد قبائل بني راشد في جبل عمور ومناطق الأغواط والصحراء¹

كتب دانيال روكس (Daniel Roux) ترجمة لسيرة النبي محمد عليه الصلاة والسلام تحت عنوان "محمد عائلته وأصدقائه" وهو يقصد بذلك أهل بيته وصحابته رضوان الله عليهم، وصفه بالرجل المحارب والمشرع الذي ارتقى إلى مكانة مميزة بين شعبه، قدّم في مقاله شجرة النبي وغزواته ضد المشركين واليهود في المدينة والجزيرة العربية، وقدّم فيما بعد ترجمة للخلفاء الراشدين فوصف الخليفة عمر رضي الله عنه بالرجل العنيف والترجمة نموذج في الاستخفاف بمشاعر المسلمين.²

تناول بيربروجر شخصية عروج بربروس الذي وصفه برئيس عصابة من قطاع الطرق أدخل الجزائر في عهود من الانحطاط ناهزت ثلاثة قرون كما وصف الدولة التي أسّسها لمواجهة الغرب بجمهورية اللصوص الذين وقفوا في وجه الحضارة الأوروبية³

تناول شاربونو شخصية امرأة في بجاية كتبت قصائد شعبية اسمها عائشة وصلت من خلالها إلى مرتبة أدبية تجاوزت بها شاعر قسنطينة ابن الفكون، تأسف الكاتب على وضعية المرأة المثقفة في عهود الإسلام، والتي بقيت في مؤخرة الترتيب لا لشيء إلا لكونها امرأة - على حد قوله - الترجمة مأخوذة من كتاب عنوانه (الدّراية في مشايخ بجاية) لعمارة بن يحيى الحسيني ويدعى "الغبريني" حيث انتقد الكاتب لعدم تطرقه إلى وصف ابنته وصفا كاملا وإعطائها حقها من الإبداع الذي ظهرت تجلياته في القصيدة، وامتنع الكاتب عن اظهاره لاعتبارات إيديولوجية عكست وضعية المرأة المثقفة في المجتمع المسلم.⁴ والمقال محاولة من الكاتب اسقاط ركن الاجتهاد في التعلم والكتابة من قاموس المجتمع الجزائري المسلم اقتداء بنماذج حصرت الابداع والمهن

¹GORGUOS « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el-Kebir » in R A ... ibid, p. 103- 104

² ROUX (Daniel) « Mahomet Sa Famille, Ses Compagnans » in R A, vol 2, Année 1857, pp 469-470

³ BERBRUGGER « La mort du fondateur de la régence d'Alger (Aroudj) » in R A, vol 4, Année 1859-1860, pp 25

⁴ CHERBONNEAU « Aicha, poète de Bougie à la vie siècle de l'hégire » in R A, vol 4, Année 1859-1860, pp34-35

الأخرى عند فئة الرجال في حين زخرت صفحات التاريخ الجزائري والعربي المسلم بنماذج ساهمت فيها المرأة بقسط وافر من التعلم والابداع حرفة وكتابة تجاهلها الكتاب الفرنسيون وامتنعوا عن ذكرها.

قدّم أرنو (ARNAUD) ترجمة للولي الصالح سيدي أحمد التيجاني الذي ولد في عين ماضي سنة 1737م فوصفه بالرجل الشريف الذي انحدر نسبه من الحسن ابن علي رضي الله عنه ذكر طلب العلم الذي حظي به على يد العديد من رجاله المعلمين أهله لأن يشغل منصب التدريس بعد وفاة والده، أوجز الكاتب تعريفا بمدينة فاس التي استقر بها لبعض الوقت وذكر انتقاله الى الصحراء وعودته منها إلى المدينة التي ترك فيها العديد من المخطوطات منها مخطوط الكناش.¹

كتب غولين (GULIN) عن الشيخ القاسم بن محمد الذي حكم نواحي قشتولة بالقبائل فذكر نسبه الذي انحدر من سيدي عقبة، نسبة إلى الفاتح المسلم لافريقية عقبة بن نافع الفهري² كما ترجم غورغيوس حياة المؤرخ أبو راس الناصري والذي كتب عن تاريخ البربر والعرب والأتراك في إفريقيا الشمالية كما كتب عن الباي محمد باي التيطري فوصف حملاته العسكرية بالنجاحة وهي الحروب التي كانت تخوضها السلطة المركزية ضد القبائل الممتنعة عن دفع الضرائب كقبيلة قشتولة التي ثارت على الحكم المركزي التركي استعرض الكاتب اطوار المواجهة وذكر هزيمتها وأذعانها واستلامها وخضوعها لشروط المبايعة.³ أما شاربونو فكتب عن المؤرخ ابن حمّاد واسمه الكامل محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي الذي ولد في بجاية 1246 م وتوفي في 1314م وترك تراثا تاريخيا مثل عنوان الدراية والنبذة المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية.⁴

استعرض دوفو ترجمة للحاج باشا الذي خلف حسن أغا بعد اغتياله استعرض فيه دفاعه عن مدينة الجزائر ضد شارل الخامس سنة 1541م حيث استطاع بفضل خبرته العسكرية ترويض

¹ ARNAUD (L) « Histoire de l'ouali Sidi Ahmed et-Tedjani » in R A, vol 6, Année 1861, p 468

² GUIN (L) Notice sur le cheikh Gassem des Guechtoula » in R A, vol 6, Année, 1861, p 308

³ GUIN, Note sur le bey Mohammed, dit El-Bey Debbah » in R A, vol 8, Année 1863, p 293

⁴ DEWULF (Eugène Édouard) « Note sur Ibn Hammad et sur un mémoire de M. Cherbonneau intitulé : Notice Et extraits du Eunouan el-Diraïa fi mechaiekh Bidjaia" » in R A... ibid, p 446

الجنود الانكشاريين وإحكام قبضته عليهم في وقت ساد فيه الاضطراب والمؤامرات والنص مقتبس من كتاب تاريخ وطوبوغرافية الجزائر للمؤرخ الاسباني ديبغو دي هايدو¹ وكتب في مقالة أخرى ترجمة للريس الحاج مبارك وهو قائد فرقاطة في البحرية الجزائرية تأسف فيها للمبالغة التي استخدمها (الأهالي) في التوصيف على أنه قائد أسطوري -في نظره- لم يكن الحاج مبارك إلا قرصانا يسطو على السفن التجارية في الحوض الغربي للبحر المتوسط.² كما قدّم روبين ترجمة ليحي أغا والذي وصفه بالوجه البارزة التي مثلت الجزائر خلال فترة حكم الأتراك، وصل فيها الى منصب أغا العرب سنة 1818م وهو التاريخ الذي تقلد فيه الداوي حسين حكم الجزائر إلى غاية تاريخ اغتياله من طرف أحد أعوانه سنة 1828م، سيرة الرجل مأخوذة من مخطوط ترجمه ميار (MEYER) الذي اشتغل مترجما عسكريا في الجيش الفرنسي سنة 1858م اقتناه من عائلة جزائرية تدعى أولاد بن قنون سكنت بنواحي يسر³ وكتب أيضا ترجمة في قالب كرونولوجي لأولاد بن زعموم الذين انحدرت أصولهم من قبائل جرجرة⁴ كما تحدث ليسبيناس (LESPINASSE) عن القبيلة الهاشمية في معسكر فوصفها بالأسرة التي امتلكت ثقافة واسعة وثروة كبيرة ذكرهم المؤرخ أبو راس الناصري في مؤلفاته فحدد موقع القبيلة التي سكنت واد التاغية من بني محمد وعاد نسبها إلى قبيلة زناتة (البربرية) وذكر الكاتب علاقتها التي وصفها بالمتمازة مع سلطان المغرب أبو عبد المؤمن الذي منحها الكثير من الامتيازات⁵ واستعرض روبين الحاج عمار المدعو الشريف بوبغلة تحدث فيه عن نسبه وأسرته التي استوطنت ذراع الميزان في منطقة القبائل تابع الكاتب مسيرة جهاده فوصفه بالتمرد والثائر على السلطة الفرنسية مكنه من جمع القبائل (البربرية) وحشد صفوفها لمقاومة الاحتلال الفرنسي، وصف الكاتب الرجل وصفا فيزيولوجيا فبين شكل عينيه وقامته ولون بشرته كما وصف ذكائه ومقدرته وسرعة بديهته.⁶ طريقة الفرنسيين عموما في التعبير عن الشخصيات التي نالت إعجابهم محاولة منهم تحريف

¹ DEVOULX (A) et BERBRUGGER (A.), « El-Rad Pacha » in **R A**, vol 9, Année 1864, p 290

² DEVOULX « Le raïs El-Hadj Embarek (XVIIIe s.) » In **R A**, volume 18, Année 1872, p 35

³ ROBIN (N) « Note sur Yahia Agha » in **R A**, vol 21, Année 1874, pp 59- 60

⁴ ROBIN « Les Oulad ben Zamoun » in **R A**, vol 21, Année 1875, p 32

⁵ LESPINASSE (Jean François Émile) « Notice sur le Hachem de Mascara » in **R A**, vol 23, Année 1877, p 141

⁶ ROBIN « Histoire du chérif Bou Bar'la » **R A**, vol 29, Année 1883, p 161

مسيرة الجهاد لدى زعماء المقاومة من خلال إعطائها بعدا عاطفيا حسيًا في مقابل تجاهل مشاريعهم الوطنية وجهادهم واستماتتهم في الدفاع عن الشرف والأرض فطبيعة المتمرّد لا تحلوا حسب نظر الباحثين من رموز دونية عكست استراتيجية اللّصوص والمرترقة ومن لادين لهم وأساليهم الملتوية في جمع المال والإغارة على المناطق الآمنة والسطو على المنازل، ولنا في كتاباتهم الشيء الكثير مثل كتاب: ايميل فيولار (EMILE VIOLARD) لصوص القبائل، لصوص الشرف القبائلي خلال القرن التاسع عشر.

« Bandits de kabylie, Bandits d'honneur kabyles au 19 siècle »

اقتبس فاغنون (FAGNAN) ترجمة لشهاب الدّين الدمشقي من وثائق حصل عليها من الأرشيف العربي بالمكتبة الوطنية، استعرض فيها مؤلفات الدمشقي كطبقات النجاة، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار، وصبابة المشتاق في المدائح النبوية¹ وكتب بيار مارتينو (MARTINO) ترجمة لفيكتور وول (WAILLE) (1852م -1907 م) خلّد فيها أعمال الكاتب الذي ترأس الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر فاستعرض حياته وأعماله وإنتاجه الفكري الذي حمل بصمة أدبية في عمومته² وكتب غزال ترجمة ليوبا الثاني تحت عنوان "يوبو الثاني العالم والكاتب" مأخوذة من كتاب المؤرخ الروماني بلين (PLINE) وصفه بالحاكم المتعلم، امتلك ثقافة متميزة وأسّس مكتبة كبيرة في إفريقيا جمعت العديد من المؤلفات الإغريقية الخاصة بالتاريخ والفلسفة وشكل فيها فريقا متكاملًا من الباحثين أشرفوا على ترجمتها إلى اللّغة اللاتينية ساعدته في ذلك ثروته الطائلة التي أهدقها على الكتاب.³

5-3- تاريخ المدن الأمم والشعوب:

نال تاريخ الجزائر اهتماما كبيرا من طرف المؤرخين الفرنسيين خصوصا ماتعلق منه بالرومان والبيزنطيين في إفريقيا القديمة، كتب بيربروجر مقالا قسّم فيه الأراضي التي خضعت لإدارة الرّومان في إفريقيا، توزعت بين موريطانيا الطنجية (المغرب) وموريطانيا القيصرية (الغرب الجزائري) وموريطانيا السطيفية (الوسط الجزائري) والمحميات النوميدية في الشرق الجزائري، وروما

¹ FAGNAN (E) « Chihab ed-din Dimechki » in R A, vol 40, Année 1894, p 346

² MARTINO (Pierre) « Victor Waille (1852 - 1907) » in R A, vol 52, Année 1908, p 5

³ GSELL (S) « Juba li, Savant Et Ecrivain » in R A, vol 68, Année 1927, p 171

البروقنصلية في شمال تونس وروما المركزية في إقليم طرابلس، مناطق فصلها البحر والصحراء واستحقت وصف العرب لها "بجزيرة المغرب" أضاف الكاتب لشمال إفريقيا مظهراً طبوغرافيا اشتملت عليه مظاهر سطحها المعقد والمتداخل حرمة من التواصل مع باقي الأمم المجاورة في البحر المتوسط، نال الرومان إعجاب المؤرخ بين باقي الأمم الغازية الأخرى من خلال فرض وجودهم على الأرض فاشاد بنمط عمارتهم ودقة تقسيمهم الإداري الذي تجلّى في مظاهر الحكم والسياسة والتجارة وطرق المواصلات¹ استعرض الكاتب المساحة الجغرافية والأبعاد التي امتد إليها احتلالهم داخل إفريقيا وزادت من اتساع إمبراطوريتهم.²

أشار الكاتب إلى موضوع الصراع البحري بين الجزائر والممالك الأوروبية في الحوض الغربي للبحر المتوسط فوصفه (بالقرصنة الاسلامية)³ تقليد سار عليه جلُّ كتّاب المدرسة الاستعمارية من خلال محاولة إضفاء البعد الديني المسيحي على كل عمل استعماري استهدف الأرض والانسان تحت مسمى حماية أوروبا من الغزو البربري الاسلامي الآتي من الجنوب تارة، فيما اعتبر كتابهم الغزو العسكري نحو الضفة الجنوبية وإفريقيا مساهمة في تحضّر مجتمعاتها (البداية) تحت بند الوصاية والانتداب.

كتب بيروجر مقالا تحت عنوان "الجزائريون يستنجدون بملك فرنسي 1572م" بيّن فيه الظروف المحيطة بالجزائر وأوروبا آنذاك واجهت فيه كلتاهما خطرا وجوديا مشتركا هدّد كيانهما السياسي في الحوض الغربي من البحر المتوسط، تمثل في تنامي الأطماع والاعتداءات العثمانية استدلل الكاتب بأحداث وشخصيات⁴ تخلّلتها الكثير من الخلط في توضيح المقصود الذي بدا غريبا في سياق التاريخي مبعثه رسائل كتبها إلى ملك فرنسا بعض المتواطئين من اليهود قدموا إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة اعتبرها الكاتب مصادر أرّخت لرفض الجزائريين دخول الأجانب العثمانيين الذين اعتبرهم في مقاله غزاة محتلين.

¹ BERBRUGGER (A) « L'Afrique septentrionale après le partage du monde romain en Empire D'Orient et Empire d'Occident » in **R A**, vol 1, op cit, p 82

² BERBRUGGER « DAVENET Les Romains dans le sud de l'Algérie » in **R A**, vol 3 Année 1858, p. 276

³ PAVY (M) « La piraterie musulmane » in **R A** ... ibid, p 393

⁴ BERBRUGGER (A) « Les Algériens demandent un roi français en 1572 » in **R A**, vol 5, Année 1861

نشرت المجلة مقالا لبيروجر تحت عنوان "الجزائر خلال المرحلة القنصلية" عالج رسالة التهديد التي بعث بها نابليون بونابرت إلى قنصل فرنسا في الجزائر سنة 1789 م طلب فيها من القنصل إبلاغ داي الجزائر بالتوقف عن حصار مالطة واحتلال الجزيرتين المالطيتين وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين الذين تم القبض عليهم من قبل البحرية الجزائرية في معارك جرت في عرض البحر،¹ كما أشارت المجلة في أعدادها إلى العادات والتقاليد (البربرية) من طقوس اجتماعية أقامها السكان احتفالا بالمناسبات والأعياد وتجلّت مظاهرها في ميادين الفروسية والرّماية و« التوّيزة » كمظهر اجتماعي تضامني ميّز منطقة القبائل.²

احتوت المجلة في أعدادها على أحداث حصار وهران من قبل الإسبان سنة 1732 م وحملة أورلي (OREILY) ضد الجزائر 1775م³ وحرب 1824 م بين الجزائر وبريطانيا أشار فيها الكاتب إلى معركة بحرية خاضها الأسطول الجزائري مع الاسطول الانكليزي في الحوض الغربي للبحر المتوسط كما تناولت المجلة التنظيمات العسكرية التي اعتمدها الأمير عبد القادر في مقاومته للفرنسيين اقتبسها الكاتب من مخطوط « وشاح الكتائب »⁴

كتب توكسي عن اثنوغرافية شمال إفريقيا من خلال ثقافة المجتمع الجزائري وعرقه السُّلالي من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى غاية 70هـ الموافق ل 651م تاريخ الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب تناول فيه مملكة الماسيل التي بسطت سلطتها على جميع المقاطعات الادارية في موريطانيا القيصرية، أرجع الكاتب سهولة انتشار الإسلام في تلك الفترة إلى هشاشة المكونات الاجتماعية واختلاف أصولها العرقية من العرب الدُّخلاء والمولدون من النوميد نتيجة الاختلاط مع أجناس أخرى على غرار كتامة وولهاصة التي استقرت في منطقة الأوراس، وبقايا عناصر عرقية لا يعرف نسبها- حسب رأيه-⁵ أراد الكاتب من خلال مقاله التأسيس لفراغ ديمغرافي أصيل عمّ شمال افريقيا والجزائر على وجه الخصوص دعم به نظرية الفضاء المفتوح وبالتالي التأسيس لوجود

¹ BERBRUGGER « Documents sur Alger à l'époque du Consulat, (Lettres de Bonaparte) » in **R A**, vol 6, Année, 1862, p 128.

² FÉRAUD (L) « Mœurs et coutumes des Kabiles » in **R A**, ... ibid, p. 272

³ BERBRUGGER « Reprise d'Oran par les Espagnols en 1732 » in **R A**, vol 8, Année 1864, p 12

⁴ BERBRUGGER « Ouichah el-Kataib [Règlements de l'armée d'Abd el-Kader » in **R A**, ... ibid, p 98

⁵ TAUXIER (H) « Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mahomet » in **R A**, ... Ibid, p. 54

الغزاة أولاً. فيما تناول بيربروجر الوضعية الدّينية والسياسية لموريتانيا بعد الثورات الكبرى نهاية القرن الثالث الميلادي استغل فيها الثوار انقسام السلطة المركزية داخل روما بين قيصر وأغسطس، خضعت فيه شمال إفريقيا وباقي أراضي اسبانيا وبلاد الغال لسلطة قسطنطين في وقت تأثرت فيه الجزائر بالأفكار الدّينية المسيحية التي كان منطلقها أراضي المشرق، ظهرت تجلياتها في رفض الخدمة العسكرية من طرف السكّان المحليين، تطورت إلى ثورات حقيقية مثلت تهديدا لوجود الامبراطورية تصدى لها الرومان بالقوة العسكرية، ركّز الكاتب من خلال مقاله على الجانب الدّيني المسيحي واعتبره مؤسسا لهياكل الثورة ومحددا لأهدافها¹ كما استعرض في مقال آخر اقتبسه من مخطوط عربي محلي حصار مدينة مليلية من طرف المغرب أشار فيه إلى صمودها في مواجهة الحملات المتتالية على حاميتها الاسبانية المرابطة للدفاع عنها وأشار الى حرص المغاربة آنذاك على استرداد مدنها المحتلة من قبل الاسبان² كما تطرق الكاتب في مقال احتواه نفس العدد إلى مفاوضات جرت بين حسن أغا والكونت ألكودات (ALCAUDETTE) حاكم وهران سنة (1541م-1542م)³ وعن مرسى الكبير ومؤرخه سواريز (SUAREZ)⁴ وآخر عن العناوين العربية الدّخيلة والخطئة استخدمها بعض المؤرخين الفرنسيين مثل أوكايبيتان (AUCAPITAINE) في تحديد نسب بعض القبائل أرجعها إلى ترجمة غير دقيقة للرسائل التي تناقلها حكام الأقاليم بينهم، استخدم فيها عبارة "باي التيطري" على سبيل المثال لمراسلة إدارية عادت إلى سنة 1548م وهي مناصب لم تكن مستحدثة في الجزائر آنذاك.⁵

تطرق المجلة إلى قضية الديون الجزائرية في عهد الداوي حسين افتعلتها فرنسا كذريعة لاحتلال الجزائر عنونه الكاتب "قضية بكري من خلال وثائق غير منشورة" عادت إلى سنة 1814م على شكل رسائل بعث بها القنصل العام في الجزائر طونفيل دوبوا (DUBOIS)⁶ وعن

¹ BERBRUGGER « Situation Religieuse Et Politique De La Moritanie Lors De La Grandre Révolte Bèrbere A La Fin Du 3 Siècle » in **R A**, vol 9, Année 1865, p 193

² BERBRUGGER « Siège De Melilla Par Les Marocains Traduction De Documents Originaux » in **R A**, op, cit, p 366

³ BERBRUGGER « Négociation Entre Hasan Agha Et Le Conte Alcaudete Gouverneur D'oran (1541-1542) Traduction De Pieces Authentiques » in **R A**. vol 9...op cit, p379

⁴ BERBRUGGER (A) « Mers-el-Kebir et Oran d'après Suarez » in **R A**, vol 10, Année 1866.pp. 43

⁵ BERBRUGGER « Une Grave Erreur Cronologique » in **R A**, vol 10...ibid p 400

⁶ BERBRUGGER « Les consuls d'Alger pendant la conquête de 1830 » in **R A**, vol 9, Année 1865, p. 57

العلاج وفن التطبيب من خلال خدمات المستشفيات المسيحية في مدينة الجزائر خلال عام 1694م¹ والبنائات الدينية القديمة في الجزائر العاصمة والتي تمثل تراثا مسيحيا والبحرية الجزائرية في عهد الأتراك و قصة عن خلع باشا الجزائر من طرف القبائل العربية² والمفاوضات التي جرت بين خير الدين بربروس وشارل الخامس³ تناولت المجلة في أعدادها تاريخ أولاد نايل من خلال وثائق ومخطوطات عربية قديمة كشفت انتمائهم إلى العرب الهلاليين⁴ وقدمت كشفا عن الفرنسيين الذين استقروا في الجزائر بين (1686م-1830م)⁵ والتعاونيات الحرفية في مدينة قسنطينة قبل احتلالها 1837م اقتبست من مخطوط عربي⁶ والمؤسسات القنصلية في الجزائر والبلاد (البربرية)⁷ وعن حصار ميناء الجزائر وقصفه من قبل الأميرال الانكليزي اكسماوث سنة 1816م،⁸ ووثائق غير منشورة تعلقت بالاحتلال الاسباني للجزائر بين سنتي (1506م-1574م) ودراسات بربرية عن الهوسا،⁹ والاحتلال المغربي لتلمسان (1830م-1836م)¹⁰ ومفردات اللغة الشاوية في الأوراس¹¹ وعمليات الجيش الفرنسي ضد قبائل بني سناسن¹² والتأثيرات البونيقية على بلاد البربر¹³ والفرق الدينية في الجزائر¹⁴

¹ BERBRUGGER « Charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694 » in **R A**, vol 8, Année 1864 p. 133

² MERCIER (E) « Notice sur les Almoravides et les Almohades, d'après les historiens arabes » in **R A**, vol 13, Année 1869 p. 265

³ MERCIER (E) « Chute de la dynastie des gouverneurs Agh'lebites en Afrique, établissement de L'Empire Obeidite (886-912) » in **R A**, vol 15, Année 1871, p. 112

⁴ ARNAUD (L) « Histoire Des Oulad Nail Faisant Suite A Celle Des Sahari » in **R A**, vol 16, Année 1872, p.327

⁵ DEVOULX (A) « Relevé Des Principaux Français Qui Ont Résidé à Alger de (1686-1830) ...ibid, p356

⁶ FERAUD (ch) « Les Corporation De Metiers A Constantine avant la conquête française traduction d'un manuscrite arabe » ...ibid, p 451

⁷ WATBLED (E) « Aperçu Sur Les Premiers Consulats Français Dans Le Levant Et Les Etats Barbaresques » in **R A**, vol 16, Année 1872 p. 20.

⁸ ARNAULT (CHABAUD) « Attaque Des Batterie Algerienne Par lord Exmaouth, en 1816 » in **R A**, vol 19, Année 1875 p194.

⁹ BASSET (R) « Rapport Sur Les Etudes Berberes Et Haoussa (1882-1908) Presente Au Xve Congrès Des Orientalistes A Copenhague » in **R A**, vol 52, Année 1908, p. 243

¹⁰ COUR (A) « L'occupation marocaine de Tlemcen (septembre 1830-janvier 1836) » ibid, pp. 29 -30

¹¹ JOLY (A) « Vocabulaire du Chaouiya des Ouied Sellera ou français » ibid, p. 219

¹² VOINOT (Louis) « Les Actes D'hostilite Des Emigres Et Des Marocains Surtout Des Beni Snassen Et Les Operations Effectuees Par Les Français Notamment En 1856 » in **R A**, vol 58, Année 1914, p 220

¹³ BASSET (H) « Les Influences Puniqes Chez Les Berberes » in **R A**, vol 62, Année 1921, p 330

¹⁴ COUR (A) « Recherches Sur L'etat Des Confreries Religieuses Musulmanes Dans Les Communes

وكتب ديني عن محفوظات الانكشارية في مكتبة الجزائر¹ واستعرضت المجلة في أعدادها التنظيمات الإدارية الاسبانية في المدن الساحلية² وعن حريق مكتبة الإسكندرية سنة 640 م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسئولية عمرو بن العاص الذي كان واليا على مصر في ذلك الوقت وبأمر مباشر من الخليفة نفسه الشيء تأسف له الكاتب كثيرا كون العرب أمة من البرابرة المتوحشين قادمي التعطش لسفك الدماء وحرقت المنازل إلى حرق دور العبادة والعلم في إشارة إلى مكتبة الإسكندرية.³

ردًا على الكاتب:

أولاً: لا توجد أي وثيقة مكتوبة تثبت مسؤولية الخليفة أو أحد عماله قام بحرق مكتبة الإسكندرية وهو أول من سنَّ ديوان الكتبة وتعامل مع عماله بالرسائل، وإذا كان أمر الحرق بالإيعاز ما الذي دفعه إلى ذلك؟ وهو الذي جهر بإسلامه في عز الجاهلية.

ثانياً: لا يمكننا الجزم بمسئولية المسلمين عن حريق المدينة في ظل ظروف اختلطت فيها الأحداث وخرجت عن نطاق السيطرة وإلا كيف يفسر الكاتب وجود تلك المكتبة واستمرار خدماتها إلى يومنا هذا في ظل حكم المسلمين . وهل تم حرق المكتبة بأكملها أم جزء خاص يتعين حرقه التي تمثلت في كتب الإلحاد والضلال؟

ألم يتعلم الصحابة من النبي عليه الصلاة والسلام أدب الخصومة في الدين فضلا عن أخلاق الحرب؟ وهو الذي أمرهم بتأمين الرهبان في صوامعهم وكنائسهم ودور عباداتهم وترك الناس في منازلهم ومزارعهم؟ ألم يوقع الخليفة عمر رضي الله عنه وثيقة سلام (العهد العمرية) مع نصارى مدينة إيلياء (القدس) بعد فتحها؟ ألم يطالب سكان المدينة من الخليفة عمر رضي الله عنه بإبعاد اليهود من مدينتهم مخافة تدينسها وهي التي كانت تضم كنائسهم ودور تعلمهم؟ وهل قام

D'oum-El-Bouaghi, Aïn-Beïda, Sedrata, Souk-Ahras, Morsott, Tebessa, Meskiana, Khenchela En No-Vembre 1914, » in **R A**, ibid, p 85

¹ DENY (J) « Les Registres De Solde Des Janissaires Conserves A La Bibliotheque Nationale D'alger » in **R A**, vol 61, Année 1920, p 19

² CASENAVE (JeanJ) « Les Presides Espagnols D'afrique : Leur Organisation Au Xviii Siecle » **R A**, Vol 63 Année 1922, p 225

³ LALOË (Francis) « A Propos De L'incendie De La Bibliotheque D'alexandrie Par Les Arabes. Les Manus-Crits Arabes De Constantine » in **R A**, vol 66, Année 1925, p 95-100

المسلمون في مصر والأندلس وغيرها من بقاع الأرض التي فتحوها بترجمة كتب الإغريق أم بادروا بالتخلص منها حرقاً؟ وإذا كان الأمر كذلك كيف توصل الإدريسي وابن حيان وحسن ابن الهيثم والخوارزمي وابن سينا إلى ترجمة كتب الفلك والطب والجغرافيا والرياضيات بعد تصحيحها وهم أول من استحدث منهج العلم التجريبي وطبقوه في الأندلس؟ وما قولهم في حرق مكتبة قسنطينة من طرف جنود الغزاة الذين أشعلوا بها غليوناتهم واستخدموا بعضاً منها في التدفئة بشهادات قادتهم.

يقول غوستاف لوبون (LE PAIN) في شأن حرق مكتبة الاسكندرية ما يلي: (... وكان عمرو بن العاص سمحا رحيماً نحو أهل الإسكندرية مع تلك الخسارة التي أصيب بها العرب، ولم يقس عليهم وصنع ما يكسب به قلوبهم وأجابههم إلى مطالبهم، وأصلح أسداهم وترعهم وأنفق الأموال الطائلة على شؤونهم العامة، وأما إحراق مكتبة الإسكندرية المزعوم، فمن الأعمال الهمجية التي تأبها عادات العرب، والتي تجعل المرء يسأل: كيف جازت هذه القصة على العلماء الأعلام زمننا طويلاً؟ وهذه القصة دحضت في زماننا فلا نرى أن نعود إلى البحث فيها ولا شيء أسهل من أن نثبت بما لدينا من الأدلة الواضحة أن النصارى هم الذين أحرقوا كتب المشركين في الإسكندرية قبل الفتح العربي بعناية كالتى هدموا بها التماثيل ولم يبق منها ما يحرق...)¹

هكذا عالجت المجلة في أعدادها الذي تجاوز التسعين نماذج لا بأس بها من المخطوطات جمعها بيربروجر خلال مرافقته لحملات الغزاة على المدن الجزائرية واستيلائه على مكتباتها، شملت مجالات التاريخ والأدب والشريعة والقصص الفلسفية كانت أقرب للترجمة منها إلى التحقيق فالباحثون وإن كانوا بصدد دراسة سير أعلام اشتهروا في زمانهم واقتبست أخبارهم من مخطوطات وصلت إليهم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في نسخ أخرى على سبيل المقاربة والتمحيص، زيادة على ذلك استعمل كتاب المجلة الإفريقية على غرار بيربروجر وشاربونو وغيرهم طريقة الانتقاء والتأويل والاسقاط منهجا في البحث وطريقة في الكتابة ، بهدف الوصول إلى نتائج خدمت مشاريع الاستعمار الفرنسي، زيادة على ذلك اعتمد المؤرخون الفرنسيون ومن

¹ لوبون (غوستاف) حضارة العرب ، ترجمة ، عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2013 ، ص 225

اختص بالاستشراق عموماً على الترجمة الحرفية فافتقد إنتاجهم إلى الدقة اللغوية انسقت فيه عبارات الترجمة في مجملها مع تعبير لغوي طرح معه دائماً إشكالية المعنى الجوهرية للعبارة المقصودة، أما بالنسبة للمقاومات الشعبية فلا تعدو أن تكون وصفاً كرونولوجياً، للأحداث التي انتشرت في تلك الفترة، اقتبست في غالبها من مراسلات عسكرية بين قادة الفرق في الجيش الفرنسي كمقاومة الأمير عبد القادر والزعاطشة وأولاد سيدي الشيخ، أعطى لها كتاب المجلة أبعاداً قائمة على صراع بين طرقها المذهبية بل وحتى داخل الطريقة الواحدة، دفعهم الحقد والتعصب الدفين على بعض رموزها الرُّوحية، إلى تحريف الأحداث التاريخية بفهم مقصود لإيهام القارئ وتركه رهينة استنتاجاتهم المغلوطة، فتورق أحمد المقراني والشيخ الحداد كانت ردّة فعل على انتشار التنصير في منطقة القبائل التي اتخذها الاستعمار مخبراً لتنفيذ مشاريعه لا ردّة فعل وغضب من أحمد المقراني على تجريدته من أملاكه وأراضيه تحت قانون الأهالي 1871م، كما روج له كتاب المدرسة الاستعمارية وإن تزامنت مع تاريخ صدره، زيادة على ذلك احتوت المجلة الإفريقية على عبارات احتقارية مهينة انتقصت من الدور الوطني لرموز المقاومة الشعبية، لم يكن قادة الثورات - حسب نظرهم - حملة رسالة حضارية أسست لقيام دولة مؤسسات حظيت بثقة مواطنيهم بل لصوصاً اعتادوا على النهب والإغارة وجمع المال عن طريق الضرائب على شاكلة ممارسات قطاع الطرق وحاولوا تأسيس (دولة صعلوكية).

احتوت المجلة على أحكام لاحصر لها أخرجت فصول المقاومة بمنظور استعماري ليس إلاّ برع فيها الفرنسيون بالتأويل تارة والاسقاط والتعميم تارة أخرى، وما انطبق على الثورات انطبق أيضاً على معالجاتها للفكر الصوفي والطرق المذهبية، التزم المؤرخون في جلّ كتاباتهم بالخطّ الاستعماري المرتكز أساساً على التوظيف السياسي، ساق فيها الكتاب طقوساً مارستها جموع من الجهلة بدع وانحرافات أساطير وانحرافات خالفت العقيدة اعتبرها رؤاد المدرسة الاستعمارية نصوصاً قطعية وأحكاماً جاء بها الشرع وركنا من أركان الدين. استهدف الاستعمار ضرب الرّوايا باعتبارها حاضنة شعبية ومنطلقاً للجهاد وخزاناً لجميع ثورات القرن التاسع عشر، فزيارة أضرحة الأولياء وتقديم القرابين لها والاستغاثة بالموتى ليست من طقوس المسلمين، ولا من تعاليم الرّوايا

بل انطلقت من أقلام المستشرقين وجسدتها السلطة الاستعمارية من خلال بناء الأضرحة والتكفل بتغطية مصاريف ما أصلح الاستعمار على تسميته "الولائم الدينية"

4- المنشورات الأثرية

تضمّنت دراسات مونوغرافية للمدن كمدينة شرشال (JULIA CEZARIA) استعرض فيها بيروجر عمليات التخريب التي طالت معالمها الأثرية بحثا عن الكنوز أو لاستخراج الحديد أستعمل لاحقا في أعمال البناء والحِداة، ألقى الكاتب مسؤولية التخريب على عاتق الوندال و(الأهالي) معا، وقدم دلائل على وجود أنواع من الحجارة والأعمدة والتيجان استخدمت في بناء قرى متاخمة للمدينة الأثرية، وأخرى تناقلتها الكتب القديمة تحدثت عن قطع ثمينة اهديت للقائد الوندالي جنسريق (GENSERIC) والفتاح المسلم عقبة بن نافع.¹ وتقارير عن مكتشفات أثرية عثر عليها النقيب في سلاح الهندسة لوفال (LEVAL) تعلقت بتابوت حجري وجد في منطقة سوق أهراس يعود إلى الفترة الرومانية، ونقوش حملت كتابات لاتينية إضافة إلى جرة وقلادة من البرونز، وضعت داخل تابوت حجري عادت إلى نفس الفترة عثر عليها هنري (HENRI)² لتتواصل المكتشفات الأثرية التي شملت مختلف المواقع داخل المدن القديمة سطيف وقسنطينة وشرشال وتيمقاد ومسرغين، وواد المالح احتوت على قطع أثرية مختلفة الاستخدامات مرثي على جداريات حملت كتابات مسيحية وتمائيل وتيجان ومعاصر زيتون، مزهريات ومقابض فخارية ومصاييح من البرونز وزخارف سيفسائية تم إهدائها إلى متحف الجزائر كما تضمنت أعداد المجلة دراسات مونوغرافية لمدن أخرى مثل مدينة أرزيو القديمة (ARZENARIA)³ وكتابات احتوت على رموز مسيحية عادت إلى الفترة البيزنطية وجدت في مدينة قسنطينة وأخرى رومانية عثر عليها لاتور (LATOURE) بين مدينة سطيف وقسنطينة وعملات معدنية قديمة احتوت على صور أباطرة رومان وجدت في مدينة غليزان، و تابوت حجري إلى جانبه كأس ومزهريّة ومصباح ذا مقبضٍ أنيق استخدم في الجنائز قدّم فيه الكاتب وصفا دقيقا

¹ BERBRUGGER (A) « Julia Caesarea (Cherchel) (Inscriptions chrétiennes) » in **R A**, vol 1, op cit p. 113.

² BERBRUGGER « Trouville De Monnaies Romaines A Tipasa » in **R A**, vol 2, An 1857, p 145

³ DEMONTFORT « Ruines Du Vieil Arzew » in **R A**, vol 3, Année 1858, p. 249

بحسابات هندسية فيما عجز عن ترجمة كتابته اللاتينية¹ احتوت المجلة على ترجمات لغوية لكتابات مسيحية على نماذج حجرية وقطع من الرخام عثر عليها أثناء عملية التنقيب، أشارت إلى وجود استيطاني بيزنطي مسيحي أعطى له الكاتب بعدا أشار الى انتشار الديانة المسيحية في عموم الجزائر.² تضمنت المجلة مذكرة مونوغرافية عن منطقة آيت ايراثن في القبائل الكبرى احتوت على العديد من المواقع الأثرية الرومانية نقلت حجارها الضخمة إلى أماكن أخرى استخدمت في بناء السوق الشعبي " تلاله " بنيت قرية أقبو على أنقاض مدينة رومانية قديمة استدل الكاتب على وجودها، بما عثر عليه الأهالي من بقايا لأسوار حجرية أثناء عملية الحفر والتنقيب³ وعن مستعمرة أخذت شكلا معماريا عسكريا قلاع شيدت على مرتفعات جبلية محصنة، احتوت على أسوار دفاعية للحماية وأبراج رصد ومراقبة ومرابض خيول⁴ كما أجريت بحوث ودراسات في مدينة المدية أومال (AUMALE) ومواقع أثرية في مدينة سور الغزلان (D'AUZIA) تضمنت مسحا طبوغرافيا حدد فيه الكاتب موقعها الجغرافي ومساحة مكتشفاتها الأثرية التي نسبت إلى القائد الروماني أوزيونس (AUZIENSIS)⁵

عظفا على ما أجزم به الباحثون الفرنسيون حول المكتشفات الأثرية التي أدرجها هؤلاء ضمن التراث المعماري الروماني دون البحث في مكوناته بشكل جاد ونزيه يمكننا القول من جانبنا على أصولها التي تعود إلى الممالك القديمة وأنجزت عمارتها بسواعد محلية جزائرية.

تضمنت المجلة شروحا لغوية لكتابات ورموز لاتينية وجدت على صخور استخدمت في بناء أضرحة في مواقع حمام ريغة عريب ومليانة والشلف (ORLEAN VILLE) وكارناشين (KARNACHINE) وتيبازة حملت ألقاب جنود وحرفيين وموظفين في الإدارة الرومانية⁶ ووصفا لضريح قائد روماني في مدينة شرشال ومزهريّة تم العثور عليها في مدينة فوكة بتيبازة وفسيفساء وجدت في مدخل موقع بقسنطينة وطوقا من البرونز عُثِر عليه في باب عسوس ومسلة في واد

¹ CHARON L'EMERILLON (T) LHOTELLERIE (P. DE) et BERBRUGGER (A.) « Sculptures Romaines Avec Inscription Trouvees A Cherchel » in **R A** ..., ibid, p. 155

² FERAUD (L) « Entre Sétif et Biskara, notes épigraphiques » in **R A**, vol 4, Année 1859-1860, p187

³ HANOTEAU (A) « Archéologie du territoire des Beni Raten » in **R A**, vol 5, Année 1861, p174.

⁴ POULLE (A) « Ruines de Bechilga (Ancienne Zabi) » in **R A**, ibid, p 195,

⁵ ibid, p 36

⁶ TAUXIER (H) « Ruines Romaines De Karnachin » in **R A**, vol 8, Année 1864, p. 316

مينا بغليزان¹ ومكتشفات أخرى في إحدى حدائق المنصورة بمدينة تلمسان تمثلت في ساعة شمسية وصف الكاتب طريقة صنعها وأبعاد هندستها ومكان وجودها وعادت ملكيتها إلى مسجد المدينة توصل إلى معرفته باجتهاد شخصي لاحتوائه على كتابة بالخط الكوفي استخدمه المرينيون في تحديد مواقيت الصلاة كالعصر والظهر، اجتهد الكاتب في ضبط تاريخ صنعه على سبيل المقاربة بينه وبين لوح آخر اكتشفه مارسي أشار إليه وعادت ملكيته إلى محمد بن أحمد اللّمي دون فيه تاريخ صناعته في 747هـ الموافق ل 1346م² لم يعترف بالنموذج الذي مثل تقنية اخترعها العرب المسلمون وأرجع صناعتها إلى الرومان الذين استعملوها في حياتهم اليومية واحتفظ متحف الجزائر ببعض من نماذجها.³

تضمنت المجلة وصفا لكاتدرائية بيزنطية بمنطقة تبسة، في مكان يدعى بحيرة الأرنب جلبت حجارتهما من مساكن الأهالي المجاورين للموقع ذات نقوش وكتابات اتصلت بأحداث تلك الفترة التي عادت إلى 507م اكتشاف شجع الفرنسيين على المضي قدما في معرفة تاريخ المسيحية إبان تلك المرحلة والتي وصفها بفترة الاضطهاد الوندالي للمذهب الكاثوليكي⁴

استعرضت المجلة محطة أنشأها الرومان في 124م بين سور الغزلان وسور الجواب عادت إلى أوليوس زابديس (AEILUS ZABIDUS) وكان من الأعيان خلّدت كتابتها الإمبراطور الروماني سيبتيموس سيفروس (SEPTIME SIVERE). احتوت على دلائل طبوغرافية أشارت إلى تحكم الرومان في القياسات والأبعاد، كما أشارت إلى الطرق الموصلة بين المدن الرومانية كالطريق الرابط بين الشلف (ORLEAN VILLE) ومدينة مليانة عثر الكاتب على مخطوطات قديمة أشارت إلى وجود مقرّات أسقفية بين المدن القديمة وأعطت مؤشرا قويا - حسب نظره - على انتشار المسيحية في تلك الأماكن إضافة إلى اكتشاف نصب تذكاري من البرونز دلّ على تطور الفن الروماني في الجزائر الرومانية⁵ ووصف جغرافي وطوبوغرافي لأطلال مدينة رومانية في منطقة عين

¹ BERBRUGGER (A) « Inscription Romaine De Siga » in **R A**, vol 7, Année 1863, p. 312

² BEL (Alfred) « Trouvailles archéologiques à Tlemcen » in **R A**, vol 49 Année, 1905, pp 228 -229.

³ ibid, p236

⁴ GUENIN (Commandant)« Notice archéologique sur une petite basilique sise à Rouis, cercle de Tébessa » in **R A** Vol 52, Année 1908, p 295-296

⁵ GSELL (S) « Thanaramusa (Berrouaghia) (Inscription Romaine ; Tete De Bronze.) » in **R A**, vol 53 Année, 1909, pp 20- 21

قريميدي أعطى الكاتب لموقعها بعدا استراتيجيا ووصف سكانها بالخليط الذي تشعبت هوياته بين أوروبيين و(بربر) استوطنوا المنطقة منذ زمن بعيد¹ احتوت المجلة على كتابات ليبية قديمة تم العثور عليها في منطقة عين بسام لمتصرف في الإدارة المحليّة بالبلدية أثناء عملية التنقيب عن الآثار قام الكاتب بتحديد مقاييس حجارتها ونوع كتابتها، وتساءل عن إمكانية نقل مثل هذه النقوش لحفظها في متحف الجزائر، كما تضمّن أيضا تقريرا لليفي بروفانسال (PROVENCAL) حمل شرحا لقانون إمبراطوري روماني قديم وجدت كتابته مدونةً على قطعة حجرية بنواحي مدينة قسنطينة.²

وعن "أطلال مدينة جميلة" كتب بالي (BALLU) عن الآثار التي وصفها بالضخمة احتوت على مقبرة بيزنطية ومدج وتابوت ومداخل اصطلاح على تسميتها بالكابيتول (CAPITOLE) ومرابض خيول وبيوت حجرية وممرات ودهاليز وصهاريج مياه وأسواق وحدائق عمل الفرنسيون طيلة السنوات التي مضت على استجلاء عمارتها، وإظهار أسوارها وتنظيف ساحاتها وخصّصوا ميزانية لتغطية تكاليف الترميم والتنظيف.³

أما في مجال العمارة الإسلامية فكتب جورج مارسي مقالا تحت عنوان "أبحاث أثرية إسلامية مسجد تنس العتيق" ضمنه وصفا للمحراب والقبة والبلاط الذي انفرد بنائه عن غيره من المساجد الأخرى في عموم إفريقيا.⁴

وفي النهاية بمناسبة الاحتفال المئوي لاحتلال الجزائر تحت عنوان "كشف الآثار القديمة في الجزائر" قدّم فيها استيفان غزال أبحاثا لخليط من نماذج في التراث، تنوعت بين التاريخ القديم المكتوب والتاريخ المادي الذي خلفته الحضارات القديمة، مجهود أشادت به المجلة على صفحاتها دَوّن فيها ملاحظاته على الآثار البونيقية وأكدّ على قلتها فقرطاجة - في نظره - ماهي إلا سفينة راسية على ميناء تونس، لم يتأثر القرطاجيون بشعوب بلاد المغرب ولم يتأثر هؤلاء

¹ DESRAYAUX (H) « Ruines Romains De Ain Grimidi » in R A, Vol 55, Année 1911 pp 482-483

² LÉVI-PROVENCAL (Evariste) « Note sur un fragment de cursus sénatorial relevé à Constantine » in R A, vol 58, Année 1914, pp 21-22

³ BALLU (A) « Ruines de Djémila (antique Cuicul) » in R A, vol 62, Année 1921, pp201-202

⁴ DESSUS LAMARE (A) MARCAIS (G) « Recherches D'archeologie Musulmane. La Mosquee Du Vieux Tenes » in R A, vol 65, Année 1924, pp. 530

بالقرطاجين فأثار قرطاجة تميزت بالغموض كما أن اختلاطها بالآثار الرومانية صعب من مهمة الباحثين في بلورة تراثها المادي في مقابل استكثار ما خلفه الرومان من عمارة وتنظيمات إدارية واستحكامات عسكرية¹ والهدف معروف وهو عودة الفرع إلى الأصل.

ثالثا- الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران

1- التأسيس:

هي رابع جمعية علمية من حيث تاريخ التأسيس في الجزائر المستعمرة بعد كل من الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة التي أنشأت في سنة 1852م والجمعية التاريخية للجزائر سنة 1856م وأكاديمية البحوث التاريخية التي اصطلح على تسميتها بأكاديمية HIPNONE بعنابة سنة 1863م.

تأسست الجمعية بمبادرة من ضابط في البحرية الفرنسية الملازم دي فيسو تروتابا (TROTABAS) (1828م-1897م) الذي شغل مدير ميناء مرسى الكبير بوهران خلال اجتماع عقده يوم 15 أبريل 1878 م أعلن فيه عن تأسيس الجمعية وتوضيح الهدف من إنشائها الذي جاء في الإعلان "العمل على معرفة تاريخ وجغرافية الجزائر وهو الهدف الأساسي، وجمع المعلومات المتعلقة بالمستعمرة الجميلة وإحصاء ثرواتها الطبيعية وتسطير المشاريع الاستعمارية وعرضها ومناقشتها والتطرق إلى مختلف الأعمال والفنون المتعلقة بهذا الشأن، والإشراف على جميع المشاريع المستقبلية في المستعمرة تلك هي مهمتنا فعلى جميع من يهمه الأمر الاتصال بنا ومساعدتنا على استكمال المهمة"²

تزامن إنشاء الجمعية مع جو عام ساد فرنسا نفسها تميز بالنشاط العلمي المؤسساتي تم فيه اعتماد خمس جمعيات علمية سنة 1878م في كل من مونبليي MONPELIER وروان ROUEN ونانسي NANCY وبيرجيراك BERGERAC وبيريجيو PERIGUEUX عملت على تطوير البحث العلمي الفرنسي داخل الجزائر خلال القرن التاسع عشر على غرار الجمعية الجغرافية لمدينة باريس التي اهتمت بالبحث في جغرافية إفريقيا من خلال البعثات العلمية

¹ GAUTIER (E. F) « Conséderation Sur L'histoire Du Maghreb » in R A, vol 68, Année 1927, pp 48-49

² MONTBRUN (THéodors) « A nos lecteurs » in B.S.G.A.O , vol 5, Année 1885, p 11

الاستكشافية خصصت لها اعتمادات مالية ضخمة لتسيير نفقات البعثات مثل تلك التي حصل عليها ديفريي (DUVEYRIER) ووصلت أنشطته إلى طومبوكتو¹

2- أعضاؤها المؤسسون

دي فيسو تروتابا (TROTABAS) رئيسا للجمعية.

كرامير (KRAMER) نائبا للرئيس.

دي ليون (DE LINON) أمينا للخزينة.

جاك (JAQUES) أمينا عاما للجمعية.

كما ضمت اللّجنة في عضويتها كل من غين (GUIN) وبويماغ (PUIMEGUE) وبوتي

(BOUTY) وهوغوني غارنيي (GUARNIER) وروير (ROUIRE) فيما اختير الاشتراكي

(ROMEL) الذي نفتته حكومة نابوليون الثالث من فرنسا سنة 1852م رئيسا شرفيا.²

توسع نشاط الجمعية إلى البحث الأثري بعد ثلاث سنوات من إنشائها سنة 1881م بإلحاح

من الباحث لويس دومايغ (DOMAEGHT)³ الذي اشتغل على جمع وإحصاء ومعاينة الآثار

الرومانية في العمالة فتغير اسمها ليصبح " الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران". توالى على

رئاستها دي فيسو تروتابا (TROTABAS) من 1878م إلى 1896م و العقيد دوريان

(DURIEN)⁴ من 1896م إلى 1904م والدكتور جول كاسار (GASSER)⁵ من 1905م إلى 1912م

وفرانسوا دوميرغ (DOMERGUE)⁶ من 1912م إلى 1924م الذي تجددت رئاسته من 1924م إلى

1928م وعليه ضمت الجمعية في عضويتها أعضاء اشتغلوا في الوظائف الحرّة وضباطا عسكريون

¹ SEBBAH (LUCIEN) « LA France Maçonnerie à Oran de 1832 à 1914, Perimes Aux Amateurs De Livres, Paris 1990. p 437

² ibid, p 437

³ لويس دومايغ (LOUIS DOMAEGHT) ولد في دنكرك سنة 1831 م عسكري برتبة رائد عمل في مكتب التجنيد بوهران وأمهي خدمته العسكرية سنة 1879 م كأمير سرية، باحث في الآثار ودراسة النقوش، انتخب عضوا في المجلس الإداري بعد اجتماع الجمعية العامة التي انعقدت في 24 ماي 1880 م اقترح اسمه في الكثير من المرات لرئاسة للجمعية لكنه اكتفى بمنصب أمين عام لها للتفرغ للبحث الأثري أعد الكثير من التقارير والبحوث التي نشرت بالمجلة. مات في 1898 م

⁴ إيزيدور دوريان (ISIDOR DERRIEN) ولد في 1839 م اشتغل عسكريا في أعمال الطوبوغرافيا بالجزائر وإفريقيا

⁵ جول قاسار (JULES GASSER) ولد في 1865 م طبيب جراح تقلد مناصب برلمانية وإدارية في الجزائر

⁶ دومارغ فرانسوا (DOUMERGUE FRANCOIS) ولد في 1858 م ب CARCASSONNE اشتغل في التعليم وانتخب كعضو في الجمعية سنة 1898م عضو في لجنة التحرير بالمجلة سنة 1900 م ثم ارتقى في المناصب إلى أن أصبح رئيسا اشتغل على البحث في الحياة البرية والنباتات. مات في 1938 م

سمحت لهم وزارة الحربية بالإخراط ضمن قانون خاص سن لأجل هذا الغرض بتاريخ 2 أفريل 1904م ومفكرون فرنسيون أملى عليهم الوضع الاجتماعي المستقر في مدينة وهران المشاركة في أنشطتها البحثية أمثال ألبير كامبس (CAMPS) في حين لم يتمكن الجزائريون من الحصول على عضويتها غداة تأسيسها إلا اثنين منهم وهما علي محي الدين (1851م - 1918م)¹ و محمد حاج حسن (1819م - 1906م) إذ كانت ترفض طلبات ترشحهم وأقصى عدد منهم وصل إلى ست وعشرين منخرط كان في عهدة أوغست موليريا (MOLIRIAS)² بين (1904م-1905م) إضافة إلى الدكتور جول كاسير (GASSER) خلال رئاسته للجمعية بين سنتي (1905م-1912م) في وقت كانت العروض تنهال على الأوروبيين من أجل الانخراط فيها . مما يشير إلى مناخ طبعه الاقصاء والتهميش تجاه الجزائريين على غرار باقي المؤسسات العلمية والتعليمية الأخرى ألقى رئيسها فرانسوا دومارغ (DOUMERGUE) خطابا علق فيه على مردودها العلمي جاء فيه ما يلي " يصعب علينا إيجاد بديل عن المؤسسين الذين تداولوا على رئاسة الجمعية كونهم أسسوا ناديا علميا قويا، مع ذلك يمكننا الإشادة بمن خلفهم من أعضاء تحلوا بالإرادة والعزيمة في الحفاظ على مكتسبات الجمعية " ³

3- إنجازاتها العلمية

نشرت الجمعية بداية من تاريخ تأسيسها سنة 1878 م مجلة فصلية لنشاطها تحت اسم "مجلة الجمعية الجغرافية لعمالة وهران " ارتبط نشاطها بالبحث الجغرافي فقط إلى غاية سنة 1881م أين توسع نشاطها ليضم الأبحاث التاريخية والأثرية تحت تسمية جديدة "مجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران " الشيء الذي لم يرض الباحثين في مجال الآثار والتاريخ القديم فطالبوا سنة 1882م بتخصيص فصل كامل تحت عنوان "مجلة الآثار القديمة"⁴ ولكن تحت غلاف

¹ محمد محي الدين من أعيان مدينة وهران دخل المقاومة الفكرية والسياسية للمزيد أنظر: BENKADA (SADEK) «Bibliographie et

Histoire Sociale en Algérie XIX e XX siècles» Oran URASC cahier n 5 p 86

² ولد في تلمسان 1855 م أستاذ الحلقة العربية في وهران ومحافظ متحف وهران اقترح إقامة "مدرسة علم الاجتماع في المغرب" في وهران ولجنة مشتركة مغربية وهرانية ضمن الجمعية أقيمت من منصبه سنة 1905 م.

³ DOUMERGUE (F) « Préface Au Bulletin Du 50 eme Anniversaire »in B.S.G.A.O vol 48, Année 1928 p 105

⁴ BEN KADA (SADEK) « La Société savante rupture et continuité d'une tradition associative : le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran » *Revue Insaniyat*, Numéro 8, Année 1999

المجلة إلى غاية 1885م أين تم دمج المقالات التاريخية والأثرية دون تخصيص فصل لها بعد زوال مبررات التحفظ والاصرار على تغيير تسميتها. عكست المقالات التاريخية والأثرية والجغرافية التي نشرت تباعا اتجاهات إيديولوجية فرضها انتماء كتاب المجلة إلى تيار الجمهورية الثالثة التي خلفت الإمبراطورية الثانية بعد هزيمتها أمام ألمانيا وسقوطها سنة 1870م، على غرار كتابات أوجين إيتيان (ETIENNE)والجنرال ليوتي (LAUYAUTY)، كما منح الجزائريون فرصة الكتابة في المجلة أمثال سي أحمد بن رحال والهاشمي بن محمد وأبو بكر عبد السلام بن شعيب والشريف قاضي ومحمداد عبد القادر، توسعت لتضم بعض الأقلام الإفريقية على غرار السنغالي با محمادو أحمدادو تناولت مواضيع المجلة مسألة الحقوق الأهلية الجزائرية ودراسات تعلق بالاثنوغرافيا المغربية وتاريخ الإسلام في الجزائر وغيرها.¹

رتبت المجلة عناوينها على الشكل التالي :

- 1- القوانين الإدارية الخاصة بالجمعية وارتبطت بالمجالس المنعقدة خلال فترة الإصدار.
- 2- مذكرات وملاحظات للمقالات التي صدرت في العدد.
- 3- إحصائيات جغرافية تناولت الموانئ الزراعة الديموغرافيا والاقتصاد وملاحظات تعلقت بالطقس في عمالة وهران اعتمادا على رصد محطة سانتا كروز (SANTA CRUZ)
- 4- سجلا وفيات كتاب المجلة ومراسليها وبعض الأعلام الذين خدموا في الجمعية بصيغة خطاب تأبيني لرئيسها خلد فيه مآثر الشخص المتوفى.
- 5- فهرس العدد واحتوى على ترقيم مقالاتها.
- 6- إعلانات الجمعية خاصة بالمنشورات والمؤلفات الجديدة.²

¹ BEN KADA (SADEK) « La Société savante... op, cit, 126-127

² BEN KADA (S) « Un Patrimoine culturel : les publications de la Société de Géographie et d'Archéologie D'Oran (1878-1988) » Revue Insaniyat, numéro 12, Année 2000 pp 115-116

1-3- المنشورات الجغرافية :

- دراسات مونوغرافية للمدن والأقاليم

تعلقت بجغرافية الجزائر احتوت على مؤشرات ديموغرافية وتضاريسية ومناخية كالبطاقة الفنية التي أنجزها دومايغ (DOMAEGHT) عن منطقة ورقلة وأدرار في مقطعها الغربي¹ أو دراسة لمظاهر سطح ميزت القسم الشمالي من الجزائر كالتي أنجزها كانال (CANAL) عن منطقة هنين ومنطقة تيفا (TIFFA) بتلمسان² أو وصف طوبوغرافي لجبال الظهرة أرفقه الكاتب بخريطة توضيحية للإقليم³ كما اشتملت أعدادها على دراسات مونوغرافية للمدن الجزائرية كتبها باحثون في الجغرافيا استعرضوا في أغلبها توزيع الأبنية والطرق والممرات والأسواق كالدراسة التي أنجزها أوجين مارسيي (MARCAIS) حول مدينة تافيلالت⁴

كتب كانال (CANAL) مقالا عن دائرة تلمسان وأرفقه بأربع خرائط توضيحية⁵ فيما قام تيسيران (TISSERAND) بدراسة لمدينة وهران القديمة وموقعها الجديد⁶ وقدم كانال بحثا مونوغرافية لمدينة تيارت قديما وحديثا⁷ وأخرى عن البلدية الأهلية أفلو الواقعة جنوب مدينة تيارت⁸ وكتب ايدموند رايسير (REISSER) عن مدينة الشلف المسماة قديما طانجيتانيوم (TINGITANUM) أو (ORLEONVILLE) استعرض فيها تأسيس المدينة والمعالم الأثرية المتواجدة فيها⁹ ودراسات عن نطاقات جغرافية قديم فيها الباحثون أنشطة ميدانية عن المواقع ومظاهر السطح في النطاق الجغرافي لجرجرة ومنطقة القبائل ومحمتها الطبيعية¹⁰ ودراسة حول

¹ DEMAEGHT (Louis) « Notes sur l'Adrar », in **B.S.G.A.O**, vol 2, Année p. 391

² CANAL, « Le littoral des Trara Les ruines d'Honaï, carte 6 pl » in **B.S.G.A.O**, vol 4, Année 1884, p 134.

³ DEMAEGHT (L) « Le Dahra occidental, carte » in **B.S.G.A.O**, vol 2, Année 1881, pp 254 - 255

⁴ MERCIER (E) « Quelques notes sur le Tafilalet » in **B.S.G.A.O**, vol 5, Année 1885 p. 79

⁵ CANAL (J) Monographie de l'arrondissement de Tlemcen pl et 4 cartes » in **B.S.G.A.O**, vol 6, Année 1886, p.389

⁶ TISSERAND (P.) « L'ancien et le nouvel Oran » in **B.S.G.A.O**, vol 4, Année 1884, p.38

⁷ CANAL (J) « Tiarret, monographie ancienne et moderne » in **B.S.G.A.O**, vol 20, Année 1900, p.1

⁸ FABRE (Jean-Henri) « Monographie de la commune indigène de Tiarret-Aflou, fig. et carte » in **B.S.G.A.O**, vol 22, Année 1902. p.255

⁹ REISSER (Edmond) « Notice sur Tingitanum (ou Orléansville), sa création, sa destruction, ses Monuments » in **B.S.G.A.O**, ibid, p. 47

¹⁰ BOYER (A) « En Kabylie.Le Djurdjura et Fort-National » in **B.S.G.A.O**, vol 13, Année 1893, p.1

النطاق الجغرافي لمدينة تلمسان ومنطقة الجنوب الوهراني¹ وأخرى طبوغرافية نشرت في المجلة عن جبل عمور أرفقها الكاتب بخريطة توضيحية² أما عن جغرافية الرحلات فنشرت المجلة في أعدادها مقالات كالمذكورة التي نشرها لونغالوا (LANGLOIS) عن رحلة قام بها جنوب مدينة قسنطينة وبياس (PIESSE) مقالا عن رحلة قادته نحو الزيبان و كلونيو (COLONIEAU) الذي استعرض مسار رحلة قادته الى منطقة فيقيق سنة 1868،³ إضافة إلى كتابات أخرى خصت مشروع خط السكة الحديدية العابر للصحراء⁴ وعن مضيق جبل طارق LES COLONNE (D'HERCULE) ضمن مسار وهران إلى طنجة المغربية والتسمية مستوحاة من الكتابة الإغريقية القديمة التي أطلقها هيرودوت (HERODOTE) على المضيق بعد غزو القائد الإغريقي HERCULE لشمال إفريقيا⁵ ودراسات عن شبكة الطرقات في منطقة الساحل وخليج الحمامات⁶ مقاربات صببت في اتجاه التأصيل لتربط بين المنشآت الرومانية القديمة وتلك التي شيدها الفرنسيون ومنه شرعنة احتلالهم للجزائر، لا تطرح مسألة استيطانهم على أرضها أي إشكال تاريخي أو سلاحي باعتبارهم أحفاد الرومان. كما تضمنت المجلة دراسة مونوغرافية عن الطريق القديم في موريتانيا القيصرية الذي يربط بين بوغار ولا لا مغنية بالجزائر⁷ إضافة إلى تقارير عسكرية عن طرق القوافل القديمة جلتها في سياق مونوغرافي على غرار تقارير سيمون (SIMON) التي احتوى عدد 1905 م على ثلاث منها أرسلها إلى قادته في الميدان تعلقت في مجملها بالتجارة العابرة للصحراء جنوب الجزائر⁸ كما قدمت المجلة في مقالاتها دراسات عن

¹ CANAL (J) « Monographie de l'arrondissement de Tlemcen, pl. et 5 cartes » in B.S.G.A.O, vol, 7, Année 1887 p 1

² DERRIEN (Yohann) « Le Djebel Amour, carte » in B.S.G.A.O, vol 15, Année 1895, p 183

³ FOULQUES (Commandant) « Colonne mobile de Géryville. Itinéraire de la colonne pendant son Expédition sur Figuig, sous le commandement du lieutenant-colonel Colonieu en 1868 » in B.S.G.A.O, vol 5 Année 1885 p 64

⁴ BOUTY « Documents Concernant Le Projet De Chemin De Fer Transsaharien » in B.S.G.A.O Vol 7, Année 1887 p.22

⁵ CANAL (J) « les colonnes d'hercule. Itineraire D'oran à Tanger » ibid, p 27

⁶ ROUIRE (Dr) « Etude Sur Le Reseau Routier Moderne Et Le Reseau Routier Ancien Du Littoral Du Golfe De Hammamet, Carte » ibid, p 327

⁷ ALBERTINI (Eugene) « La Route Frontiere De La Mauritanie Cesarienne Entre Boghar Et Lalla-Maghnia » In B.S.G.A.O, vol 49, Année 1929, p 33

⁸ SIMON (Capitaine H.) « Trois Rapports Du Lieutenant-Colonel De Colomb Sur La Question Du Commerce

النشاطات الجيولوجية : كالدراسة التي أعدها جونتي(GENTIL) عن البراكين الحامدة في منطقة عين تيموشنت استمر نشرها في أعداد متلاحقة¹ ودراسات دالوني (DALLONI) عن التطور الجيولوجي في عمالة وهران² والدراسة التي قام بها بورياس (BORIES) عن النشاط الزلزالي الذي تضمن دراسة لظاهرة زلزالية حدثت في منطقة أرزيو يوم 24 جويلية 1912³

لم تكن الدِّراسات الاستعمارية في مجالها الجغرافي وما اختص منها بطرق القوافل ونشاط التجارة بين سكان الجنوب والصحراء قبل الاحتلال وبعده ذات مغزى استكشافي، ولم تكن ذات بعد اثنوغرافي أشاد بنمط ثقافتهم واختلاف عاداتهم وتقاليدهم، بقدر ما استهدف الباحثون توسيع رقعة الاستعمار وإيجاد مرتكزات استراتيجية حددت نقاط توسع مستوطنيه من الغزاة والمغامرين والباحثين عن الثروة في دواخل البلاد، أما الدِّراسات التي تعلقت بالنشاطات الباطنية من براكين وزلازل وتضاريس وعوامل حَتِّ وتعرية للقشرة الأرضية، فكانت ذات أبعاد اقتصادية حصرت المواقع الجيولوجية من أجل استغلال موارد الجزائر وثروتها المنجمية، تهاهى فيه التوظيف الاستعماري مع كل مشروع علمي، فمدَّ جسور تواصل بين السلطة الاستعمارية وبين قبائل الطوارق لم يخل من خلفية استعمارية متدرجة على مراحل، استكشاف ثم تحكم وسيطرة وانتهاء بترويض شعب عدّه الفرنسيون أمّةً من البرابرة.

2-3- المنشورات الأثرية: نشرت في شكل مذكرات عن مستعمرات رومانية تم العثور عليها أثناء عملية التنقيب التي جرت بمناطق جزائرية كأولاد ناصر بنواحي أفلو،⁴ وكتابات ليبية قديمة وجدت في نواحي كركب،⁵ وعن محطات شكلت حاميات عسكرية رومانية بالقرب من مدينة العطاف⁶ ونقوش حملت كتابات رومانية بمدينة تيارت⁷ وسد روماني قديم بالقرب من مدينة

Transsaharien » in **B.S.G.A.O** vol 25, Année 1905, p 167

¹ GENTIL (Louis) « Sur les volcans éteints des environs d'Aïn Temouchent » in **B.S.G.A.O**, vol 16, Année 1896, p 364

² DALLONI (Marius) « Esquisse de l'évolution géologique de l'Oranie » in **B.S.G.A.O**, vol 49, Année 1929, p 99

³ BORIES « Le tremblement de terre d'Arzew (24 juillet-4 août 1912) » in **B.S.G.A.O**, vol 32, Année 1912, p 410

⁴ CERES (Général) « Mémoire Relatif A L'existence D'une Colonne Romaine Commemorative Trouvee Dans L'annexe D'aflou, Aux Ouled-Sidi-En-Nasseur » in **B.S.G.A.O**, vol 1, Année 1881, p 56

⁵ CHERBONNEAU « Inscription libyque trouvée aux environs de Karkab », *ibid*, p 64.

⁶ DEMAEGHT (L.), « Nouvelles bornes militaires trouvées près d'Altava (Lamoricière) » in **B.S.G.A.O** vol 6, Année 1886, p. 33

⁷ ANONYME « Tialet [inscriptions romaines] » in **B.S.G.A.O** vol 6, Année 1886.p. 41

الرمشي¹ وأطلال رومانية على بعد 6 كلم من عين الأربعاء على الضفة الشرقية لواد تسالة² ونقوش رومانية قديمة وجدها دومايغ بالقرب من عين تموشنت في منطقة صفار³ أو تقارير عن المقابر الحلزونية انتشرت في فترة ما قبل التاريخ بالمناطق الساحلية للجزائر مرفقة بجرود للمواقع التي احتوت على كهوف بنواحي وهران⁴ أو إشارة إلى عملات تم تداولها خلال فترة حكم ممالك المغرب الإسلامية للجزائر⁵ وأخرى تم سكها باسم بطليموس وجدت في نواحي منطقة أفلو.⁶

3-3- المنشورات التاريخية:

احتوت في عمومها على مقالات من تاريخ الجزائر أو القبائل المحلية التي شكلت عاملا مؤثرا في أحداثها على غرار المقال المعنون " أولاد سيدي الشيخ من الأصول إلى غاية قيامهم بالثورة على الاستعمار الفرنسي سنة 1860م"⁷ احتوت أعداد المجلة أيضا على دراسات للبيئة الاجتماعية المحليّة ومكوناتها الديمغرافية ك مقال " المرأة القبائلية"⁸ أو عن تاريخ مدينة وهران تحت الاحتلال الإسباني، استعرض فيه الكاتب الحروب التي دارت بين السكان المحليين والغزاة⁹ كما اشتملت على تاريخ مدن جزائرية أخرى، مثل تلمسان في عهد الاحتلال الروماني¹⁰ كما احتوت على مقال استعرض حصار مدينة الجزائر من قبل شارل الخامس ملك فرنسا اعتمادا على مخطوط عربي للمحكمي عاجله الكاتب وعادت ملكيته إلى الحاج خليفة¹¹ أو قام مؤرخوها

¹ ANONYME « Note sur la découverte d'un ancien barrage romain à Remchi, fig » *ibid.*, p. 46

² ANONYME « Ruines romaines à 6 kilomètres au sud-est d'Aïn el-Arba, sur la rive gauche de l'Oued Tsléta » *ibid.*, p. 49

³ DEMAEGHT (L) « Safar -Ain-Temouchent - (inscriptions romaines) » in **B.S.G.A.O** vol 6, Année 1886 p 38

⁴ DOUMERGUE (F) « Le - Cimetière des Escargots- foyer littoral préhistorique de Coralès » in **B.S.G.A.O**, vol 41 , Année 1921, p 45

⁵ DEMAEGHT (L.) « Contribution au recueil des monnaies frappées sous les dynasties musulmanes du nord de l'Afrique » in **B.S.G.A.O** vol 7, Année 1887, p. 63

⁶ DEMAEGHT (L) « Monnaie inédite [de Ptolémée] trouvée à Aflou » in **B.S.G.A.O**, vol 9, Année 1889 ,p 348

⁷ GUINARD (E): « Les Oulad-Sidi-Cheikh, Résumé De Leur Histoire Depuis Leur Origine Jusqu'à Leur Révolte » in **B.S.G.A.O** vol 2, Année, 1881, p 328

⁸ SABATIER (C), « La femme kabyle » in **B.S.G.A.O** vol 3, Année 1883, p 128

⁹. FRANCISQUE(M) « Documents inédits sur l'histoire d'Oran sous la domination espagnole (Dialogue sur les Guerres d'Oran, de Baltazar de Morales) » in **B.S.G.A.O** vol 7, Année 1887, p 95

¹⁰ CANAL (J) « Contribution à l'histoire de Tlemcen. Pomaria, Tlemcen sous la domination romaine » In **B.S.G.A.O**, vol 9, Année 1889, p 257

¹¹ BASSET (R) « Documents musulmans sur le siège d'Alger par Charles-Quint 1542 Manuscrit du Mehkémé ;

بربط تاريخ بعض مدنها كمدينة مشرة بالجنوب الغربي للجزائر بأساطير ومعتقدات خرافية،¹ في مقابل ذلك أشاد الفرنسيون بجمالات الأوروبيين وخاصة الإسبان على مدن الساحل الجزائري كغزو الإسبان لمدينة تلمسان تحت قيادة دون مارتان دي غوردو (DE CORDOUE) سنة 1543م² واحتوت صفحات المجلة على عمليات الغزو الفرنسي وبطولات نسبها المؤرخون إلى قادة عسكريين فرنسيين بين منطقة ورقلة وعين الطيبة خلال شهر جانفي 1872م³ لتتوسع كتاباتهم الى الطرق الصوفية التي نشروا فيها دراسات وأبحاث حول الطريقة السنوسية⁴ وحتى عن تاريخ استقرار اليهود في الجزائر⁵

إهتم مؤرخوا المجلة بتاريخ بعض المناطق كبني يزقن في غرداية حيث تناول كتابها اللغة الميزابية المتداولة و العادات الشعبية المنتشرة لدى سكانها⁶ كما احتوت صفحات المجلة على مقالات حول الدين وانتشاره في الجزائر تحت عناوين اختارها كتأبهم بدقة مثل " الإسلام المغاربي " وصفت تعاليم الدين الاسلامي ومعتقداته بممارسات وثنية وطقوس فلكلورية⁷ فيما أشارت الى علماء الشرع من فقهاء وأئمة مراجع أحاطت نفسها بالقداسة بغية تحقيق مصالح شخصية من ذلك عنوان "علماء وقديسو بلاد المغرب"⁸ كما احتوت المجلة على تقارير لخصت ذهنيات المجتمع (الأهلي) في الجزائر،⁹ وسأقت نماذج عن حركات سياسية لبعض القبائل المحلية كقبيلة زناتة في شكل ردّة لطرق مذهبية خارجية تأثرت بها مجتمعات المغرب¹⁰ أو ساق فيها كتابهم

Extrait de Hadji-Khalfa » in B.S.G.A.O vol 10, Année 1890, p. 171

¹ BROUARD « Méchéria, légende et histoire » ..., ibid, p. 215

² DE LA CORVA (Francisco) « Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnols sous le Commandement de don Martin de Cordoue, comte d'Alcaudete, capitaine- général D'Oran en 1543, tra-duction de M. Camille Brunel » ..., ibid, p. 347

³ ROSE (Commandant) « Rapport sur les opérations du goum d'une colonne mobile entre Ouargla et Aïn-Taieba, du 7 au 25 janvier 1872 » in B.S.G.A.O vol 11, Année 1891, p. 99

⁴ ANONYME « La confrérie musulmane de Sidi Mohammed ben Ali es-Senousi; voyage à Djerbouh » in B.S.G.A.O vol 11, Année 1891 p.319

⁵ LE FROTTER (J) « Les Juifs autrefois, les Juifs aujourd'hui » in B.S.G.A.O,...op cit, p. 445

⁶ MOULIERAS (A) « Les Beni-Isguen (Mzab). Essai sur leur dialecte et leurs traditions populaires » in B.S.G.A.O 15, Année 1895, p.1

⁷ DOUTTE (E) « Bulletin bibliographique de l'Islam Maghribin » in B.S.G.A.O, vol 19, Année 1899, p. 33

⁸ GAUDEFRY-DEMOMBYNES, « Saints et savants du Maghreb » in B.S.G.A.O, vol 17, Année 1897, p. 273

⁹ DUVAUX (Capitaine) « La mentalité indigène en Algérie » in B.S.G.A.O, vol 23, Année 1900, p. 169

¹⁰ MOULIERAS (Auguste) « Une tribu Zénète antimusulmane au Maroc » in B.S.G.A.O, ibid, p. 233

مقاربات بين اللُّغة (البربرية) والغالية في أوروبا اعتمادا على غزو حضارات أجنبية أدت إلى اختلاط لغوي- حسب آراءهم - طرح فيه كتابهم رسائل بحثية في شكل تساؤلات طالت الأصول السُّلالية للسكان المحليين بالتشويه والتأويل. كما تناولت المجلة المعتقدات الشعبية للمجتمع (الأهلي) الجزائري¹ وصولا إلى اعتماد مقاربات أفضت إلى انحدار بعض سكان الجزائر من أصول رومانية فرضها الاحتلال والاستيطان، وما شكَّله من اختلاط عرقي سلالي بين المحليين والغزاة،² كما لم تسلم الشخصيات التاريخية الجزائرية من أقلام كتابهم الذين نشروا على صفحات المجلة مقالات انتقصت من دورهم الوطني كمقال بول أزان " بدايات عبد القادر"³ تحدث فيه عن جهاده الذي وصفه بالمتعصب ضد الفرنسيين أو تحدثت عن تمركز جيش الأمير وزوال دولته كمقال دومارغ "الكهوف المنهارة لمخيم الأمير عبد القادر"⁴ أو احتوت على موجزات بليوغرافية وسير وتراجم لتاريخ لشخصيات جزائرية مثل شخصية حسن باي وهران مأخوذ من طلعت سعد السعود.⁵

¹ ABOUBEKR ABDESSELAM BEN CHOAI B : Les Croyances Populaires Chez Les Indigenes

Algeriens in **B.S.G.A.O**, vol 26, Année 1906. p 169

² PACHTÈRE (F) « Les Origines Romaines D'albulae (Aïn-Temouchent). Note sur une

Inscription Recemment Découverte » in **B.S.G.A.O**, vol 33, Année 1913, p 231

³ AZAN (P) « Les débuts d'Abd el Kader » in **B.S.G.A.O**, vol 41, Année, 1921 p 197

⁴ DOUMERGUE (F) « Grotte éboulée du Camp d'Abd-el-Kader » in **B.S.G.A.O**, vol 46, Année 1926, p 29

⁵ BODIN (M) « La Breve Chronique Du Bey Hasan, Extraite Et Traduite De La Tal'at-Os-Sa'd-Is- So'oud De Mazari » in **B.S.G.A.O**, vol 44, Année 1924, p 23

الفصل الرابع:

البحوث الأكاديمية الفرنسية المتخصصة

(1879م-1930م)

أولا: المدارس التحضيرية العليا: مدرسة الآداب

والحقوق والعلوم (1879م-1909م)

ثانيا : جامعة الجزائر (1909م-1930م)

استحدثت المدارس لتعليم الغزاة الوافدين من المستوطنين في مقابل منع أبناء المستعمرة من تلقي تعليمهم العربي الذي كان موجودا قبل الاحتلال، وكانت الغاية من وراء ذلك نشر لغة المستعمر وثقافته الفرنسية لضمان استمرارية احتلاله للأرض، واقع عكسه عدد الجزائريين الذين سمحت لهم السلطات الفرنسية متابعة مساهمهم التعليمي في المدارس والجامعات.

أولا: المدارس التحضيرية العليا: مدرسة الآداب والحقوق والعلوم (1879م- 1909م)

1- ظروف تأسيسها:

بنى الفرنسيون مدرسة الطب بمقتضى قانون صدر بتاريخ 4 أوت 1857م، وكانت أولى المدارس التي تم إنشائها بالجزائر استجابة للطلب الملح في تكوين أطباء ومطبقين في الصحة العامة كون العلاج مثل وسيلة للتغلغل الاستعماري، خدم هؤلاء في الجيش الفرنسي كأطباء وممرضين ومسعفين للضرورة التي اقتضتها ظروف القتال، توسعت المدارس باستحداث تخصصات جديدة هي أمراض المناطق الساخنة أمراض الأطفال وعلم التخدير وأمراض العيون وعلم الخلايا، قُدِّمت الدُّروس التطبيقية في المستشفى المدني بالجزائر العاصمة، الذي تعددت مصالحه ورُتب أساتذته فكانت ثمانية مناصب لأساتذة مستخلفين، ومنصبين لرؤساء الأعمال التطبيقية وست مناصب لرؤساء العيادات واثنى عشر منصبا لمحضري الأعمال، تخرج فيها عدد من الأطباء والصيدالة والقابلات دون اللجوء إلى استقدام إيطارات من الوطن الأم (المتروبول) أو إرسال طلبة إليها لإتمام الدراسة فيها.¹

تأسست المدارس التحضيرية للآداب والحقوق والعلوم بتاريخ 29 نوفمبر 1879م أثناء افتتاح السنة الدراسية الجديدة بطلب رفعه عميد مدرسة الطب دوسالف، (DE SALF) على شكل تقرير ضمنه الرغبة في إنشاء مدارس تحضيرية تماثل تلك الموجودة في فرنسا نفسها فأصدر بارت (BERT) على إثره قانونا بتاريخ 20 ديسمبر 1879م تضمن إنشاء المدارس² بتخصصات جديدة ومقاعد تدريس انسجمت مع التوسع الذي شهده تدريس المواد وعرض الطلب من طرف وزير

¹ PAOLI (Louis) « L'enseignement Superieur à Alger » in R A, vol 49 Année 1905, p 414

² DE BEAUCHAMP (A) Recueil Des Lois Et Reglement Sur L'enseignement Superieure, (1875-1883) T 4

imp : l'université de France, Paris, 1889, p 294

الأشغال العمومية باردو (BARDOUX) أمام مجلس النواب الذي أقرّه¹ فيما قدّم النائب روسيار (ROSIERE) أمام مجلس السينات مشروعها التأسيسي مع نظامها الداخلي،² تمّ بموجبه إضافة مواد جديدة في التدريس وهي الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم النبات والحيوان والجيولوجيا والتعدين أشرف على إلقائها تسع أساتذة جدد وفق برنامج سطرته أكاديمية التعليم مع أستاذ محاضر أسند له تدريس مادة جغرافيا المناطق الصحراوية، وخضع التمدرس إلى نظام تعليمي مشترك جمع بين تخصصات العلوم بما فيها تخصص الطب مستنسخ في عمومه من النظام التعليمي للمعاهد الجامعية الفرنسية في الوطن الأم (المتروبول) وقدّمت للطالب المتعلم شهادة تخصص في نهاية الدراسة³

أدخلت الإدارة الاستعمارية على مدرسة الحقوق برنامجا احتوى على مواد تناسبت مع البيئة الجديدة داخل المستعمرة، تلاءمت في الوقت نفسه مع المقاييس العلمية السارية داخل الوطن الأم (المتروبول) مع فارق بسيط تمثل في عدد المناصب العلمية، حددته السلطات بعشرة كراسي للتدريس ثمانية منها ضمنها أساتذة توفرت لديهم مؤهلات التدريس، أما الاثنان الباقيان فهي مواد خاصة بالتشريع الجزائري وقانون (الأهالي). منحت الإدارة في نهاية سنوات الدّراسة شهادة ليسانس في الحقوق، كما منحت أيضا شهادة الكفاءة في الحقوق وشهادة نهاية الدّراسة في التشريع الجزائري والقانون الإسلامي والعادات الأهلية وشهادة عليا للدّراسات في التشريع الجزائري حظيت كلّها باحتياجات في ميادين القضاء كالتوثيق وأمناء الضبّط وغيرها.⁴

تألّف طاقم التدريس بالنسبة إلى مدرسة الآداب من ستة أساتذة دائمين، وثلاثة مكلفون بإلقاء الدّروس أشرفوا على تدريس مواد الآداب الشرقية وهي الفلسفة والتاريخ الإسلامي إلى جانب آخرين قدّموا دروسا في الأدب الفرنسي والآداب الأجنبية واللّغات، والآداب القديمة والتاريخ القديم لإفريقيا وتاريخ وجغرافية إفريقيا. إضافة إلى مادة اللّغة العربية واللّهجات (البربرية)

¹ DE BEAUCHAMP (A) *Recueil Des Lois ...* op cit, p 297

² ibid, p 299

³ PAOLI (L) « L'enseignement Superieur... » op, cit...p 416

⁴ ibid, p 416

والأدب الفارسي وعلم الآثار المصرية بما اصطلح على تسميته تاريخ شعوب المشرق، فيما ظهر توجه جديد بإضافة مادة تاريخ وحضارة الشعوب الإسلامية مع سنة 1905م-1906م.¹ كانت الغاية من تدريس اللغات الشرقية وحضارة إفريقيا والحضارة العربية الإسلامية على وجه الخصوص، إحكام السيطرة على شعوب هذه المناطق، من خلال تعلم لغاتها ولهجاتها وعاداتها وتقاليدها، سعى من خلالها الاستعمار إلى توسيع نطاق جغرافيته جسده في احتلال العديد من بلدان إفريقيا وآسيا أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ومن جهة أخرى أضفى على نفسه إطارا شرعيا لبقائه ضمن مسوغات تاريخية ودينية وقانونية وصناعية، ظهرت تجلياتها في تنظيم العديد من المؤتمرات العلمية التاريخية والأثرية والجغرافية، على غرار المؤتمر الاستشراقي العالمي الرابع عشر الذي أقيمت فعالياته في الجزائر سنة 1905م ضمن إطار المشاريع البحثية والأنشطة الاستعمارية لمدرسة الآداب. بالرغم من ذلك بقيت المدارس التحضيرية تحت وصاية الجامعات الفرنسية ولم تتمتع بالاستقلالية الإدارية والتنظيمية بسبب تخوفات القائمين على التعليم العالي داخل فرنسا (الأم) من استقلال علمي وإداري وسياسي على غرار الاستقلال المالي الذي انتزعه المستوطنون سنة 1900م في الجزائر المستعمرة.

2- قانونها الأساسي:

تضمن القانون الأساسي للمدارس التحضيرية عدة مواد نظمت الإشراف على سير الدراسة ومراتب الأساتذة وتكاليف البعثات العلمية والتخصصات المستحدثة وكانت على الشكل التالي:

المادة الأولى: إنشاء مدرسة للحقوق وأخرى للعلوم وأخرى للآداب بجانب المدرسة التحضيرية للطب.

المادة الثانية: خضع نظام التدريس في المدرسة التحضيرية للحقوق إلى برنامج تضمن مقررات التدريس في القانون التجاري والإداري والنظم (الأهلية). أما المدرسة التحضيرية للعلوم فاحتوت على الرياضيات والفيزياء وتطبيقاتها على الزراعة الصناعة والإحصاء تبعا لخصوصيات المستعمرة

1 Université d'Alger : Cinquantenaire, De L'Université d'Alger (1909-1959) Ed : République Française, Alger

فيما احتوى برنامج تدريس الآداب على اللُّغة العربية واللّهجات الجزائرية والتاريخ والجغرافيا والآثار والآداب الفرنسية والمتوسطة والكلاسيكية.

المادة الثالثة: منحت الادارة الدَّرجات العلمية وهي دبلوم البكالوريا في الحقوق والشهادة الأهلية في الآداب فيما منحت شهادات ذات مؤهلات علمية خاصة بالنسبة لمدرسة العلوم.

المادة الرابعة: لم يسمح بالتدريس في مدرسة الحقوق والآداب إلاّ لحاملي شهادة الدكتوراه من الدرجة الأولى فيما سمح لحاملي شهادة الليسانس بالتدريس في مدرسة العلوم. كما سمح لضباط الجيش والمهندسين وإطارات الاقتصاد نتيجة غياب الكفاءات.¹

وقع اختيار المكان الذي ضمّ المدارس الثلاث في منطقة كونت ايسلي (CAMP D'ISLY) بعيدا عن مدينة الجزائر وتوسط المدينة بمرور الوقت التوسع في نسيجها العمراني، أما هندسته فكانت ذات عمارة نيو-لاتينية تحيطها حديقة نباتية ومرصد فلكي، قدرت تكلفة إنجاز المدارس الثلاث خمسة ملايين فرنك فرنسي و قدرت تكلفة إنجاز المرصد والحديقة بمائة ألف فرنك فرنسي وافتتحت المدارس في 1888م بعد انتهاء الأشغال.²

3- الحصييلة العلمية (المنشورات التاريخية والأثرية والجغرافية)

أصدرت مدرسة الآداب سنة 1882 م مجلة دورية أسمتها "نشرية المراسلات الإفريقية" اشتغلت على دراسة التاريخ القديم لإفريقيا، تضمّن العدد الأول لسنة 1882م مقالا لماسكوراى (MASQUERAY) عالج فيه كتابات عثر عليها في مدينة سور الغزلان³ وآخر لدولابلانشير (DE LA BLANCHERE) حول النقود الذهبية المتداولة خلال فترة حكم الملك بطليموس (PTOLEMEE) استدل الكاتب على تاريخ سَكِّها بالقطع التي حملت تسميته وفترة حكمه وصورته،⁴ كما استعرض نفس الكاتب مقالا عالج فيه نقوشا أثرية في بيليزما (BELLEZMA) ونقاوس (NGAOUS) وطوبنا (TOBN) ومدوكال (MDOUKAL) فيما قدّم بطاقة فنية عن

¹ Université d'Alger : **Cinquantenaire...** op cit, p29

² ALAZARD (Jean) « Bref Historique de l'université d'Alger » in Documents **Algériens**, numéro 23 Année 1959, P 505

³ MASQUERAY (Emile) « Inscriptions inédites d'Auzia et détermination de Rapidi et de Labdia » in **B C A**, T.1 Année 1882, pp 7-8

⁴ DE LA BLANCHERE (Renie) « Monnaie d'or du roi Ptolémée » in **B C A** ... op cit, p 201-202

سور الجواب وعين بسام وعين بوديب الأثرية وتقريراً عن رحلة قام بها جوهان شميد (SCHMIDT) أشرفت على تغطية تكاليفها الأكاديمية الملكية للعلوم ببرلين ونشر أيضاً تقريراً عن اكتشافات لنقوش أثرية رومانية عثر عليها الضابط في الجيش الفرنسي شوازي (CHOISNET) بمنطقة القلالة وقدم تقريراً تحت عنوان "الآثار الرومانية في القصر الأسقفي بالجزائر"¹ و " نقوش أثرية في موريتانيا القيصرية"² وآخر عن الآثار الرومانية الواقعة بالونشريس الغربي في منطقة عمي موسى،³ كما قام بدراسة أسماء اصطلاحية ذات مدلول جغرافي، وكتب عن منطقة قوراية في تيبازة، وعن عصر النقوش الصخرية في الصحراء الجزائرية والكتابات الليبية القديمة⁴

احتوت المجلة على مقالات لإدوارد كات (CATT) عالجت نقوشاً أثرية غير مكتشفة في مدينة شرشال فيما قدم فيكتور وول (WAILLE) تقريراً عن رحلة قام بها إلى حمام ريغة، أما روني باصيه الذي اشتغل بدراسة المخطوطات فنشر مقالا عن مخطوط عربي عثر عليه في مدينة فاس المغربية كما اشتملت المجلة على تقرير رحلة لباصيه قام بها مع هوداس إلى تونس نشرها الباحثان في عدد 1884م،⁵ إضافة إلى الكثير من المقالات وتحت عناوين مختلفة منها "المخطوطات العربية لباشاغا الجلفة" "ملاحظات عن المعجم اللغوي البربري" "حكايات عربية" فيما استعرض بروسييه (BROUSSAIS) التحولات التي شهدتها السكان (البربر) وكتب كاغنا (CAGNAT) مقالا تحت عنوان "الموقر مایسیوس بیکاتیانوس" (MAESIUS PICATIANUS) وممثلي نوميديا في عهد ماركوس أوريليوس ، وكتب باول مونسو (MONCEAUX) مقالا تحت عنوان "اليونانيون والمورسك من خلال العملات اليونانية في متحف الجزائر" وفيكتور وول (WAILLE) عن اكتشافات أثرية بين ثنية الحد وتيارت، وعن الأعمال الإيطالية الحديثة في

¹ DE LA BLANCHERE « Antiquités romaines du palais épiscopal d'Alger » ... op, cit, pp 23-24

² DE LA BLANCHERE « Inscriptions de la Maurétanie césarienne » ibid, p 113-114

³ DE LA BLANCHERE « Kaoua. Note sur les ruines romaines du territoire d'Ammi Moussa » idem, Pp 147-148

⁴ DE LA BLANCHERE « Sur l'âge des gravures rupestres, des inscriptions sahariennes et de l'écriture Libyque » idem, p 354.

⁵ HOUDAS- (Octave) Et BASSET (R) « Mission scientifique en Tunisie, 2e partie : Bibliographie » in **BCA** T2, Année 1884, p 5

منطقة برقة الليبية ، بالإضافة إلى مجموعة مؤلفات خاصة بإقليم برقة وطرابلس فيما قدّم أنطوان (ANTOINE) ترجمة لعمل قام به الألماني (GOELZER) تلخص في دراسة معجمية ونحوية للغة اللاتينية وسان جيروم وفونسان (FONCIN) عن "قانون الأهالي في الجزائر" ولوبون (LE BON) عن "الحضارة العربية"¹ وروبير (ROBERT) عن المهاجرين في مدينة بوردو" وجاكي (JACQUEY) عن "التطبيقات القانونية في الجزائر" ومارسيال (MARCIEL) "مصير فرنسا في إفريقيا" وريكو (RICOUX) عن المستوطنين الأوروبيين في الجزائر ومقال آخر عن "مقاومة الحاج قدور صحراوي باشاغا تيارت"، ومقال لكوهير (KOCHER) تحت عنوان "الإجرام بين العرب من وجهة نظر الممارسة الطبية القضائية في الجزائر"² وغيرسباش (GERSPACH) مقال تحت عنوان "الفيسفساء" ولونورنو (LENORMANT) مقالا تحت عنوان "نياشين وعملات" وبايت (PAYETTE) مقالا تحت عنوان "الفن البيزنطي" وغينارد (GUENARD) مقالا تحت عنوان "أولاد سيدي الشيخ" وجيرارد (GIRARD) "مذكرات حملة تونس" وغريمبازي (CREMAZY) "ملاحظات عن مدغشقر" وويلمانيس (WILMANN) "دراسة عن مخيم ومدينة لومباز" وروبين (ROBIN) مقالا تحت عنوان "الميزابيون وأتباعهم في فرنسا"³ وغيدوز (GAIDOZ) وسيبيلو (SEBILLOT) مقالا تحت عنوان "شعار النبلاء الشعبي في فرنسا" ودرووين (DROUIN) مقالا تحت عنوان روايتان اثيوبيتان وشارل جوناست (JEANNEST) . مقال تحت عنوان "أربع سنوات في الكونغو" وسوندارفال (SANDERVAL) مقالا تحت عنوان "من الأطلسي إلى النيجر" وفيلياس (FILLIAS) مقالا تحت عنوان ثورة أولاد سيدي الشيخ⁴ وسيرتو (CERTEUX) وغارنوي (CARNOY) مقالا تحت عنوان "الجزائر التقليدية" والدكتور بونافون (BONNAFONT) مقالا تحت عنوان "رقصات في الجزائر" وسوفير (SAUVAIRE) مقالا تحت عنوان "رحلة إلى إسبانيا لدبلوماسي مغربي" ولافوا (LAVOIX) "تاريخ الموسيقى" ولوكوي دي لامارش (DELAMARCHE) "المخطوطات والمنمنمات" ومارتا (MARTHA)

¹ LE BON (Gustave) « La civilisation des Arabes » in **B C A**, op cit, p. 83

² KOCHER (Adolphe) « De la criminalité chez les Arabes au point de vue de la pratique médico-judiciaire En Algérie » in **B C A**, ibid, p. 157

³ ROBIN (Ct) « Le Mzab Et Son Annexion A La France » in **B C A**, idem, p. 317

⁴ FILLIAS (Achile) « L'Insurrection des Oulad Sidi Cheikh 1864 » in **B C A**, idem, p 482

"الآثار الإتروسكية والرومانية" وأدلين (ADELINE) "معجم المصطلحات الفنية" أما عدد 1885م فضّم كما لا بأس به من المقالات نشر روني باصيه " سليمان والتنين ". وهي حكاية قبائلية انتشرت في بني مناصر¹ و "تاريخ وجغرافية جزيرة جربة" ومقال آخر تحت عنوان "الرّومة الجزائريون في الصحراء الجزائرية" و"جغرافية إفريقيا وغامبيا على وجه الخصوص" و " المبادئ الأساسية للشريعة الإسلامية " و "المخطوطات العربية في زاوية عين ماضي وتيماسين" و "حلقة من أغنية عربية عن الفتح الثاني لشمال افريقية من قبل المسلمين " وآخر عن رحلة قام بها الأخير في منطقة ميزاب وورقلة و" رحلة إلى مدغشقر " و "بلاد السودان" و باول مونسو (MONCEAUX) عن "بقايا لكتابات يونانية من مرسوم الإمبراطور دياقليديانوس DIOCLETIEN" ونشر موتيلينسكي (MOTYLINSKI) "جردا عن الميزاب" و"أغاني بربر جزيرة جربة التونسية" و"ليشاتوليبي (LECHATELIER) "عين صالح" بالجزائر أرفقها بخريطة توضيحية و مجموعة من النصوص والوثائق المتعلقة بفلسفة (البربر) كما تضمن العدد مجموعة من التقارير لروسيي (ROUSSET) "بدايات حملة عسكرية" ومقال لأنطوان (ANTOINE) تحت عنوان "مؤلفات سالوست" ودوغرامون (DEGRAMMONT) عن العقيد مونتاناك (MONTAGNAC) "رسالة جندي" وول (WAILLE) ملاحظة عن نقوش عثر عليها في خميس مليانة وآخر لتمثال جوبيتير (JUPITER) عثر عليه في شرشال وكات (CAT) "رسالة حول السياسة الاستعمارية " وآخر تحت عنوان "إفريقيا" والجنرال شانزي وماسكوراى مقالا مشتركا تحت عنوان " المستعمرات الفرنسية " و " مرابطون وإخوان " و البحرية الرومانية وبحرية بطليموس " و " رسالة من القبائل " و تاريخ الرومان " و كتاب ليون روش " ثلاثون سنة خلال الإسلام " و " الفرنسيون وسط الرمال " ² و " المهدي من بداية الإسلام إلى يومنا هذا " و الحضارة الإسلامية " ³ و " درس في التشريع الجزائري ". و "ترجمة عن الأوراس الشرقية" هذا وقد توقفت المجلة عن الصدور سنة 1888م.

¹ BASSET (R) « Salomon et le Dragon, conte kabyle des Beni Menacer » in B.C.A vol 3, Année 1885, p 3

² MASQUERAY (E) « Trumelet, Les Français dans le désert » in B.C.A, ibid, p 547

³ FAGNAN(E) « La civilisation musulmane » in B.C.A, op cit, p 541

انصبت جل اهتمامات الباحثين من خلال المقالات التاريخية والكشوف الجغرافية والأثرية نحو إفريقيا فكانوا أكاديميين ومستكشفين في آن واحد، على غرار هوداس وباصيه اللذين تمكنا من إنجاز بيلوغرافيا لغوية وأثرية مهمة للجزائر وتونس، كما تمكّن روني باصيه بعد رحلات متعددة نحو السنغال وتومبكتو والمغرب والصحراء الجزائرية والبلاد التونسية على مدى عشرين سنة، من جمع معلومات ثرية حول اللغات، فترجم بعض القصائد (البربرية) ووضع معجم للهجاتها¹ حاول مقارنتها بمختلف اللغات المتوسطية أملاً في إيجاد حجج استعمارية تصب في اتجاه استقطاب عنصر جزائري أصيل ووضعه في دائرة الحضارة الأورومتوسطية وبالتالي إبعاد العنصر العربي باعتباره عنصراً دخيلاً من خلال بيئة أثنية تؤدي في النهاية دوراً اقصائياً.

تنوع الاستكشاف الأثري لدى كل من دولابلانشير (1853-1896) و غزال (1864-1932) في تاريخ وآثار نوميديا وموريتانيا وإفريقيا الرومانية على وجه الخصوص وسمحت رحلاتهم المستمرة نحو المواقع القديمة ومعرفة جغرافية الجزائر، وضع تصوّر للمخططات الاستعمارية القديمة التي وضعها الغزاة من خلال مسار حملاتهم العسكرية ومواقع الحصون والقلاع وأبراج المراقبة التي شيّدوها وتوزعت على سلاسل جبلية لتأمين السهول المنتجة للحبوب، فاستغلت الأراضي واستعمرت على وجه مائل الاستيطان الذي سار عليه أسلافهم القدامى ، تمكّن غزال من تدريس الزراعة القديمة اعتماداً على المكتشفات الأثرية التي حصل عليها من خلال معاينته للمواقع القديمة إضافة إلى تأليفه للأطلس الأثري الذي يُعدُّ مرجعاً علمياً للباحثين في مجال الآثار ضمَّ خرائط طبوغرافية لطبيعة الأرض ومواقعها الأثرية ، كما قام بأعمال جرد لمختلف المتاحف الجزائرية إضافة إلى عمل موسوعي شمل التاريخ القديم للجزائر وشمال إفريقيا قارب مائتي ألف خريطة،² أما ماسكوراوي (1834-1894) فتبعثرت أعماله بين المجلة الإفريقية ومجلة المراسلات الإفريقية التي أصدرها المدرسة العليا للآداب،³ وقام دي لابلانشير بالعديد من الرّحلات العلمية⁴

¹ BASSET(R) *Notes De Lexicographies Berbères*, Recueil De Mémoire D'extrait Et De Notice, Imp : Nationale, Paris 1885, p 302

² GSELL (S) : *Atlas Archeologique De L'Algerie*, Ed : Adolphe Jourdan, Alger ,1911 p 3

³ BERNARD (A) « Masqueray » in *R A* vol 38, Année 1894, p 350

⁴ DE LA BLANCHERE (R) *Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie césarienne*, Archives Des Missions Scientifiques Et Littéraires, Imp, Nationale, Paris 1883, pp 1-2

غير أن قيمة أعماله ظلّت ضئيلة بالمقارنة مع أعمال غزال، كتب الإثنان في المجلة الأثرية والمجلة التاريخية التي أصدرتهما الجمعية الأثرية لمدينة قسنطينة إضافة إلى المجلة التاريخية لمدينة الجزائر والمجلة الجغرافية والأثرية لمدينة وهران، كما تمثلت أعماله في التقارير الدورية التي أرسلها إلى أكاديمية العلوم والفنون في فرنسا ومدرسة روما للآثار. تخصص فيكتور وول (1852-1907) في آثار مدينة شرشال فأنجز فيها رسالته¹ أما غزال فأنجز أطروحته حول آثار مدينة تيبازة² كما درس فورنيبي مادة لخصّت كتاباته عن المؤرخ سالوست (SALUSTE) فيما حظيت الآداب القديمة الخاصة بثقافة الجزائر باهتمام بالغ من طرق القائمين على برامج التدريس.

هكذا تنوعت الدّراسات الاستشراقية في مدرسة الآداب بين دراسة اللّغة العربية والمسائل الإفريقية والقضايا الإسلامية فكانت مثار جدل بين المؤرخين الاستعماريين، اشتغل المدرسون على نقد المصادر العربية والمحليّة واعتبروها أدبية في عمومها طغى عليها أسلوب الوصف والمبالغة كتب مؤرخوا العرب عن الدول والسلّاطين حبا في التقرب من البلاط وأملا في الحصول على امتيازات مادية، لذا لم تكن المخطوطات العربية محلّ ثقة عند عموم المستشرقين إلّا ما تعلق بابن خلدون وقلّة من علماء الجزائر كالإدريسي.

نشر أساتذة الاستشراق في مدرسة الآداب معاجم لغوية صنّفوا فيها أعمال المؤرخين تصنيفا كرونولوجيا جمع باصيه قصصا دينية عربية³ ونشر كتابا على شكل جرد للمخطوطات العربية التي عثر عليها في مكتبة فاس، شملت تخصصات الفقه والأدب والرياضيات والفلسفة والتاريخ والشعر وغيرها مثل مقامات الحريري وديوان المتنبي والذهب الإبريز.⁴

تخصص ماسكوراي في التاريخ الإسلامي فدرس دويلات الخوارج ومجتمعاتها، وهو مجال حظي باستكشاف من طرف المستشرقين لما اشتمله من منعطفات حادّة في تاريخ الأمة الإسلامية، حاول النفاذ من خلاله لتشويه الإسلام ترجم كتاب أبي زكريا واختص موتيلانسكي

¹ WAILLE (V) « Antiquités de Cherchell. Un diplôme militaire de Trajan, un portrait du roi Juba II » in R AR Ernest. Leroux, Paris, 1891 p 501

² GSELL (S) « Tipasa, ville de la Maurétanie Césarienne » in M A H Numéro 14, Année 1894, Ernest Thorin, Paris. P 291

³ BASSET (R) **Mille Et Un Contes, Recits Et Legendes Arabe**, Libraire Orientale Et Americainne, Maisonneuve T 1, Paris 1924 p1

⁴ BASSET (R) **Les Manuscrits Arabes De Deux Bibliothèques De Fas**, Ed Pierre Fantana, Alger 1883 p 8-9

بدراسات عن الدولة العبيدية وانكب على دراسة مصادر تاريخ الخوارج وكتب عن القرارة نشرها في مجلة المراسلات الإفريقية، كما حضر في المؤتمر الرابع للمستشرقين الذي احتضنته مدينة الجزائر سنة 1905م¹

تناول المؤرخون الاستعماريون ما شيّده المسلمون من الآثار كمرحلة عابرة في تاريخ شمال إفريقيا لا يعدو أن يكون وسيلة للغزو ونشر ديانة وثنية لا حضارة تجذرت على أرضها فانتقصوا من قيمتها على الرغم من تخصصهم في دراستها، اشتغل هوداس على النقوش الإسلامية وكولين وميريبي على البحث في المواقع التي احتوت على فنون الزخرفة والصوامع والمساجد والمحاريب في كل من قسنطينة والجزائر، وأنهى مارسبي أعماله في مدينة تلمسان على العمارة الأندلسية ووضع جردا للقطع الأثرية الإسلامية خلال تلك الفترة كالنقود والحلي وحتى أدوات الطهي المستعملة.² كما اشتغل دي لابانشير في البحث عن آثار ما قبل التاريخ من خلال النقوش التي عثر عليها في الصحراء الجزائرية،³ وواصل كات جهوده في دراسته لتاريخ الجزائر الحديث فأصدر مقالا عن اللّجنة الإفريقية التي زارت الجزائر في 1833م، وكتب جورج ايفير عن العلاقات التجارية بين الجزائر وإيطاليا قبل الاحتلال، وقدم باصبيه أعمالا عن الرّحالة والجغرافيين المسلمين نشر في كتاب احتوى على جغرافية شمال إفريقيا ضمّ وثائق قديمة خصّصت الرّحلات الاستكشافية التي قام بها هؤلاء.⁴

تم تدريس مواد الجغرافيا داخل مدرسة افتتحها أوغيستان بيرنار (BERNARD) وفق أسلوب علمي جديد ميّزه الاشتغال على دراسة المناخ والتربة استعرض خلاله علاقة النشاط الاقتصادي بعوامل المياه والسطح وتأثيرهما على استقرار المجتمعات القديمة، كما كان له العديد من المقالات نشرت في قسم خاص هو "المراجعة البيبليوغرافية السنوية لشمال إفريقيا" ألحقت بمجلة الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر، درس بيرنار الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية لشمال إفريقيا

¹ Actes du 14e Congrès des Orientalistes, Ed : Ernest Leroux, T 3, Paris 1907. pp. 3-4

² MARÇAIS (William) et MARÇAIS (G) Les Monuments Arabes De Tlemcen, Ed Albert Fontemoing, Paris 1903, p 72-73

³ DE LA BLANCHERE (R) « Sur L'Age Des Gravures Rupestres, Des Inscriptions Sahariennes Et De L'écriture Libyque » in B.C.A, vol 1, Année 1882, p. 354

⁴ BASSET (R) Les Manuscrits Arabes ..., op cit, p 366

ونشرت له المدرسة كتابا اعتبره مرجعا في وصف طبيعة الأرض أسماه " المناطق الطبيعية في الجزائر" كما درّس غوتيه طبيعة الأرض في الصحراء من خلال رحلاته المستمرة نحو مناطق جنوب الجزائر، عاين فيها مظاهر سطح المناطق الصحراوية، إضافة إلى ذلك نشرت له مجلة حوليات جغرافية ومجلة كشوف إفريقيا الفرنسية العديد من الأعمال.¹

تناثرت دراسات باصبيه المتعلقة بتاريخ الدين الإسلامي في المجتمعات المغاربية أدرجها في سياق التأثير بقوى الطبيعة انسجاما مع الكتابات القديمة المقتبسة من مؤلفات سالوست، تُعد ثقافة عبادة الصخور وتعظيمها تبعا لأشكالها الغريبة وأحجامها الكبيرة -حسب نظره- ديانة قديمة لازالت قائمة إلى يومنا هذا، عقائد اتخذت شكل الاعجاب بمظاهر الطبيعة وتحوّلت إلى دلالات رمزية لقوى غيبية نتيجة عجز مجتمعاتها البدائية إيجاد تفسير واضح ومقنع لطبيعتها الجيولوجية، أعطى الكاتب نموذجا على ذلك في منطقة قرطوفة بتيارت، أين توزعت الكتل الصخرية على انحدار مخيف أطلق عليها (حجر القايد) وأُتخذ الموقع مزارا ميثاليا مارس فيه السكان طقوسا دينية وثنية.²

ظهر التعاون جلياً بين أساتذة المواد اللغوية والدينية وأساتذة القانون لمعرفة عادات وتقاليد سكان الجزائر، فعلى الرغم من انعدام التشريع الإسلامي الذي لم يكن ضمن تخصصات المدرسة العليا للآداب، اشترك هوداس مع مارسال أستاذ مدرسة الحقوق في ترجمة نماذج منه كتحففة ابن القاسم، ترجم هوداس " صحيح البخاري " وتحدث عن بدايات الوحي والرؤيا الصادقة وباقي أحداث السيرة استنادا على الأحاديث التي نقلها الرواة استعرض كلام المفسرين كجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، خلت الترجمة من ذكر من نقل الحديث أو من قام بكتابته، كما خلت من عبارة الترضي عن الصحابة واعتمد على التجريد خلافا لما نقل في كتاب البخاري مما يعدُّ انتقاصا من مكانة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كقوله عائشة عند الإشارة إلى أم المؤمنين رضي الله عنها وهكذا.... كما استعمل أسماء مدن متعارف عليها عند اليهود عوض

¹ HAMY (E.-T) « Note sur quelques antiquités découvertes par F. Gautier, dans les vallées de la Sousfana et de la Saoura, En direction de l'Adrar, tumuli, gravures et inscriptions Libyques rupestres » in C R A I Année 1905, p 249-250

² BASSET(R) **Recherches sur la religion des berbères** Ed : Ernest Leroux, Paris 1910, p 6

استعمال أسمائها التاريخية ذات الأصل العربي فذكر " JERUSALEM " بديلا عن مدينة ايلياء وهي القدس الشريف عند المسلمين¹ كما ترجم فاغنون مختصر الشيخ خليل في فقه الإمام مالك الذي تعلق بالتشريعات التي أقامها الاسلام لتنظيم الأسرة من زواج وطلاق وغيرها² ونشر أرنست مارسسي كتابا عن الملكية العقارية لمسلمي الجزائر والذي اعتبر قوانينه من الحالات الاستثنائية الواجب إصلاحها من طرف الادارة الاستعمارية،³ وحول الفلسفة الإسلامية كُلف غوتيي بتدريس المادة وهو المعروف من خلال أعماله في ترجمة القصة الفلسفية لحيّ بن يقظان، اشتغل على دراسة النزعة المذهبية لهذا الفيلسوف من خلال وجهة النظر الإسلامية التي تداخل فيها تراث الشعر مع الفن القصصي الأسطوري الموروث عن الحضارات القديمة، فعلى الرغم من محتوى القصة الوثني إلا أن المسلمين اختاروا استخدامها كمنهج لا غنى عنه في التعبير عن ثقافتهم، وهو المنهج نفسه - حسب رأيه - الذي سار عليه مفسرو القرآن الكريم في البحث عن مدلول الأشياء واستخداماتها انطلاقا من البيئة الجاهلية.⁴

طبقت مدرسة الآداب طرقا علمية جديدة في دراسة اللغة العربية المبتدلة واللهجات المتداولة بين سكانها، ولكن الاشتغال في هذا الميدان وإن جاء متأخرا بعض الشيء فانه سار في الاتجاه الصحيح - حسب آرائهم - درس مارسسي اللغة العامية التي كان ينطق بها سكان تلمسان فدوّن مفرداتها وقارن بينها وبين اللهجات المتداولة في المغرب الأقصى،⁵ ودرس ألفريد بيل اللهجة الوهرانية وترجم قصة جازية الهلالية المأخوذة من التراث الشعبي الوهراني القديم،⁶ دون أن ننسى

¹ HOUDAS (Q)-MAÇÇAIS (W) : El Bokhari. Les Traditions Islamiques, Traduites De L'Arabe,

Avec Notes Et Index, Ed : Ernest Leroux, T 1, Paris, 1903. P 5

² FAGNAN(E) Sidi Khalil, Mariage Et Répudiation, Traduction Avec Commentaires, Ed : Adolf Jourdan, 1909, p.1

³ MERCIER (E) Questions Algérienne La Propriété Foncière chez Les Musulmans D'Algérie, Ses Lois Sous La Domination Française, Constitution De L'état Civil Musulman Ernest Leroux, Editeur, Paris 1891, P.40

⁴ GAUTHIER (L) Ibn Thofail Sa Vie, Ses Œuvres Ed : Ernest Leroux, Paris, 1909 p 24

⁵ MARÇAIS (W) Le Dialecte Arabe Parlé à Tlemcen : Grammaire, Textes et Glossaire. Edit, Ernest Leroux, Paris, 1902. p 85

⁶ Bel (A) La Djâzya, chanson arabe, précédée d'observations sur quelques légendes arabes et sur la geste Des Beni-Hilâl, paris, imp national, 1903, p.5

الأعمال اللغوية والأدبية الشعبية التي قام بها جولي من خلال دراسته للغة التارقية (البربرية) التي انتشرت في جنوب الجزائر.

كانت قصائد الشعر الجاهلي والإسلامي ضمن برامج التدريس الرسمية فيما تعلق بالأدب العربي، كُلف باصبيه بإلقاء محاضرات عنها وقدم ترجمة لقصيدة "البردة" أرفقها بتعليق تحدث فيه عن صداها لدى سكان المغرب، ذكر فيه نسب الشاعر وأصوله السُلالية وقصة حادثة البردة التي ظهرت تجلياتها في شفاء المكفوفين من مرضى المسلمين،¹ كما نشر أيضا نص الخزرجية والتي اعتبرت من روائع النصوص المترجمة عن الفلكلور الشعبي الجزائري، وترجم كتاب ألف ليلة وليلة ونشره في مجلة التراجم الشعبية، بالإضافة إلى أقوال وأمثال سيدي محمد بن يوسف في زيارته للقلعة الذهبية، ومقالات حول المواضيع الدينية الشعبية التي سادت المغرب في القرن السادس عشر، مثل "البيت المغلق" و " هرقل ومحمد " ورواية "دورة بني هلال" ومجموعة من الأمثال العربية.²

حظيت اللغة (البربرية) بدراسة واسعة من قبل مدرسة الآداب، ولا شك أن هذا الإهتمام بدراسة اللغة له ما يبرره لمعرفة طرق التواصل مع الجماعات السكانية التي عدّها رواد المدرسة الاستعمارية أقلّيات وجب الاستثمار فيها لتحقيق مصالحهم، فاشتغلوا على استجلاء الفروق الجغرافية واللّهجاتية العامية المقيمة داخل الوطن الجزائري الواحد والأمة الواحدة، فنشروها في كتاباتهم لضمان البقاء على أرض أصيلة اعتقدوا الغزاة مجرد مستعمرة في امبراطورية شاسعة.

كان ماسكوري من السبّاقين إلى دراسة لهجة التوارق حيث استند في دراسته على أصول التسميات، والنظام المعتمد في الكتابة الترقية شمل الأسماء والحروف أضاف لها بعض القصص المتداولة مثل قصة المسافر،³ وهي المحادثات التي كانت تتم بين مختلف أطياف المجتمع التارقي وداخل الأسرة الواحدة مع بعض الأغاني والقصائد التي كانت القوافل تنشدّها في رحلاتها

¹ BASSET (R) *La Bordah Du Cheikh El Bousiri, Poème En L'honneur De Mohammed*, Traduite Et

Commentée Ed : Ernest Leroux, Paris 1894 p. VIII

² DOUTTE (E) « L'oeuvre scientifique de l'École des Lettres d'Alger » in *R A*, vol 49, Année 1905. p 455

³MASQUERAY (E) *Observations grammaticales sur la grammaire touareg Et Textes de la Tamahaq des Taïtoq*

Ed : Ernest Leroux, Paris, 1896 p135

التجارية،¹ كما أجرى باصبيه العديد من التحقيقات الخاصة باللّهجات المتداولة في واد ميزاب وورقلة وواد غير، اشتملت على قواعد اللّغة والتعبير القصصي وجاءت على لسان الحيوان كقصة "اعتذارات جحا" وقصة "الثعلب" التي تظاهر فيها بموته للتمويه والخداع واقتبست -حسب رأيه- من الأدب اليوناني القديم.²

تطرت الدّراسات إلى قصائد شعبية (بربرية) من الفلكلور الشعبي القبائلي وحتى الإفريقي في شكل أمثال شعبية متداولة مثل قصة "الطاعون" "والسارق" "والغريب" احتوت على نصائح وألغاز تم تداولها بين أطراف الشعب لغرض نشر العِظات.³ كما درس موتيلانسكي اللّهجة (البربرية) في جبل نفوسة وغدامس، وصف فيه جغرافية المنطقة وبعض القرى والأقاليم مثل إقليم فوساتو⁴ عدّها الكاتب مرجعا في علم الاجتماع كما أصدر مارسبي مذكرة شاملة عن الشاوية في الأوراس،⁵ وحظيت اللُّغات السامية القديمة وعلم الآثار المصرية هي الأخرى ببرنامج تدريس غايته فهم المجتمعات القديمة، اشتغل أميود (AMIAUD) على دراسة اللّغة السريانية واللّغة الأشورية⁶ ونشر باصبيه دراسة حول تاريخ إثيوبيا وغزو الفلاشا وهجرة الأوروبيين إليها أثناء الحروب الدّينية في أوروبا.⁷

4- مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر 1905م.

انعقد المؤتمر بتاريخ 19 افريل 1905م بالجزائر العاصمة تحت رعاية الحاكم العام شارل جونار (JONNART)، تشكلت لجنة المؤتمر برئاسة روني باصبيه (BASSET) مدير المدرسة العليا

¹ MASQUERAY (E) *Observations grammaticales...*, op cit, pp 144-145

BASSET (R) *Etudes Sur La Zenatia Du Mezab De Ouaregla Et De Oued Rir*, Ed Ernest Leroux, Paris 1893

pp101-102

³ BASSET (R) *Contes Populaires Berbères Recueillis Traduits Et Annotés* Ed Ernest Leroux, Paris 1887 p 121-122

⁴ MOTYLINSKI (C) *Le Djbel Nefoussa Transcription Traduction Francaise Et Notes, Avec Une Etudes Gramaticale*, Ed Ernest Leroux, Paris 1898 p 86

⁵ Mercier (Gustave) *Moeurs et traditions de l'Aurès, cinq textes berbères en dialecte chaouia [Texte imprimé]* Paris : Impr. nationale, 1900, p.10

⁶ Bloch (Adolf) « de la race qui précida les sémites en chaldée et en susiane » in B S A P, V série, tome 3 Année 1902, p.666

⁷ BASSET (R) *Etude sur l'histoire de l'Ethiopie*, imp : National, paris 1882, p 4

للغات، ولوسيانى مستشار الحكومة (LUCIANI) نائبا له، وعضوية ميسبلي (MESPLÉ) أستاذ المدرسة العليا للآداب، وبوقندورة مفتي الحنفية في الجزائر، وايدموند دوتي (DOUTTÉ) أمين عام مكلف بالدروس في المدرسة العليا للآداب، وشومبيغ (CHAMBIGE) أمين عام مساعد للبلديات المختلطة، وجورج ايفير (YVER) أستاذ مدرسة اللغات، وويليام مارسبي (W. MARÇAIS) مدير مدرسة الجزائر، (MEDERSA) وشرشالي ملحق بمديرية الشؤون الأهلية، واستيفان غزال (GSELL) أستاذ المدرسة العليا للآداب ومدير متحف الجزائر، ولاكروا (LACROIX) رئيس مصلحة الشؤون الأهلية في الحكومة العامة بالجزائر ولوفيبير (LEFÉBURE) مكلف بالدروس في المدرسة العليا للغات، ومحمد بن أي شنب وعبد الحليم بن سماية وهما أستاذان بالمدرسة العليا للآداب في الجزائر.¹

4-1 - أشغال المؤتمر

افتتحت الجلسة يوم 19 افريل على الساعة التاسعة والنصف صباحا من طرف الحاكم العام شارل جونار في القاعة الكبرى لمقرّ المؤتمر، حضر إلى جانب الحاكم العام بعض الشخصيات الجزائرية من النخبة الأرستقراطية المثقفة، وممثلي الحكومات الأجنبية وأعضاء الجمعيات واللجان العلمية.

ألقى شارل جونار خطابا تضمن ترحيبا بالوفود شكر فيه القائمين على اختيار مدينة الجزائر مقرّاً لأشغال المؤتمر بعد كل من لندن وستوكهولم وفلورنسا وهامبورغ وجنيف، جاء فيه ما يلي: (...الجزائر التي تعتبر بوابة للمرور إلى الشرق، قامت فرنسا بفتحها أمام أوروبا في وقت كانت فيه مأوى للصووية وتجارة الرقيق والمؤامرات والقرصنة مزقتها الخلافات الدائمة، جاء الفرنسيون وجعلوها بعد غزوهم مدينة أوروبية بامتياز في مظهرها وفي شبابها وفي نشاطها الاقتصادي وهو ما لاحظتموه خلال زيارتكم لها. أضاف قائلا... تُلخّص الجزائر تاريخ هيمنتها على هذا البلد في جوانبها المختلفة ارتبط فيه الماضي بالحاضر، ثلاثون سنة من القتال ضد شعب شرس وطبيعة قاسية وتضحيات جسام وانتصارات لا حصر لها في مجال الأبحاث والعلوم، هنا حيث المحاصيل

¹ Actes du XIV Congrès des orientalistes, Ed : Ernest Leroux, T 1, paris 1906, p 4

الوفيرة التي تضمن حاجيات ثلاثة أضعاف سكان الجزائر...أيها السادة إني أتوق من خلال إقامتكم القصيرة بالمساهمة في الحركة الفكرية التي تتوسع شيئاً فشيئاً...¹

4-2- مداخلات المؤتمر

- حول الهند والهند الصينية : تدخل بيل (PULLE) في المؤتمر بمجموعة من الخرائط التوضيحية حول جغرافية هذه المناطق والبيانات المتعلقة بها، قدّم الوثائق القديمة التي حدّدت الموقع والتي توزعت في عمومها بين هندوسية ويونانية ورومانية وفارسية وعربية، طبعت الخرائط بمساعدة الجمعيات واللجان الأكاديمية الجغرافية. وعرض مجموعة أخرى رسمت في عصر النهضة وقرن الاكتشافات، حصل عليها خلال زيارته للهند الصينية تمثلت في نماذج من الخرائط الكتالونية الموجودة في مكتبة باريس، أوضح فيها الباحث الطرق البحرية الموصلة لتلك البلاد البعيدة.²

- حول اللغات السامية:

تطرق المؤتمرون إلى قاعدة التقلب في الحروف بين مختلف اللهجات واللغات، وهي الحركات اللسانية التي شكلت أساس النطق لدى الشعوب القديمة وتواصلت باللغة السامية على غرار اللغة الكلدانية والآشورية والآرامية، أرجع الباحثون سبب تغيّر الحروف داخل أجدية اللغة الواحدة، إلى مقتضيات الحالة اللسانية للمجتمعات الناطقة بها، اختار المؤتمرون بعض النماذج من الحروف والتي تغيرت إلى حروف أخرى بفعل التحوير الذي انتشر في نطاق واسع لدى مجتمعات الشرق الأدنى القديم.³

- حول اللغة العربية وشريعة المسلمين

قدّم الباحث باري دي مينار (DEMYNARD) وثائق أصلية من القرآن الكريم نُسخت بجزر عاد بعد التدقيق في كتابته إلى القرن الأول الهجري،⁴ فيما قدّم مونتي (MONTE) بحثاً عن قبيلة زكارة في وجدة والتي اعتبرها موليرياس (MOULIRIES) من الخوارج في حين اعتبرها مونتي

¹ « Discours De Charles Jonnart Au Congres Des Orientalistes, » in R A vol 49, Année 1905, p 264

² DE LA VALLEE (L. P) « Cartographie De L'inde Et De L'inde -Chine » in R A, ... Ibid, p309

³ ISIDORE (LEVY) : « Langue Sémitique » in R A, idem, p, 316

⁴ BEN CHANE (MOHAMED) « Langue Musulmane » in R A, idem, p, 318

(MONTTE) من المذاهب الدينية للطائفة الدرزية ذلك أن ترك ركن من أركان الإسلام لا يوجب إنكار إسلام المرء وإن كان يدخله في دائرة العصاة من الموحدين على حد وصفه،¹ فيما اشتغل الشيخ محمد عسال على استخدام اللغة العربية في التعبير عن تطور تكنولوجيات العصر وعمّا إذا كانت مفرداتها قادرة على استيعاب الأفكار الحديثة، وهي جدلية قائمة منذ عصور تطرق لها جورجى زيدان في كتابه " تاريخ التراث العربى " ومحمد دياب في كتابه " تاريخ الآداب واللغة العربية"² ردّ عليها الشيخ محمد سلطان بمدخلة تحت عنوان الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، استعرض فيها حقوق المرأة في التعليم المرأة ضمنته الشريعة وواجب فرض على المسلمين نساء ورجال، استدل في مدخلته على آيات من القرآن وأحاديث السنة، كما قارن بين المتعلمة التي أحسنت ترتيب بيتها وتربية أولادها وسهرت على صحتهم، وغير المتعلمة استشهد الشيخ بأقوال المؤمنين كعائشة وحفصة رضي الله عنهما اللتان كانتا تتقنان الكتابة والقراءة وتحفظان الكثير من أشعار العرب في الجاهلية، منها مدخلته بضرورة إصلاح التعليم على أسس الشريعة الإسلامية.³

قدم الدكتور فولير (VOLLERS) إلى الحاضرين ملخصاً لعمله الذي أنجزه حول اللغة العربية التي تواصل بها الجنس العربي قبل الإسلام وأثناء الدعوة - حسب رأيه - كانت في عهد النبي لغتان فصحي ومبتذلة (عامية) دعم حججه بالسور التي نزلت في المدينة على النبي عليه الصلاة والسلام واشتملت آياتها على مفردات دارجة تواصل بها العرب في تلك البيئة، واعتقد بأن القرآن احتوى على مقاطع متناقضة مع قواعد النحو العربي، ردّ عليه الشيخ عبد العزيز جاويش بمحاضرة عنوانها " الإسلام دين الفطرة " قائلاً: (...لم تظهر اللغة العربية في شكلها المبتذل إلا بعد فتح الشام ومصر وفارس، فلا يمكن أخذها كدليل على دعم حجج من قالوا إن القرآن مليء بالمفردات الدارجة التي تعود أهل تلك البيئة على التواصل بها، كما وأن اللغة العربية نُظمت في أشعار المعلقات قبل مجيء الرسول عليه الصلاة والسلام بمائتي سنة، وأن المشركين

¹ MOULIERAS (Auguste) *Une Tribu Zenete Anti Musulmane Au Maroc (Les Zkara)*, Ed : Augustin Challamel, Paris 1905 p 51

² بوحيلة (فارس) « العلامة محمد بن أبي شنب (1869-1929) من خلال أعماله المنشورة في المجلة الإفريقية »، مجلة أصوات الشمال، ع 1، أبريل 2010

³ BEN CHANEB (Mohammed) : « Langue Musulane », in R A, op cit, p 320

اتخذوا القرآن المنزل عليه كلون من ألوان الشعر على الرغم من إدراكهم الجازم واعتقادهم الراسخ خلاف ذلك- أضاف قائلًا- لا يمكن لأي مسلم مهما صغر سنُّه تصديق الرواية التي تحدث بها الشخص المذكور...¹

تضمنت مداخلة بريدو (BRUDO) جانبا اجتماعيا ثقافيا تعليميا تحدّث فيه عن تعليم للأطفال الجزائريين وألحَّ على ضرورة التركيز على تعلم اللُّغة الفرنسية التي كان يجهلها أغلب أطفال (الأهالي) فيما اعتبر اللُّغة العربية لغة فائضة عن الحاجة لكونها لغتهم الأم، واستعرض أويار (HUART) في مداخلته جغرافية إفريقيا اعتمادا على مخطوط "نزهة القلوب" الذي وصف الأجزاء الشرقية من القارة "بلاد الزنوج السفلى" اكتشف فيها جزر القمر ومصادر النيل الأبيض، تدخل بعدها لويس ماسينيون وقدّم دراسة في شكل جدول عن جغرافية المغرب الأقصى خلال القرن الخامس عشر اعتبرها المستشرق تكملة للعمل الذي قام به ليون الإفريقي أرفقها بدراسات قدّمها العديد من الباحثين استعرضت جغرافية البلد المذكور.² تدخل بعدها مارتينو (MARTINO) وحاضر عن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام، فأكد على نزاهة دراسته التي أدرجها في نطاق الدِّفاع عنه من حملات التشويه الصليبية، استخلص الباحث دراسته من ترجمات قام الباحث بتنقيتها من شوائبها التي كتبها عنه عدد من المستشرقين أمثال ماراسي (MARASSI) وبريدو (BRUDEAUX) في القرن السابع عشر، ووصلت إليه في نسخة رديئة حملت تشويها لصورة الإسلام وصف في مداخلته النبي عليه الصلاة والسلام وعدّه شخصية عظيمة تمتعت بذكاء حاد ونادر وجاءت بدين أقرب ما يكون إلى الفطرة البشرية.³

وعليه توقف الكاتب عند حدود الوصف البشري لنبي أرسله الله لهداية الإنس والجن من العالمين، فالكاتب لم يتطرق إلى محمد عليه الصلاة والسلام رسولا أيّده الله بالوحي على الرغم من وضوح الرؤية عند عامة الباحثين، بل رجل تمكّن من إدارة الأزمات وحلّ المشاكل وإدراك

¹ عبد العزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحريّة، تقديم مجدي سعيد، دار الكتاب المصري القاهرة 2011، ص 26

² MASSIGNON (L) : *Le Maroc Tableau Géographique D'après Léon L'Africain Du XVI^e Siècle* imp, Adolphe Jourdan. Alger 1906 p 73

³ BEN CHANE, (M) « Langue ... » in R.A..., op cit, p 322

العلوم باجتهاد شخصي منه كغيره من عامة الناس، وهذه مغالطة فالرّسول عليه الصلاة والسلام تلقى علما غيبيا ألهمه الله لمن اصفاهم من خلقه ليس إلاّ.

استعرض موتيلانسكي مداخلة تحت عنوان "تاريخ أئمة الرستمين في تيهرت" اقتبست من دراسته السابقة للطائفة العبيدية عاج فيه مخطوطا عاد تاريخه إلى القرن الثالث الهجري وكتبه شخص من مدينة تيهرت يدعى ابن الصغير، حصل عليه في منطقة ميزاب جنوب الجزائر سنة 1883م، احتوى على ثلاث وستين صفحة وأرّخ للدولة الرستمية من بداية تأسيسها على يد عبد الرحمان بن رستم إلى غاية أبو حاتم بن محمد بن يوسف بن أفلح¹. كما قدّم في مداخلة أخرى مخطوطا عربيا حول احتلال الإسبان لجزيرة جربة التونسية سنة 1510م، على يد بيدرو دي نافار (DENAVARE) وحصل عليه في نفس السنة التي عثر فيها على مخطوط ابن الصغير، استعرض فيه محاولات الإسبان مدّ سيطرتهم على البلاد التونسية وأساليب الدّفاع التي اعتمدها المسلمون لردّ الغزاة. كما قدّم لويس مارسيني (MERCIER) مداخلة تحت عنوان "العربية المبتذلة في الجنوب الوهراني" وصف فيها قبائل المنطقة وحالتها المادية ووضعها المعيشي وعاداتها وتقاليدها وعرض بيرت بعض المقاطع من مخطوطات صوّرت بعض الطقوس الإسلامية وضعها في قالب فلكلوري جسّد -جسب نظره- جهل المجتمع وسذاجته،² سببت المداخلة إزعاجا كبيرا للحضور من المسلمين ردّ عليه عبد الحليم ابن سماية بمداخلة حملت عنوان "علاقة الدّين الإسلامي بالفلسفة" ساق فيها مجموعة من الأحكام الاعتقادية كالقدر الحقيقة التي لا مناص منها والعقل الذي ميّز الإنسان عن الحيوان، والأعمال التي وجب أن تكون على نفس درجة الاعتقاد وضرورة مرافقة القول بالعمل كما قدّم شروحا للتوكل والحكمة وأن غاية الفلسفة إدراك الله فأحداث السيرة النبوية كتبت بتحقيق من علماء الحديث وعن رواة اشتهروا بالورع والتدين وتعدّد زوجات النبي لحكمة أرادها الله، قدّم بعدها شروحا حول الحجاب والطلاق والميراث ابتغى من ورائها المساهمة في نفع المسلمين.³ تدخل بعدها نالينو (NALLINO) وهو أستاذ بجامعة باليرمو الايطالية وعرض قصيدة من شعر الغزل الجاهلي وحاول مقاربتها بالشعر الإغريقي

¹ Acte Du 14 Congrès Des Orientaliste Ed : Ernest Leroux, T 2, Paris 1907, p 69

² Acte Du 14 Congrès ..., T 3, op cit, p 282

³ BEN CHANEZ « Langues ... » in R A, op cit... p, 323

القديم، وقدّم محمد بن براهيم المقاييس التّحوية المعتمدة في تلاوة آيات القرآن الكريم كتبها الشيخ خليل وعرض (DESPARMET) افتتاحية كتابه "القوائد الشعبية في البلدة " ومقاييس نظم القوائد الشعبية الحديثة وقدّم أسين (ASIN) تحليلاً نفسياً عن عقيدة محي الدين ابن العربي من خلال مؤلفه الشهير "رسالة في معرفة النفس والرّوح" وانتهى إلى إدراجه في دائرة التصوف،¹ وتدخل بروناش (BRUNACHE) وألقى كلمة تضمّنت نقداً للقرآن الكريم وتساءل عن الذين شهدوا بيعة الرضوان "لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" ² قائلاً : (... كيف يغفر مُقدِّماً لأناس لم يُعرف حجم خطيئتهم، في حين تشير آيات القرآن الكريم أن الإنسان مخير في إتباع الهدى أو إتباع الضلال وأنه سيجازى يوم القيامة على أعماله التي قدّمها في الدنيا...) ³ حَكَمَ من خلالها حوادث الكون وما اشتملته من مقادير خصّت الأزمنة والمكان أجراها الله في سننه وأخضع لها مخلوقاته، فوق علم الله الأزلي الذي جاء به القرآن اتباعاً للهوى وطعنا في الدّين.

على هذا النحو تجلّت غائية التوظيف الاستعماري من وراء تناول الأنشطة الاستشراقية ومعالجتها لقضايا الاسلام والتشريع ولغة القرآن (العربية) اعتبرها الباحث المتخصص حالة لسانية تطورت تبعاً لتغيّر ثقافة مجتمعاتها واختلاطها بالأعاجم، لا قاعدة ثابتة احتوت على أبجدية تفرّدت في معناها اللّغوي واللّفظي عن باقي اللّغات الأخرى، وعليه يمكننا الرّد من جانبنا بملاحظات واستنتاجات هي:

- لم يشتغل علماء اللّسانيات في مداخلات المؤتمر على دراسة اللّغة العربية أملاً في تطويرها بل انصبّت اهتماماتهم على اللّهجة العامية المبتدلة، سعياً منهم لإضعاف الفصحى في مرحلة أولى والغائها من التعليم في المدارس في مرحلة لاحقة، ومن ثم استبدالها بلهجات وخليط من لغات دخيلة منطوقة في بيئات متنوعة.

- درس المستشرقون اللّغة العربية ليس بهدف اكتشاف أسرارها وإنما للطنع فيها، فالقول بأن بعض الكلمات من آيات القرآن الكريم لم تكن عربية أو مخالفة لقواعد النّحو المعروفة لدى

¹ POUILLON(Francois) Dictionnaire Des Orientalistes De Langue Française, Ed, kart hala, 2012. p 315

² سورة الفتح، الآية 8

³ BEN CHANEH « Langues ... » in, R A, op cit, p 328

العرب اسقاط خاطئ وقياس مغلوط، فالأصل في الشيء رَدُّ الكَلِمِ إلى مواضعه فالقرآن الكريم أَرَبِيٌّ أَنْزَلَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُصَدِّقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» والخطأ في المجتمعات التي توارثت هذه اللُّغة الأُزَلِيَّة الأَصِيلَةَ وتواصلت بها وعملت على تحريفها تبعاً لمقتضيات البيئة البدوية زيادة واختصاراً، فهناك استثناءات في النَّحْوِ جاءت في آيات القرآن الكريم لا نجد لها حضوراً في لسان العرب. فهل القرآن ليس عربياً أم أنَّ العرب انحرفوا عن قواعده الأصيلية؟

- حول مصر مدغشقر واللُّغات الإفريقية.

قدّم غرغوريو (GREGORIO) شرحاً للغات البانتو وهي لغات انتشرت في الكونغو والكامرون ووسط إفريقيا وجنوبها، أسس دراسته على مبدأ العلاقة بين الكتابة والرسم وأسقط تفسير اللُّغة على ما وجده من رسوم ماثلت العبارة المقابلة واستشهد بمثال ساقه في مقاله لوح الذي كتب عليه عسل مع إضافة رسم لنحلة أعطى من خلاله الكاتب مدلولاً لغوياً هو "عسل النحل"¹ كما عرض قنصل فرنسا في مدغشقر غابريال (GABRIEL) نصاً مطولاً عاد لمخطوط وجد في المكتبة الوطنية احتوى على طقوس وصلوات انتشرت في جنوب وشرق مدغشقر وضعها الكاتب في سياق أفكار عربية غزت الجزيرة مع توافد هجرات جاءت من الشمال. كما قدم كل من ديستينغ (DESTAING)، بحوثاً ودراسات لغوية عن اللهجة البربرية في بني سنوس،² واستعرض غوستاف مارسيني (MERCIER) أسماء النباتات المنتشرة في منطقة الأوراس فحسب نظره مثلت اللُّغة (الشاوية) همزة وصل بين المناطق الشمالية الجنوبية وتطرق إلى أسماء نباتات أصلية زالت عبر مرور الزمن واستبدلت بأخرى ذات مدلول لغوي عربي ناتج عن نشاط زراعي مارسه (البربر) اقتبس من مجتمعات دخيلة، لم يحدد الكاتب أسماء تلك النباتات فيما عقد مقارنة لملاحظاته حول الأسماء التي تداولتها الحضارات القديمة في إشارة إلى الحضارة الرومانية، لم تعرف اللُّغة (البربرية) - حسب رأيه- تطوراً في النطق ولا في الكتابة إلا من خلال مساهمة الكتابات اللاتينية التي عملت على تحسينها.³

¹ Actes Du Congrès... T 2, op, cit..., p147

² ibid, p 94

³ idem, p80

استجمع الدكتور دي كور (DECORS) أثناء زيارته لمنطقة التشاد كتابات استدل بها على وجود لغة حملت حروفا ومعاني عربية و(بربرية) وتوصل ضمن استنتاجات ساقها في مداخلة المؤتمر تأثر المنطقة بحضارة المصريين والرومان، كما نشر موتيلانسكي من جانبه مخطوطات عربية تم اكتشافها في سنة 1895م بتونس عادت كتابتها إلى الفترة الإسلامية اعتبرها ذات قيمة دينية وقانونية تعلق في مجملها بقضايا الزواج والطلاق والميراث¹.

- الإغريق والشرق:

قدم ويسلي (WESSELY) مخطوطا قديما مؤرخا في سنة 512م عادت ملكيته إلى ديوسكوريد (DIOSCORIDE) عثر عليه في المكتبة الإمبراطورية النمساوية احتوى على نباتات حملت تسميات إغريقية كتبت باللُّغة العربية والعمل الذي قدّمه الكاتب أظهر مدى تعمقه في دراسة المخطوط حيث مكنته الدراسة من معرفة اللغة والمفردات العربية التي ترجمت أسماء النباتات الإغريقية². تدخل بعدها غيمون (GUMONT) وقدّم معلومات عن مدينة نيكوبوليس التي دمرت في سنة 499م دحض فيها الروايات التاريخية التي تحدثت عن مكانها في فلسطين بعد دراسة معمقة للمصادر الإغريقية والسريانية حيث استدل على وجودها في أرمينيا بآسيا الصغرى³.

قدم فاسيليف (VASILIEV) من جانبه ترجمة لكاتب عربي مسيحي في القرن العاشر الميلادي شغل منصب أسقف مدينة منبج السورية، من خلال مؤلف حمل عنوان " تاريخ البشرية من بداية الخلق إلى غاية زمن الكاتب " اقتنى الكاتب نسختيهما من مكتبة سينا بمصر ومكتبة فلورنسا خصّ الأحداث التي أرّخت لسقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس وعرض توتان (TOUTIN) نتائج أعماله حول الثقافة اللاهوتية المصرية من خلال الكتابات التي نشرت في مجلة المراسلات الهيكلية وعادت إلى القرن الثاني قبل الميلاد تطرق فيها إلى عبادة آلهة الإغريق في مدينة الاسكندرية المصرية نتيجة تواصل حضاري وثقافي مع أثينا دحض من خلالها فرضية استقدام الآلهة من قبل التجار، كما قدّم كريتشمير (KRETSEHMER) مداخلة

¹ Actes Du Congrès... T 2, op, cit, p68

² ibid, p 4

³ VASILIEV, « Grec et Orient » in R A ... op cit ... P 337

حول تشكل اللّغة المبتدلة في الفترة الهيلستينية لدى اليونان، اعتمد في تعزيز نظريته على تأثير لغتهم باللّغات المجاورة نتيجة إنفتاح حضارتهم على الشرق.¹ كما تحدث ناو (NAU) من جانبه عن زراعة البرتقال في اليونان اقتبسها من دراسة على مخطوط قديم عثر عليه في مكتبة باريس واستعرض كرومباشير (KRUMBACHER) تأثير العوامل الشرقية في الحضارة اليونانية وعادات- حسب نظره- إلى غزو الإسكندر الأكبر لهذه المناطق مكّنت الإمبراطورية اليونانية من احتلال مرتبة راقية في العالم القديم أثبتت على أساسه مدينة أثينا كمركز إشعاع فكري توارثته الإمبراطورية البيزنطية التي خلّفتها.²

- الرومان، الجمل العربي، والفنون الإسلامية:

عقدت جلساتها في متحف الجزائر تحت رعاية مدير المتحف غزال تدخل فيها غودشوت (GODCHOT) وقارن بين المستوطنات الرومانية القدية في إفريقيا والاستعمار الفرنسي في الجزائر وتونس - حسب رأيه - عاملت روما إفريقيا كأرض مستباحة لجنودها، أشار فيها إلى طول المدّة التي ناهزت أربعة قرون من الزّمن، استهلكها الرومان في بناء القلاع والحصون حول المدن لم تكن كافية لضمان بقاءهم في حين شيّد الفرنسيون ذلك في أقل من خمسة وسبعين سنة، أعاب على روما إقصائها للأهالي وإحكام سيطرتها على البلاد وما نتج عنه من ردّات فعل كانت سبب انهيارها، أضاف قائلاً: (... نحن لا نتحيز ضد أحد (عرباً أو بربر) على خلاف روما التي لم تعترف في يوم ما بحقوق سكان البلاد ... مثل الرومان لا بد من استعمار الأراضي واقتطاعها واستغلالها، ليس على نمط إقطاعي بدائي انتهى بفقدان إفريقيا وانهيار روما نفسها، بل على أسس جديدة...) كما سجّل ملاحظات على أخطاء الفرنسيين التي لم يكن من السهولة تفاديها متمنيا مستقبلاً آمناً للاستعمار.³

تحدث فلأمون ولوفبيير في مداخلة مشتركة عن دخول الجمل إلى إفريقيا واستخدامه من قبل المصريين حدّد المتدخلان تاريخ استقدامه من طرف الأشوريين بعد غزوهم لمصر في القرن السابع

¹ VASILIEV, « Grec et Orient » in R A ... op cit ..., P 338

² Acte Du 14 Congrès Des Orientaliste Ed : Ernest Leroux, T 1, Paris 1905, p 24

³ MARCAIS (W) « Archéologie Africaine et Art musulman » in R A, op cit, P 340

ق-م واستعرضا بعض الثُّعوت التي أطلقها عليه المصريون قديما، كرمز عداء وتوحش وقذارة " قذارة أعدائهم العرب رعاة الإبل.¹

تدخل روني باصيه واستعرض جهل السكان المحليين لهذا الحيوان إلاّ من خلال تسميته العربية على خلاف باقي الحيوانات التي استأنسها الإنسان (البربري) مثل الحصان والأغنام دَعَم باصيه حججه من خلال أحداث تاريخية شهدها المغرب القديم كالحروب البونيقية الأولى والثانية، -حسب نظره- لم يعرف الرومان الجمل إلا بعد غزوهم لآسيا الصغرى ضد أنطوخوس ملك الدولة السلوقية منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وتبعاً للكتابات اللاتينية التي استدل بها فإن الجمل لم يذكر إلاّ في حالات استثنائية ونادرة جدا وبقي على تسميته الأصلية إلى غاية جلبيه من قبل العرب. أعطى فلامون بعض خصوصيات الجمل العربي كالحمولة والتحمل التي أخذت من مصادر أثرية نقشت كتابها اللاتينية على الحجر ووجدت في الجنوب الوهراني والصحراء.²

تحدث جورج مارسلي من جانبه عن مسجد قرطبة بالأندلس واعتبره أوّل بناء شيّده المسلمون في اسبانيا بعد احتلالها، أشار إلى ثلاثة أشكال زخرفية زينت عمارته وتطرق إلى تصاميمه التي استعارها المسلمون نصّاً وروحا من الهندسة البيزنطية، تجلّت في الأعمدة والقباب والصوامع والأسوار المحيطة.³ قدّم الدكتور صير (SARRE) ورقة عن فن العمارة الإسلامية في بلاد فارس بناء على معاينة ميدانية عشر فيها على بقايا المعابد الأخمينية والساسانية، شرح طريقة هندستها وتأثيرها على فنّ العمارة الإسلامية أين شكّل القرميد عنصرا أساسيا في البناء، صفائح معدنية عاكسة من مختلف الألوان ولوحات مزخرفة من الفسيفساء، فنّ استقاه الفرس من البابليين والآشوريين والشعوب التي عبرت البلاد نحو آسيا الصغرى، عرض بعدها شروحا للعمارة الفارسية وصورا فوتوغرافية من النقوش عادت للحقب الإخمينية والساسانية.⁴

¹ Actes ..., T 2, op cit, p 63

² ibid, p 69

³ ibid, p 24

⁴ MARCAIS (W) « Archéologie Africaine et Art musulman » in R A ..., op cit ...p 342

3-4 - منشورات المؤتمر

أ- مجموعة المذكرات

وصل عددها إلى مائة وأربعين مخطوطا ترجمت ونشرت على هامش المؤتمر من طرف أساتذة المدرسة العليا للآداب بالاشتراك مع مدرسة اللغات الشرقية، توزعت مواضيعها بين التاريخ ، والآداب والبيبلوغرافيا والجغرافيا والفلسفة والفلكلور ونصوص عاجلت في مجملها تاريخ الجزائر والقضايا (الأهلية) من طقوس دينية ولغات (محلّية) ومعتقدات ومذاهب انتشرت في بلاد المغرب وضُمَّت أبحاثا بيبولوجرافية وتراجم كترجمة مخطوط "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس" لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، والذي ينتمي إلى الأسرة الفاطمية استعرض فيه الكاتب نسب حكام مدينة فاس في القرن العاشر¹ و"التشوق في معرفة رجال التصوف" لابن الزيات و"كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لأبي عبد الرحمن ابن خلدون² ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار لأبي الفضل السبتي المعروف بالقاضي و"أنس الفقير وعز الحقيير" للقاضي أبو النصر الأنصاري و"بغية الرّواة في طبقات اللّغويين والنحاة"³ و"الرّحلة العيّاشية" والذي طبع بفاس سنة 1316 هـ وقد ترجمه بيربروجر تحت عنوان "رحلة إلى جنوب الجزائر" و"المحاضرات" الذي طبع بفاس في 1317 هـ واعتبر من أمهات كتب المغرب.⁴

ب- النصوص:

- طقوس صلاة الاستسقاء عند المسلمين:

تحدّث الكاتب عن طقوس دينية شاهدها في مدينة وهران أثناء صلاة الاستسقاء أرجعها إلى ممارسات وثنية قديمة ناتجة عن تفكير جدّ متخلف شكل فيه الماء والنار والشمس أساس معتقدها.

¹ BASSET (R) « Recherches Bibliographiques Sur Les Sources De Salouat El Anfas » in Recueil De Mémoire

Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De

L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905 p 2

² ibid, p 5

³ ibid, pp 14-15

⁴ ibid, p 40

يعدُّ الماء لدى المجتمعات الصحراوية الجذباء التي تدافعت نحو منابعه حسب نظره سرّاً بقائها وهبة من هبات الرحمان ارتبطت على أساسه ثقافة مجتمعاتها الوثنية بوجود الإله الذي تتعبده، أعطى الكاتب مثالا تاريخيا على أحكامه وحججه بحادثة ماء زمزم قائلا: «... لا يمكن لأي شخص أن يرى منابع تلك المياه والآبار دون أن يرى إلى جانبها ضريح ولي صالح ، ففي تاريخ الأولياء نجد ثقافة شعوبهم كالتى دونتها كتب السيرة وقصص أسطورية تحدثت عن تدفق الماء من باطن الأرض بين رجلي- إسماعيل عليه السلام - مجتمعات رعوية جهلت أسباب تغيرات المناخ فالجذب عندها دليل على غضب الخالق استوجبت معه التوبة وطلب المغفرة بطقوس أسطورية (صلاة الاستسقاء) تعجب الكاتب متسائلا: إذا كان ذلك صحيحا كيف لإله يتعبده المسلمون أن ينزل عقوبة الجذب على كل البشر دون أن يستثني منها الأبرياء من الأطفال والنساء؟...»¹

وصف الكاتب صلاة الاستسقاء وكيفية أدائها والآيات التي وجب ترتيلها من قبل الإمام والأدعية التي يستحسن التوسل بها والأشخاص الذين توفرت فيهم شروط تأديتها، ووصل إلى استنتاجات وهي أن صلاة الاستسقاء ليست من عقيدة المسلمين بل طقوس وثنية ورثها محمد عليه الصلاة والسلام عن الجاهلية حيث كان عمه أبو طالب يقوم بها وتؤدي لغرض جلب الكلاء للأنعام وحماية للأرامل من الفقر والجوع.²

حاول الكاتب إصاق البدع بعائشة أم المؤمنين رضي الله من خلال سماحها التوسل بضريح النبي وفسح الطريق أمام قبره لعوام المسلمين وجهلتهم، استنادا على مخطوط "نزهة المجالس" وتوسل عمر بن الخطاب بالعباس عمّ النبي في عام القحط قائلا " اللهم إن بني إسرائيل كانوا يتوسلون بأنبيائهم وهم أقرب الخلق إليك أما وأن النبي قد اخترته إلى جوارك هاهو العباس أقرب الناس إليه دما تقدم جمعنا اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمامك أنزل علينا غيثا ولا تجعلنا من القانطين، دعا بعدها العباس متوسلا بالعودة إلى طريق الله القويم مستغفرا لخطايا العباد الضالين

¹ BELL (A) « Quelques Rites Pour Obtenir La Pluie En Temps De Sécheresse Chez Les Musulmans Maghribins » in **Recueil** ...op cit, pp 50-51

² BELL (A) « Quelques Rites... » In **Recueil** ...ibid p 56

وعليه جرت عادة أهل المغرب بالتوسل بالأضرحة¹ وهو نموذج في الاستخفاف بعقيدة المسلمين بإسقاطات لا علاقة لها بالبدع المستحدثة.

رداً على الكاتب: حتى ولو صحَّ اقتباسه لا يمكننا الجزم بأن العباس قد تم التوسل بشخصه وهو حي فالغاية في البدعة التي استحدثها الجهلاء في ما بعد، التوسل بالأموات لا الأحياء ولو تعلق الأمر بالنبي عليه الصلاة والسلام، فالصدق لمن وصفه الرسول بالصدق وهو حي والجنة بشر بها النبي بعض صحابته في حياته لا بعد وفاته، والعباس عمُّ النبي عليه الصلاة والسلام حضر الصلاة كغيره من المسلمين، وقول عمر بن الخطاب اجتهاد منه رضي الله عنه وهو من كان يتحرى بفراسته التي عرف بها أبواب الخير في وجوه الرجال وحتى الغلمان، فقد روي عنه طلبه من أحدهم وهو صغير الدعوة له وللمسلمين أملاً من الله في الاستجابة وهي من سنة المسلمين فلا تحقرن من المعروف شيء وساقها عمر رضي الله عنه من خلال ملاحظاته لأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام في حادثة الجارية التي رواها بعض الصحابة (إن الله رجلا لو أقسموا على الله لأبرهه منهم أنس بن النضر)² ومحتواها قسم الصحابي الجليل على الرسول ومنعه من إنزال عقوبة القصاص على امرأة كسرت ثنية جارية لها، على الرغم من وضوح النص القرآني (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)³ فأجاب الله دعوته وبرَّ قسمه بعفو أهل الضحية وهي خاصية أعطها الله لبعض المؤمنين في حياتهم لا بعد مماتهم، إكراماً لهم بإجابة سؤالهم وصيانتهم من الحنث ومدلول القسم في هذه المواضع يعني الدعاء وإبراره إجابته وتكون على حسب ثقة الإنسان في ربه إذ كثيراً ما كان يقدم رجال عرفوا باستجابة دعواتهم جيوش المسلمين لفتح قلاع الفرس وتكررت مع أنس بن النضر رضي الله عنه الذي لبَّى مُقرناً دعوته بالفتح مع دعوته أن يرزقه الله الشهادة استحياءً منه في جزاء على دعاءٍ قد يتكرر ولا يُرد وكان له ذلك، زيادة على هذا لا يمكننا مجازاة الكاتب في إسقاطاته التي دوَّنها بجهل أو بدونه في تحريف مواضع الكلم، فالعلم الذي قدره

¹ BELL (A) « Quelques Rites... » In **Recueil...**, op cit, 58

² صحيح مسلم، الحديث 2622

³ سورة المائدة الآية 45

الكاتب بتغيرات المناخ التي يجهل سبب حدوثها عند الأمم الرّعونية والتي تصادف حدوث أمر ما كحادثة إسماعيل عليه السلام وما جرى من تفجر الماء بين رجله الذي اعتبره الكاتب سخرية لا يتناقض البتّة مع قوانين الكون وطلاقة قدرة الخالق، فالبرق سيّاط الملائكة أثناء قيامها بزجر السحب، والرعد صوت الملك المكلف كما روي في الحديث الصحيح الذي نُجم بصدقه في سؤال اليهود للنبي عن الرّعد والبرق وهو التسليم نفسه الذي يقودنا إلى الإقرار بتفسير قوانين الطبيعة على أسس علمية، مفادها التقاء شحنات الكتل الكهربائية التي تخلفها تلك السحب فكان على الكاتب تحريّ أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام التي أفحمت عقول الغرب في كثير من مسائل العلم ناهيك عن مسائل العقيدة وأثبت العلم صحّتها بمرور الوقت عوض الاستهزاء بها مصداقا لقوله تعالى (سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)¹

- **حول انتقال صحيح البخاري إلى سكان مدينة الجزائر:** لمحمد بن أبي شنب وفيه قدّم الكاتب ترجمة للإمام البخاري ووصف الكتاب الذي ضمّ تسعة أجزاء وتناول أمور العقيدة والشرع والمعاملات، أجب عن كيفية انتقال هذا المؤلف إلى سكان مدينة الجزائر واستعرض أسانيد الحديث اعتمادا على ما تردد ذكره عند فقهاء المسلمين وعلمائهم، كالمقري صاحب كتاب "الإسناد في الحديث" وأبو بكر الرازي صاحب كتاب "المصباح المنير" والزمخشري "أساس البلاغة" الذي تمت ترجمته نقلا عن الرسول صلى الله عليه وسلم.²

- **عواصم (البربر):**

بدأ الكاتب بيرنار مقاله عن المدن وشروط تأسيسها السيّاسية والاقتصادية والاجتماعية اقتباسا من رأي فيدال دي لابلاش (DELAPLACHE) "لا يمكن تصور نشوء دُوَلٍ دون مدن تمثل قاعدة استقرار واستمرارية تعطي للمجتمعات المتحضرة صلابة الحجارة التي بنيت بها،³ وعن سكان الجزائر أضاف لم يكن البربر في يوم ما أسياد البحار ولم يشيّدوا مدنا على ضفافه فبالبحر ليس مكانهم المفضل لإقامة تجارة مع باقي المناطق المتوسطة الأخرى)، وصف الكاتب أساليبهم

¹ سورة فصلت الآية 53

² BEN CHANEB (M) « De La Transmission De Recueil Des Traditions De Bokhary Aux Habitants D'alger » in **Recueil ... Op cit, p 100**

³ BERNART (A) « les capitales de la berbérie » in Recueil ..., ibid, p 118

في الصيد البحري بأساليب الصيد لدى الإنسان البدائي، فيما مثلت القرصنة على سواحلها أساليب الغزاة وطرقهم المفضلة الأترك والمرزقة من المورسكيين ...تساءل الكاتبعن سرّ بقاء المغرب في دائرة الانغلاق مدة طويلة من الزمن، على الرغم من تواجده على هوامش الحضارات القديمة، ووصل إلى استنتاجات مفادها غياب مركز طبيعي مستقطبٍ لباقي المناطق المجاورة بقي فيه المغرب بلا نواة حقيقية نتيجة تقطع أقاليمه الجغرافية بين جبال حرمة من التواصل وانكشاف أراضي الجزائر أمام الغزاة، إضافة إلى عدم معرفة (البربر) أساليب ركوب البحار ومن ثم استحالة بناء كيان قوي على مدى العصور التي توالى على نشأتها.¹

أضاف الكاتب نماذج لمحاولات سعت فيها الجزائر الى تأسيس عواصم لدولها في الدّاخل على غرار تيهرت ولكنها فشلت في استقطاب مناطق الساحل فعلى الرغم من نجاحها في استقطاب المناطق الداخلية وقفت جبال الأطلس التلي حاجزا أمام ذلك التكتل السياسي.² قام بعدها الكاتب بوصف مدينة سطيف التي تأسست في القرن الأول الميلادي على يد نيرفا (NERVA) واكتسى تعميرها أبعادا ديموغرافية ابتداء من القرن الثالث الميلادي، أعطى الكاتب للمدينة خصائص طبيعية ومناخية اختلفت عن مدن أخرى كقسنطينة، استعرض موقعها وعلوها الذي فاق ألف متر فيما تميزت سهولها بالرتابة والاستواء، إلّا أنه أكّد على صعوبة اتصالها بالبحر لوقوف جبال البابور حاجزا أمامها وشكّل مناخا البارد الذي منحها كميات من الثلوج احتفظت به قمم جبالها العالية على مدى شهور طويلة من السنة، توسط الإقليم أراضٍ شاسعة استغلّت في زراعة الحبوب على تخوم بلاد القبائل المعروفة بإنتاج الزيتون والفواكه، أكسبها ذلك صبغة تجارية أضيفت إلى مكانتها الإدارية فهي سوق مفتوحة على قسنطينة وجيجل بجاية والحضنة ولومباز.³

وعليه أعطى الكاتب وصفا مونوغرافيا استخدم فيه علم الجغرافيا في تفسير الأحداث التاريخية والظواهر الاقتصادية والعلاقات التجارية، أسقط عليها أبعادا حضارية أقصت سكان

¹ BERNART (A) « les capitales de la berbérie » in Recueil op cit, p 120-121

² ibid p125

³ Ibid, p 128

الجزائر، فيما برّر فشل الرومان والقرطاجيين في إدماج (البربر) ودفعهم للتخضر نتيجة الطبيعة المتمردة وعامل النفور الذي فُطر عليه الجزائري منذ عصور.¹

تركزت الحضارة في المناطق الشرقية دون الغربية منها، فموريتانيا القيصرية كانت أقل تحضراً من موريتانيا البروقنصلية" أشار إلى تعرض الحضارة القديمة لتقويض خلال القرن السادس الميلادي سببه هجمات الغزاة الوندال والعرب وهو رأي توافق مع آراء بقية المؤرخين عكس صراعا جغرافيا مستداما قائماً بين الشرق والغرب، قاوم البربر من خلاله حكم العرب للتخلص من الضرائب والزكاة، وحاولوا إقامة إمارات خاصة بهم على طول امتداد بلاد المغرب لكن وضعهم الاجتماعي والديني حسب رأيه لم يكن كافيا للخروج من دائرة التبعية للمسلمين واعتناق الدين المسيحي من جديد.²

في نظر الكاتب احتل الأسياد الجدد لإفريقيا المدن القديمة - في إشارة إلى العرب الفاتحين - لكن مراكز القوة التي اتخذها هؤلاء كعواصم لهم، لم تكن على السواحل بل في دواخل البلاد كالقيروان، أرجع السبب الأول إلى مخاوف من غزو يأتيهم قبل البحر، والثانية انسجاما مع بيئة جغرافية صحراوية ومواطن اعتبرها منطلق غزواتهم - في إشارة إلى الجزيرة العربية- لكن لجوئهم إلى تأسيس عواصم داخلية- حسب نظره - لم يقيهم من هجمات (البربر) وانتفاضاتهم المتكررة.³

- منطقة العديني:

تناول الكاتب منطقة العديني في القبائل الكبرى وأشار إلى خمس قرى هي الجمعة وأغادير بشعشاعة ومستيقة وثارامينث وصف فيها جغرافية الكونفدرالية وديموغرافية سكانها، منطقة تربعت على مساحة قدرت بخمسة عشر كلم مربعا استوطنتها غالبية مزارعة اشتغلت على زراعة التين والزيتون والحبوب بكميات معاشية محدودة لا تكاد تؤمن قوتهم وصف الكاتب حياة السكان التي خلت من مظاهر الحرفة والتجارة زادها ضنكا قانون الأهالي الذي أصدرته السلطات الاستعمارية في 1871م وتضمن في بنوده ضرائب ثقيلة فرضت على أراضيهم.⁴

¹ CAT (E) : *Essai Su La Province Romaine De Mauritanie Césarienne*, Ed : Ernest Leroux, Paris 1891 p 162

² GSELL(S) : *L'Algérie Dans L'antiquité*, Ed : Mustapha Editeur Photographeur, Alger, 1900, p 143

³ BERNART (A) « Les Capitales... » in *Recueil* ..., op cit p 130

⁴ BOULIFA (Said) « Le Kanoun D'adni » in *Recueil*..., ibid, p 151

-ترجمة ابن وابنة الملكة:

ساق الكاتب قصة مقتبسة من التراث الشعبي القبائلي، تحدثت فيه عن علاقات اجتماعية داخل قصر الملك بأسماء متداولة في المنطقة.¹

- الخطاب المضحك أو احتفالات الطولية في المغرب:

وهي احتفالات تشابهت إلى حدٍ بعيد بطقوس مارسها الأوروبيون في القرون الوسطى الخُطبة مزيج من العبارات الدارجة مع بعض المفردات الفصحى والنصوص القرآنية، أقيمت بمدينة فاس على جمع من الطلبة المتخرجين في حضور الملك، منحت فيها الجوائز وشهادات الكفاءة وقدم فيها أمين الطلبة إلى سلطان المغرب أنواع ألبسة تمثلت في برنس وطاقية وهندام تقليدي وحظى بتلقي جوائز قدرها الكاتب بمائة وخمسة وتسعين فرنك فرنسي، لم تكن محل استحسان أمين الطلبة الذي استشاط غضبا من شحّ الجوائز التي قدّمها السلطان واحتج على طريقته الخاصة حيث طلب مزمارا وطاقية شمس " المظل " رمز سلطة السلطان، وألقى قصيدة جمع فيها عبارات السخرية على الزردة المتواضعة التي أقيمت لطلبة العلم المتخرجين،² والمغزى من هذه الاحتفالات إعطاء لمحة عن الأدب الساخر الذي ساد المنطقة.

- ترجمة نص عربي ملغاشي بلهجة شرقية جنوبية:

ترجم الكاتب مخطوطا غير مؤرخ وغير محدد مكانه، عثر عليه بالمكتبة الوطنية في باريس احتوى على أربعة وسبعين صفحة وكتب بأبجدية عربية وبجبر محلي على ورق الفلاكور، استخدم المؤلف في رسم حروفه الخط الكوفي بدت فيه مضخمة وافتقدت إلى الفواصل المنظمة للكتابة حقق المترجم في المخطوط وتتبع مصادر كتابته من خلال مقارنة بينه وبين غيره من المخطوطات أوصلته إلى تحديد تاريخه ومكان كتابته التي عادت إلى القرن الأول الهجري احتوى المخطوط على نصوص دينية باللغتين العربية والملغاشية اقتبست من القرآن الكريم، كما دوّنت على صفحاته أسماء الله الحسنى ومفردات محلية استخدمت للتواصل بين سكان المنطقة تضمّن المخطوط بعض المواعظ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه نقلا عن رِوَاة الحديث، حتّى فيها

¹ DESTING (E) « Le Fils Et La Fille Du Roi » in **Recueil**, ...op cit, p 189

² DOUTTE (E) « Le Khot'ba Burlesque De La Fete Des Tolba Au Maroc » in **Recueil...ibid**,p 197

على طلب العلم الذي قرنه بالحياة " الناس موتى وأهل العلم أحياء " ووصفه كبحر ليس له قاع وسلاح وأداة للحكم والغنى، لا ينشأ من جهل كما الحطب لا يمكن له أن يأتي من النار والإنسان في غنى وعافية مادام في ذمّة الله يؤدي صلواته، كما ذكر آدابا اعتاد عليها خصّت المعاملات مع الناس والقضاء بينهم.¹

– سلوكيات ماسيبسا من خلال ما كتبه المؤرخ SALUSTE

بدأ الكاتب مقاله بتحديد نسب يوغرطة والذي اعتبره ابنا غير شرعي لمستنبل ابن ماسينيسا، تفرّدت شروط تربيته وامتازت بخصوصية عن أقرانه من أبناء الأخير، وموت ماسينيسا أراد ماسيبسا أن يكون ليوغرطة حظ في الحكم مثل باقي أبناء الأسرة، واستطاع يوغرطة بفضل شجاعته وقوته الذهنية والبدنية من تحقيق غرضه المنشود كأمر بربري أظهرها خلال حملة عسكرية قام بها الرومان كقائد لقوة (بربرية) رديفة نال على إثرها إعجاب القائد الروماني الذي أوصى في رسالة بعث بها الى ماسيبسا، ضرورة استخلاصه وليا على عرش المملكة وبعد موت ماسيبسا عين أميراً كباقي الأمراء الآخرين.

ذكر الكاتب الأحداث التاريخية التي سردها سالوست (SALUSTE) وتساءل عما إذا كان الأخير بصدد إعادة كتابة التاريخ بشكل صحيح من منظور الوقائع؟ وماهي الشروح التي أضافها المؤرخ للأحداث؟ وكيف تصرف ماسيبسا بهذا الشعور خلافا للعرف المعمول به لدى الأسرة؟ وما سرُّ هذا الإصرار على تعيينه أميراً؟ قرأ الكاتب ذهنية ماسيبسا اعتمادا للواقع الجديد الذي طرحه يوغرطة أميراً ملك مقومات الذكاء والقيادة والطموح وشعبية في أوساط (البربر) حققت له استقراراً في الحكم أدار فيه المشهد السياسي بشكل ذكي شابه الكثير من المراوغة والخداع وقدّم خدمات كان من ورائها كشف مقدرته على الحكم دون توضيح غرضه في مقابل آمال محيية لباقي أفراد الأسرة، انتقص الكاتب من استشراف الملك النوميدي لشخصية يوغرطة الذي وصفه بالمبالغ فيه كونه لم يكلف أحداً بالتحقيق في سلوكياته لمعرفة طموحه خلال مدّة حكمه²

¹ FERRAND (G) « Un Texte Arabco – Malghache En Dialecte Sud Oriental » in **Recueil...**, op cit, p 222

² FOURNIER (A) « Le Caractère De Macipsa Dans Salluste » in **Recueil...**, ibid, pp261- 262

أشار الكاتب إلى فراغ سياسي تمثل في غياب وريث للعرش اعتبره عاملاً ساعد يوغرطة في الوصول الى سدّة الحكم فماسبيسا لم يكن له أولاد مما جعله يقرب يوغرطة كما لو كان ولياً لعهد، زيادة على مرضه المزمن والذي أتاح للأخير حرية التصرف وإدارة الحكم داخل القصر لذا كان أمر استخلاف أحد أولاده فيما بعد أمراً بعيد المنال، (فالبربر) الثائرون دوماً على سلطة ملكهم لم يعرفوا قوة ردع أخضعت تمرداتهم غير قوة يوغرطة.¹

والنص على ما اشتمله من أحداث استقاها الكاتب من المؤرخ الروماني سالوست في كتابه يوغرطة، تضمنت في مقابل ذلك خلطاً كرونولوجياً شكل فجوة تاريخية فبين رسالة القائد الروماني التي أرسلها لماسبيسا وتاريخ تعيين يوغرطة وريثاً للعرش، مدة قاربت إثنى عشر سنة لا يمكن لأي مؤرخ مجتهد سدُّ فراغاتها.

– علاقة الدين بالسياسة من خلال نصوص ابن رشد.

تناول فيه الكاتب دراسة مخطوط لابن رشد حمل عنوان " فصل المقال وتقرير ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال " عثر عليه بالمكتبة الخديوية بالقاهرة، ونسخة أخرى مشابهة له بمكتبة دورونبورغ، (DERENBOURG) فقارن الكاتب بين النسخ المطبوعة والمخطوط الأصلي من حيث الشكل والمحتوى.²

– الواحات الصحراوية.

استعرض فيه الكاتب موقع الواحات الصحراوية، حدد طبيعتها الجغرافية وتوزيعها على مناطق الجنوب الكبرى، عيّن حدودها وروافد وديانها كواد الساورة، كما استعرض أساليب استغلال أراضيها من طرف السكان المحليين.³

– مساحة الاحتلال القرطاجي لإفريقيا.

تناول فيه الكاتب دخول القرطاجيين إلى إفريقيا والتزامهم حسب المؤرخ جوستان (JUSTIN) بدفع جباية للسكان المحليين مقابل إقامتهم في بلاد (البربر) استعرض الكاتب تنصل القرطاجيين من إلتزاماتهم وعودتهم إلى دفعها في نهاية القرن الخامس ق-م.

¹ FOURNIER (A) « Le Caractère De ... » op cit, p 263

² GAUTHIER (L) « Accord De La Religion Et De La Philosophie Traité D'ibn Rochd » in **Recueil** ... ibid, p 270

³ GAUTIER (E) « Les Oassis Saharienne » in **Recueil** ... ibid, p 319

حدّد الكاتب مساحة قرطاجة اعتمادا على الوثائق الرومانية للمؤرخ سترابون (STRABON)، أشار إلى محاولة الفينيقيين ضمّ سواحل شمال إفريقيا وإلحاق مدنها باحتلالهم وهي المدن التي استوطنها التجار القرطاجيون كوهران والجزائر أعطى لها الكاتب نمطا اقتصاديا مستقرا قائما على تبادل تجاري على خلاف الأراضي الأخرى التي كانت تحت سيطرة (البربر) وتميّزت بتمرداتهم وانتفاضاتهم المتكررة¹

حدد الكاتب مساحة قرطاجة استنادا على معطيات تاريخية قدّمها المؤرخ الروماني أبيين (APPIEN) شكّلت حسب رأيه نصف مساحة ليبيا ورثها الرومان بعد تدميرهم لها في القرن الأول قبل الميلاد امتدت من طبرقة غربا إلى باجة شرقا ومن تستور إلى سليانة جنوبا أي من جبل زغوان شرقا إلى حدود صفاقس غربا. أسقط منها الموانئ والمرافئ والمدن التي شيدها القرطاجيون على طول الساحل والتي لم تكن حسب نظره إلاّ مدنا اكتسبت صفة الملحقات أو محطات تجارية حاولوا تأسيسها للتواصل بحرا مع أوروبا ووضعها كقواعد لوجستية أثناء الحروب البونيقية الأولى والثانية.²

أراد الكاتب من وراء المقال حصر جغرافية القرطاجين على أرض افريقية في مدينة تونس كما أراد في نفس الوقت حصر أنشطتهم في علاقات تجارية بينها وبين قبائل عرفت بهجراتها وعدم استقرارها ومنه التسويق لشرعنة تواجد الغزاة الرومان من بعدهم.

– الأسماء ذات الدلالة السامية والمحلية في القاموس المصري:

تطرق الكاتب إلى تأثير الأسماء المتداولة في اللّغة المصرية القديمة باللّغات السامية للشعوب المجاورة لها نتيجة الغزو الذي تعرضت له أسقط الكاتب تأثير اللّغة المحليّة في الجزائر بلغات ولهجات شعوب إفريقية قدّمت من جنوب الصحراء كالهوسا واللّغة الصومالية ولغة بلاد الغال من الشمال دعّم حججه بأمثلة لبعض الأسماء في اللّغات السامية القديمة والتي تم تداولها بشكل واسع في بلاد المغرب قارن بين مدلولها اللّغوي وبين اللّغة الأصلية نطقا وكتابة وأجرى مقارنة بين

¹ GSELL (S) « Entendue De La Domination Cartaginoise En Afrique » in **Recueil**, op cit, p 317

² Ibid, p 320

بعض المفردات ذات المدلول الواحد وكيفية نطقها بين أمكنة عديدة أضاف لها تأثير الجغرافيا على اللُّغة.¹

- ملاحظات حول قاموس عربي فرنسي لمارسيليان بوسبي MARCELIN BEAUSSIER:

أجرى الكاتب في مقاله مقاربات على مفردات متداولة في الجزائر ومايقابلها نطقا وكتابة في بعض أرجائها ، أعطى الكاتب أمثلة هي " من أجل " في اللُّغة العربية الفصحى تتحول إلى "على جال " في لهجة الجنوب الوهراني و " أخوات " بالجمع يقابلها " خواتات " بالثنى ولهما مدلول واحد و "أي شيء هو " يقابلها " أش نو " و " إمالا " تقابلها بالفرنسية " " Donc En Conséquence " و " ببوش " أي الحلزون وتعني باللُّغة الاسبانية " Baboso " " الكسكس " وهي كلمة (بربرية) وتعني "بركوكس" في اللُّهجة العاصمية والتلمسانية " بس " أي فقط " باللُّغة الفرنسية " Seulement " وهي كلمة فارسية " ينابير " وتعني شهر جانفي " والنابير " كلمة (بربرية) " ومن خلال هذا التحقيق اللُّغوي في أصل الكلمات توصل الكاتب إلى نتيجة مفادها ضعف المفردات اللُّغوية المغاربية فالكلمات التي ليس أصل عربي منتشرة بكثرة، وتتأثر بلكنة تركية أو بربرية أو رومانية على حسب رأي دووتي، (DOUTTE) وعن مصطلحات الزراعة والصناعة والملاحة وغيرها فهي أجنبية أوروبية بامتياز، لا نجد لها شرحا في اللُّغة المتداولة بل نقلت بشكل محرف عن أصلها الأجنبي من المجتمعات الناطقة بها تبعا لمعطيات بيئية جغرافية.²

ثانيا- جامعة الجزائر.

ظلت المدارس العليا كاملة الصلاحية في الجزائر محل انتقاد دائم، ودخلت المناقشات حول جدوى وجودها بين من رأى ضرورة أن يتخذ التعليم مسارا مهنيا تفرضه الظروف الاقتصادية المحيطة بواقع المستوطنين في المستعمرة، وبين من رأى ضرورة اتخاذه مسلكا تعليميا أكاديميا عالي المستوى على غرار المعاهد والجامعات المنتشرة في الوطن الأم (المتروبول). سعى كل طرف إلى محاولة استقطاب فعاليات سياسية وجموعية للدفع باتجاه تعزيز مواقفه وكان السؤال الأبرز طيلة

¹ LEFFEBURE (E) « Les Noms D'apparence Sémitiques Ou Indigenes Dans Le Panthéon Egyptien » in **Recueil**
Op cit, p 389

² MARCAIS (W) « Quelques Observations Sur Le Dictionnaire Pratique Arabe Français De Beaussier » in
Recueil ...ibid, p 410

العقد الأول من القرن العشرين، هل ستظل المدارس التحضيرية العليا في إطارها المحلي تلبية رغبات المعمرين أم تتطور إلى جامعات وتصبح موطنًا لثقافة عالية؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما طبيعة التعليم الجامعي الذي يراد إنشائه في الجزائر؟ وهل سيحظى باستقلال علمي وبحثي يتلاءم أكثر فأكثر مع بيئتها كما كان الشأن بالنسبة إلى الاستقلال المالي الذي انتزعه المستوطنون سنة 1900م؟ وكيف سيتم التعامل مع النخبة المتعلمة من الجزائريين في ضوء مؤهلات وشهادات كفاءة تمنحها إدارة الجامعة تكون بمثابة صك اعتراف أكاديمي لأفكار ذات بعد ثقافي وتاريخي ربما هددت وجود الاحتلال؟

وهل كان الرأي العام الفرنسي في وارد تقبل تعليم عالي في الضفة الجنوبية من البحر المتوسط يكون بمثابة أرضية لنشوء جيل جديد من المستوطنين تلقح بواقع الأفكار التي اكتسبها في المستعمرة وبالتالي خوض معركة مع مستوطنين جدد، لا يحملون بصمة فرنسا الأم؟ تماشيا مع الرأي القائل "أفكار اليوم أفعال الغد".

1- ظروف تأسيسها

عرفت المدارس التحضيرية العليا بين سنة 1900م -1903م أزمة في التمويل والتسيير كان سببها شح الموارد المالية الناتجة عن نقص المداخيل من منتج الكروم واقع استغلته النيابات الجزائرية في الدّعوة إلى تحجيم المدارس والتقليل من ميزانيتها، أمام هذا الوضع بعث وزير الأشغال العمومية التي كان يشرف على التعليم رسالة إلى الحاكم العام أطلعه على رغبته في ترقية المدارس التحضيرية للطب والعلوم والحقوق والآداب إلى جامعة أكاديمية على غرار ما كان موجود داخل فرنسا الام (المتروبول) قبلت النيابات المالية في الجزائر مشروع الترقية وفي السنة الموالية تشكلت لجنة من الأعضاء هم: ليار (LIARD) وأبال (APPEL) وبارتيليمي (BARTHELEMY) وشايلي (CHAILLEY) خرجت بتوصيات صبّت في صالح إنشاء جامعة جزائرية، وتم الطلب من المجالس النيابية تخصيص ميزانية لها، حيث أقرّ المشروع من طرف مجلس النواب في 30 ديسمبر سنة 1909م¹

¹ AIT SAID (R) « L'histoire De L'université D'alger (1909-1962) » in Les Annales De L'université D'alger

إنَّ مسألة اقتراح جامعة استعمارية في الجزائر، لم تكن بالمسألة البسيطة في ظلِّ وجود معارضة مثلتها شخصيات نافذة داخل فرنسا نفسها، عملت على إسقاط المشروع ووأده في مهده، تمثلت أسباب الرفض في مخاوف المستوطنين أن تتحوَّل الجامعة إلى قطب معارض لسياسة فرنسا ومصالحها داخل المستعمرة، يمكن أن يؤدي إلى تراخي قبضتها أمام طموح المستوطنين وجشعهم اللامتناهي يقول الأستاذ الدكتور ناصر الدين سعيدوني: (... لم تكن ولادة جامعة الجزائر سهلة أو ميسرة ولم يتخذ قرار بشأنها إلا بعد أن اقتنعت السلطات الفرنسية بالجزائر بضرورة إنشاء مؤسسات علمية تعمل على تحقيق أهدافها الثقافية ومخططاتها الاستعمارية المسخرة لخدمة المجتمع الأوروبي وبعد تقديم ضمانات للأوساط المتحفظة والداعية إلى إلحاق الجزائر ثقافيا بفرنسا والتي كان يتزعمها النائب الفرنسي عن عمالة الرون المعارض لفكرة فتح جامعة الجزائر...) ¹

بدأت أزمة الاكتظاظ داخل قاعات التدريس مع سنة 1912م نتيجة نقص المخابر فاشتغلت السلطات الاستعمارية على بناء مدرِّج محاضرات وقاعات ومخابر كمخبر الدِّراسات الفلسفية ومخبر اللِّسانيات وتاريخ الفن والعمارة وغيرها في مشروع طموح ألحقت به مكتبة مركزية ضمَّت عددا كبيرا من المؤلفات توزعت على مختلف التخصصات أتاح المجال للقراء من طلبة الجامعة والمهتمين بشؤون المستعمرات في إفريقيا من استكمال أنشطتهم البحثية كم تم إنشاء غرف إقامة للطلاب بجوار ثانوية بن عكنون في نواحي الجزائر، ضمَّت كل عمارة منها حوالي ستين غرفة وصل مجموع الطلاب المقيمين فيها إلى خمسمائة طالب. تزامن ذلك مع توسعة ضخمة تم فيها استحداث تخصصات جديدة في كلية الآداب منها الاثنوغرافيا وأثار ما قبل التاريخ في إفريقيا الشمالية وتاريخ العرب والحضارة الاسلامية، والآثار الاسلامية والتاريخ الحديث لإفريقيا وجغرافية الصحراء وإفريقيا، إضافة إلى الدِّراسات الشرقية واللغة العربية والآداب العربية والفلسفة الإسلامية واللُّغة والحضارة (البربرية) التي ألحقت بها معاهد قسنطينة وتلمسان، كما اشرف بعض الاساتذة على تدريس العربية الفصحى والمبتدلة (الدارجة) ومواد خصت الدِّيانة الاسلامية في إفريقيا

¹ سعيدوني (ناصر الدين) في الحراك الثقافي والتفاعل الفكري، ط 2، البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر 2013 ص 11

الشمالية¹ أما تخصص اللغات والآداب القديمة فقد أشرف على تدريسه أوغيستان برنار (AUGUSTIN BERNARD) من سنة 1910م إلى غاية 1929م، وأرنو (ARNAUD) من 1920م إلى غاية -1937 م وتخصص جورج إيفير (YEVER) في تدريس مادة تاريخ شمال إفريقيا المعاصر منذ سنة 1910م، وتخصص جون الأزار (ALAZART) في تدريس التاريخ الحديث وتاريخ الفن ابتداء من سنة 1929م، أما تاريخ إفريقيا القديم الذي استحدث سنة 1910م فقد توالى على تدريسه كل من استيفان غزال (GSELL) من 1910م إلى 1911 م² وجيروم كاركوبينو (CARCOPINO) من 1912م إلى غاية 1920 م وأوجين ألبرتيني (ALBERTINI) من 1920م إلى غاية 1932م وتخصص اثنوغرافيا وآثار ما قبل تاريخ إفريقيا الشمالية والذي أشرف على تدريسه ابتداء من سنة 1927م موريس رايقاس (MOURICE REYGASSE) وتخصص آثار إسلامية والتي استحدثت بقرار 19 أكتوبر 1919 م وأشرف على تدريسه جورج مارسى (GEORGE MARCAIS) وتخصص حضارة إسلامية والذي استحدث في سنة 1910م وأشرف على تدريسه دوتي (DOUTTE) من سنة 1910م إلى سنة 1919م وهنري باصيه (BASSET) من 1919م إلى 1926م وتخصص لغات وحضارة بربرية الذي استحدث في 1930 م وشغل منصب التدريس فيه أندري باصيه (BASSET) والآداب العربية والفارسية التي استحدثت في 1910م وأشرف على تدريسها فاغنون (FAGNON) من 1910م إلى 1919م و هنري ماصيه (MASSE) من 1919م إلى 1932 م³

كرّست الإدارة تبعية المؤسسة الجامعية للمشروع السياسي الاستعماري الذي يراد تجسيده في المستعمرة، أشرف المعمرون على تغطية احتياجاتها المالية فيما تكفل الحاكم العام بمراقبة مشاريعها البحثية وأنشطتها العلمية تركزت في مجملها على تحقيق أهداف استعمارية بحتة

¹ GSELL Et Autres : **Histoire Et Historiens** ...op cit ...p 380

² MONCEAUX (P). GSELL(s), MARÇAIS (G) et. YVER (G) « Histoire d'Algérie » in J S, Avril 1929. p. 185

³ LASTRAJOLI (Madiana Debyes) : **L'enseignement Supérieur En Afrique Du Nord**, Naissance De L'université D'Alger, L'école Des Lettres Et Science De Lumière Avec Histoire Des Chaires Et Matières D'enseignement De La Faculté 1958- 1959 gant ; version numérique n°80 4eme trimestre, 2002 (www.alger-roi.fr/Alger/facultes/textes/3-ecole-lettres-gamt80.htm)

ساعدها في ذلك قريها من مقرّ الحكومة والمكتبة الوطنية¹ والدليل إقدام إدارة الجامعة بأمر مباشر من الحكومة العامة على إلغاء تدريس تخصص (اللُّغة العربية كلغة حضارة) في إطار الاصلاح العلمي دون ذكر سبب الإلغاء ما اقتضى منع نشر مقالاتها في مجلة الجامعة ، بررته السلطة الاستعمارية في وقت لاحق بمنع تأثير الأفكار التحررية المشرقية التي تزامنت مع صعود المدّ القومي العربي وتياراته الاستقلالية في بداية القرن العشرين.²

2- ميزانية الجامعة.

توزعت ميزانية الجامعة بين تغطية أجور فريق التدريس ومنح مالية لمشاريع الأبحاث العلمية بعد مناقشتها في اجتماعات دورية ضمّت عمداء الكليات الأربع، من أمثلة ذلك الاجتماع الذي عقد بتاريخ 12 مارس 1913م، وتمت المصادقة فيه على منح البحث العلمي المتعلقة بنشاط الجامعة، قدّمت فيه الإدارة مبلغ خمسمائة فرنك للباحث في علم النبات بكلية العلوم عن الأعمال التي قام بها في تصنيف الحبوب من مادة الشعير، وأربعمائة وخمسين فرنك غلافًا ماليًا لتغطية الأبحاث المستجدة وقتها في علم الطفيليات بكلية الطب، مع استحداث منصب مالي مخصص لمساعد مدير حديقة النبات للتجارب أما الاجتماع الذي عقد بتاريخ 26 أبريل 1913م، فتقرر فيه استحداث تخصص القانون التجاري والاقتصاد السياسي مع اعتماد ميزانية لها تبعا للطلبات المقدمة من طرف كليات الجامعة بين 1915م-1919م وكانت كما يلي :

كلية الحقوق ثمانية عشر ألف ومائتي فرنك فرنسي، كلية الطب والصيدلة أربعة وستون ألف فرنك فرنسي، كلية العلوم ستة وأربعون ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعون فرنك فرنسي، كلية الآداب تسعة عشر ألف وتسعمائة وخمسون فرنك فرنسي، أمانة الجامعة ألفان ومائتان وخمسون فرنك، ما مجموعه مائة وخمسون ألف وسبعمائة وخمسة وسبعون فرنك فرنسي.³

¹ DEPREST (Florence) : **Le Collège de France en situation coloniale Autour de quelques chaires (fin XIX^e-début XX^e siècle)**, Ed : Les Belles Lettres, Paris 2017, p 197

² MESSAOUDI (Alain) « Les études arabes dans l'Université française en contexte colonial (1800-1950) » in **I B L A** n° 197, janvier 2007, p 30

³ Revue de l'Enseignement Supérieur « Séance de 12 mars 1913 » in **Annales Universitaires de L'Algérie**, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 années. 1913 p 140-141

3- الحويلة العلمية لكلية الآداب

1-3- المنشورات التاريخية.

قررت كلية الآداب نشر مجموعة من النصوص والتراجم في سنة 1913م، تعلقت في مجملها بتاريخ وجغرافية واثوغرافية شمال إفريقيا، خصصت لها ميزانية على عاتق الحكومة التي تكفلت بتغطية تكاليف النشر، قدمت الأعمال لمجلس الجامعة الذي تشكل من روني باصيه عميد كلية الآداب واستيفان غزال أستاذ المدرسة الفرنسية وكاركوبينو وبرنار وغوتيه وجورج ايفير أساتذة معهد اللغات والآداب بجامعة الجزائر، مُنحت له كامل الصلاحيات في تمرير الأبحاث والمصادقة على نشرها ودفع مستحققاتها المالية للباحث المؤلف،¹ احتوت على مقالات خاصة بتاريخ الجزائر وأبحاث بيلوغرافية وتراجم وأحداث تاريخية وسير شخصيات صنعت الحدث ارتبط تاريخها بتطور الجزائر.

نشر جورج ايفير تعليقا على شخصية ميكيايلي من خلال كتاب " عيوب نيكولاس ميكيايلي للكاتب جون دورتواف (JEAN DUHRETOIV)² ومقالات عن " القراصنة " لهنري مالو (HENRI MALO) تطرق فيه إلى موقع مدينة دنكرك التي اعتبرت محط أنظار القراصنة نظرا لأهميتها الاقتصادية المتمثلة في مينائها الاستراتيجي.³ كما قام أيضا بالتعليق على كتاب لأوجين دوفالان (EUGENE DEFUALGNE) الذي تناول شخصية الرسام والشاعر غابريال بوكيي (GABRIEL BOUQUIER) (1739 م - 1810 م) وهي وثائق غير منشورة اقتبست من الأرشيف الفرنسي عن الثورة وتاريخ الفن في القرن الثامن عشر، أين عكس الرسام في نظر من قام بالترجمة له الأفكار والمشاعر الثورية التي حملها معه خلال ثورة 1789م كما أبرز المؤلف من خلال كتابه ثورة الفن والسياسة في المرحلة المذكورة⁴ كما قدم تعليقا عن كتاب " نابليون نصوص مختارة " لأوجين غيون (EUGENE .GUILLON) طرح فيه الحياة الفكرية والأخلاقية لفرنسا خلال القرن التاسع عشر من خلال شخصية نابليون بونابرت، حيث وفق الكاتب في

¹ « Revue De L'enseignement Supérieur, Conseil De L'université » in **Annales...** op cit ...p 68-69

² YEVEVER (G) « La disgrâce de Nicolas Machiavel. Florence (1469-1527) » **Annales...** ibid, p 80

³ YEVEVER (G) « MALO (Henri) les corsaires, » in **Annales**, idem, p 81

⁴ YEVEVER (G) « DEFRANGE. (Eugène) La Conversion D'an Sans-Culotte. - Gabriel Bouquier. - Peintre, Poete Et Conventionnel (1739-1810) » in **Annales**, ibid, p 82

تقديم الوثائق بطريقة موضوعية وهي دراسة تاريخية استحقت الإشادة حسب نظر من قام بالترجمة له¹ كما نشر تعليقا على ترجمة لآندري سبير (SPIRE) حول أحد اليهود يدعى جاويش من خلال سعيه لتأسيس وطن لليهود في فلسطين من خلال منظمة المناطق اليهودية التي التي كان ينشط باسمها،² وقدّم ترجمة لألفريد بيل من كتاب بن خلدون حول أبو حمو موسى الثاني أحد ملوك بني عبد الواد نشر باللّغة العربية سنة 1911م تناول فيها شخصية الملك وتقلباته السياسية التي توزعت بين حصار ونفي وحروب مستمرة مع السلطان المريني أبو عنان حارب فيها بدون هوادة المرينين والقبائل العربية وملوك بجاية اشاد الكاتب بانتصاراته في مقاطع شعرية اقتبسها من بعض القصائد³

كتب بيير مارتينو (MARTINO) تعليقا على نص نشره إميل فاغيي (FAGUET) حول شخصية جون جاك روسو من خلال كتاباته التي دونها في نصوصه الفلسفية أعطى الكاتب شروحا تفصيلية لها حملت بصمة واقعية مؤثرة في الأجيال - على حد تعبيره -⁴ كما نشر أيضا تعليقا على كتاب جون دي غوغني " (DES GOGNET) الحياة الخاصة لألفونس دي لامارتين (LA MARTINE) من خلال مذكراته ورسائله الشخصية غير المنشورة وهي أعمال سير ذاتية عكست - حسب رأيه - مشاعر أخلاقية دقيقة للغاية⁵ ومن جهته نشر غوستاف مارسسي (MERCIER) مقالا تحت عنوان " مسألة الأهالي إصلاحات يجب إكمالها " تحدث فيه عن تمهيش الجزائريين من قبل الإدارة الفرنسية الذين اعتبرتهم أداة مستغلة من قبل المستوطنين سلطت عليهم مختلف الأعباء بفعل قانون الأنديجينا الذي اختزل مع مرارته الكثير من الأحقاد ضد الفرنسيين تنبأ الكاتب بظهور بواورها مقترحا على السلطة الاستعمارية إصلاحات كتب عنها ما يلي (...إذا كان هناك من شكّ في الوصول عبر طريقين مختلفين فلا بد من استحداث

¹ YVER « Napoleon, Textes Choisis et Commentes par k. Guillon » in **Annales...** op cit., P 84

² YVER « SPIRE. (André) - Quelques Juifs. Israël Zangwill » in **Annales...**ibid, p 293

³ YVER « Histoire Des Beni Abd-El-Wed, Rois De Tlemcen, Traduction Française, par: Alfred Bell » in **Annales**, idem, p 294

⁴ MARTINO (Pierre) « Emile Faguet, de l'Académie française., Rousseau Artiste » in **Annales**, idem, p 90

⁵ MARTINO « Jean des Cognets. - La Vie Interieure De Lamartine, D'apres Les Souvenirs Inedits

De Son Plus Intime Ami, j. M. Dargaud, Et Les Travaux Les Plus Recents » in **Annales**, idem,

P 92

طريق ثالث والسؤال عن تاريخ الجزائر كيف كانت الجزائر قبل مجيء الفرنسيين أجاب إحدى عشر قرنا من الاحتلال العربي الإسلامي جعل منها أرضا مدمرة، مدنا بدون طرق وبدون موانئ معرضة لكل أعمال القرصنة واللصوصية¹... تحولت خلال مدة خمس وسبعين سنة من حكم الفرنسيين إلى أرض مزدهرة تعدُّ بالكثير من الرفاهية لم تحظ بها دون نشاط الرجل الأوروبي الذي استوطنها بعد الغزو...) وبعد أن برَّر المشروع الاستعماري في إفريقيا أوصى في الأخير بإصلاحات أكثر إلحاحا تعيَّن على السلطة الاستعمارية إنجازها تمثلت في استقطاب النخبة المثقفة من (الأهالي) ومنحها مناصب خدمية عامة تعود على فرنسا بالفائدة.²

أما فكتب كاركوبينو تعليقا على ما نشره غزال في مؤلفه "التاريخ القديم لشمال إفريقيا" مستعرضا الفائدة التي قدّمها لطلبة التخصص والتي تناول فيه المعالم الأثرية في الجزائر وأرفقه بالأطلس الأثري الذي تطرق فيه إلى المناطق الطبيعية لبلاد (البربر)³ قائلا : أراد غزال وضع جدول للحياة البدائية في بلاد المغرب منذ عصور ما قبل التاريخ طرح فيه وصفا متناثرا لنمط معيشة الإنسان البدائي والحيوانات التي استأنسها اعتمادا على ما عثر إليه فلامون (FLAMANT) في أبحاثه من نقوش قديمة ، كما استند على الدراسات الاثنوغرافية التي تناولت اللهجات (البربرية) القديمة فوضع مقاربات بينها وبين اللغات التي وصفها بالأورومتوسطية وتطرق إلى الاحتلال الفينيقي لشمال إفريقيا وعالج نشوء قرطاج، غير أنه انتقد غزال في ترك فراغات تاريخية بدون شرح أرجع السبب إلى عيوب في التاريخ لا المؤرخ أساسها قلة المراجع التي احتواها التاريخ القديم لافريقيا ألزمته تقديم افتراضات دون حقائق مثلت أقصى ما يمكن أن يصل إليه تخمين باحث موسوعي في مستوى المؤرخ غزال الذي اطلع على كتابات المؤرخين القدامى مثل بوليبي (POLYBE) وعلى اكتشافات أثرية احتوت رموزا ونقوشا رومانية ولاتينية

¹ MERCIER (Gustave) « La Question Indigene Une Mise Au Point Des Reformes A Accomplir » in, **Annales...**, Op cit, p99 -100

² ibid, p102-103

³ CARCOPINO (Jérôme) « L'Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord de M. GSELL » in **Annales**, ..., ibid, p 165-166

وكذا أطروحات حديثة لعلماء وباحثين اشتغلوا على دراسة الموضوع...أضاف مهما يكن من أمر فإن غزال ألقى أضواء أنارت تاريخ المستعمرة الفرنسية.¹

ونشر جورج ايفير (YEVEVER) تعليقا حول التوازن الجيو-استراتيجي في منطقة البلقان ودور الصرب والبلغار في الحرب التي اندلعت سنة 1913م أشار إلى تحفظات البلغار من توسع الصرب في ألبانيا وسهول فرادار في وقت عجز فيه العثمانيون عن حماية أراضيهم.² كما أنجز روني باصيه (BASSET) بحثا بيبولوجرافيا لدواوين شعرية مثل ديوان حاتم الطائي الذي طبع في لندن سنة 1872م ومقطعا من كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني وتفسير الطبري الذي احتوى على ثلاثين جزءا وكتاب الكشّاف للزمخشري الذي طبع في القاهرة والإحاطة للسان الدّين بن الخطيب وكفاية الأعيان لابن خلكان، وديوان معن بن أوس، ولامية العجم للطغرائي، وحي بن يقظان لابن الطفيل³

كما اشتملت البحوث الأكاديمية على مؤلفات خاصة بأساتذة جامعة الجزائر فألف غزال كتابا من ثمانية أجزاء تحت عنوان تاريخ إفريقيا الشمالية القديم اختص الجزء الأول بدراسة التطور التاريخي لإفريقيا الشمالية في عصور ما قبل التاريخ أشار فيها إلى المناطق الطبيعية وموقعها في المجموعة المتوسطية والبيئة التي ميّزت العصور القديمة والحيوانات والنباتات التي انتشرت فيها كما تطرق إلى استغلال الأرض في العصور البدائية ومرحلة ما قبل التاريخ والعصر النيوليثي الذي استخدم فيه الانسان النحاس وبداية الاستقرار اعتمادا على كتابات سالوست (SALUSTE) التي ذكر فيها ما يلي « كانت إفريقيا الشمالية مأهولة بالليبيين وهم الجيتوليون (GETULLE) سكان قساة متوحشون يقتاتون على لحوم الصيد من الوحوش البرية وأعشاب الحقول نهارا ويتوقفون إذا ما فاجأهم الليل »⁴

تطرق الكاتب في الجزء الثاني إلى ممتلكات قرطاجة في إفريقيا حدّد موقع المدينة وحدودها الفاصلة ونمط عمارتها اعتمادا على ما كتبه بوليب (POLYBE)⁵ وإلى الأراضي التي ألحقت

¹ CARCOPINO (J) « L'Histoire... » in **Annales**, op cit, p169

² YEVEVER (G) « L'équilibre balkanique. – Coulommiers » in, **Annales**, ...ibid, p 292

³ BASSET(R) « Bibliographie des Auteurs Arabes » in, **Annales**, ...idem, pp 221 -222

⁴ GSELL(S) : **Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord**, Ed : Librairie Hachette, T 1, Paris 1913, p 216

⁵ GSELL (S) : **Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord**, Ed : Librairie Hachette T 2, Paris 1913, p 2

بممتلكاتها ضمن سياسة توسع قا بها هاملكار بعد الحروب البونيقية الأولى، اعتمدت على اقتطاع أراضي (البربر) وهي المدن والموانئ التي كانت خارج سيطرتهم فرض بعدها خليفته أذر بعل ضرائب مجحفة عليهم سنة 238 ق-م¹. وعليه يمكننا الرّد من جانبنا بما يلي:

1- لم يستند غزال عند إشارته إلى علاقات متدهورة بين قرطاجة والممالك النوميديّة في بداية نشوء قرطاجة على أرض إفريقية على أي وثيقة تاريخية غير الكتابات التي قدّمها الرومان في حين ظهر الطابع السلمي جلياً بين الطرفين بعد الاتفاق على الضريبة التي تدفعها قرطاجة لملوك نوميديا، مقابل تواجدهم في النطاق الجغرافي الذي حدّده، فلا تعدو الخلافات التي نشأت فيما بعد- حسب نظر الباحثين - إلا استثناءات تدخل فيها الرومان وعملوا على إذكاءها.

2- قيام تحالف عسكري بين قرطاجة والممالك النوميديّة نتج عنه تجنيد الآلاف من الأمازيغ في صفوف الجيش القرطاجي كحملة حنبعل ضد روما التي وصلت إلى حدود جبال الألب وشكل النوميديون أغلبية جنودها.²

3- ارتبط ملوك نوميديا مع قرطاجة بعلاقات مصاهرة كان لها دور ايجابي على مناخ ميزه طابع الودية بينهما أرجع غزال ذلك إلى انفتاح القرطاجيين وعدم تعصبهم للدم،³ وعاد بعده وأكد على البعد السياسي القائم على المصلحة المشتركة ضد الخطر الخارجي (روما) ألزم الطرفان توطيده من خلال الزواج المختلط حصره في كوادر السلطة وعكست خصوصيات طبقية أرسقراطية في حين أشارت الكتابات التاريخية إلى اختلاط ديموغرافي شمل كل طبقات المجتمع.

استعرض الكاتب المؤسسات الحكومية القرطاجة فوصفها بالأرسقراطية اعتمادا على كتابات ونقوش وعملات بونيقية لكبار الشخصيات والقضاة عادت إلى القرن الخامس قبل الميلاد⁴ أما التاريخ العسكري فجسده في حروبها مع الإغريق بجزيرة صقلية وفي المعاهدات بينها وبين روما والحروب البونيقية الأولى التي دوّنت على ألواح البرونز ذكر فيها ما كتبه المؤرخ بوليب

¹ GSELL (S) : *Histoire Ancienne ...*, T 2, op cit, p 96

² مغاري (نوال) «قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والليبيين خلال الفترة (480ق م و 146 ق م)» مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 3 ع 6 ، جاني 2015 ص 241- 246

³ GSELL *Histoire Ancienne ...*T2, op cit, p 172

⁴ *ibid*, p 183

(POLYBE) « كان القرطاجيون يجُثون أن يبوحوا للحجارة أو البرونز بالأحداث التي كانوا يريدون تبليغ ذكراها للخلف »¹

خصص الكاتب فصلا لحروب قرطاجة مع نوميديا وصف جنودها بالمرتزقة الذين ثاروا على سلطتها بعد رفضها دفع الرواتب لهم استعرض حروب هانيبال (HANNIBAL) وأحداث شمال إفريقيا أثناء تلك الفترة² تلاه فصل تحدث فيه عن سكيون الإفريقي وهانيبال وروما وماسينيسا ونهاية قرطاجة على يد الرومان في 146 ق-م أما الجزء الرابع فصدر سنة 1920م خصصه للحضارة القرطاجية وفيه فصلان استعرض في فصله الأول الجانب الاقتصادي من الزراعة خاصة زراعة الحبوب قسم القرطاجيون أراضيهم إلى مناطق حسب منتجاتها الفلاحية فيما يعرف اليوم بالدورة الزراعية كما تطرق أيضا إلى كيفية زراعة الأشجار المثمرة وطرق تهيئة الأرض وتقليم الكروم واستخداماتها في إنتاج النبيذ وزراعة الزيتون واللوز والجوز ومحاصيل الخضار واستخدام النباتات البرية في الطهي،³ وما إلى ذلك من تربية المواشي والأبقار وطرق إنتاج الألبان وتحسين السلالات وطرق تربية النحل وصيد الأسماك، أما الفصل الثاني فتطرق فيه إلى الصناعة التي كانت سائدة في قرطاجة وحاجة الأخيرة إليها وتمثلت في تقنيات صنع الخشب ونحت الحجارة وهي أساليب إغريقية قديمة - حسب رأيه - اقتبسها القرطاجيون من الإغريق فأنشئوا ورشات صناعة التماثيل والمزهريات والأقراص اللولبية المزخرفة،⁴ كما انتشرت ورشات الحديد والنحاس والبرونز لصناعة الأسلحة وشفرات الحلاقة والتواييت والحلي من القلائد وأقراط الأذن وغيرها من أدوات الزينة وبرع في إنتاج الأواني المنحوتة من العاج والعظام والزجاج والجلود وهي صناعة بونيقية دخلت إلى بلاد المغرب مع مجيء الفينيقيين⁵

ما من تقدم حضاري شهده المغرب القديم إلا ويعزى إلى اقتباس إغريقي أو روماني إن ذكرت براعة القرطاجيين في صناعة الأواني والمزهريات الفخارية قيل لنا بأنها موروث إغريقي قديم استلهمه الفينيقيون قبل مجيئهم إلى إفريقيا وإن ذكرت طرق السقي والفلاحة لدى النوميديين

¹ غزال (استيفان) تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد النازي سعود، ج 4 - الحضارة القرطاجية - الرباط 2007، ص 138

² GSELL, **Histoire Ancienne**, Ed, librairie hachette, T 3, Paris 1918 p 171-172

³ GSELL, **Histoire Ancienne**, Ed librairie hachette, T 4, Paris 1920 p29-30

⁴ ibid p74-75

⁵ ibid, p 107-108

أجاب الفرنسيون بأن (البربر) تعلموها من قرطاجة . إلى أن وصل الأمر إلى ادعاء بعضهم بأن ماسينيسا كان ملكا بونيقيا بامتياز وهو رأي بوسكي فالديانة البونيقية على حد قول هنري باصيه لم تختف إلا بعد انتشار المسيحية في بلاد المغرب كما وأن اللُّغة البونيقية القديمة ظلت على حضور دائم كلغة تواصل بين النوميدين والقرطاجيين إلى غاية قدوم الغزاة العرب – على حد تعبيره - ¹

ردًّا على الكاتب الذي أرجع تأثر النوميدين قديما بالثقافة الهلينية يمكننا القول من جانبنا استنادا على كتابات محمد البشير شنيقي بأن بعض الطقوس الدِّينية التي مارسها سكان الجزائر القدامى وجدت في كتابات المصريين القدامى كأهله النسيج (نايت) التي كان أتباعها كثيرون في مصر وهي من أصل ليبي كما أكده هيرودوت والتي ماثلها بأثينا عند الإغريق، خلَّف الليبيون القدامى بصمات واضحة في سجل الفنون المصرية فتميزت الرسوم بطابعها الشعبي، وأظهرت الأبحاث الأثرية في جزيرة كريت الإغريقية وجود علاقات بينها وبين مملكة الماسيل قبل مجيء الفنيقيين وتأسيسهم قرطاجة حيث ذكر هيرودوت وجود بعض العادات الحضارية الليبية في الطقوس الدِّينية والألبسة الإغريقية إضافة إلى بعض الأهازيج الدِّينية التي رَدَّدها القرطاجيون في مناسباتهم فتشكلت حضارة المغرب التي خلفت انتاجا ثقافيا بدليل استلام ماسينيسا مكتبة قرطاجة التي سلمت من الحرق على يد الرومان وهي الكتب التي كانت معينا للكثير من الأدباء والفنانين والمؤرخين أمثال يوبا الثاني. ²

خصَّصَ غزال الجزء الثالث للتجارة فذكر أهمية البحر في التبادل مع الضفة الشمالية للبحر المتوسط واستعرض حرية القرطاجيين في الوصول إلى الموانئ وعبور المضائق والخلجان والرسو في مناطق بعيدة عن سيطرتهم بكل حرية ودون أي عائق يذكر. ³ واستعرض الموانئ التي شيدها القرطاجيون على سواحل المغرب من مرافئ للصيد وموانئ لرسو السفن في تنس وشرشال الشيء الذي أكسب القرطاجيين شهرة واسعة في عرض البحار مكنتهم من احتكار التجارة، تطرق إلى فرق الحماية رافقت السفن حال تنقلها لجأ إليها القرطاجيون عند تعرضهم إلى القرصنة في عرض

¹ BASSET (H) « Les Influence Punique Chez Les Berbères » in **R A**, vol, 62, Année 1921, p 341

² شنيقي أضواء...، مرجع سابق، ص 159

³ GSELL, **Histoire Ancienne**, T 4, op cit p 111-112

البحر.¹ كما استعرض أيضا اتفاقيات التجارة والمواد المتداولة بيعا وشراء والتي شملت الحُمور والمزهريات والمصاييح وتمائيل الطين المحروق وجدت داخل المقابر البونيقية القديمة وعادت - حسب نظر الكاتب إلى اليونانيين من جزيرة رودس وأثينا.²

هكذا أهمل غزال الموروث المحلي أمام حضارة غازية فحطَّ من قدرة السكان على بعث حضارة مستقلة بهم أوالتفاعل مع حضارات أجنبية إلا وكان مرفوقا بحضور الغزاة كما نعت سكان الجزائر (بالأهالي) مصطلح اختزل في طياته روح الاستعلاء اتجاه السُّكان المحليين³

أمَّا عن عادات وتقاليدهم سكان قرطاج فاعتبرها خليطا لطقوس مارستها عناصر فينيقية دخيلة من عبيد إغريق وإيطاليين وزنوج ملاحظات أنتروبولوجية استقاها الكاتب من المؤرخين القدامى كما استعرض اللُّغة البونيقية ومصادرها المشرقية وعلاقتها وتأثرها باللُّغة العبرية التي نجم عنه تعديلات في رموز الكتابة تعديلات استدل عليها الكاتب من تواصل تجاري بين الفينيقين ومجتمعات البحر المتوسط، تطرق إلى الأزياء التي تقلدها القرطاجيون نساء ورجالا وبعض العادات الشرقية مثل الختان والمواقيت المعتمدة فذكر تأثرها بالثقافة الهلينية اليونانية كما تطرق إلى أساليب العمارة وطرق البناء والمواد المستخدمة فيها وأشار إلى غياب الرُّخام وطلاء الجص في مقابل استخدام الطوب مع زخرفات مقتبسة من العمارة اليونانية والمصرية القديمة كالتوابيت الحجرية نحت غطاؤها العلوي بنقوش حملت طقوسا وأسماء جنائزية. استعرض مكتباتهم وثقافتهم ومستواهم الفكري وأخلاقهم المبنية على طباع سوء النية والجشع وحب المال والقسوة، فقرطاجة - حسب رأيه - لم تكن ناديا فكريا أو علميا⁴ ساق فيها مجموعة من الأمثلة تحدث عن القرطاجيين وبعثهم بالتوحش «... هذا الشعب مليء بالمرارة متجههم متذلل لمن يحكمونه، عنيف تجاه من يخضعون له، خسيس إذا خاف كثير الوحشية إذا غضب لا يتردد في عزماته وقسوته تجعله خصما للأشياء اللطيفة والمستحسنة... » كما استند على رأي أبيان (APIEN) الذي في

¹ GSELL, *Histoire* T 4, op cit, p 120-121

² ibid, p 129-130

³ صحراوي (عبد القادر)، تاريخ الجزائر القديم من خلال كتابات ستيفان غزال، مجلة الحوار المتوسطي، مج 2، ع 1 ص 121

⁴ GSELL, *Histoire Ancienne ...* T 4... op cit, p215

وصف ميزاج القرطاجيين « ... القرطاجيون في الازدهار غير عادلين وقحون تجاه الجميع ، لكنهم يظهرون التواضع وحسن المعاملة إذا ساءت حالهم ... »¹

تطرق الكاتب إلى الطقوس الدينية التي مارسها القرطاجيون واقتبست من ديانات أخرى استعرض آلهة المدن والطبيعة أقاموا لها تماثيل ذوات أجنحة مثل بعل وتانيت وعشترتوت وصور حيوانات مقدسة ورموز أخرى كالقرص المجنح وشجرة النخيل والهلال، استعرض الأعياد الدينية والقرابين (القتل التعبدية) من البشر كالمساجين والأطفال² ، أما بالنسبة إلى الطقوس الجنائزية فأشار الكاتب إلى المعتقدات القائمة على تصور الحياة الأخرى، قلدوا المصريين في أسلوب التحنيط وتجهيز المدافن بالحلي والأسلحة والأثاث ومقتنيات استعان بها الميت، كما أشار أيضا إلى أنواع القبور الدائرية منها والمجوفة ومقابر العائلات³

خصص الكاتب الجزء الخامس لدور قرطاج التاريخي واعتمد فيه بشكل خاص على الآثار القديمة فوصفها بالمصادر المهمة على الرغم من اعترافه بعدم كفايتها فلا يمكن أن تحل محل الكتابات القديمة⁴ كما أرجع أسباب قوة قرطاج إلى أسطولها البحري وأسوارها الدفاعية إلا أن سياستها الأرستقراطية وصراعها الدائم مع روما (الحروب البونيقية) كانت أحد أسباب سقوطها⁵ عاد الكاتب واستدرك أحكامه بتصحيحات نوّه فيها ببقاء حضارة قرطاج شاهدة في مستعمراتها الساحلية كصقلية ومالطة وسردينيا وإبيزا الإسبانية شاهدا على حضارتها رغم تدمير عاصمتها المركزية في تونس .

هياً القرطاجيون في نظره لقيام حضارة روما على أرض إفريقيا من خلال نظام المناطق الحضرية الذي وجد فيه الرومان نموذجا مستنسخا لتطبيق نظام البلديات لاحقا وأرجع سبب الترحيب لقيته المسيحية في بلاد المغرب إلى المعتقدات القرطاجية التي انتشرت في ذلك الوقت⁶ وفي جزء آخر حمل عنوان الممالك الأهلية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي تطرق

¹ غزال (استيفان) تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد النازي سعود، ج 4 - الحضارة القرطاجية - الرباط 2007 ص 136

² GSELL, *Histoire Ancienne...* T 4, op, cit, p235-236

³ ibid, p 426-427

⁴ ibid 471

⁵ ibid, p.476

⁶ idem, 497

الكاتب إلى كوادير المجتمع (الأهلي) وعلاقة التضامن الغريبة بين تكتلاته خاصة الصغيرة منها الشيء الذي دفعه إلى طرح فرضية اختلاط جنسي بدائي اعتمادا ما أورده هيرودوت (HERODOTTE)¹ بل والأكثر من ذلك استدل على وجود نظام زواج أمومي لا أخلاقي في إشارة إلى انحلال أسري ساد مجتمعات المغرب القديم، تجلّت طقوسه عند الطوارق شبهه الكاتب بنظام اجتماعي انتشر في السودان عند القبائل العربية² ناتج عن طقوس السحر التي مارسها الفينيقيون حيث كانت النساء تتعهن للزوار في معبد الآلهة بمدينة الكاف بتونس، وانتقلت حسب رأيه إلى قبائل عربية كأولاد نايل بامتھان الفتيات المقبلات على الزواج البغاء جهرا لجمع ثمن الجهاز³ وصولا إلى اسقاط ربط فيه أعيادا وصفها بالإسلامية انتشرت في الجنوب الجزائري يتم فيها الزواج ليوم واحد مشاعا بين أفراد القبيلة أو بقيام النسوة تسليم أنفسهن لأوّل قادم إلى البلدة وهي حسب نظره ممارسات ضاربة في القدم عند أجداد(البربر).⁴

استعرض الكاتب مكونات المجتمع القروي وصلاحياته وحدّد أسباب الصراع بين المزارعين والرعاة في نظام قبلي افتقد في عمومه إلى سلطة روحية جسدها زعيم ديني، تطرّق إلى الاتحاد القائم على معطيات اثنية عرقية انتهى من خلاله إلى نفي قيام الدولة الوطنية لدى المجتمع (البربري) في العصر القديم.⁵ وفي فصل تحت عنوان " قبائل - أمم - شعوب " تطرق الكاتب إلى أصل تسمية الليبيين المستخدمة من قبل هيرودوت (HERODOTTE) والتسميات المقابلة لها كالنوميديين في اللّغة اللاتينية والموريين والجيتوليين وأطبق الوصف على جميع سكان الجزائر غير الخاضعين لسلطة قرطاج، ممالك في شكل كتونات صغيرة بحدود جغرافية غير محددة الأبعاد فمملكة الماسيل يجهل تاريخ تأسيسها⁶ كما وأنّ تسمية (البربر) والتي تداولها العرب لا تستند إلى

¹ GSELL, *Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord* Ed librairie hachette, T 5, Paris 1927, p28-29

² ibid, p 30

³ idem p 33

⁴ غزال (استيفان) تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد النازي سعود، ج 5 - الممالك الأهلية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي - الرباط 2007 ص 33

⁵ GSELL, *Histoire Ancienne ...* T5, op cit p ,77-78

⁶ ibid, p 95-96

أي مدلول عرقي بل كلمة لاتينية وفقط، استطرد في شرح كلمة أمازيغ التي عادت في أصولها إلى رجل أسطوري في ورد ذكره في الروايات القبائلية القديمة وتعني ربما في نظره (الرجل الحر)¹ خصص الكاتب فصلا للحديث عن ملوك (البربر) ونظام الوراثة الذي استبعد النساء لكنه جماعي حسب تعبيره فصلاحيات الملك لم تكن واسعة أو مطلقة نتيجة استقلال القبائل البربرية ونسقتها الاجتماعي الفوضوي المتمرد دائما على سلطة الدولة أما موظفو الدولة فهم المقربون من العائلة المالكة، استطرد في وصف القوة المستخدمة فذكر الشرطة المتنقلة وجيوش الحروب التي ضمت سلاح الفرسان والمشاة و(المرتزقة) من الجنود الأجانب مهمتها جمع أنواع الضرائب التي وصفها بغير العادلة فرضت على الأراضي والماشية، أما العملات المتداولة فهي قطع ذهبية مستوردة في مجملها تطرق بعدها إلى النظام الملكي الوراثةي فوصفه النظام القائم على الخيانة والخديعة والمؤامرات والحروب المستمرة بين أفراد نظام شجع على حركات التمرد والانفصال داخل مجتمعات (البربر)² وهو ما انطبق مع وصف جوليان لطبيعة الجزائري الأنتروبولوجية قائلا: (...لقد حاول ماسينيسا أن يتسلق الحكم فيصبح ملكا بدلا من رئيس قبيلة، ولكن قضية جمع الضرائب كانت من أصعب المهام فإذا كان من السهل الحصول عليها بالمباغثة أو بالقوة، فإنه من العسير الحصول عليها بغير تلك الطريقة عكس سكان المدن الذين يعتبرون خير من يحلم بهم حاكم، إذ يفضل البدوي توفير حماية ولو بتكاليف باهضة على الإذعان لسوط الحاكم ليصل الى استنتاج مفاده أن حكام الجزائر لم يكونوا سوى رؤساء قبائل منذ ماسينيسا إلى الأمير عبد القادر...)³

في فصل حمل عنوان "الثروة الحيوانية واستغلال الأرض" تطرق الكاتب إلى انتشار حرفة الرعي وتربية المواشي والخيول والأبقار لدى المجتمع الجزائري قديما على الرغم من تقدم الزراعة فالأصل عند (البربر) حياة الحلل والترحال لا الاستقرار، قلل الكاتب من خصوبة التربة في مناطقهم واعتبرها أرضا جدباء حصر انتاجها في الحبوب وبعض الكروم وأشجار اقتبس (البربر)

¹ GSELL, *Histoire Ancienne ...* T5, op cit, p 99

² ibid, p 165

³ جوليان (شارل أندري) تاريخ افريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى، من البدء الى الفتح الإسلامي، تعريب، محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية 2011، ص 109

زراعتها من قرطاجة أما الزيتون فهو زراعة رومانية بامتياز فيما أرجع زراعة النخيل في الواحات الصحراوية إلى أسلوب مبتكر من طرف الإثيوبيين الذين هاجروا واستقروا فيها .
أدلة ومعينات قديمها في شكل اجتهادات وافتراضات اعتبرها كافية لنفي قيام زراعة متكاملة وأعطى لها أبعادا أنثروبولوجية، تراوحت في نظره بين الكسل الفطري الذي جبل عليه الجزائري منذ قرون وبين استراتيجية غير مكلفة اعتمدها السكان تمثلت في سهولة الدفاع عن القطعان بنقلها إلى مناطق آمنة خلاف الأراضي الذي يصعب الدفاع عنها أومنع الأعداء من إتلاف محاصيلها أو حرق أشجارها المثمرة¹

وهنا يمكننا أن نرد على الكاتب من خلال مؤرخين قدامى فهذا المؤرخ الروماني بلين القديم أشاد بالزراعة التي كانت موجودة في بلاد المغرب قائلا: (... وهبت الطبيعة إفريقيا إلى المعبودة كيريس (CERES) فهي التي تؤمن لها الوفرة بينما تمنحها الزيت والخمر من أجل التذوق فقط)² أما سالوست (SALLUSTE) فأشار إلى أن أرض إفريقيا غنية بالحبوب وجيدة للماشية ولكنها تفتقر إلى الأشجار فقط،³ وسترابون (STRABON) الذي أشاد بوفرة الحبوب على اختلاف أنواعها في بلاد (البربر) مكذبا جميع الكتابات التي تحدثت عن تصحر مناطقها فالأراضي التي أطلق عليها موريسيا (MAURUSIE) غنية تخللتها أنهار وبحيرات وأشجار تفاوتت في علوها من الكروم الضخمة ومحاصيل التين ومختلف المنتوجات الزراعية أعطت للطبيعة ألوانا فسيفسائية⁴ إنتاج ما كان ليتم لولا تقنيات الزراعة والسقي التي أنشأها ماسينيسا في إطار استصلاح الأراضي واستثمار مساحات واسعة منها، مثلت أروع ما قَدَّمه كانت نوميديا قبلها عديمة الفائدة وعاجزة بطبيعتها عن إنتاج المزروعات.⁵

تطرق الكاتب في جزء آخر إلى صيد الأسماك والحيوانات البرية، واستعرض أنواع الملكيات الزراعية والحرف من صناعة الخشب والمناجم ومحاجر الرُّخام والعمارة التي وصفها بالبدائية خيام من صوف الأغنام نقلت على ظهور الدواب وأكواخ صنعت من جريد النخل قابلة للإزالة إذا

¹GSELL, *Histoire Ancienne ...* T5 op cit, p 152

² PLIN (Ancien) : *Histoire Naturel...* op cit, p 545

³ SALUSTE : *jugurtha*, op cit, p 62

⁴ STRABON : *Géographie De Strabon* T, F Amedee Tarieu, Librairie De La Hachette, T 3, Paris 1880, p 470

⁵ LACROIX (F) « Afrique Ancienne Procédés Agricoles » in *RA* vol 14 Année, 1870 pp 15-16

ما تطلب الأمر في حين أشاد بالمدن وحصر الإقامة فيها على القساوسة والمزارعين احتوت على ملاجئ يمكن الاستعانة بها في حال الخطر مساكن بسور حماية خارجي أرجع ملكيتها لرؤساء القبائل وعجز بالمقابل عن التأريخ لزمن بنائها.¹

وفي الجزء السابع الذي حمل عنوان " الجمهورية الرومانية وملوك البربر " تطرق الكاتب في فصله الأول إلى مقاطعة إفريقيا الرومانية في 146 ق- م اعتمادا على السّجل العقاري الذي ابتكره الرومان وعينوا فيه حدود المقاطعة، نظام تسيير اشتمل على محافظات الحكم وقادة المقاطعات والموظفون الحكوميون ومجلس شيوخ الإدارة الإقليمية والمحاكم والشرطة لحماية الأراضي من التهديدات الخارجية وحركات التمرد. أما الفصل الثاني فتطرق فيه إلى المدن الحرة وهي مناطق معفاة من الضرائب تجارية في اقتصادها ساحلية بجغرافيتها وأخرى تابعة لسكان نوميديا أشرف على إدارتها ملوك (البربر) وخضعت لسلطة روما² تطرق الكاتب الفصل الثالث إلى قانون الأراضي والملكية الممنوحة للأمرء النوميديين وتلك التي أعطيت للرومان مقابل خدمة عسكرية واستعرض الضرائب على المراعي والبساتين والثروة الحيوانية وأساليب استغلال الأراضي فقارن بينها وبين أساليب القرطاجيين³ أما الفصل الثالث فاستعرض فيه الكاتب عصر الرّخاء الروماني اذ كانت الحبوب تصدر من إفريقيا إلى روما بفضل القوانين التي سنّها الرّومان منها قانون ماغون (MAGON) على حد تعبيره ذكر فيه تنامي البرجوازية في المدن الإفريقية وانتشار اللاتينية بشكل واسع.⁴ أما الجزء الثاني من الكتاب فتطرق فيه الكاتب إلى يوغرطة من خلال كتابات سالوست (SALUSTE) قدّم فيه ماسنيسا عميلا لروما وسببا في احتلالها لأراضي إفريقيا التي لم تكن ترغب في ضمّها إلى ممتلكاتها بل الاحتفاظ بها كمحمية فقط.⁵

تماهى الرأي في دلالاته التاريخية مع آراء مؤرخين كشارل أندري جوليان الذي كتب: « لقد كان ماسنيسا يأمل أن يضمّ التراب القرطاجي لمملكته جزاء وفائه المتواصل لروما لكن مجلس الشيوخ كان يخشى أن يبرز إلى الوجود في يوم ما حنبعل ثان من

¹ GSELL: *Histoire Ancienne ...*, T 5...op cit, p 225

² GSELL, *Histoire Ancienne*, T 7, Ed : Librairie Hachette, Paris 1928, p73

³ ibid,P 96-97

⁴ ibid, p122

⁵ ibid ,p 135

سلالة ماسولة. فيجد في قرطاج قاعدة يشن منها حربا جديدة على روما، ولئن تركت قرطاج وشأنها فإنها واقعة لا محالة في قبضة (الأغاليد) إذ من الواجب أن تكون نوميديا أو لا تكون، فقرر مجلس الشيوخ إزالتها تماما ولكنه أراد تغطية نواياه بتعليقات قانونية تمثلت في استصدار قانون شارل سوماني (Ch. Saumagne) من شأنها أن تبرر هذه الفعلة ...¹

في نظر الكاتب تعلقت تهمة العمالة بالاتفاق الذي عقده ماسينيسا مع سكييون الروماني بعد انتهاء الحرب البونيقية الثانية ورجوعه إلى إفريقيا. وهنا يمكننا أن نرد على الكاتب من خلال كتابات محمد العربي عقون التي جاء فيها «... وجد ماسينيسا قرطاجة قد هيأت أمر إزاحته عن الحكم في ماسيليا واستبداله بلاكوميز وهو صبي، مما جعل نائوته تنور فهل يمكن بعد هذه المؤامرة الثقة في جهة أضمرت العداوة له خصوصا إذا ما علمنا إقدام قرطاج على أسر والدته وإذلاله بها حتى دفع فدية عنها...» وتطرق المؤرخ إلى نوع العلاقة التي كانت تريدها قرطاجة مع المملكة النوميديا قائلا: «...لم يكن ماسينيسا يطمئن إلى الأوليغارشية التجارية القرطاجية بعد أن خبر نواياها حليفا وعدوا، ومن الحالتين استخلص العبر التي جعلته يصبر على سياسته التي ترنو إلى آفاق بعيدة وهي توحيد إفريقيا وتطهيرها من الجسم الذي يريد البلاد منقسمة ترى إفريقيا مصدرا للبضائع بأقل الأثمان وسوقا للسلع بالسعر الذي تريده ومعينا لا ينضب من جند مأجور جعلته وقود حرب لا تتردد في سحقه بعد أدائه للدور المنوط به، في مقابل رؤية روما قرطاجة ضعيفة ولكنها قائمة خوفا من ماسينيسا الذي أراد استكمال مشروع وحدة بلاد المغرب...»²

استعرض غزال الخلاف الذي تحوّل بعد موت هيمبصال إلى حرب بين يوغرطة وأذر بعل وانتقلت إلى حرب بينه وبين روما نتيجة التحكيم الذي فصل فيه مجلس الشيوخ الروماني لصالح أذر بعل واستنجد الأخير بها، تطرق إلى حرب العصابات وحملات ماريوس التي انتهت بسقوطه أسيرا نتيجة المؤامرات وصف الكاتب شخصية يوغرطة القائمة على الخداع وتقديم الرشاوى

¹ شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية... مرجع سابق... ص 115

² عقون (محمد العربي) «ماسينيسا من استعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميديا 238-148 ق م» (م، د، ل، د)، مج 11

ع 22، جوان 2010 ص 100

لمجلس السّنات في روما من أجل كسب ودهم ناهيك عن مغالطات أخرى ساقها الكاتب في شكل تساؤلات عن صفاته وشرعيته كحاكم¹ ردّ فيها المؤرخ محمد الهادي حارش على كتابات سالوست التي ساقها غزال في حججه بأدلة نراها ضرورية قائلًا: (...لم تكن غاية سالوست كتابة تاريخ ليوغرطة بقدر ما أراد كتابة تاريخ لنفسه بعد حياة مليئة بالانتكاسات وفشله في الوصول إلى منصب القنصلية نتيجة اغتيال قيصر سنة 45 ق- م فأدرك بعدها بأن المجد يمكن بلوغه عن طريق الكتابة، والدليل على ذلك مقدمته المطولة التي لا تتناسب مع عنوان الموضوع المعالج " حرب يوغرطة " لذا نجده يتكلم عن الشرف والأمانة والأخلاق والفضيلة قيم تخلى عنها سالوست طويلا وكانت الرشوة والزّنا والاختلاس من أسباب إبعاده عن مجلس الشيوخ ولم يشفع له منصبه كحاكم جديد على إفريقيا تهمته بالفساد إلا بعد تقديم رشوة لقيصر...²

ساق الكاتب في رده على سالوست ومن ورائه بقية المؤرخين الاستعماريين أدلة دامغة اعتمد فيها على المنطق التاريخي قائلًا: «...أما قضية تبني ماكيبسا ليوغرطة والتي أخلط فيها سالوست كثيرا تكاد تكون من السفاهات جاري فيها غزال مؤرخه القديم نظرا لعدم تطابق تواريخ الأحداث والروايات حولها فيوغرطة سمّي وليا للعرش بناء على طلب سكيبيو إيميليانوس بعد حرب نومانس التي أبلت فيها بلاء حسنا ووقعت في حوالي 133 ق- م أي قبل 12 سنة من تاريخ وفاة ماكيبسا عكس المزاعم التي ساقها غزال حول تبني مكيبسا ليوغرطة قبل ثلاث سنوات من وفاته، أما بالنسبة إلى الرشوة التي تحدث عنها سالوست كثيرا فالغرض منه مهاجمة مجلس الشيوخ الإيطالي، لذا نجده يرجع أسباب التحالفات بين يوغرطة وبوخوص إلى رشوة الأخير لمجلس الشيوخ وامتناع المجلس عن الفتك بيوغرطة رغم إقدامه على استباحة سيرتا عاصمة أذر بعل وقتله للإيطاليين في حين بين الواقع بأن بوخوص تكلم عن استعدادات جرت لملاقاة ماريوس...³ « تطرق الكاتب في الجزء الثامن إلى جول سيزار (CESAR) ونهاية الممالك (البربرية) أحداث عادت في مجملها إلى القرن الأول الميلادي عكسها الوضع العام الذي سارت

¹ GSELL, *Histoire Ancienne...*, T 7, op cit p 288

² حارش (محمد الهادي) « سالوست وحرب يوغرطة دراسة تحليلية نقدية »، مجلة الدراسات التاريخية م 3، ع 5، 1997، ص 53

³ حارش...المرجع السابق... ص 63

عليه روما نفسها وما اتسم به من خلاف سياسي بين قادة الفرق العسكرية في مستعمراتها دفع ثمنها (البربر).¹

أمام هذا الكمّ الهائل من الأحكام المثخنة بالتوظيف السياسي ساق المؤرخ غزال تاريخ الجزائر القديم اعتمادا على أخبار المؤرخين الإغريق والرومان يمكننا عرض عيوب هذه الدّراسات ليس بسبب اعتمادها على مصادر أجنبية قديمة، بل لأن هذه الدّراسات في حدّ ذاتها افتقدت إلى النزاهة والموضوعية، تخللتها مصطلحات وتراكيب كلاسيكية استعمارية مبنية على روح الاستعلاء، فكثيرا ما وجدنا في عمل غزال الموسوعي عبارات (البربر) لفظ اثنوغرافي استعمل بدل الأصل السلافي (الإثني) على الرغم من معرفة الأخير معنى الدّلالة وتعبيرها الإحتقاري و(جنود ماسنيسا المرتزة) وعبارة (الأمرء العملاء) و(دولتهم الصعلوكية) ألفاظ لغوية مجتزأة عن وصف غير موضوعي لسكان الجزائر أخرجت النصوص من سياقها التاريخي فاتحة المجال للدخول في متاهات الهويّة والوطنية وغياب المؤسسات السيادية وما إلى ذلك ناهيك عن عبارات (الاحتلال العربي) كإشارة إلى فتوحات الأمرء المسلمين لبلاد المغرب، بينما يؤكد التاريخ أن أرض الجزائر لم تكن في يوم ما مستقرا للغزاة وإن تقادم عهدهم، فهل سيرحل الإسلام واللغة العربية من بلاد المغرب عموما إذا افترضنا جدلاً رحيل العرب من أرضه كما أرادته المحتل سابقا ويريده من يسير الآن على خطاه.

من جهة أخرى لم يستطع كُتّاب المدرسة الاستعمارية صبر أغوار تاريخ الجزائر القديم إلّا مرتبطين بتاريخ الغزاة قرطاجة وروما وغيرها وفي إطار جغرافي كل ضمّ شمال افريقيا على الرّغم من جلاء الحقيقة التي أكّدت وجود حضارة الجزائر منذ فجر التاريخ بل ووحدها السياسيّة قبل مجيئ القرطاجيين إلى تونس، تمثلت في مملكة الماسيل والدليل على ذلك استئذان الملكة عليّسا وطلبها من ملك الماسيل أرضا للكراء أقامت عليها مملكة القرطاجيين فيما يريد البعض إيهامنا به من أن المغرب دخل التاريخ مع مجيئ الغزاة.

لم يكن تاريخ افريقيا القديم الذي كتبه غزال الوحيد في التأريخ لماضي الجزائر بل قدّم رواد المدرسة الاستعمارية دراسات وأبحاث أخرى لايتسع المجال لذكرها على غرار كتابات دؤنت

¹ GSELL (S) *Histoire Ancienne*, T 8, Ed : Librairie Hachette, Paris, 1928 p277

تاريخ الاسلام في ربوعها لم تسلم من التحريف والتخريف، الهدف منها هو حلقة حضارية هامة من تاريخ الجزائر ككتاب جورج مارسلي الذي حمل عنوان العرب في بلاد (البربر) تطرق فيه الى مجيئ العرب الفاتحين والكيانات السياسية والامارات التي أسسوها وحركات الانفصال التي تعاقبت على رفض حكم المسلمين من قبل (البربر) مثل قبيلة مصمودة.¹

2-3- المنشورات الجغرافية (بليوغرافيا حول جغرافية إفريقيا)

نشر روني ليسباس (LESPES) تعليقا على دراسة جغرافية نقدية لمنطقة التشاد والوادي - اثنوغرافيا ولهجات الطوبو من كتاب المؤلف هنري كاريبو (CARIBOU) وفيه تناول الكاتب واحدة من مناطق الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية فالكتاب لم يقدّم بدراسة أكاديمية مستسقة من مراجع كتبها غيره بل تنقل إلى منطقة التشاد واستقر فيها لبعض الوقت حيث درس لغة المنطقة وبيئتها والأساطير المؤثرة في تقاليدها وحياتها الاجتماعية والسياسية والدينية وصولا إلى معرفة ماضي سكانها والمناطق التي نزحوا منها، احتوى الجزء الأول من المؤلف على الجماعات البشرية التي تدعى (KANEM) قبائل لها معتقدات إسلامية مع خليط من الفلاشا تطرق اليه المؤرخ بارث (BARTH) ناقش فيه تاريخ سلاطين بورنو كما استعرض الصراعات القبلية التي كانت المنطقة مسرحا لها وقبيلة الطوبو التي تعود أصولها إلى بحر الغزال.²

كتب جون غاروبي (GAROBY) مقالا تحت عنوان "الغرب" مأخوذ من الأرشيف المغربي وهو دراسة عن القبائل التي سكنت المغرب الأقصى، تطرق إلى حياتها الاجتماعية ونظامها الإداري والضريبي وأسلوب حماية أراضيها وغيرها غير أن المقال افتقر إلى خرائط وتوضيحات حصرت طبوغرافية المكان³ وتعليقا على كتاب "تنظيم الملكية العقارية في بلاد المغرب الأقصى" دراسة نظرية وتطبيقية " تناول الكاتب الجانب الجغرافي منه على الرغم من أهميته القانونية. استعرض فيه أراضي قبائل المخزن وأراضي البور وأراضي الجيش⁴ كما تناول دراسة أخرى لكتاب

¹ MARCAIS (G) *Les Arabes En Berbérie Du Xi et Au Xiv Siècle*, Ernest Leroux, Paris 1913, p 733

² LESPES (R) « CARBOU (H) La région du Tchad et de l'Ouadaï. -Etudes ethnographiques. Dialecte Toiibou » in *Annales ...op cit ...p 75*

³ GAROBY (Jean) « Le Gharb » in *Annales.... ibid*, p286

⁴ GAROBY « L'organisation de la propriété foncière au Maroc. Etude théorique et pratique » in *Annales* .ibid, p286

رحلة إلى المغرب لمؤلفه دي لاشاريار (DELACHARRIERE) في نظر الناقد الكتاب خريطة طريق قدمه المؤلف في شكل حماسي¹ كما نشر أيضا تعليقا على كتاب " ايالة تونس والحماية الفرنسية " لمونشيكور (MONCHIKOUR) تطرق فيه إلى الجهود التي بذلتها الحكومة التونسية في زراعة المحمية من خلال برنامج استندت على أساليب علمية في خدمة الأرض مثل مكافحة الحشرات الضارة وأساليب حماية المزروعات،² وتعليقا آخر حول منطقة "أعالي التل التونسي والوطن القبلي" وهو أطروحة جامعية لكاتب معروف من خلال مؤلفاته التي نشرها في مجلة حوليات جغرافية تطرق فيها إلى حدود الوطن القبلي وجغرافية تونس، والمناخ السائد وطبيعة التربة والموارد المنجمية والهيدروغرافية، كما تطرق إلى الجوانب الاجتماعية من قبائل نزحت من مناطقها واستعرض المدن التاريخية. والتعليق - حسب نظر الكاتب - نقد هادف أراد من وراءه تسليط الأضواء على واقع المحمية.³ كما نشر تعليقا آخر حول خريطة جدارية لمقاطعة الجزائر لمجموعة فيدال دي لابلاش (DELAPLACHE) استعرض قيمتها العلمية ووظيفتها التدريسية في المؤسسات الأكاديمية كخريطة احتوت على مقاييس دقيقة ومحتوى غنيا بالمعلومات الجغرافية،⁴ ونشر جورج إيفير تعليقا لترجمة قام بها دوسلان حول كتاب البكري "وصف شمال أفريقيا" قيّم فيه العمل واعتبره متكاملا، احتوى على معلومات مهمّة للجغرافيين والمؤرخين على السواء قام المترجم فيه بتصحيحات على شكل الكتاب دون التطرق الى محتواه كالتقييم والفهرس والهوامش.⁵

3-3- المنشورات الأثرية:

اشتمل البحث الأثري في مساره الأكاديمي على البحوث والحفريات والتقارير التي قدّمها أساتذة جامعة الجزائر لم تتعرض الآثار القديمة الموجودة في مختلف المدن التاريخية إلى التدمير -

¹ GAROBY « Le long des pistes moghrébines. - (Voyage au Maroc) » in **Annales** ..., op cit, p 286

² GAROBY « Hégenec de Tunis. Protectorat français. Direction générale de l'Agriculture, du Commerce et de la Colonisation » in **Annales** ...ibid. P 287

³ GAROBY « La Region, Du Haut Thell En Tunisie (Le Kef, Tebourzouk, Mactar Thala) Essai De Monographie Geographique » in **Annales**...ibid, p 287

⁴ GAROBY « Carte murale du département d'Alger. (Collection Colin. Vidal de la Blache) », in **Annales**...ibid, p 289

⁵ GAROBY (J) « El-Bekhi - Description de l'Afrique septentrionale. Traduite par Mac Guekix de Slane, » ...**Annales** ...ibid, p 295

حسب آراء أساتذة الجامعة - والأمر يعود إلى طبيعة المجتمع في حد ذاتها الذي غلب عليه الطابع القروي مجتمع استخدم الخيام عوض الحجارة كمساكن أبقت المدن الأثرية على حالها كما وأنّ التقنيات جديدة المستعملة ساعدت على عمليات البحث والتنقيب داخل المدن الأثرية، شكلت تيمقاد وجميلة بسطيف أهمية عظمى من حيث احتوائهما على معالم رومانية قديمة وأخرى محلية مثل خميسة بسوق اهراس ومداوروش (MDAOUROUCH) عاصمة العلم في عهد سيفاكس وعنونة بقالملة (ANNOUNA) حاضنة الثقافة اللاتينية اهتم جولي وجورج إيفير وغزال وماسكوراي وأوجين ألبيرتيني ولويس ليتشي وغيرهم بالبحث في مواقعها ابتداء من سنة 1914م نشرها في مؤلفات خاصة¹ أنجز غزال الأطلس الأثري سنة 1911م واحتوى على خمسين لوحة بمقياس 1/200000 إضافة الى نسخة نصّية وصفية لما تم ذكره من معالم و مواقع أثرية، سجل فيها البيانات التاريخية والجغرافية، وحدد الكثير من المواقع والمعالم الأثرية عاد أغلبها إلى الفترة الرومانية خطّ تصاميمها بأرقام وألوان² كما أنجز كتابا آخر حمل عنوان النقوش اللاتينية في الجزائر احتوى على أربعة أجزاء تضمن الجزء الأول إفريقيا البروقنصلية والجزء الثاني كونفدرالية سيرتا والجزء الثالث نوميديا والرابع موريتانيا السطيفية والقيصرية،³ ونشر جورج إيفير (YEVEVER) تقريرا في شكل تعليق أثري لكتاب ألفريد مارلان (MERLIN) "ايالة الجزائر ملاحظات ووثائق" وصف فيه المعالم الأثرية لمنطقة الكاف التونسية خلال القرن الثاني الميلادي الفترة الرومانية استعرض فيها نمط العمارة المستخدمة والمباني المستخدمة كحمامات للعامّة والمنازل إضافة إلى جداريات فسيفسائية صوّرت رحلات الصيد وتماثيل عادت للامبراطور الرومانب أدريان عكس الموقع ثراء المدينة وحيويتها الاقتصادية،⁴ كما نشر ألبيرتيني (ALBERTINI) كتابا سنة 1930م حمل عنوان الآثار الرومانية في الجزائر.

اعتمد البحث الأكاديمي في مجال الآثار القديمة على المعاينة الميدانية بعدما كان في السابق مجرد استكشاف قام به هواة أو ضباط في الفرق الطبوغرافية المتقدمة أثناء مرحلة التوسع

¹ HEURGON (J) « L'œuvre Archeologique Française En Algérie » in : **Bulletin de l'Association**

Guillaume Budé : Lettres d'humanité, n°15, décembre 1956. P 11

² GSELL (S) : **Atlas Archéologiques** ...op cit ... P 1

³ GSELL **Inscription Latine De L'Algérie**, Librairie Honoré Champion, T 1 Paris, 1922, p 1

⁴ YEVEVER (G) « Alfred Merlin, Régence de Tunis. - Notes et Documents », in **Annales** ...op cit p 289

والاحتلال (1830 م-1880م) قدّم فيه هؤلاء وصفا للمناطق القديمة لا يعدو أن يكون على شكل جرد للبقايا الأثرية في شكل تقارير بعثوا بها إلى قادتهم. جاءت عملية استثمار تلك المكتشفات من طرف جامعة الجزائر ومدارسها المتخصصة بتنظيم البحث الأثري من خلال بعثات أكاديمية اشتغلت على دراسة التراث القديم، خصّصت لها ميزانيات ضخمة في عمليات التنقيب والترميم وصولا إلى إقامة متاحف طبيعية للمدن الرومانية القديمة كجميلة ولومباز وقالمة وتيمقاد وغيرها ليتوج العمل الأكاديمي بمنشورات ومؤتمرات عقدت في الجزائر، طرحت ماضي الجزائر وتراثها المادي الأثري في مخبر أيديولوجية الباحث الاستعماري المتخصص وللقارئ أن يتصور حجم التحامل على تاريخ الجزائر وتراث شعبها الأصيل.

الفصل الخامس:

آليات وأبعاد ارتباط النشاطات التاريخية و الأثرية

بالمشروع الإستعماري الفرنسي وسبل الرد عليها

أولاً: استراتيجيات مشروع التأليف الاستعماري.

ثانياً : أبعاد المشروع الاستعماري.

ثالثاً: أهداف المشروع الإستعماري.

ظلت الكتابات التاريخية والنشاطات الأثرية الفرنسية طيلة القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، رهينة الأحكام الاستعمارية التي عملت في مجملها على تأطير الاحتلال وتوجيه سياساته مستخدمة أدوات منهجية في حقول المعرفة كاللسانيات والحفريات وعلم الآثار والجغرافيا ومختلف العلوم الأخرى، لإبراز الظاهرة الاستعمارية نموذجاً يقتدى وجب التمسك به والدفاع عنه باعتباره حقاً مشروعاً مكتسباً لأجيال المستعمرة، لا مشروعاً تغريبياً وجب التصدي له والقضاء عليه.

أولاً - استراتيجيات مشروع التأليف الاستعماري:

1- استراتيجية القضاء على الهوية الجزائرية

لم يتردد كتاب المدرسة الاستعمارية في التقليل من أهمية الإرث الحضاري للجزائر عبر مسيرتها التاريخية فالتلاقح الثقافي بينها وبين بقية الشعوب المجاورة، لا يُنظر إليه من زاوية تفاعل وتأثر وتأثير بقدر ما اعتبر استكانة وخنوع ونفور من شعبها أمام إرادة القوى الغازية. حكم المؤرخون الاستعماريون على الجزائري بالعقم الحضاري لأنه لم يوفر الأساس المادي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي لبناء الدولة الوطنية ذات الانتماء الأصيل على حدّ قول إميل فليكس غوتيه «... لم تكن (البربرية) في يوم ما أمةً بل لم تكن حتى دولة مستقلة وظلّت لدهور طويلة جزءاً من إمبراطورية رومانية وبيزنطية وعربية كما هي اليوم مستعمرة فرنسية...»¹ هو تاريخ غامض لبقعة جغرافية غير معرفة استوطنتها مجموعات بشرية دخيلة ذات ثقافة بدائية، اعتمد الجزائري على موائيق الأسياد الأجانب ودرساتهم السياسية وقوانينهم الإدارية ونظمهم القضائية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، فارتبط التأليف التاريخي وبقية العلوم الأخرى المكتملة له عند المدرسة الاستعمارية بمنظومة أفكار وقيم شرعت لوجود الاحتلال أولاً واستمراره ثانياً ضمن أطر اشتغلت على هدم مقومات الأمة الجزائرية ومحو حضارتها من خلال:

¹ Gautier (E. F) *Le Passe De L'Afrique Du Nord...*op, cit...، p 25

1-1- الدّين الإسلامي

اعتبره رواد المدرسة الاستعمارية رمزا من رموز التخلف وسببا في انحطاط المجتمع الجزائري قدموا من خلاله دراسات وأبحاث ومشاريع تعلقت بالعميقة الإسلامية عالجت في مجملها كتب الفقه والشريعة والحديث ارتكزت على نقل كتب التراث لا من زاوية النصوص المحكمة المنزلة في القرآن الكريم أو التي دوّنتها كتب السنة أو تلك المستخلصة من إجماع الفقهاء، بل من انحرافات سلوكية لفئات من المجتمع أسلمت دون فهم صحيح للدين، أقبست من كتب أئمة أصحابها بالزندقة والضلال بإجماع علماء الأمة اعتبرها المستشرقون ميراثا إنسانيا صوفيا شرعوا في ترجمته ونشره كقطوس الحلاج وعقائده الضالة التي هي على أحوال النصارى في التشبه والحلول على زعمه « إله في السماء وإله في الأرض »¹ اعتبر لويس ماسينيون موقف الإسلام من (مذهب الحلاج) رفضا لمذهب التجسيد المسيحي الذي تماثلت فيه شخصية المسيح عليه السلام وعمقيدته مع عقائد الحلاج ومعجزاته التي كان يقوم بها على حد زعمه وردّها قبل مقتله، تنبأ فيها بموته على خشبة الصليب أجرى عليها المستشرق الاستعماري مقاربات أفضت إلى عقيدة الحلول الإلهي في شخص الحلاج الذي عدّ -حسب نظره- قديسا شهيدا² فشتان بين رسول جعله الله آية في ولادته للخلق أجمعين أيده الله بعدها بمعجزة النطق والكلام في المهد وإحياء الموتى وشفاء المرضى بإذن الله دليلا له على نبوته ورداً على افتراء اليهود له ولأمة القديسة وبين سحر الحلاج وكفره وضلالته.

عدّ المستشرقون أشعار أبي نواس وقصائد البردة ومؤلفات ذات طبيعة فكرية لأناس نبغوا في المجون أو ظلوا بفلسفتهم في فهم الدّين أدّت إلى إحياء معتقدات وثنية ميراثا

¹ الحلاج هو الحسين بن منصور الحلاج ويكنى أبا مغيث نشأ بواسط وخالط جماعة من الصوفية منهم سهل التستري والجنيد وأبو الحسن النوري وغيرهم رحل إلى بلاد كثيرة، منها مكة وخراسان، والهند وتعلم السحر بها، وأقام أخيراً ببغداد، وبها قتل. تعلم السحر بالهند، وكان صاحب حيل وخداع، فخدع بذلك كثيراً من جملة الناس، واستأثم إليه، حتى ظنوا فيه أنه من أولياء الله الكبار له قبول عند عامة المستشرقين ويظهره على أنه قتل مظلوماً، وذلك لما رآه من اعتقاد قريب من اعتقاد النصارى: يُنظر: الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي المجلد 11، ط 1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان 1998 م ص 172

² MASSIGNON (Louis) *La Passion D'al-Hosayn-Ibn-Mansour Al-Hallaj, Martyr Mystique De L'islam*, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, T 2, Paris 1928, P 770

فكريا إنسانيا وجبت دراسته والاستثمار فيه بهدف إعطاء صورة نمطية لحال الاسلام المزرية - في نظرهم- من خلال طقوس مارسها من أطلقوا على أنفسهم المرابطين واستعملوا فيها جهل العامة عن قصد في قضاء احتياجاتهم الغريزية والبهيمية أدت إلى تشويه الدين الاسلامي¹

هكذا أجرى رؤاد المدرسة الاستعمارية على منطق القياس والإسقاط دراسات وأبحاث في هذا الشأن، وصاغت كتاباتهم أحكاما لا حصر في ازدياد عقيدة المسلمين انطلاقا من الطقوس التعبدية المنحرفة التي أدخلت بالدين، وصولا إلى استنتاجات سخيفة لا قيمة لها اعتمدت على الجزم بانحراف تعاليم الدين الاسلامي تبعا لانحراف عقيدة بعض الجهلة بتشريعاته وعدم فهمهم لها، على الرغم من وضوح تلك التعاليم والحكمة من وراء سنّها عند أئمة المسلمين و فقهاءهم.

لم يكن أساتذة المدرسة الاستشراقية من الذين درسوا الدين الإسلامي بتعمق وفهم صحيح بقدر ما كان هؤلاء من الذين حاولوا التشكيك في نصوصه الفقهية وأحكامه التشريعية، فاستخرجوا آيات من القرآن وأحاديثاً من السنة، وحاولوا إثبات نقائص ومتناقضات لضرب عصب الدين عن طريق الاستدلال بأحكام استساغها هؤلاء من موثيقهم ودرساتهم الوضعية كالمخلط الذي وقع فيه بيرون (PERRON) عند التطرق إلى حكم المرتد واعتبره جائرا في حق من ترك ركنا من أركان الدين أو مقصرا في عبادة من العبادات، متجاهلا حكم الشرع في المرتد الذي أنكر وجود ركن من أركانه، أما بالنسبة إلى الأحداث الموثقة في كتب السير والأحاديث الصحيحة فانصبت الجهود في مجملها إلى الدّفع باتجاه التحريف، فالنبي عليه الصلاة والسلام في نظرهم كان رجلا عظيما ولكن عظمته ترافقت مع حقه الدفين تجاه معارضيه من قريش وحبه للنساء واستدلوا على الحادثة التي وقعت لأسرى بدر وإقدام النبي على قتل رجل أهانه في مكة وهو عقبة بن أبي معيط على الرغم من توسل الأخير والتماسه الشفاعة منه،² والثانية

¹ إدوارد (سعيد) الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة، محمد عناني، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2006، ص 184

² DELA MARTINE (Alphonse) *La Vie De Mahomet*, Ed. L'Harmattan, paris 2006, p118

جاءت على خلفية تزوج النبي بزینب بنت جحش بعدما أغراه جسدها الذي كان شبه عار - حسب آرائهم - وطلاقها من زيد بعد ذلك¹ والحقيقة التي حاول حجبها هؤلاء أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكن يقتل أعداءه عن رغبة في القتل أو بدافع الانتقام وهو الذي نهى عن ذلك، وإنما كان بأمر إلهي لأشخاص بعينهم ثبت عداءهم للدين، كما وأن النبي عليه الصلاة والسلام ألحَّ على زيد إمساك زوجته وفي ذلك حكمة أراد الله من ورائها إبطال التبني. جردها المستشرقون واستيقنتها أنفسهم .

ترجم فاغنون (FAGNON) كتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني وعلّق عليه باللّغة الفرنسية حاول من خلاله هدم الأسرة الجزائرية من خلال التهجّم على المرأة فركّز في كتاباته على أحكام الأسرة وأحوالها، ذكر سبب ترجمته للكتاب كونه احتوى على نصوص قانونية ومعاملات دينية ومبادئ أساسية في التشريع، اعتبرت من الكتب الضرورية في تعليم النشء واشتمل على العديد من الفتاوى التي تُلقّن في المدارس الأهلية وانتشرت على نطاق واسع شمل السنغال، وغيرها من البلدان المجاورة نظرا لاختصاره وبساطته وسهولة حفظه - على حد تعبيره -² كما نشر المستشرق ترجمة لكتاب سيدي خليل احتوى -حسب نظره- على مجموعة من الأحكام الشرعية الاجتماعية التي قيّدت المرأة في الميراث والنكاح والطلاق والمهر، فأصبحت بمقتضاه سلعة تباع وتشترى كما أعاب على المسلمين تعدّد الزوجات وغيرها³ أحكام وأمثلة عن المرأة والمجتمع صاغها رواد مدرسة الاستشراق الفرنسية خلال العهد الاستعماري قوبلت برفض وانتقاد آخرين قدّموا قراءة صحيحة للإسلام والمرأة على وجه الخصوص، فهذا ألفونس ايتيان ديني (DINET) (1861م - 1921م) يقول «... إنّ تعدّد الزوجات عند المسلمين، أقل انتشاراً منه عند الغربيين الذين يجدون لذّة الثمرة المحرّمة عند خروجهم عن

¹ DELA MARTINE (Alphonse) *La Vie De Mahomet...*, op cit, p 130

² FAGNON (E) *Kayrawani (Risala) Ou Traité Abrégé De Droit Malikite Et Morale Musulmane* , Tr Avec Commentaire, Et Index Analytique Ed : Librairie Paul Gautneur , Paris 1914 p 5

³ FAGNON *Sidi Khalil Mariage Et Répudiation*, Tr. avec commentaire, Ed : Adolphe Jourdan, Alger 1909, pp 5-197

مبدأ الزوجة الواحدة ! وهل حقاً إن المسيحية قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ إن تعدد الزوجات قانون طبيعي وسيبقى ما بقي العالم، إن نظرية الزوجة الواحدة أظهرت ثلاث نتائج خطيرة هي العوانس والبغايا والأبناء غير الشرعيين¹ ... »

ويقول مارسيل بوازار (BOISARD) عن المرأة « ... يقدم التشريع للمرأة تعريفات دقيقة عما لها من حقوق، وييدي اهتماما شديدا بضمائها فالقرآن والسنة يحضان على معاملة المرأة بعدل ورفق وعطف، وقد أدخلوا مفهوما أشدّ خلقية عن الزواج، وسعيا أخيرا إلى رفع وضع المؤمنة بمنحها عددا من الطموحات القانونية أمام القانون كالمملكية الخاصة الشخصية والإرث²...أضاف... لقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل وهي ليست من ضلعه، بل نصفه الشقيق كما يقول الحديث النبوي-النساء شقائق الرجال - المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية، التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين اثنين، ولا يذكر التنزيل (القرآن) أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصلية كما يقول سفر التكوين، وهكذا فإنّ العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظا للتقليل من احترامها كما فعل آباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها عميلة الشيطان ، بل إن القرآن أضحى آيات الكمال على امرأتين امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام ... »³ وفيه استند الكاتب على قوله تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)⁴ وقوله تعالى: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)⁵.

¹ DINET (Alphonse. Étienne) : **La Vie de Mohammed, prophète d'Allah**. Ed : Librairie Orientale Et Américaine, Paris 1918. p 345

² بوازار (مارسال)، إنسانية الإسلام، ترجمة و تحقيق عفيف دمشقية، دار الآداب بيروت 1983، ص 108

³ نفسه، ص 113

⁴ سورة التحريم الآية 11

⁵ سورة آل عمران الآية 42

حاول كتاب المدرسة الاستعمارية التسويق لمغالطات تاريخية فاعتبروا الجنس العربي نسبا غير شريف اعتمادا على سياقات تاريخية أرجعت أصولهم السامية إلى أمة لم تكن معروفة لإبراهيم وهي هاجر، والنتيجة نسل منقطع عن أصوله وإسماعيل عليه السلام من العبيد، كما اعتبروا توجُّه إبراهيم الخليل عليه السلام نحو مكة نتيجة الغيرة التي صدرت من زوجته سارة والتي ألحَّت على ضرورة إبعاد أمته هاجر،¹ في حين أشارت كتب السيرة وما جُمع من الأحاديث النبوية الشريفة أن اتجاه إبراهيم الخليل عليه السلام نحو مكة كان بأمر إلهي ولحكمة أرادها الله بعيدا عن أي تأثير كما يدعيه هؤلاء هو بناء الكعبة لتكون قبلة للمسلمين مصداقا لقوله تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (27) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (28) ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿²

إنَّ الإسلام - في نظرهم - ما هو إلا أفكار مقتبسة من الإنجيل أخذها محمد عليه الصلاة والسلام من رحلاته المستمرة نحو الشام واحتكاكه بالرهبان أحلام وهلوسات ونوبات صرع انتابته منذ الطفولة صاغها في شكل أحكام ونصوص عند يقظته - في إشارة إلى الوحي - عبارات من الشعر وكتابات دوّنت من قبل كتّابه بأنظف أسلوب تحدث بها للمحيطين به على أنها قرآن منزل من السماء.³ وهو ما اتفق إلى حدٍ بعيد مع آراء بعض المستشرقين الذي قال عن الوحي بأنه صوت داخلي ظنّه محمد عليه الصلاة والسلام وحيا « ... إن محمّدا عدَّ كل ما يتحرك بداخله شيئا خارجا مرسلا من السماء، ولم يختبر أبدا هذا الإيمان بل انقاد للشعور الغريزي الذي قاده مرة إلى هنا ومرة إلى هناك، فكان يعتبر هذا الشعور الداخلي صوت الله الذي قدّر له بشكل خاص ... » وانساق وراءه بعض المثقفين الذي رأى بأن النبي « ... لم يكن

¹ DE LAMARTINE. *La Vie De Mahomet*. op citp 27

² سورة الحج الاية 26-27-28

³ DE LAMARTINE *La Vie De Mahomet* op cit ,p 83-84

دَجَّالاً وإن كان اعتداده بنفسه يدعوه في بعض الأحيان أن يتصرف كأنما كان الله رَهْنَ إشارته وكأنما كانت أفكاره أفكار الله ...»¹

زعم المستشرقون بأن الإسلام أخذ من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم عاشوراء وتطيب البيت الحرام وحظُّ الذَّكر في الميراث والأشهر الحرم والحجَّ والعمرة والوضوء والاعتسال والختان، وأخذ من الصابئة الصلوات الخمس والصلاة على الميت وصيام شهر رمضان والقبلة وتعظيم مكة وتحريم الميتة ولحم الخنزير وتحريم زواج المحارم ومن الهندية والفارسية، قصة المعراج والجنة والحدود والولدان المخلدون والصراف ومن اليهودية، قصة قابيل وقصة إبراهيم عليه السلام ومملكة سبأ وقصة يوسف عليه السلام ومن النصرانية، قصة أهل الكهف وقصة مريم العذراء وقصة طفولة المسيح عليه السلام² كما وأن رفض القرآن المكّي عقيدة أن الله ابنا ليست موجهة ضد النصارى بل ضدَّ المشركين العرب الذين اتخذوا الملائكة بناتا لله (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاتًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ)³ على حد قولهم (لا ينبغي أن ينظر إلى كل المواضع التي (يتهجم) فيها محمد على أنها جدل ضد بنوة المسيح لله فالوثنيون العرب اعتبروا ألهتهم اللات والعزى ومناة بناتُ الله، ولا يعني هذا أكثر من كائنات إلهية ذات طبيعة أنثوية)⁴ وعليه ألصق المستشرقون اتهامات لا حصر للنبي عليه الصلاة والسلام فاعتبروا دين الاسلام بدعة محمدية، سيقت في شكل اقتباسات من مذهب ديني مسيحي ضال هو المذهب الأريوسي الذي جرّد المسيح عليه السلام - حسب نظرهم - من ألوهيته.⁵

ردًا من جانبنا : نقول نعم أبقى الاسلام على بعض عادات الجاهلية ليس لأنها جاهلية بل لأنها عادات أصيلة توارثها المجتمع الجاهلي رغم انحرافاته العقائدية، لم يجادل النبي ولا المسلمون في شرائع الأنبياء من قبلهم بقوله (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) بل

¹ نولدكه (تبودور)، تاريخ القرآن، تحقيق ، جورج تامر ، مؤسسة كونراد ط 1 ، بيروت 2004 ص 20

² خليل أحمد (إبراهيم) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، ط. 1964 ص 84

³ سورة الزخرف الآية 19

⁴ نولدكه ، تاريخ القرآن ، المرجع السابق ، ص 30

⁵ إدوارد (سعيد) ، الاستشراق لمرجع السابق ، ص 132

لتصحيح ما جاء من انحرافات في العقيدة بدين جامع شرعه الله للمسلمين إلى قيام الساعة، فالصلاة فريضة على المسلمين كانت تؤدَّى من قبل الرسول قبل بعثته وهي الصلاة الحنفيّة، والحجّ والعمرة فرض على الأنبياء جميعاً من آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فحجّ آدم وجميع أبناءه من الأنبياء على الصفة التي شرعها الله في كتابه دون زيادة أو نقصان وهكذا كانت الصلاة مع تغير في المواقيت لا الأداء، بهذه الانتقائية في التحريم والتعميم في الإسقاط حاول المستشرقون هدم الدّين الإسلامي اعتماداً على ما قاموا بالاستدلال عليه فحسب نظرهم تبدو المواقيت وأحكام الشرع التي أنزلت في القرآن الكريم مجرد نزوات لمزاج النبي - المتعكر - افتقدت إلى مرجعية مؤسّسة لاعتقاداته المتدرجة على مراحل تبعاً لسيرورة الأحداث أجرى عليها أحكاماً قيست بمنطق الوحي ليس إلا. وقاده فشله إلى محاولة تأسيس دين جديد من قشور العقيدتين اليهودية والنصرانية.

اهتم الفرنسيون "بإسلام البدع" كألكسندر جولي الذي انشغل بحياة الدراويش وسماهم أولياء طبقاً لعقائد العامة ونشر عدة مقالات في المجلة الإفريقية عن "الأولياء وأساطير الإسلام" على سبيل السخرية ساق فيها طقوساً توارثتها الجهلة والعوام من المسلمين، أصبحت تقليداً لهم كما قدّم المستشرقون أمثلة جرت على لسان أناس تقلدوا سلطة دينية وأصبحت اعتقادات يجب الإيمان بها مظاهر سطح ذات أشكال غريبة كهوف ومنحدرات ومنعرجات أودية ردّ عوام الناس وجهلتهم سبب انحرافها إلى دعاء ولي صالح على سبيل المثال لا الحصر « سيدي عبد القادر قلاب الوادي »¹ وأشجار نبتت على صخور عجز الناس عن الإحاطة في فهمها، أعطى لها بعض الجهلة أبعاداً روحية غيبية وحتى في أمثال ضربت رفعت من شأن أقوام وقلّت من شأن آخرين مثل « تتلموا شهر وتنفروا دهر » جرت على لسان من سمّوا أنفسهم أولياء تداولها الناس

¹ مثل يردد في ناحية الونشريس الغربي ويطلق على منعرج للوادي الذي ينبع من سفوح جبال الونشريس ويصب في ناحية مستغافم.

وأصبحت من أحكام الشرع، الغاية منها إعطاء سلطة روحية لبعض الأشخاص توارثها أبناءهم من بعدهم كأولاد سيدي بن عليّة في منطقة أولاد نايل¹

هذه نماذج من دراسات تناولت حقل المعرفة في جانبه الفقهي والدّيني، نلمس فيها روح العداء تجاه من حمل راية الدّين أو كان سببا في إسلام المجتمع الجزائري، وجد رواد المدرسة الاستشراقية الفرنسية في الإسلام أحد أركان وحدة الجزائر السياسية والاجتماعية والدّينية ومقوّمها أساسيا لاستمرارها فسمحوا بانتشار البدع والطرقية والأفكار الضالة، تسربت إلى العوام كالاقتقاد في الخوارق والقوى المجهولة مما قاد إلى الخرافة وحول حياة الشّكّان إلى وهم كبير. فابتدع فكرة " المرابط " التي تمثل في الأصل النسب الشريف أو الأشراف أطلقها الاحتلال على كلّ من حمل صفة الولاء لفرنسا فهي دينية في مبعثها سياسية في توظيفها، تحوّلت بمرور الوقت إلى إعلام ديني اقتصر على إقامة " الزردات " وتقديم الذبائح من طرف الذين سمو أنفسهم " الخُدّام "، طقوس غريبة ساعد الاستعمار في انتشارها بين الناس بل والأكثر من ذلك بناء النّصب على أضرحة الأولياء أو في الكهوف وعلى أكمام القرى للدّلالة على مواطن كراماتهم أو خلواتهم الرّوحية استُخدمت كأبراج حراسة، وتجميع معلومات عن تحركات سكانها غالبا ما كان الجيش الاستعماري يقوم بقصف القرى على رؤوس ساكنيها ويتحاشى ضرب الأضرحة والقباب لإيهاام العوام بتدخل قوى غيبية حفظت للمسلمين مزارهم، بل واستعملت أداة انتزاع اعتراف حلفاء باليمين أمام ضريح ولي صالح عند إخضاع الضحية للاستئطاق.²

هكذا حاول المؤرخون الفرنسيون ومن اهتم بالدراسات الإسلامية على وجه الخصوص تحريف الدّين الإسلامي، وإفراغه من محتواه وجعله دين غرائز بشرية لا تكاليف ربانية اقتصر على إقامة الولائم وتقديس العادات الدّخيلة على المجتمع ونشر الاختلاف بين مكوناته المذهبية وإشاعة الفوضى والشّكّ وعدم اليقين في مبادئه، بل

¹ JOLY (A) « Saints Et Légende De L'islam » in R.A, vol. 57 Année. 1913 .p 14

² شهادة بعض من تعرض للتعذيب، من طرف الاستعمار، أثناء الثورة التحريرية (الوالد رحمه الله)

صار كل اسم يتعلق به مبعثا على السخرية ورمزا من رموز الدونية والاستهزاء، فتسمية الجزائري بالرجل (الأهلي والمسلم) تُشعِرُ المخاطب بالازدراء من قبل محدثيه.

سعى الاستعمار إلى التسويق لهذه الطقوس والحفاظ عليها، انسجاما مع رأي علماء النفس الذي يقول (... يفقد الإنسان جميع الاعتقادات الدّينية التي اكتسبها في طفولته بمرور الوقت، عدا الاعتقادات الخرافية التي تظل حاضرة في ذهنه تتحدى جميع التعليقات العقلية) إذ كيف يعقل أن يقوم الاستعمار بتحمل نفقات ما اصطلح على تسميته الولائم الدّينية، وتغطية تكاليف النقل على من يريد حضور مناسبات البدع التي يقيمها شيوخ الطرقية، في وقت يحارب فيه كل فكر متحرر يريد إعادة المسلمين إلى دينهم من خلال إحياء ركن الجهاد والاجتهاد وغلق منابر الإعلامية والتعليمية¹.

استبدل الاستعمار الدّين الاسلامي بمنظومة شعائر وطقوس في شكل تراتيل وحركات أقرب إلى الرقص منها إلى العبادة، بدأت باستحسان تأديتها من طرف شيوخ الطرقية، وانتهت بفرضها على العامة كطقوس لا تصح الصلّاة إلا بدونها، وعملت حركة الاستشراق في مجملها على الترويج لها عن طريق نشر مذهبها الخرافي وترجمة سير مؤسسيها فكانت أداة من أدوات مواجهة الاسلام الذي يُمثل تهديدا لفرنسا والغرب عموما فنهضة المسلمين عند عامة المستشرقين تعني نهاية الحضارة الغربية، وإجبار المسلم على التخلي عن دينه في البداية واعتناق المسيحية لا يمثل أولوية بقدر ما يمثل التشكيك في معتقد المسلمين وصدق كتابهم ونبوءة رسولهم محمد عليه الصلاة والسلام خطوة على درجة كبيرة من الأهمية، ليزاح من طريق الاستعمار في مرحلة أولى ضمن مخطط هادئ ومدروس وبطريقة ذكية.²

يقول جوليمان في هذا الصدد (... إنّ محمدا مؤسس دين المسلمين أمر أتباعه بأن يخضعوا العالم وأن يبدّلوا جميع الأديان بدينه هو، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين (المسلمين) وبين النصارى، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوّة وقالوا للناس أسلموا

¹ حصل مع جمعية العلماء المسلمين ومن قبلها نادي الترقى بدعوى المساس بالنظام العام.

² الميداني (عبد الرحمن حسن) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها التبشير الاستشراق الاستعمار، دار القلم ، ط 8 ، دمشق 2000 ص 37

أو موتوا، بينما أتباع المسيح رحلوا النفوس ببرهم وإحسانهم ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا، إذا لكانا مسلمين كالجزييريين والمراكشيين)¹

كان الاستشراق واقع استعماري ووعاء لكثير من الصور الزائفة التي صنعها الغرب عن الاسلام صور نمطية قامت على الاستعلاء والرغبة المستمرة في الاحتواء والإقصاء عن طريق تشويه صورة المسلمين وحضارتهم، في مسعى تبريري قوامه العدا للاسلام يقول المؤرخ الفرنسي مارسيل بوازار (إن كتابات المستشرقين - عدا بعض الاستثناءات النادرة - لم تُسهم في تصحيح فهم الإسلام، أو إعادة تدقيق الصورة التي كانت لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح، لأن الاستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية...)²

ألقى علماء الآثار الفرنسيون كل إبداع هندسي تعلق بالعمارة الإسلامية في الجزائر إلى نمط معماري بيزنطي مسيحي فالقباب التي تعلو المساجد ليست إلا نموذجاً احتوته كنائس النصارى ومحاريبهم وصوامعهم وساعات تحديد مواقيت الصلاة واتجاه القبلة ليست إلا صنعا رومانيا أو بيزنطيا لا دخل للمسلمين في تقنياته، في حين أشارت الدلائل التاريخية وجود اقتباس حضاري أوروبي لاختراعات المسلمين بالمعنى الدقيق للكلمة، فالنهضة الأوروبية لم تتقدم خطوة واحدة في كل المجالات من طب وفلك وهندسة ورياضيات وعلوم دون العودة إلى كتب ابن حيان وابن سينا والخوارزمي وإن أشار الأوروبيون إلى الترجمة التي اعتمدها المسلمون من كتب اليونان، نقول نعم ترجم المسلمون كتب اليونان والإغريق والسريان ولكن ترجمتهم لها ترافقت مع تصحيحات جوهرية ليس في مجال الفلسفة وحسب، بل مسّت كل جوانب العلوم النظرية والمعارف المجردة بل وحتى المناهج التجريبية التي أفضت إلى ابتكارات علماء ووصلت إلى الشكل المتعارف عليه حالياً عند الأوروبيين و لا يزال اقتباسهم الحرفي من تلك الكتب مُعتمداً في جامعاتهم ومحابرهم إلى يومنا هذا، دون اعتراف بقيمة ابتكارات علماء كان لهم السبق

¹ خليل (ابراهيم) المستشرقون والمبشرون... مرجع سابق، ص 41

² BOISARD (Marcel) *L'humanisme De L'islam*, 3^e édition , Ed : Albin Michel , Paris. 1979 p 38

في ذلك، فالكاميرا (CAMERA) هي القامة إبداع هندسي للعالم الجزائري عباس بن فرناس، فهو الذي استحدث تقنية الزجاج المقعّر العاكس للضوء من خلال الغرفة المظلمة، مثلت أساس تكنولوجيا التصوير الفوتوغرافي، ونظام العدّ بالأرقام المتداولة عالميا في العصر الحالي نظام خرج من مخبر جامعة بجاية التي درس فيها ليوناردو دافيتشي وغيره من علماء النهضة، وقس على ذلك كل أنواع العلوم ناهيك عن التي جاء ذكرها في القرآن وأيّدها العلم الحديث.

2-1- اللغة العربية

وجه جورج هاردي (HARDY) خطابه إلى الموظفين الاستعماريين قائلاً: (تاريخ المجتمعات المستعمرة ليس مثل تاريخنا الذي احتوى على أرشيف مكتوب ومتسلسل بأحداث وتواريخ، بل على العكس من ذلك جزء كبير منه في مجمله ذكريات احتفظ بها أشخاص مُسنون أو شخصيات دينية استخدمت قوة الذاكرة في نقل أخبار من مضي جيلا إلى جيل، غالبيتها ذات محتوى فارغ ومكرّر ومبالغ فيه يدور حول تاريخ الأنساب أو القوانين التي سنّها الأوّلون وحتى الأحداث التي مر بها المجتمع، لذا يمكن القول بأنّ التاريخ الحقيقي توقف عند شواطئ البحر المتوسط، وأنّ ما عداه مختصر في موروث خام وعقيم)¹ وبما أن المجتمعات تكتب تاريخها بلغتها لا بلغة الآخرين عمد الاستعمار الفرنسي إلى إثارة عقدة الكتابة.

أولا : الجزائري في نظر علماء الأنثروبولوجيا واللّسانيات يميل إلى التعامل اللّفظي انسجاما مع طبيعته الفوضوية التي ترفض اللّجوء إلى الوثائق المكتوبة مما يتيح له هامشا أكبر في الاحتيال والتنصل من التزاماته - فحسب نظرهم - شكلت اللّغة المكتوبة والقراءة بشكل عام، أزمة حقيقية لدى المجتمع الجزائري في جميع عصوره.

ثانيا : اللّغة العربية في المنطوق الأكاديمي الاستعماري لغة دينية لا قدرة لها على نقل الواقع الاجتماعي في سياقه الحضاري الشامل، ولا يمكن لها أن تفي بجائيات التعبير

¹ HARDY (Georges) *Ergaste ou la vocation coloniale*. Ed : La Rose, Paris, 1929 pp 95-96

عن التفكير العصري¹ مكان اشتغالها الحقيقي هو المجال الدّيني وفضاء المسجد كما كانت اللاتينية لغة الكنيسة في القرون الوسطى. وعليه أصدر الفرنسيون قانونا خاصا في سنة 1904م، منع أي معلم عربي من تعاطي مهنته إلاّ برخصة وضمن شروط محدّدة هي:

أ - اقتصار التعليم على حفظ القرآن لا غير .

ب - عدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعو إلى التحرر من الظلم والاستبداد.

ج - استبعاد دراسة التاريخ العربي والإسلامي والتاريخ المحلي وجغرافية الجزائر والأقطار العربية الأخرى.

د - استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه.²

اعتبر رواد المدرسة الاستعمارية اللّغة العربية لغة عانت من القصور الحضاري والعجز العلمي وصعوبة وتفاوتا بين طريقة النطق وطريقة الكتابة سببه ارتفاع مستواها اللّغوي عن فهم الناس لغة معقّدة القواعد كثيرة الشذوذ في مسائلها وقضاياها.³ حرص المستشرقون القائلون بهذه الشبهات على أن تكون حججهم من المسلّمات، فانتقلوا من مناقشة أسسها العلمية والبحث في قواعد النحوية، إلى طرح أساليب ووسائل أخرى للخروج بها من تلك الأزمات التي اختلقوها، عن طريق استبدال حروفها العربية بالحروف اللاتينية تصرف فيها المستشرقون بقواعد ابتدعوها من عندهم، طعنوا في أصالة النّحو العربي واعتبروا قواعد ملاحظاتهم قدّمها الأعاجم الذين أسلموا في بادئ الأمر ليست من أجديات اللّغة، وارتكزوا في حججهم على سيوييه وأسقطوا جميع من سبقه من علماء البلاغة والنّحو العرب.⁴

اعتمد المستشرقون على مقاربات منطقية نحوية بين اللّغة اليونانية القديمة واللّغة العربية فالخليل بن أحمد الفراهيدي على سبيل المثال، ابتكر شكل الحروف وعلامات القراءة

¹ جوليان :إفريقيا الشمالية تسير...، مرجع سابق ، ص 30

² بوعزيز (بيجي) سياسة التسلط الاستعماري ، والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954 م) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2007 م ص 60

³ رمضان (عبد التواب) :بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي ، ط 1 ، القاهرة 1982 م ، ص 166

⁴ فك (يوهان): العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة، عبد الحليم النجار ، القاهرة 1951 م ، ص 11

استناداً على نماذج سريانية قديمة¹ كما وأن استعمال إسم الإشارة " هو " اقتبسه العرب من اللُّغة الفارسية²

رداً من جانبنا ما الضَّير في كون بعض مفردات اللُّغة العربية وردت على لسان الأعاجم؟ وهل المقاربة كافية للدلالة على أصلها الأعجمي؟ ولماذا لانعكس الآية ونقول هي عربية ولكنها جرت على لسان الأعاجم مثل كلمة "ضيزى" التي وردت في القرآن الكريم وتعني قسمة غير عادلة على حد قول علماء التفسير؟ فالقرآن جاء للبشرية جمعاء والعربية وإن استخدمت ضمائر وأسماء (مستوردة) إن صحَّ القول اجتهاداً فذلك لتقريب الفهم على من اعتادوا التكلم بلسان أعجمي، لا ينقص من مكانتها شيئاً بل وربما عُدَّ ذلك إحياءً لمفرداتٍ هي في الأصل عربية باعتبارها اللُّغة الأم والأصلية في العالم وأنَّ ما عداها من اللُّغات اشتقاقات ليس إلاً مصداقاً لقوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)³ فما انطبق وصفه العربي على الكلِّ وهو القرآن لا يصحُّ استثناءه على الجزء وهو كلمة ضيزى. والله أعلم.

قسَّم المستشرق الفرنسي أرنست رينان اللُّغات قسماً آريه وسامية ولكلٍّ منهما خصائصها المميزة، وبعد انتهائه من دراساته في مجال فقه اللُّغة المقارن، وصل إلى نتيجة أسقط فيها حكمه على اللُّغات السامية فاعتبرها ساذجة بإسقاط آخر أكثر تعنتاً على المتحدثين بها قائلاً في هذا الشأن " إن الجنس السامي أقل شأناً من الجنس الآري لأن عقليته تتسم بالبساطة التي هي أقرب إلى الضحالة والسذاجة في اللُّغة والصناعة والفن والمدنية أما الجنس الآري فتتميز عقليته بأنها تميل إلى التعدد والانسجام والتركيب وقدرتها على وضع الفلسفات والمفاهيم والمناهج والشعر الراقى)⁴ حكم قدّم فيه الأساس الفلسفي لتفوق الأوربيين على شعوب الشرق عامة والمسوغ القانوني في الوقت نفسه لاستبدالها

¹ بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، ترجمة، محمد عبد الحليم النجار، دار المعارف، ج 2، القاهرة، 1961م، ص 123.

² نفسه، ص 124

³ سورة يوسف الآية 2

⁴ مذكور عبد الحميد (عبد المنعم) نظرات في حركة الاستشراق، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، 1990م ص 54 - 55

بلغة لا تعدو أن تكون في نظر الباحثين، مجرد لهجة تحدثت بها مجموعات بشرية في القرن الخامس عشر الميلادي.

ادّعى المستشرقون الفرنسيون بانعدام الوحدة العضوية في اللّغة العربية تبعا لذهنية العرب القائمة على عقيدة التوحيد، تركت العربي والمسلم يعيشان في جمود وعلى وتيرة واحدة، لغة افتقرت إلى خصائص التركيب وغنى الخيال وعمق التفكير خلاف شعوب الإغريق القدامى الذين قدّموا نماذج في التشريع والفلسفة والحكمة.¹ حكمة فلسفية في نظرنا قامت على عبادة طوطمية صوّرت آلهة الإغريق في أجساد البشر ورؤوس الحيوان لازالت البشرية تعاني من طقوسها الوثنية ممثلة في ظاهرة التجسيد إلى يومنا هذا، منطلق سار عليه جل المستشرقين في كتاباتهم انتهى إلى محصلة افتراءات وأحكام، حصرت لغة القرآن الكريم في مفردات لا تصلح للتعبير عن حاضر الأمة ومستقبلها سياق سار عليه المجتمع الجزائري في نظرهم استنبطت تقاليدته من التراث الشعبي (الأسطوري) خلفه العرب وقدّم كمنهج لتعليم النشء في عمومياته.²

اشتغل الفرنسيون على دراسة اللهجات المحليّة وشجعوا على انتشارها أملا في خلق كيانات لغوية مرتبطة بأقليات إثنية³ واعتبروا اللّغة الداريجة اللّغة الأم لدى المجتمع الجزائري لسهولة النطق بها ففتحت المدارس لتعليمها، وارتكزت برامجها على التفقه في العاميات، ولقنوها لعدد كبير من فئات الشعب الجزائري الذين أخذوا مبدأ الاهتمام بها على أساس ثقافات جهوية، سهلت عملية التواصل بين (طوائفه الإثنية) - على حد تعبيرهم - فطبعت الكتب والقواميس التي احتوت على مفردات دارجة تشجيعا لنشرها بين الناس على غرار كتب ويليام مارسيني الذي تخصص في اللّهجة العامية المنتشرة في منطقة الغرب الجزائري،⁴ ودوتي الذي ترجم نصوصا دارجة احتوت على قصص خرافية

¹ الباش (إبراهيم) « اللغة العربية في مواجهة الاستشراق » مجلة الثقافة ، ع 2010/10/14 م

² DAUMAS (Eugène) : *Mœurs et coutumes de l'Algérie*, Tell , Kabylie, Sahara Librairie De La Hachette, Paris 1853 p 129

³ حمدان (نذير) مستشرقون ، سياسيون ، جامعيون ، مجميون ، الطائف ، ط 1 ، 1988م ص 82

⁴ MARÇAIS (William) *Le Dialecte Arabe Parlé à Tlemcen : Grammaire, Textes et Glossaire*. Ernest Leroux, Editeur, Paris, 1902 p1

اقتبسها من موروث وهراني¹ تبرير ساقه المستشرقون قائم على اختلاف اللهجات في حين كانت اللغة العربية الفصحى بالذات عامل تقريب للفهم والادراك لمن استحال عنده نقل الأفكار في سياقها التواصلية الدارج ، ولنضرب لذلك مثلا قد يراه الباحثون مقنعا. إذا ما افترضنا جدلاً ضرورة استعمال التعبير الدارج في تقريب الفهم والإدراك على من وجد صعوبة في توضيحهما عنده خلال محادثة بينه وبين شخص آخر يتكلم بلهجة غير لهجته، فهل سيضيف المتحدث حركة الإشارة لكل كلمة ينطق بها، أم يقوم الاثنان في أن واحد بالاحتكام إلى اللغة الفصحى قولاً وكتابة؟ يقول الأستاذ يحي بوعزيز رحمه الله في هذا الشأن (تلك هي مواقف الاستعمار وذلك هو شأنه، في مقاومة ثقافتنا القومية ببلادنا، إنه يعتبر تدريس العربية اضطهاداً عنصرياً يجب مقاومته حتى لا تتعرب البلاد وتصبح عربية، وكأنها لم تكن عربية مسلمة، وكأن العربية لم تعش فيها ثلاثة عشر قرناً كاملة.)²

لعب المستشرقون الفرنسيون دوراً بارزاً في نشر اللهجة العامية وكان الهدف من وراءه القضاء على لغة القرآن فهي وسيلة التواصل إن لم نقل الترابط بين جميع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألسنتهم على اعتبار التحدث باللغة العربية من شروط النطق بالشهادتين، لمن أسلم حديثاً وأراد تأدية فرائض الإسلام كالصلاة إذ يحرم على المسلم الذي لا يعرف اللغة العربية قراءة آيات القرآن بغير ما أنزلت به كترجمته مثلاً فالقرآن كلام الله المعجز وترجمته ليست معجزة بل هي من كلام البشر مصداقاً لقوله تعالى (إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لقوم يعقلون)³ ولا يسقط مبرر الجهل بها فرائض أركانه على من لا يجيد التحدث بها من الغرباء. لذا ضاعف الإسلام أجر المجتهدين في ترتيبه باللسان العربي فيسر الله قراءته للناس أجمعين (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ)⁴ وحرّم

¹ DOUTTE (Ed) *Un Texte Arabe En Dialecte Oranais*, imp. Nationale, paris 1903, p 338

² بوعزيز (يحي) *سياسة التسلط الاستعماري...*، مرجع سابق، ص 61

³ سورة يوسف الآية 2

⁴ سورة القمر الآية 22

قراءته مترجماً بل وأوجب العقوبة لفاعله. فما جرى عليه حكم التحريم، استوجب العقوبة قياساً على حدّ قول علماء الشرع.

شرع الفرنسيون في تدريس لغتهم باعتبارها اللُّغة العلمية المطلوبة، وأن ما عداها من لغات أخرى غير مؤهلة لخوض هذا الغمار. طيب رداً على من يصفون اللُّغة الفرنسية وبقية اللُّغات الأخرى اللاتينية والجرمانية باللُّغة العلمية أو لغة العلم والعربية تحديداً بغير العلمية بما معناه - الأدبية قياساً - نقول إن اللُّغات جميعها في الأصل أجناس أدبية استعملت للتواصل أولاً بين المجموعات البشرية، نشأت بالإشارة ثم اتخذت منحى تصويرياً على جدران الكهوف وتطورت في مراحل زمنية لاحقة، إلى كتابات مسمارية كاللُّغة الهيروغليفية في مصر القديمة إلى أن وصلت إلى الشكل المتعارف عليه حالياً، فلا توجد لغة علمية وإنما قاموس علمي أو مصطلحات علمية قائمة على تعبير إنشائي خال من أي إبداع أو بلاغة كالبساطة والدِّقة والاختزال والوضوح والموضوعية استخدم في تخصصات العلم المختلفة كالفيزياء والرياضيات والطب والهندسة لا ترقى مفرداته إلى لغة مستقلة بقدر ما يحتاج هو في حد ذاته إلى لغة للتخاطب .

يقدر عدد كلمات اللُّغة العربية بأكثر من اثنا عشر مليون كلمة دون تكرار لها في اللفظ أو المعنى فارق جعل أكثر كلمات اللُّغة العربية دون شرح لغوي فيما عداها من اللُّغات. فالفرنسية على سبيل المثال تتشكل في مضمونها من أربعة آلاف وست مائة وخمسة وثلاثين وجد منها ألفان وثمانية وعشرون كلمة فقط من الأصل اللاتيني الذي يعد المصدر الأصلي للُّغة الفرنسية وتسعمائة وخمسة وعشرين كلمة من اللُّغة اليونانية وستمائة وأربع كلمات من الألمانية، ومائتان وخمسة وثمانون كلمة من الإيطالية ومائة وأربعة وخمسون كلمة من الإنجليزية ومائة وستة وأربعون كلمة من العربية، ومائة وتسعة عشر كلمة من الإسبانية وستة وتسعون كلمة من الكلتيّة وأربعة وثلاثون كلمة من التركية وستة وثلاثون كلمة من العبرية وخمسة وعشرون كلمة من السلافية، وتسعة وتسعون كلمة من اللُّغات الآسيوية وثلاثة وستون كلمة من اللُّغات الأمريكية الهندية ست كلمات من لغات إفريقيا وأربع كلمات من الهنغارية وعشر من البرتغالية، واثنان فقط

من البولينية¹ فكلمة (MINARET) أخذت من المصدر العربي منارة والحبل (CABLE) والقميص (CHEMISE) والكهف (CAVE) والغزال (GAZELLE) والمخزن (MAGAZIN) وهكذا... فيما تقسم أسماء اللُّغة الألمانية على سبيل المثال، إلى مؤنث ومذكر ونوع ثالث لاتعرفه اللُّغة العربية وهو (المحايد) وتضع لكل واحد من هذه الأجناس الثلاثة أربع حالات إعرابية هي حالة الفاعل والمفعولية والإضافة والقابلية والحالة الأخيرة، لا تعرفها العربية وهي إعراب المفعول الثاني، كما وأنَّ بناء الجملة في اللُّغة الألمانية له نظام صارم، فالفعل يحتل فيها المرتبة الثانية دائما إلا في الجمل الفرعية كالجمل التعليلية أين يؤخر الفعل فيها إلى نهاية الجملة ففي كل كتاب من قواعد اللُّغة الألمانية نجد على صفحته الأولى ملاحظة هي (إحفظ مع كل اسم أداة تعريفه وصيغة جمعه لأنه ليست هناك قاعدة لذلك).²

لم يسجل التاريخ أي احتكاك أو عداء بين اللسان العربي و(البربري) في الجزائر كما ادعى بذلك الفرنسيون ولم يكن للحكام وأغلبهم من أصول أمازيغية منذ الرستميين والحماديين وحتى الموحدين والزيانيين أي تعصب لغوي أو تمييز عرقي³ على لسان البشير الإبراهيمي " اللُّغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبةً ولا دخيلة بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم، تتغلغل في النفوس وتنساع في الألسنة واللُّهوات وتنساب بين الشفاه، والأفواه يزيد لها طيبًا وعدوبة أن القرآن بما يُتلى وأن الصلوات بما تبدأ وتُختم فأصبحت لغة دين ودنيا معًا، سلّطت سحرها على النفوس فأحالتها عربية كل ذلك باختيار لا أثر فيه للجبر واقتناع لا يد فيه للقهر وديمقراطية لا شبح فيها للاستعمار، وكذب وفجر كل من يسمي الفتح الإسلامي استعمارًا... من شهد بأن البربرية مازالت قائمة الذات في بعض الجهات فقد شهد للعربية بحسن الجوار وشهد للإسلام بالعدل

¹ أنيس (إبراهيم) من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 3، 1966م ص 120

² رمضان (عبد التواب) بحوث ومقالات ...، مرجع سابق، ص 167

³ سعيدوني (ناصر الدين)، في الهوية والائتماء الحضاري، البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة 2013، ص 104

والإحسان ومن قال إن (البربر) دخلوا في الإسلام طوعاً فقد لزمه القول بأنهم قبلوا العربية عفواً لأنهما شيئان متلازمان حقيقة وواقعاً¹

وعليه تفرض اللُّغة العربية نتيجة قمع الولاية على حد ادعاء المستشرقين، بل إن الذين تخصصوا في ظاهرة التعريب الذاتي في بلاد المغرب رَدُّوا سبب التعريب إلى العقيدة الإسلامية، واهتمام الأمازيغ بتعلم لغة القرآن وفي ذلك يقول ديسبارمي (DESPARMET) (... نحن نعيش هذا الواقع الذي تحوّل فيه الإسلام إلى قيم مقدسة واللُّغة العربية لغة القرآن المقدس وسيلة تواصل وأداة مقاومة لمخططات الاستعمار وأخطاء التفرنس... وأن اللّهجات التي كنا نعتبرها قلاعاً تدافع عن خصوصية السكان ضد الثقافة العربية قد تراجعت ببطء وحدثت بها فجوات وثغرات وأصبحت تشبه الحصون المهدامة، وأن الظاهرة الأساسية في ذلك هو تبني مجموعات السُّكان لثقافة القرآن، وتحوّل اللُّغة العربية الفصحى عندها إلى وسيلة حرب ضد اللّهجات البربرية وضد الخطر الفرنسي ... أضاف قائلاً...اقرأوا إن شئتم جريدة النجاح في عددها المؤرخ يوم 5 ديسمبر 1930م إن اللُّغة العربية في الجزائر تمثل درعاً من دروع الوطنية والاسلام ومسألة اللُّغة هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لكل شعوب المغرب...²) بل وذهب جورج مارسيسي (MARCAIS) إلى أبعد من ذلك حين قال « ... إنَّ تعريب شمال إفريقيا تم واكتمل، ومن الصعوبة بمكان إحياء الإثنية (البربرية) لصالح فرنسا، بل والأكثر من ذلك يمكننا القول بأن ثلث المفردات العربية قد أخذت شكلاً من أشكال الكتابة (البربرية) ... »³

وفي شمول اللُّغة العربية واكتمالها يقول المستشرق ألفريد غيوم عن العربية (...يسهل على المرء أن يدرك مدى استيعاب اللُّغة العربية واتساعها للتعبير عن جميع المصطلحات العلمية للعالم القديم بكل يسرٍ وسهولة، بوجود التعدد في تغيير دلالة

¹ الإبراهيمي (محمد البشير) « اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضرة » ، جريدة البصائر ع 41، 28 جوان 1948 م

² DESPARMET : « La Réaction Linguistique En Algérie » (B, S, G, A, A, N) Numéro 125 Année 1931, pp 1-3

³ MERCIER (E) « les origines des peuples berbère » in R. A , vol 15, Année 1887, p 430

استعمال الفعل والاسم" ويضرب لذلك مثلاً واضحاً يشرح به وجهة نظره حيث يقول: (إن الجذر الثلاثي باشتقاقاته البالغة الألفَ عدداً، وكل منها متسق اتساقاً صوتياً مع شبيهه، مشكلاً من أيّ جذر آخر، يصدر إيقاعاً طبيعياً لا سبيل إلى أن تخطئه الأذن، فحن الإنكليز عندما ننطق بفكرة مجردة لا نفكر بالمعنى الأصلي للكلمة التي استخدمناها، فكلمة (Association) مثلاً تبدو منقطعة الصلة بـ (Socins) وهي الأصل ولا بلفظة (Ad) ومن اجتماعهما تتألف لفظة (Association) كما هو واضح وتحتفي الدالة مدغمة لسهولة النطق، ولكن أصل الكلمة بالعربية لا يمكن أن يستسر ويستدق على المرء عند تجريد الكلمة المزيدة حتى يضع تماماً، فوجود الأصل يظل بيناً محسوساً على الدوام وما يعد في الإنجليزية محسناتٍ بديعيةً لا طائل تحتها، هو بلاغةٌ غريزيةٌ عند العربي)¹.

وفي انتشار اللُّغة العربية قال الأستاذ ميليه (... إن اللُّغة العربية لم تتراجع عن أرض دخلتها قيد أمثلة، لتأثيرها الناشئ من كونها لغة دين ولغة مدنية، وعلى الرغم من الجهود التي بذها المبشرون، ولمكانة الحضارة التي جاءت بها الشعوب النصرانية لم يخرج أحد من الإسلام إلى النصرانية، ولم تبق لغة أوربية واحدة لم يصلها شيء من اللسان العربي المبين وحتى اللُّغة اللاتينية الأم الكبرى صارت وعاءً لنقل المفردات العربية إلى بناتها...)²

وعن ثراء مفردات اللُّغة قال المستشرق الألماني فرنباغ (... ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب بل إن الذين نبغوا في التأليف بها، لا يكاد يأتي عليهم العدّ وأنّ اختلافنا عنهم في الزمان، والسجاياء والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية، وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبين ما وراءه إلاّ بصعوبة...) وقال الفرنسي جاك بيرك (BERQUE) (... إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللُّغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا

¹ لين (إدوارد) « مقدمة مد القاموس » ترجمة عبد الوهاب الأمير، مجلة المورد، م 5، ع 2، دار الحرية للطباعة، بغداد 1976، ص 43.

² الجندي (أنور) الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان 1982، ص 303-304.

إنَّ الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية...¹

هذه نماذج على شكل اعترافات لمؤرخين ومستشرقين أدهشهم ثبات اللُّغة العربية وسمود مفرداتها، على الرغم من اجتهادات بعضهم في محوها بعد سنوات أمضوا خلالها جهوداً في سبيل إزالة وجودها أو تحجيمها على الأقل عن طريق تشجيع لهجات محلية تنوب عنها وضعوا لذلك قواميس وقصصاً للأطفال باللُّغة العامية ضمن ما عرف بالأدب الشعبي، وطالت وسائل التحريف الطعن في أصولها وقوانينها لإفساح المجال أمام انتشار اللُّغة الفرنسية . فما كانت النتيجة؟ فشل ذريع وانتصار للناطقين بها وإصرار على المحافظة عليها لأنها السند الوحيد لإقامة شعائر الإسلام بينهما علاقة وثيقة يصعب على أي كان النيل منها. يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله في هذا الشأن (...). كل جزائري وكل مؤرخ منصف يعتقد أن دخول الإسلام إلى الجزائر كان عاملاً وحدة خالدة، فقد منح للجزائريين العقيدة التي وحدت سلوكهم واللُّغة التي وحدت تفكيرهم، كما غرس فيهم مبادئ التضحية والإيثار وبالتالي فقد أعطى الإسلام للجزائريين حضارة كاملة تقوم على العربية كوسيلة تفكير وتعبير، وعلى الدين كطريقة حياة وسلوك، ولم يتقبل الجزائريون هذه الحضارة فقط بل ساهموا في تقويتها وتمكينها (...)² وكان ذلك على رأي عبد الحميد ابن باديس " العربية لغتنا والإسلام ديننا والجزائر وطننا " .

3-1- الأرض والدولة :

سعى الاستعمار لتخطي حدود جغرافية أوطانه ومدّ سيطرته على مناطق أخرى اعتبرها الفكر الاستعماري مجالاً حيويًا واستراتيجيًا عمد إلى تنفيذها بعمليات اجتياح وغزو عسكري أسّس فيها المؤرخون الفرنسيون احتلال الأراضي على فكرة الفضاء المفتوح وطرحوا تساؤلاً من أين أتى هؤلاء المستوطنون وإلى أين اتجه تعميرهم؟ فافترضوا حسب نظرهم خروج طبقات اجتماعية لبلد متحضر في هجرات نحو مناطق اعتبرها

¹ الجندي (أنور) الفصحى...المرجع السابق، ص 304

² سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء...ج 2...مرجع سابق، ص 60

المؤرخون خالية من السكان أو مأهولة من مجموعات بشرية بدائية¹ قام المستوطن بعدها في مهمة ثنائية استهدفت الأرض والإنسان استغلالا ونتاجا ومدّ الجسور والطرق وإنشاء المصانع من جهة، وتحضير السكان باقتلاع أنماط ثقافات متخلفة وتعويضها بنظام رأسمالي قائم على (المستعمر و المستعمَر)² وبهذا فالاستعمار في المفهوم الأيديولوجي للغرب عموما له مهمة حضارية للحضارة (Civilisation) لها معنى اشتقاقي هو " Culture De Terre Et De Ses Habitants " ويختلف المفهوم إذا ما قورن بالمهجرات البشرية التي عرفتها الإنسانية منذ فجر التاريخ فالاستعمار هو فعل واع ومقصود تميّز بالحرية والذكاء صادر عن مجتمعات متحضرة فقط.

يعد تاريخ الجزائر في الكتابة الاستعمارية تاريخ أمم تداولت على احتلالها، أرض مستباحة لكل من يريد التوسع والاستعمار إن ذكر تاريخها القديم طرق المؤرخون أبواب قرطاج وروما وما تعلق بهما من أحداث على أرضها، وإن ذكر تاريخها الوسيط استعملت عبارات الفراغ والفوضى والقرصنة أما العصر الحديث فهو تاريخ المستوطنين تمت كتابته كجزء من تاريخ فرنسا نفسها أصبح بمقتضاه الجزائريون في القانون الفرنسي سكانا أهليون خضعوا لمخبر ايدولوجية الاستعمار صاغ كتابهم قصصا وروايات لثقافة شعبها ونمط معيشة سكانها وحتى لطبيعتهم الخلقية أما المستوطنون فمثلوا الشعب الجزائري الجديد على أرض إفريقيا لوطن اسمه الجزائر، بل لمستعمرة على بقعة جغرافية اسمها شمال أفريقيا.³

لم يمتلك الجزائري في يوم ما مقومات بناء دولته الوطنية التي تتمتع بتاريخ وحدود جغرافية ونظام سياسي بل وحتى علاقات اجتماعية، كل ما هنالك تقاليد توارثها (البربر) في شكل معتقدات خرافية نقلها أشخاص اعتمادا على قُوّة الذاكرة تأثرت في غالبها بقوى الطبيعة واقتبست من موروث ديني وثني متخلف جاء به العرب (ففي

¹ GUIRAULT (Arthur) : **Principe De Colonisation Et De Législation Coloniale**, 2 Edition,

Ed : Ancienne Maison I. Larose Et Forcel , T 1. Paris 1904, p 2

² VAN EERDE (Johan Christiaan) **Ethnologie Coloniale (L'Européen Et L'indigène)** Ed. Du Monde

Nouveau, paris. 1927, p 19

³ سعد الله (أبو القاسم) أبحاث...ج 1، مرجع سابق، ص 60

منطقة الجنوب الجزائري أين يعيش الطوارق انتشرت أسطورة سكان لا أثر لهم في الواقع مساكن موزعة بين جبال الهقار ورواية تحدثت عن أصوات وضرب طبول ونيران مشتعلة إذا ما حلّ الظلام¹

الجزائر إسم بدون جغرافيا، نظام افتقد إلى صفة الدولة المركزية ذات الانتماء القومي والحضاري في جميع المراحل التاريخية التي مرّت على بلاد المغرب الأوسط، وماذا عن الممالك النوميدية كالتى أنشأها ماسنيسا ومن جاء بعده من ملوك الجزائر قديما؟ يجيب المؤرخون الاستعماريون بأنها كانت منقوصة السيادة أو تُدار من قبل إمبراطوريات أجنبية فيوبا الثاني لم يكن مهتما باستعمال اللّغة الأمازيغية واختار التحدّث باللّسان اللاتيني وفي ذلك دلالة على انتمائه لروما شأنه في ذلك شأن ماسنيسا الذي استقدم الرومان لاحتلال إفريقيا وحكم جزءا منها بالوكالة،² في إشارة إلى ضعف حكام الجزائر إنشاء كيان سياسي خاص بهم أو حتى بعث دولتهم الوطنية، برّر الكتاب موقفهم استنادا على معطيات جيو-إستراتيجية فشمال افريقيا عموما حرمة جغرافيته من إنشاء كيان سياسي مستقل بسبب غياب مركز مستقطب لباقي الأقاليم الأخرى ، عكس دول أوروبا التي أتاحت لها فرصة التكتل في وحدات سياسية. وماذا عن دويلات المغرب الاسلامي كالرستميّين والموحدين والأغالبة والأدارسة؟ يجيب المؤرخون الفرنسيون كيانات طفيلية تظهر نهارا وتغيب إذا ما حل الظلام³

ظل التجاهل واضحا عند التطرّق إلى التكون التاريخي للجزائر عند المؤرخين الاستعماريين من خلال التقليل من فترات استقلالها عبّر عنها الأستاذ محمد البشير شنيقي بمايلي: (من ماسينيسا إلى دولة الأمير مروورا بدولة الرستميّين والحماديين والزيريّين كلها في منظور هذا الاتجاه محاولات فاشلة، تأسست في ظل الأجنبي أو ظهرت نتيجة لتصاعد حرارة الرفض الأرعن للنظام الأجنبي الضاغط ونمت نمووا غير سليم، لا يتركز

¹ BASSET (R) *Recherche Sur La Religion Des Berbères* Ed : Ernest Leroux, Paris ,1910 p 5

² LA CROIX (L) : *Histoire De La Numidie Et De La Mauritanie* Ed, L'univers, Paris 1844, p 14

³ GAUTIER : *Le passé*, op, cit, P 13

على الأسس الصحيحة للدولة فهي فقاعات جوفاء ما لبثت أن تفرقت وتلاشت دون أن تترك تقاليد سياسية وشرعية دولية يحق للخلف أن يرثها عن السلف¹

أدرج أساتذة المدرسة الاستعمارية تاريخ الجزائر العثمانية ونظامها السياسي في إطار علاقة المستعمر "الخليفة" بالمستعمّر "الجزائري المسلم" حكم الأتراك العرب حكما استبداديا وعاملوهم معاملة العبيد واحتقروهم احتقارا شديدا.² وتحكم الأوجاق في مصير البلاد فلم يسمح النظام الذي أقامه الأتراك للجزائر بالتقدم نحو الوحدة على رأي شارل أندي جوليان الذي أطلق على النفوذ الروحي للخلافة الإسلامية العثمانية في الجزائر اسم الاستعمار التركي³ في خلط مقصود بين التحالف والاستعمار لذا يمكننا الرّد من جانبنا بطرح سؤال نراه ضروريا عطفا على السياق الذي أورده الكاتب : الاستعمار هو المرحلة التي تلي الغزو فما هي المعارك التي خاضها الجزائريون ضد الأتراك؟ وكم عدد السفن البحرية الجزائرية التي غنمها الأتراك بعد احتلالهم للجزائر إن كان هناك احتلال؟ و من هم القادة البحريون الجزائريون الذين وقعوا في أسر العثمانيين؟

زيادة على ذلك هل كانت هذه العلاقة تمثل مصلحة دولة أجنبية كما يدعيه هؤلاء أم كانت لمصلحة الجزائريين الذين رأوا في السلطان العثماني أميرا مخلصا من الاستعمار الاسباني بعدما احتل مدن الجزائر الساحلية وكاد يحتل باقي المدن الأخرى؟ وهل أراد الكتاب الفرنسيون من الشعب الجزائري أن يستنجد بسلطان كافر عوض استنجاهه بالسلطان المسلم سليمان القانوني؟ لقد حافظ العثمانيون على أرض الجزائر، ودافعوا عن معتقدات المسلمين ونظمهم السياسية وأخمدوا الفتنة التي كانت تحاك ضد الشعب وغذّواها المحتل الاسباني، وسار على منوال المؤرخين الاستعماريين بعض الكتاب الذين رأوا بأن العثمانيين لم يقوموا بشيء يذكر للجزائر سوى أنهم أخزوا احتلالها من الأوروبيين مدة ثلاثة قرون من الزمن فهل وقف الأتراك أمام تطور الجزائر في نظامها السياسي ودستورها الجمهوري وانتمائها الاسلامي؟ يجيب هؤلاء بالفساد السياسي والتعفن الذي

¹ شنتي ،أضواء...، مرجع سابق، ص 17

² بيرنت (يوهان كارل) :- الأمير عبد القادر- ترجمة ، أبو العبد دودو، دار هومة الجزائر 2012، ص 73

³ جوليان ، إفريقيا الشمالية...-، مرجع سابق ، ص 19

استشرى داخل مفاصل الدولة في الجزائر خلال العهد العثماني في خلط مقصود بين مظالم السلطة والنزعة القومية للأتراك وفي ذلك يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله رحمه الله مجيباً على هذه الإشكالية (لم تكن الجزائر محكومة بنظام وراثي كما هو الشأن بالنسبة إلى أسرة البوربون الفرنسية وأسرة الهابسبورغ النمساوية بل بنظام ديمقراطي يقوم على مبدأ الانتخاب وينتخب فيه الداي حاكماً على الجزائر. الوحدة التي رأى فيها الفرنسيون فرصة للاستقلال عن الخلافة العثمانية ماهي إلا مغالطة تاريخية يحاول من ورائها رواد الفكر الاستعماري دق إسفين في كيان الأمة الإسلامية فالخلافة كانت تقرب بين الجزائريين ولا تبعدهم إذ لا قومية في الإسلام ، ولا إقليمية في العروبة ، والتجربة العالمية بينت على أن الشكل القومي بالمفهوم الحديث لم يظهر إلا عند تهديد خارجي للعاطفة الذاتية للأمة)¹ فهل ظهرت في الجزائر خلال الفترة التي يتحدث عنها الكتاب الفرنسيون أي (1516م - 1830م) ؟ زد على ذلك لولا تلك الوحدة لما تم تحرير معظم سواحل الشمال الإفريقي وبفضل التحالف الإرادي بين الجزائريين والخلافة الإسلامية العثمانية، توحدت الجزائر سياسياً وجغرافياً وعسكرياً بعد ما كانت موحدة روحياً وفكرياً² أي القرن الثامن الميلادي قبل أن تظهر فرنسا إلى الوجود وسياسياً في القرن السادس عشر حين كان الفرنسيون يبحثون عن كيانهم بين الأمم³ كما أن معظم المعالم الجغرافية لحدود الجزائر الحديثة كانت واضحة إبان الفترة العثمانية خاصة من الشمال والشرق والغرب فقد امتد نفوذ السلطة إلى الصحراء كتوقرت وغرداية وورقلة والأغواط ، حيث كان البايات يقومون بحملات تأديبية عند امتناع بعض الشيوخ عن دفع الضرائب على سبيل المثال حملة صالح راييس على توقرت وورقلة سنة 1552 م وحملة الباي العباسي على غرداية في القرن السابع عشر وحملة الباي محمد الكبير باي وهران على الأغواط سنة 1785 م.⁴

¹ سعد الله ، أبحاث وآراء، ج 1، مرجع سابق، ص 67

² هوارى (مختار) « الدولة الجزائرية في الفترة العثمانية: بين آراء النفي والإثبات » (م، ع، ل، ل)، جامعة باتنة، ع 26 ديسمبر 2016

ص 5

³ سعد الله (المرجع السابق، ص 66)

⁴ سعيدوني (ناصر الدين) : الجزائر منطلقات وأفاق، مقارنة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، دار الغرب الإسلامي،

خلاصة القول في المفهوم التاريخي الاستعماري تعد الجزائر عموما منذ فجر التاريخ فضاء جغرافيا تداولت عليه الأمم والحضارات وعلاقة سكانها مع بقية شعوب البحر المتوسط علاقة استعمار بمستعمَر وكفى¹ والسبب يعود إلى تراكمات تاريخية أملتها عوامل الغزو وأحدثت عجزا في تحقيق استقلال شعوبه أو وحدة أراضيها ولغياب قائد محلي موضع إجماع امتلك مقومات القيادة وبما أن التاريخ عند الفرنسيين يعتمد على دراسة الوثائق فالجزائر أرض بدون جغرافية وحدود ومن ثم دون تاريخ أصلي الا الكتابات الرومانية التي أرخت لشمال إفريقيا كبقعة جغرافية وساحة حرب وغزو وعبور لا أرضا سكنها شعب أصيل منذ القدم وعلى الدّارس أن يختار بين كتابات مؤرخين للاستعمار على أرضها أو إبقاءها خارج دائرة التاريخ أرض استوطنها إنسان بدائي غير عاقل لا يعرف انتمائه العرقي وفي هذه الحالة اقتصر التأريخ على دراسات مكتملة برع فيها الفرنسيون كاللّسانيات والاثنوغرافيا والأثنوبولوجيا وشواهد أثرية جاهزة قدّمها رواد المدرسة الاستعمارية مواقع آثار لحصون وتماثيل لأباطرة رومان وكتابات على جدران معابد ونقوش على توابيت حجرية تحمل قراءات لاتينية مسيحية وعلى سكان الجزائر إن شاءوا كتابة تاريخهم لكن ... بأقلام مستعمرهم .

ثانيا: أبعاد المشروع الاستعماري

1- التنصير:

حركت الروح الصليبية الهمم لإعادة المسيحية إلى إفريقيا فكان الدافع الدّيني الذي رافق الحملة الفرنسية قويا لدى الجنود الذي بدا واضحا في سلوكيات قادة الجيش الفرنسي ومنهم شارل دييورمون الذي خطب جيشه قائلا " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحيين في إفريقيا وإننا نأمل أن تنبعث الحضارة المسيحية التي انطفأت في هذه الربوع"² وردّد خلالها الكاتب العام لإدارة الاحتلال أثناء تجهيز الحملة عبارات الزهو

بيروت، ط 2000، ص 5

¹ CAMPS (G) Monument Et Rite Funéraire protohistoriques Ed: Métiers graphiques, Paris 1961, p 7

² التميمي (عبد الجليل) « التفكير الدّيني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن التاسع عشر » (م، ت، م، ع، 1، 1974، ص 12-13)

والأمل في النصر واقتلاع الإسلام من جذوره قائلًا (إنَّ آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام أما العرب فلن يكونوا مُلكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا)¹ كما أقام القس الماروني اللبناني شارل زكار أول قداس مسيحي في الجزائر ومنه انطلقت حركة التنصير قبل أن تلحق فرنسا الجزائر بممتلكاتها سنة 1834 م

وعلى اعتبار الإسلام عائقا أمام المشروع الاستعماري لتثبيت الجزائريين به أولا وتمسكهم بقيمه عمل الاستعمار على محاصرته فكانت حركة التنصير مطلبا استراتيجيا للإدارة الاستعمارية فلا جدوى من إدماج الجزائريين في فرنسا دون اقتلاع الإسلام من أرض الجزائر إذ لاحظ بيرتولت (BERTHAULT) بأن الإسلام سيظل حاجزا هائلا يفصل بين سلوكيين وحضارتين² وهي الفكرة التي روجها الجنرال بيجو (BUGEAUD) قائلًا: (... إن الجزائريين لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين ولن يصبحوا فرنسيين إلا إذا أصبحوا مسيحيين) لذا يجب استئصال الإسلام من أرض إفريقية وإعادة المسيحية كدين وحيد لدى سكان الجزائر فالحرب هناك ماهي إلا اتمة للحروب الصليبية على حد قول رجل الدين المسيحي بوجولا (POUJOLAT) سنة 1844م في ردّه على رسالة الجنرال بيجو الذي تساءل عن جدوى بقاء القوات الفرنسية في الجزائر ومقاتلة الأمير عبد القادر.³

استولى الجنود على ممتلكات الأوقاف ومنها وقف مكة والمدينة⁴ وسارعوا إلى هدم المساجد كمسجد (السيدة) بالعاصمة، وتحويل جامع كتشاوة إلى كنيسة تلاه جامع البليدة وتلمسان وقسنطينة في مشروع تكفل به رؤساء الكنيسة المسيحية بالجزائر⁵

¹ الغزالي (محمد): الاستعمار أحقاد وأطماع ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 4 ، 2005 ص 20

² BERTHAULT (Paul) : *La Propriété Rurale En Afrique Du Nord*. imp. . Alençonnaise, Paris 1936, p 22

³ POUJOLAT (M) : *voyage en Algérie (Etudes Africaines)*, Ed. Vermot Libraire, Paris 1847, p 285

⁴ ممتلكات ومزارع خصصت أموالها لدفع نفقات الحجيج خلال العهد العثماني

⁵ سعد الله الحركة الوطنية... ج1... مرجع سابق ... ص 76

على الرغم من المعاهدة التي أمضاها الفرنسيون مع الداى في 5 جويلية 1830 م والتي قضت باحترام الدين الإسلامي وعدم المساس بملكات المسلمين .

فاوضت الحكومة الفرنسية الفاتيكان على فتح أسقفية لها سنة 1838 م بعد تسوية الأزمة التي ظهرت بين البابا الذي رأى صلاحية تعيين الأساقفة من اختصاصات الفاتيكان وبين لويس فيليب الذي رأى أحقية الملك على اعتبار الجزائر مستعمرة فرنسية. ولظروف مرّ بها المجتمع الفرنسي وحالة العداء التي نمت داخل مكوناته بسبب انتشار الفكر الفولتيري المتطرف تجاه الكنيسة الكاثوليكية،¹ فعين القس أنطوان دوبوش (DUPUCH) أسقفا واتخذ من سانت أوجين - بولوغين حاليا - مركزا لنشاطه وأراد إحياء الكنيسة الإفريقية القديمة التي أنشأها أوغسطين ورسالته في ذلك تعريف الجزائريين بدين أجدادهم ظنا منه أن الدين المسيحي يمثل أصل الديانات السماوية وأن ما عداه من ديانات أخرى تعد استثناء مذهب طبع براء القداسة وقام معتنقوها بنشرها قسرا بين السكان في إشارة إلى - الدين الإسلامي - ومن أعماله انشاء سبعة وأربعون كنيسة و أربعين ملجأ للأيتام، كما عمل على جلب "أخوات الرحمة" وهن راهبات خدمن في مجال التطبيب والأعمال الخيرية وتحولت أموال الأوقاف الإسلامية إلى خدمة الكنيسة، ناهيك عن مرتبات القساوسة والرهبان التي فاقت سبعة وثلاثون ألف فرنك فرنسي سنويا.²

حلت فرقة العزازين المسيحية بالجزائر عام 1843 م، وكانت قد نشطت في المشرق العربي لسنوات طويلة فأرادت اكتشاف تجربة جديدة، مادتها الخام اليتامى من أطفال الجزائر، والذين انتشروا على حواف الطرقات وفي الأماكن العامة بعدما فقدوا آباءهم نتيجة حرب الإبادة التي مارسها الجيش الفرنسي ضدّ السكان الجزائريين فحاولوا كسب ودهم كمرحلة أولى من خطة التنصير، عن طريق تقديم يد المعونة والقيام بأعمال الإغاثة والتطبيب في المستشفيات وكشف أوجه التسامح والتكافل والرحمة عند - رسل المسيح

¹ عبد الجليل التيمي « انطباعات حول أهمية الدين في الممتلكات الفرنسية لإفريقيا » (م ، ت ، م) ع 1 ، 1974 م ص 33-34

² سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6 دار الغرب الاسلامي، ط 1 بيروت، لبنان 1998 ص 111

- وبعد حصولهم على ثقة الأطفال تبدأ المرحلة الثانية في شكل مواعظ ودروس كهنوتية الهدف منها بث روح الكراهية تجاه عقيدة الإسلام.¹

اهتمت جمعية الأخوات البيض وبنات الإحسان وراهبات باستور الطيب والراهبات الثالوثيات وأخوات القديس جوزيف بشؤون المرأة ، كان الهدف منه الوصول إلى إخراج بنات الجزائر وجعل آبائهن لا يمانعون في تعليمهن، إذا كان الأمر يتعلق بتدبير شؤون البيت والحياطة والغسيل والترقيع والحياكة فهذه حرف يقبلها الجزائري لكن ما لم يكن يعلمه أرباب الأسر هو ترافق ثقافة المستعمر، ونشر تعاليم الديانة المسيحية إلى جانب تعليم الحرف المنزلية ليجد المجتمع الجزائري نفسه في قطيعة مع ماضيه العربي الإسلامي² نشط الكاردينال لافيغري في بلاد القبائل لما تمثله من خصوصية طائفية - حسب ظنه - وأرضا صالحة لنجاح تجربته، بعدما أمضى سنوات طويلة في لبنان بالمشرق العربي واعتمد على نظرية التمايز العرقي على أساس تنافر بين مكونات المجتمع الجزائري فأراد إحياء النزعة (البربرية) اعتنق سكان القبائل الإسلام كرها الذي فرضه عليهم العرب الفاتحون. ودفعهم إلى تقبله الظاهري خوفهم من دفع الجزية أو مواجهة الموت وبالتالي تبدو تعاليم الاسلام دون أثر عميق في نفوس (البربر)³ واندفع إلى مبتغاه بدعوات مهّدة لها المسؤولون الفرنسيون والعسكريون منهم على وجه الخصوص الجنرال أوجين دوماس (DAUMAS) الذي عمل في بلاد القبائل على رأس المكاتب العربية واهتم بدراسة أنماط العادات والتقاليد، وأسس لفكرة وجود كراهية ونفور لتعاليم الدين الإسلامي وأن السُّكّان ما فتئوا يحتفظون بقوانين لا تتناسب مع تعاليم القرآن، حيث قال: (... كلما حفرنا هذا الجذع القديم إلا ووجدنا تحت القشرة الإسلامية الأصول المسيحية ...) ⁴ إذ يعد الأمازيغ حسب نظره أكثر تسامحا من غيرهم في قضايا الإسلام بل وأضاف البارون

¹ وعلي (محمد الطاهر) : التعليم التبشيري في الجزائر من (1830 م - 1904 م) دراسة تاريخية تحليلية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2009 ص 81

² وعلي... التعليم التبشيري... ، المرجع السابق ، ص 140

³ بقطاش (خديجة) : الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830- 1871 م) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 2009 ص 136

⁴ DAUMAS (Joseph, Eugène) *la grande Kabylie, Etude Historique*, Ed : Libraires De L'université Royale De France Paris 1847, p 89

أوكايبنتان (AUCAPITAINE) وصفا إثنوغرافيا لطباع (البربر) قائلًا (... هم أكثر انسجاما مع أفكار وتعاليم فرنسا وشعوب أوروبا من الجرمان المسيحيين، وغالبا ما احتكموا إلى قوانين صاغها الإغريق والرومان)

مع مجيئ الكاردينال لافيغري سنة 1867م بدأ عهد جديد من تنصير الجزائريين مثل ذروة النشاط الصليبي، في مشروع طموح اعتمد على جهاز إداري وإعلامي واجتماعي واستعان بالراهب اليسوعي أبي كروزا (CREUZAT) الذي استقر في (الأربعاء نايت ايراثن) ، وأنشأ فيها مدرسة دينية، قدّمت قصصا تاريخية خدمت العقيدة المسيحية غير أنّها اصطدمت برفض شيوخ القبائل لحملة التنصير حيث رفع فيها أمناء الزّوايا راية العصيان والعداء تجاه نشاط القس الفرنسي الشيء الذي حمل ماك ماهون (MACMAHON) وكان قائدا عسكريا في المنطقة على التراجع، وتقديم النصيحة للكاردينال لا فيغري الذي نقل الرسالة لرهبانه اليسوعيين، بوجود التخلي عن توجيه دعوات التنصير صراحة والاكْتفاء بنشر دعوتهم بين السكان سرّاً أو عن طريق تقديم خدمات طبية لهم خوفا من انتقام يكون مبعثه الدفاع عن عقيدة الإسلام، فانتهزوا فرصة المجاعة العظمية التي حلّت بالجزائر، وراح ضحيتها آلاف الجزائريين فتكفلوا بألف وسبعمائة وثلاثة وخمسون يتيما تتراوح أعمارهم ما بين ثمانية الى عشر سنوات وقدرت تكاليف الإيواء والتنصير لسنة 1868م ثمانمائة ألف فرنك فرنسي.¹

عمل لافيغري على مشروع آخر يتمثل في عملية نقل واسعة لآلاف الموارنة المسيحيين من لبنان بعد الأزمة الطائفية التي حدثت بين الموارنة الكاثوليك والدروز نتج عنها قتل الآلاف منهم تدخل على إثرها القنصل العام الفرنسي في الاسكندرية بمبادرة قدّمها سنة 1845م تمثلت في نقلهم بلاد القبائل تمهيدا لنشر الديانة المسيحية اعتمادا على مؤشرات ومعطيات مناخية وطبيعية وثقافية أيضا تشابهت مع بيئة منطقة القبائل² فباشر اتصالاته مع العديد منهم تمهيدا لنقلهم إلى الجزائر للعمل كمزارعين أو كجنود في

¹ أجبرون (شارل روبير) المجتمع الجزائري في مخبر الأيديولوجية الكولونيالية (مقاومة القبائل للإدماج وفشل مشاريع التنصير والتجنس) ،

ترجمة محمد العربي ولد خليفة، دار ثالة الجزائر 2002 ص 122

² YVER (G) « les maronites et l'Algérie » in R A vol,61, Année 1920 pp 166-167

الجيش الفرنسي، غير أن الإدارة الفرنسية اعتبرته غير مجد ومكلفا للخزينة بعد قيامها بدراسة البيئة الاجتماعية للموارنة، وانتهت اللّجنة التي تشكلت إلى رفض المقترح كلية كون الموارنة وإن صحَّ استعمالهم كوسائط بينهم وبين الأهالي في الجزائر فإنه من المستحيل بمكان الاعتماد عليهم كجنود في الجيش الفرنسي، إذ أكدت التجربة بما لا يدع مجال للشك ضعف الطائفة المارونية في الدفاع عن نفسها وأرضها أمام هجمات الدروز على الرغم من قلة عددهم، إضافة إلى ما قد يخلفه التمايز الاجتماعي في الجزائر بين عرب المشرق المسيحيين، وعرب المغرب المسلمين من كراهية تنأى فرنسا عنها بنفسها واضطرت في النهاية إلى إهمال المشروع كلية.¹

تشجع رجال الكنيسة بعد القضاء على ثورة الحاج أحمد المقراني وقمع الطريقة الرحمانية التي كانت ناصبت العداء لحمالات التنصير في المنطقة سنة 1871 م، فوسع مجال نشاطهم ببناء مراكز دينية وأخرى تعليمية وصحية تمثلت في مستوصفات علاجية أشرف على تسييرها رهبان وراهبات، أملا في تأطير مجموعات مسيحية داخل المكون الأمازيغي في بلاد القبائل² منيت هي الأخرى بفشل ذريع مقارنة بالجهد الذي بذله الاستعمار في سبيل إنجاحها، والموارد التي خصّصها لتغطية نفقات التنصير والزمن الذي أهدره وقارب مائة سنة هذا إذا ما اقتنعنا جدلا بالإحصائيات التي نشرها الاستعمار ولا تتعدى بضع مئات يجهل سبب تنصرهم - إن عُدد ذلك صحيحا حسب الرواية الاستعمارية - فالإسلام كفيل بإرجاعهم إلى دينهم ودفعهم إلى التوبة بعد ردّتهم بخطبة جمعة واحدة.

أرجع الاستعمار الثورة التي اندلعت في منطقة القبائل نتيجة التنصير إلى أوضاع اجتماعية سببها الأول المجاعة التي ضربت الجزائر، فإذا كان ذلك صحيحا لماذا لم تندلع ثورات مشابهة في باقي أرجاء المستعمرة شبيهة بثورة الرحمانيين في منطقة القبائل طالما كان السبب واحدا؟

¹ YVER (G) « les maronites... » op cit, p 170-171

² ANTHONY, (Ph) *Missions des Pères Blancs en Tunisie, Algérie, Kabylie, Des Sœurs Blanches Du Cardinal Lavigerie*, Ed : G.L. Arlaud, Lyon, 1930.p 166

اغتر الكاردينال لافيغري ببعض المناطق في الجزائر ذات أهمية جغرافية ورأى ضرورة إقامة مستوطنات وقرى مسيحية كمنطقة القبائل وغيرها وفيها يقول الأستاذ سعيدي مزيان (...يخطئ من يقول بأن التنصير في الجزائر، خصَّ منطقة القبائل فقط إذ هي محاولة لتحجيم العملية برمتها، فالواقع التاريخي بين بما لا يدع مجالا للشك امتداه إلى جميع أنحاء الجزائر كافة كالشلف (الأصنام) وعين تموشنت وبسكرة التي أسَّس فيها شارل لا فيجري فرقة إخوان الصحراء المسلحين، بدعوى محاربة الرِّق بل وتمنّاست موطن نشاط دوفوكو ومن جاء بعده...) ¹ انتهت كلها بالفشل الذريع مما جعل شارل لا فيجري في آخر أيام حياته يرِدُّ بنفسه خيبة أمله في اعتناق سكان القبائل المسيحية قائلا (...لقد خسرنا في منطقة القبائل ما حققناه في لبنان ...) ²

واصل شارل دوفوكو (DEFOUCAULT) 1858م- 1916م نفس المهمة التي قام بها سلفه لكن بمنطقة تمنّاست في إقليم الجنوب الجزائري، حيث تواجد الطوارق اعتبرهم الأخير مثار إحساس معادٍ للإسلام، وأطلق مشروعه بمنطقة الهقار في قلب الصحراء معتقدا إمكانية نجاحه اعتمادا على ظروف تاريخية وجغرافية ودينية واجتماعية بالمنطقة في نظره لم يصلها الاسلام بحكم انعزالها وبعدها الجغرافي والسكان أشبه بقوم لم يعرفوا من الدِّين إلا اسمه ويعيشون على طقوس منحرفة ناجمة عن قلة إدراك وتفقه في تعاليمه زيادة على ذلك يعتبر الطوارق رحلا في نمط حياتهم ميزهم الحلّ والتّرحال وهي خصوصية إذا ما حسن توظيفها كفيلة بنقل تعاليم الدِّين المسيحي إلى أواسط إفريقيا جنوب الصحراء، وُعِدَ المشروع طموحا للغاية في نظره لتنتهي حياته على يد مسلم ينتمي إلى الطريقة السنوسية في 1 ديسمبر 1916م ³

أخطا شارل لا فيجري ومن جاء بعده من رجال الديانة المسيحية في حق الجزائر وتاريخ أهلها إذ لا وجود لصنم يعبد بعد الإسلام على أرضها، وعقيدة التوحيد التي اعتنقها السكان هي سرُّ بقائهم في حاضرة الإسلام حتى لو اختلفت مفاهيم تدينهم

¹ سعيدي (مزيان)، الشروق اليومي، 5 نوفمبر 2012

² العسلي (بسام) محمد المقراني وثورة 1871 م، دار النفائس، الجزائر، 2010م ص 240

³ BAZIN (René) Le Père De Foucauld, Ed, Librairie Plan, Imprimeur, paris 1937, p 118

وطرق تعبدتهم عن جهل أو اجتهاد عند بعضهم، وفي ذلك أشارت تقارير جمعية العلماء المسلمين في عرض حال شمل تأثير التنصير على الجزائر (... الواقع أن التبشير مع طول المدة، واستكمال العدة، لم يلق النجاح الذي يتناسب والجهود المبذولة فيه، والسبب الأكبر في ذلك يرجع إلى شيء واحد وهو تصلب الجزائري لدينه مهما بلغت به العمامة والأمية والفقرة).¹

2- الفرنسية :

تعد محاولة الفرنسية أو إعادة بعث الرومنة ، وإحياء اللسان اللاتيني القديم ضمن استراتيجية الاستعمار الفرنسي فبعد قيام المستشرقين بالطعن في أصول اللُّغة العربية والتشكيك في قدرتها على التواصل الحضاري أو مواكبة التطور والعصرنة التي شهدتها أوروبا بعد الثورة الصناعية، أراد رؤاد المدرسة الاستعمارية تعويض اللُّغة العربية بالفرنسية وكان الهدف من وراءه إحلال ثقافة المستعمر وجعلها بديلا عن الثقافة الأصلية للشعوب المستعمرة، فكان من نماذجها القضاء على لغة الهنود الحمر في أمريكا، وثقافات القبائل في بعض أجزاء القارة الإفريقية.²

أنشأ الاستعمار الجمعيات التي اهتمت بفرنسة المحيط ومن بينها الجمعية الوطنية لنشر اللُّغة الفرنسية في المستعمرات والخارج Association Nationale pour la propagation de la langue française dans les colonies et à l'étranger والتي تأسست في جويلية من سنة 1883م وبدأت نشاطها في 1884م بعد اعتمادها بمرسوم جمهوري كمؤسسة عمومية خدمتية بتاريخ 23 أكتوبر 1886م، تجاوزت ميزانيتها بعد مرور خمس سنوات على تأسيسها ثمانون ألف فرنك فرنسي³ لقيت في نشاطها تشجيعا من طرف الحكومة الفرنسية وساسة الاستعمار وأصحاب المطابع الذين وضعوا المؤلفات المنشورة في خدمة المشروع الاستعماري كما جاء في بندها الحادي عشر، فقامت بنشر

¹ جمعية العلماء المسلمين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر 1982 ص 56

² تركي (راج) التعليم القومي والشخصية الوطنية، ش، و، ن، ت ط 3، الجزائر 1983، ص 104

³ Statut De L'association Nationale, Pour La Propagation De La Langue Française, Dans

Les Colonies Et A L'étranger, siège social, Saint-Guillaume, Paris 1889 p 3-4

المذكرات باللُّغة الفرنسية إضافة الى الكشوف والحوليات كما قامت بتغطية نفقات المحاضرات وتأسيس المدارس والمتاحف وتقديم المنح والعلاوات والجوائز.¹ ترأسها بول بارت (BERT) المعين من طرف الكاردينال شارل لافيغري وأشرف على إدارتها النائب الجمهوري كارنو (CARNOT) والجنرال فيدارب (FRIDHERBE) والقس جوليان دي لاغرافيار (DELAGRAVIERE) عكس ارتباط المشروع الثقافي الاستعماري الفرنسي بالمخطط الصليبي واهتمام الأساقفة ورجال الدين المسيحيين باللُّغة الفرنسية باعتبارها أداة للتنصير.²

عمل الاستعمار على فرنسة التعليم ومناهجه ووسائل تلقينه من خلال جلب معلمين فرنسيين إلى المدارس واستعمال اللُّغة الفرنسية في إلقاء الدروس بل وتلقيب أبناء المستعمرة في المدارس ألقابهم الجديدة التي سنَّها في قانون الحالة المدنية 1882م موازاة مع إغلاق للمدارس العربية دون مبرر يذكر ، حيث رأى الاستعمار خطورة اللُّغة العربية على مصالحه وأهدافه ومشاريعه فشكّل لجانا للتفتيش منعت مرور الكتب الآتية من المشرق العربي نحو الجزائر فالجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح اللُّغة الفرنسية هناك لغة قومية والعمل الجبار الذي يتعين إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين (الأهالي) وعلى نحو متدرج إلى أن تقوم مقام اللُّغة العربية، إضافة الى فرنسة الإدارة وجميع مجالات الفكر والأدب والفن والثقافة³ حيث قال الدوق دي روفيقو في هذا الشأن (... لا يمكن للجزائر أن تصبح حقيقة ضمن ممتلكات فرنسا ، إلا إذا أصبحت اللُّغة الفرنسية لغة رسمية، يجب أن تحل جميع العلوم والفنون التي صنعت مجد وطننا في هذا البلد وأن يساهم التاريخ في هدف أسمى تتحول بمقتضاه الجزائر إلى أرض فرنسية، اعملوا على نشر اللُّغة بين صفوف الأهالي، ونقلها إلى أجيال تكونت في

¹ Statut De L'association Nationale..., op cit. p 5- 6

² سعيدي (مزيان) النشاط التنصيري، للكاردينال لافيغري في الجزائر (1867م-1892م) ، دار الشروق، ط 1، الجزائر 2009 ص 98

³ عامرة (تركي راجح) الشيخ عبد الحميد ابن باديس، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط 5 منشورات م ، و ، ن الجزائر 2001م. ص. 40

المدارس الفرنسية...أضاف.... لست متشائما من المستقبل فمع قليل من الوقت يمكن رؤية أساتذة ينحدرون من جميع الأقطافإسبان وإيطاليون وفرنسيون ويهود وأندلسيون أيضا.¹

ظلّ التعليم في الجزائر من احتلالها سنة 1830م إلى غاية 1905م خاضعا للكنيسة وتحت رحمة رجال الدّين المسيحيين وللإنسان أن يتصور حجم الضرر الذي ألحقه هؤلاء بلغة القرآن وعقيدة التوحيد كان الجزائريون بين خيارين إما دفع أبنائهم إلى التعلم في مدارس تلقن مناهج فرنسية كنسية، أو تركهم دون تعليم عرضة للجهل. زيادة على ذلك قام الاستعمار بداية الاحتلال بعمليات تهجير واسعة للسكان تناقص عددهم على إثرها ووصل إلى الثلث في مدينة الجزائر وحدها، تركزت عمليات التهجير على نفي علماء اللّغة والدين الإسلامي من فقهاء شريعة وأئمة مساجد وشيوخ الإفتاء، فنفي مصطفى ابن الكبابطي وابن العنابي وقذور بن رويلة وعبد العزيز الحداد وغيرهم، وقدّرت إدارة الاحتلال في تقاريرها الدّورية عدد من غادر مدينة الجزائر وحدها نحو المشرق بأكثر ثلثي السّكان.²

أسّست السلطات الاستعمارية في سنة 1836م في مدينة الجزائر أول مدرسة للأهالي سميت بالمدرسة الحضرية الفرنسية هدفها دمج أبناء (الأهالي) في المنظومة التربوية الفرنسية لم يكن نظام التدريس الجديد موجها لسكان الريف وإنما لسكان المدن فقط على أمل خلق جيل جديد يؤمن بثقافة الاستعمار وتعاليمه.³ هذا إذا ما اقتنعنا جدلا بجديّة الإدارة الاستعمارية في تعليم أبناء الجزائريين أصلا. فالمواقف بدت متشعبة بين من رأى ضرورة تلقينهم في حدود لا تخرج عن الطابع الحرفي الاستغلالي، تعليم ضحل وهزيل من الدرجة الثانية جرعات من اللّغة الفرنسية والحساب بما يخدم المعمر كطرز الزرابي أو العمل في سلك الترجمة وسيطا بين السكان والجنود أو مزارعين في أراضي

¹ MASSE (H) « Les Etudes Arabes En Algérie, 1830-1930 » in R A, vol, 74 Année, 1933 p 211

² هلال (عار) الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918) دار هومة ، الجزائر 2007م ص 12

³ سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3 ، دار البصائر، الجزائر 2007م ص. 248

المحتل الفرنسي، فالمستوى العالي بقي حكرا على الفرنسيين وحدهم¹ وبين من رأى ضرورة إقصائهم كلية وهو شعور نابع من حالة القلق والخوف التي طبعت المستوطنين عامة فالיום أنداد وغدا أسياد حسب قول الحاكم العام جول كامبون (CAMBON) سنة 1851 م الذي اعتبر الرُّوح العدائية أشد عند التلميذ (الأهلي) الذي تعلّم في المدارس الفرنسية وجاراه في الحكم لويس تيرمان (TIRMAIN) سنة 1886 م بقوله (إن عدوانية الأهالي تقاس بمدى مبلغهم في العلم)²

كان الهدف من وراء إنشاء مدارس أهلية عربية إلى جانب مدارس فرنسية خلال العهد الامبراطوري غزو الجزائر أخلاقيا، افتتحت ست وثلاثون مدرسة عربية فرنسية ضمت ألفا وثلاثمائة تلميذ جزائري ومعهدان عربيان فرنسيان وثلاث مدارس دينية إسلامية جاءت حكومة الجمهورية وقُلّصت المدارس الى ست عشر مدرسة ابتدائية سنة 1882م، سياسة كان لها الأثر الكبير على من ادّعوا الاصلاح التعليمي مثل جول فيري (FERRY) رأى الجمهوريون التعليم خطرا حين يمنح لجمهور من الصعاليك - على حدّ قول- شارل أندري جوليان فرفضوا هذه المغامرة الباهظة التكلفة وغير محسوبة العواقب لأنّ (الأهالي) سيهتفون بصوت واحد الجزائر للجزائريين.³

لم تقف سياسة الفرنسية عند حدود التعليم بل تعدّاه إلى التعاملات الإدارية والتجارية، فأصدر شارل جوناك سنة 1900م قانون فرنسة الوثائق الادارية حيث أجبر القضاء الموثقين المسلمين على تحرير عقود الملكية باللُّغة الفرنسية، ومنع السكان في القبائل من تقديم الوثائق المحررة باللُّغة العربية إلى الادارة الاستعمارية واعتبرتها غير ذات قيمة قانونية، ضمن مشروع اصلاح الإدارة والتعليم وجمع الأرشيف، كان الهدف من وراء سنّ القانون احلال اللُّغة الفرنسية محل اللُّغة العربية في المنطقة ضمن سياسة فرق تسد وهي السياسة استهدفت إحداث فجوة لغوية بين سكان الجزائر، مشروع قابله

¹ سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار البصائر الجزائر 2007م ص 304

² GHOUATI (Ah) : *Ecole et imaginaire dans l'Algérie coloniale* (Parcours et témoignages)

L'Harmattan, Collection Europe Maghreb, Paris 2009, p 97

³ أجبرون (شارل رويير) تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة، عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت 1982 ص 113

سكان القبائل بالرّفْض المطلق بل ومقاومته من خلال مقاطعة مكاتب التوثيق الفرنسية حيث أحصت الإدارة عدد العقود المستخرجة في خلال سنة ونصف السنة بخمسين عقدا موثقا ومحرا باللُّغة الفرنسية من مجموع الفين ومائة وأربعة عشر عقدا ميرما باللُّغة العربية وعندما أصدر النائب العام قرارا إلزاميا للتنفيذ على القضاة المسلمين في 21 جانفي 1911م، برّر القضاة عدم امتثالهم للتهديد بالجهل باللُّغة الفرنسية وصعوبة التدقيق في مصطلحاتها القانونية، وعمدوا إلى ارتكاب أخطاء فادحة عند تحريرهم للعقود.¹

ظلّت الإدارة الاستعمارية إلى غاية 1930م متمسكة بمطلبها المتمثل في استنساخ الوثائق باللُّغة الفرنسية مما يدفعنا إلى التساؤل عن سرّ إصرارها وحمل السكان على التفرّس بهذه الطريقة القسرية والشاذة والمخالفة للواقع في وقت أثبتت التجربة اللُّغوية في بلاد القبائل على مدى قرون عديدة، استيعاب اللُّغة العربية بدافع الرغبة الذاتية والحرص على تعلمها بعدما تيقن السكان من عدالة الاسلام وتعاليمه السمحاء فهل أجبر العرب يوما سكان بلاد القبائل على تعلم لغتهم كما أرادها المستعمر الفرنسي ؟

حاول الفرنسيون التّأصيل لاستقلالية بلاد المغرب عن المشرق العربي، فالمغرب لم يكن أبدا مشرقيا لا في عاداته ولا في سياساته بل وحتى في خصوصياته العرقية ومن الواجب على السلطات الفرنسية أخذ الحيطة والحذر من تيارات منطلقها بلاد المشرق والحجاز، فضيقت على من يريد أداء فريضة الحج بدعوى إثارة الفتن والأفكار التي تحرض على الجهاد، فالمغرب وصل بين أوروبا وإفريقيا وتاريخ العلاقات بين ضفتي الحوض الغربي للبحر المتوسط حافل بالأحداث التي ميزها التمازج الحضاري والثقافي والديني وحتى العرقي انحدر سكانها في نظر مؤرخيهم من أصول أوروبية وما القطيعة التي شهدتها المغرب من القرن السابع الميلادي إلى القرن التاسع عشر إلا فترة ظلام دامس حلّت به على حدّ قول كاريت الذي وصف في كتابه " بحوث في أصول وهجرات

¹ أجبرون (شارل رويير) الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919) ج 2 ، دار الرائد للكتاب 2007 م ، ص 446

القبائل في إفريقيا الشمالية " العرب الفاتحين بالطوفان والعرب الهلاليين الذين قدموا إلى بلاد المغرب واستوطنوا أراضيهم بالحريق الذي أتى على كل شيء.¹

منعت المنشورات العربية من كتب وصحف ومجلات دخول الجزائر إلا ما كان مهرباً من طرف تجار جزائريين أو حجاجاً عائدين إلى وطنهم، واعتبر مدير الشؤون الأهلية جون ميرانت الحرف العربي تهديداً لوجود فرنسا، فعمل على مصادرة الصحف وإغلاق دور النشر ومنع طبع الجرائد والمجلات التي كانت تصدرها الصحافة الجزائرية وعانت جمعية العلماء المسلمين من التضييق على حرية التعبير لسنوات طويلة حاولت فيها طبع أعداد من مجلاتها سرّاً عبر مطابع خاصة ومتنقلة² غير أن عملية المنع أحدثت ردّاً فعل عكسي لدى أوساط المجتمع الجزائري من المثقفين وغيرهم فبادروا إلى اقتناء المجلات المهجرية باعتبارها رافداً من روافد الثقافة العربية المتجددة .

صار البلد مطارداً في هويته ومقومات بناء دولته، فتحوّلت أسماء الشوارع والمدن والساحات العمومية والحدائق والأسواق ومؤسسات الدولة الجزائرية ومكاتبها إلى أسماء تاريخية فرنسية أو رومانية أو بيزنطية، كدوريا وكليبير وشارل الخامس وشوفاليي - رئيس بلدية مدينة الجزائر - بل وحتّى القرى كقرية غيوم (GUILLAUMET) نسبة إلى عسكري فرنسي خدم في المنطقة، استبدلت بعد الاستقلال بعين طارق نسبة إلى الشهيد كرزاز عبد الرحمن المدعو -سي طارق-³ ومدينة سان طارنو التي عادت إلى أصولها الجزائرية وسميت باسم الشهيد بوقرة، فرضت الشخصيات الدينية المسيحية نفسها فاستبدلت أسماء المساجد بعد تحويلها إلى كنائس بأسماء مسيحية ككنيسة السيدة في سيدي فرج وكنيسة القديس أوغسطين فيما احتلال أسماء صنعت النصر حسب رأيه على ساحات عمومية كساحة النصر (PLACE DE LA VICTOIRE)

¹ CARETTE (E) : Recherche ...op, cit ... p 86

² بن سميّة (محمد)، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها بداياتها مراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر 2000 ص 65

³ الشهيد سي طارق هو كرزاز عبد الرحمن، ولد في يوم 19/05/1931 بمولاي إدريس، دائرة الرمشي ولاية تلمسان إلتحق بالثورة رفقة سي عثمان بعد عملية "سوق الأربعاء" التي استهدفت النقيب "بوفور" (مسؤول لاصاص بالرمشي) فأصبح بعدها مطارداً، حيث تنقل إلى منطقة الونشريس الغربي، وعين قائداً لكتيبة استخدمت حرب العصابات، ونصب الكائن للجيش الفرنسي على غرار الكمين، الذي خطط له في دوار أولاد عثمان، يوم 19 أبريل 1957 استشهد سي طارق في مواجهة مع العدو الفرنسي، بدوار الشواقرية بلدية بوقادير، ولاية الشلف بعد اكتشاف مخبأه نتيجة وشاية. للتعريف بالشهيد يُنظر: محمد لحسن: تاريخ إقليم عمي موسى .

وساحة جان دارك وشارع بيليسييه¹ بل والأغرب من ذلك إعادة أسماء المدن القديمة خلال فترة احتلال الرومان كارزيو (ARZENARIA) وشرشال (JULIA CESARIA) و سكيكدة (RESIKADA) والشلف (ORLIENT VILLE) وغيرها، فيما قام الاستعمار بتحريف تسميات استعصت على إزالتها لقيمتها الدينية وبعدها الروحي عند الشعب الجزائري، كالمساجد وآبار المياه وممتلكات الأوقاف أو مدارس قرآنية سميت بأسماء شيوخ وعلماء أفنوا حياتهم في سبيل تعليم النشء.

3- مصادرة الأرض - اللاحق -

بدأت قرارات الاستيلاء على الأملاك العقارية للجزائريين تحت مسميات وتشريعات كان أولها قرار كلوزال الذي صدر بتاريخ 8 سبتمبر 1830م مباشرة بعد تعيينه خلفا لشارل دي بورمون قضى بإحصاء مساحة الأراضي التي قدرت مليون وخمسمائة ألف هكتار عادت ملكيتها إلى الموظفين الأتراك من مزارع وبساتين انتشرت في مدينة الجزائر وبعض المناطق الأخرى تمت مصادرتها فيما بعد،² وكانت حجة الاحتلال مخاوف الثورة ضدّ الفرنسيين إذا ما بقيت الأراضي في يد الجيش الانكشاري³ تلاها مصادرة أراضي الأوقاف استنادا على مرسوم صدر بتاريخ 25 أكتوبر 1830، أتاح للمعمرين ضمّ ممتلكات الوقف الإسلامي، وبلغت مساحتها ثلاثمائة ألف هكتار⁴ لانعدام التوثيق لدى مالكيها فاعتبرت أملاكاً فرنسية عمومية كما طُرحت مسألة أوقاف مكة والمدينة للنقاش على طاولة المجلس الإداري الذي شكله الحاكم الجديد كلوزال تمهيدا للفصل فيه دون مراعاة مشاعر المسلمين الراضة له، فقدّم بعض الأعيان الجزائري كحمدان بن عثمان خوجة وثيقة التزام الفرنسيين بحماية ممتلكات الجزائريين وصون

¹ سعد الله (أبو القاسم) الحركة الوطنية الجزائرية ج 1، مرجع سابق ، ص 70

² بن داهة (عدة) : الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي بالجزائر ج 1 ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين 2008 م ص 303

³ عاشور (موسى) : أساليب الاستعمار الفرنسي في الاستيلاء على الأوقاف، العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830 م- 1962 م - (أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني)، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2007م، ص. 77- 78

⁴ الطيبي (محمد) الجزائر عشية الغزو الاحتلالي ابن النديم للنشر والتوزيع ، ط 1 ، الجزائر ، 2009 م ص 194

دمائهم التي جاءت في معاهدة استسلام الداوي حسين مع دييورمون 5 جويلية 1830م لكن دون جدوى.

تتابعت قرارات مصادرة الأرض، بأمر من وزير الحربية في 27 ماي 1831م، ضمّ الفرنسيون أملاك الداوي وبايات الجزائر الذين غادروا البلاد¹ وصدر مرسوم الحجز سنة 1832م على أملاك القبائل النائرة ضد السلطات الاستعمارية، تلاه مسح عقاري قيد عمليات البيع على مستوى مكاتب الضبط التي أنشأها في كل من الجزائر ووهران وعنابة، أتبعه بقانون صدر في مارس 1833م ألزم جميع المالكين والهيئات الدينية المشرفة على الأملاك العقارية التصريح بملكاتها في أجل محدد وبأوراق رسمية ثبوتية محررة من طرف إدارة الاحتلال أو مصادرتها تلقائيا الشيء الذي نتج عنه تهجير مئات العائلات من أريافها وفقدان مساحات شاسعة من أراضيها.²

حسنت اللجنة الإفريقية في توصياتها مسألة الاحتفاظ بالجزائر مستعمرة فرنسية سنة 1833م فصدر قانون 1834م الذي تضمن إلحاق الجزائر رسميا بملكات فرنسا بل وضرورة توسيع نطاق السيطرة على كامل أراضيها، حيث لم تعد مسألة الاستيلاء على الأراضي عائقا قانونيا أمام الإدارة الاستعمارية يتوجب التعامل معه ومعرفة الجهات المالكة له وفق قانون البيع والشراء، اكتفى المستوطنون بالتوجه مباشرة إلى مصلحة أملاك الدومين التابعة لإدارة الاحتلال للحصول على أراضي زراعية مدعمة بمساكن وممولة بقروض مالية تشجعا للاستيطان، كما عمل قادة الفرق الاستعمارية على تنفيذ القوانين الصادرة من طرف رؤسائهم وإبادة قرى بأكملها وحرق محاصيلها فيما عرف بسياسة "الأرض المحروقة"³ وإسكان المعمرين على أنقاضها حدث لقبيلة العوفية في الحراش على يد دي روفيقو سنة 1832م الذي انسجم مع تصريحات وزير الحرب الفرنسي

¹ بن داهاة (عدة) الاستيطان...، المرجع السابق، ص 305

² فارح (رشيد) المحطات الرئيسية لتأسيس الملكية العقارية أثناء فترة الاحتلال وأثر ذلك على البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري (أعمال الملتقى الوطني، الأول والثاني، حول العقار في الجزائر، إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830م - 1962م) الجزائر

منشورات وزارة المجاهدين 2007 ص 96

³ سياسة طبقها الجنرال بيجو بعد مجيئه الى الجزائر سنة 1838، تقضي بقطع الثورات عن خزاناتها اللوجستية المتمثلة في الحبوب، ومختلف الموارد الغذائية بهدف دفع زعماء المقاومات الشعبية، الى الاستسلام والخضوع لشروط الاستعمار.

جيرار قال فيها (لابد من إبادة جميع السكان العرب، إن المجازر والحرائق وتخريب الفلاحة هي في تقديري الوسائل الوحيدة لتركيز هيمنتنا) فتم اقتطاع أجزاء واسعة من الأراضي وصلت إلى نحو مائة وسبعون ألف هكتار منها تسعون ألفا في سهل متيجة وحدها ، فيما انتشرت فرق المشاة والخيالة والصبايحية حول المستوطنات وعملت كأفواج حراسة متقدمة تحت إمرة ضباط فرنسيين في السنوات الأولى من الاحتلال¹

توالت تصريحات قادة الجيش الفرنسي مثل الجنرال بيجو غداة تعيينه قائدا عاما للجيش الفرنسي سنة 1838 م قائلا " إن الملكيات الخاصة والحرف التي تعتبر ضرورية للتعمير ستصادر بسرعة من أجل الصالح العام"² كما كتب لوزير الحرب الفرنسي تيارز جوان 1842 ما يلي: (... إنَّ الحرب هي الوسيلة الوحيدة للسيطرة على شعب يخالفنا في الدين والعادات، وأن الجيش هو العون الوحيد للسيطرة على البلاد وفتح الطرق التجارية وزيادة وتيرة الاستيطان) وجاءت تصريحاته اعتمادا على تنظيمات وقعها المارشال فالبي في 1 ديسمبر 1840 م قننت حياة الأراضي المصادرة تم البدء في إحصاء وضعية العقار وإلحاقه بأمالك المعمرين على غرار أملاك المتغيين عن أراضيهم مدة ثلاثة أشهر أو تلك التي لم يحصل أصحابها على إذن بخدمتها، أو التي لم توثق أصول ملكيتها بعقد صريح فصارت أملاك الجزائريين وأراضيهم عرضة للنهب والمصادرة تحت طائلة الجهل بالقانون الفرنسي³

أصدرت الإدارة الاستعمارية قانون 21 جويلية 1846م وأبقت نظام الأوقاف ضمن دائرة الاحتياطات العقارية ومنع الجزائريون من التصرف فيما ترك الباب مفتوحا أمام الأوروبيين دون عراقيل تذكر، في وقت استبعدت الشريعة الإسلامية من إصدار أحكام تعلق بالتعاملات العقارية بين الجزائريين والأوروبيين بل وحتى بين الجزائريين أنفسهم إذ لم تعد أحكام القاضي المسلم معترفا بها أمام الجهات القضائية الفرنسية⁴ تم بموجبه انتزاع

¹ HEDDE (AINE) *Observation sur la Colonisation De La Régence d'Alger* Ed : Poulin Libraire Paris, 1834, p 10

² سعدي (زيان) : جرائم فرنسا في الجزائر من الجنرال بيجو إلى أوساريس ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2005 ص 22

³ سعد الله : الحركة الوطنية ، ج 1 ، مرجع سابق ، ص 28

⁴ مياسي (ابراهيم) مقاربات في تاريخ الجزائر (1830م-1962م) الجزائر ، دار هومة ، 2007 ص 123

مائة وثمانية وستين ألف هكتار في مدينة الجزائر وحدها ألحق جزء منها يقدر بخمسة وتسعين ألف هكتار لقطاع الدولة وسبعة وثلاثون ألف هكتار وزعت على المستوطنين الأوروبيين¹

على الرغم من اعتراف السلطات الاستعمارية بحق الأهالي في امتلاك الأراضي تحت نفس الشروط، التي تحدد امتلاكها للمستوطنين ضمن قانون 16 جوان 1851 م إلا أنه لم يطبق على الأرض نظرا لتزايد أعداد المستوطنين وحاجة هؤلاء إلى قطع من الأراضي الزراعية لاستغلالها، فانتزعت مساحات شاسعة من أملاك العرش بذريعة عدم استغلالها أو اعتبارها فوائض عقارية، تزيد عن حاجة أصحابها كما حدد القانون نطاق امتلاكها ومساحة استغلالها² وأشرف على تنفيذ القرار لجنة ترأسها دولاموريسيير الذي اقترح ترحيل الجزائريين وحشدتهم في جهات معينة (كتنونات مسيجة) كادت أن تفقد المجتمع الجزائري توازنه الاجتماعي ومورده الاقتصادي الذي اعتمد على الزراعة بشكل لولا تحفظ مستشارين في الدولة الذين رفضوا الفكرة تحت مبرر استحالة جمع العرب ضمن خطوط هندسية متراسة في فترات موسمية يحتاجون فيها إلى الرعي والكلأ³

قدّم الجنرال أالار (ALLARD) دراسة لمخطط استهدف تشتيت الملكية الجماعية لأفراد القبيلة عن طريق تحويلها إلى ملكية فردية مستغلة سهلت على المستوطنين إجراء التعاملات التجارية بينهم من بيع وشراء دون الرجوع إلى أصل الملكية وما اقتضته حالة القبيلة من صعوبة التعامل مع أشخاص لا يحصى عددهم شكلوا طوقا منيعا أمام محاولات تجزئة الأرض أو التصرف فيها وفق إرادة شخص واحد، فصدر قانون سيناتوس كونسيلت (SENATUS CONSULTE) بتاريخ 22 أبريل 1863م، كنتيجة لذلك حيث تم اقراره من طرف المجلس المشيخي يوم 9 مارس 1863م صادق عليه الإمبراطور نابليون الثالث لاحقا⁴ ضمن ما اتفق على تسميته بالإصلاح العقاري فاستبدل الإطار السلالي

¹ بن داها (عدة) الاستيطان ...، مرجع سابق، ص 317

² قداش (محموظ) جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 1830 - 1954 ترجمة، محمد المعراجي، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2006 ص 154

³ عدي (الهوري) الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي، 1830-1960م، ترجمة جوزيف عبد الله،

دار الحدائة لطباعة و النشر، ط 1، بيروت، 1983 م. ص 63

⁴ الزبير (سيف الاسلام): سجل تاريخ الاستعمار في الجزائر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1988م ص 16

التقليدي الذي عبّرت عنه صيغة " أولاد فلان " بالإطار الترابي ومن علاقات إنتاج سلالية مبنية على أشكال جماعية للحيازة العقارية إلى علاقات إنتاج قائمة على أشكال الملكية الخاصة للأرض بهدف محو القبيلة¹.

شهدت فترة السبعينات من القرن التاسع عشر هجرة واسعة للسكان من منطقتي الألزاس واللورين بعد حروب الوحدة التي شنّها بسمارك ضد فرنسا وأدّت إلى استرجاع وسقوط نابليون الثالث أسيرا عند الألمان تزامن ذلك مع ثورة الحاج أحمد المقراني ، التي كانت نتيجتها استشهاد العديد من الجزائريين ، انتزعت أراضي وتم نفيهم تحت مبرر المشاركة في ثورة المقراني قدرت الأراضي الممنوحة للمستوطنين الجدد بمائة ألف هكتار اقتطعت من أراضي الدومين طبقا لقرار 21 جوان 1871م وما يزيد على خمسمائة ألف هكتار من أراضي الثائرين، بموجب قانون الحجز² ناهيك عن الضرائب التي أثقلت كاهل الجزائريين ودفعتهم في النهاية إلى التنازل عنها أو بيعها للمعمرين³ وجاء قانون وارنبي⁴ فأصدر في 26 جويلية 1873 م قانون التمليك العقاري⁵ ليضيف إلى الإجراءات الفرنسية أعمال المصادرة بحق ممتلكات الجزائريين والرّقابة على كل أشكال الملكية وحرمان الجزائريين من حق التملك على أساس البيع في المزاد العلني وإتاحة الفرصة للمستوطنين المجنسين بالجنسية الفرنسية في اكتساب هذا الامتياز وكان الهدف من سن القانون في الأساس، تحويل الأراضي الواسعة إلى ملكية المستوطنين من خلال تمكينهم من شرائها، توسعت ملكية المعمرين للأراضي مقابل تقلص ملكية الجزائريين بسبب سياسة التضييق وشروط المنع وثقل الضرائب⁶ وازداد الأمر سوءا نتيجة لحالة الفقر

¹ برك (جاك) العروي (عبد الله) وآخرون حالة المغرب العربي ، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، دار توبقال للنشر ، ط 1 المغرب 1988 م ص 114

² CAMBON (Jules) le gouvernement Général de l'Algérie (1891-1897) Librairie Jourdan , Alger 1918

p 25

³ صاري (الجيلالي) قداش (محموظ): الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية (1900_1954م) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث (م ، و ، ك ، ن ، ت) الجزائر، 1987م ، ص.133

⁴ قانون تفتيت ملكية أراضي العرش صدر في 1863م الذي قدّم مشروعه الطبيب الفرنسي وارنبي الذي تقلد مناصب سياسية في الإدارة الاستعمارية في الجزائر

⁵ عياد (صالح) الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830م 1930م) (د ، و ، م ، ج) ، قسنطينة 1991م ص 113

⁶ الغالي (غري) العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات والأبعاد (م. و د. ب ح ، ث ، ن) وزارة المجاهدين طبعة خاصة

وحملات الانتقام والمصادرة الشرسة لأراضي الجزائريين فبين سنة 1863م إلى سنة 1871م اشترى الأوروبيون ما قارب أربعة وستون ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين هكتارا نتيجة تنامي زراعة الكروم حيث تشجع المستوطنون في إنتاج الخمر واستصلاح مساحات كبيرة واعتبرت زراعتها منتجات نقدية وفرت رؤوس أموال ضخمة لأصحابها دون أكثرات بخصوصية المجتمع الجزائري.¹

عززت السلطات الاستعمارية إجراءات التضييق على الجزائريين من خلال منعهم من استغلال أراضي الغابات والمساحات الزراعية الجبلية فأصدرت قانون الغابات واتبعته بإجراءات مكتملة غايتها إذلال الجزائريين كخدمة الأرض عن طريق السخرة في المناطق الغابية كالقانون المؤرخ في 17 جويلية 1874 م وقانون 9 ديسمبر 1885 م وقانون 21 فيفري 1903 م حيث تعرض الجزائري للسجن من طرف أعوان الإدارة الفرنسية ناهيك عن التغريم زيادة على العقاب الجماعي كردد فعل على أعمال التخريب والحرق التي طالت المساحات الغابية، وكلها كانت في صالح المستوطنين سمحت لهم باستغلال الأراضي التي مستها الحرائق دون مقابل مادي يذكر على اعتبارها من أكبر مسببات الحجز² في وقت سلطت فيه أقصى العقوبات على سكان القرى الواقعة في مناطق الحرائق أخذا بمبدأ المسؤولية الجماعية، فأصبح المستوطنون يقومون بأعمال الحرق بهدف الاستيلاء على الأراضي زيادة على تقاضي تعويض مادي من سلطات الاحتلال .

ثالثا : أهداف المشروع الاستعماري:

1- الأهداف الأيديولوجية:

تماهت مع استراتيجيات الاستعمار فمسألة الأبحاث التاريخية والأثرية تم التطرق لها من خلال قوالب علمية صيغت في شكل فرضيات استباقية طرحت للتساؤل كيف نؤرخ لشعب بدون تاريخ؟ اعتبرت منطلقا أوليا للاستكشاف واستجماع المادة الأولية الخام

الجزائر، 2007م. ص 207

¹ عياد (صالح)، الجزائر بين فرنسا... المرجع السابق، ص 118

² RINN (Louis) *le Séquestre et la Responsabilité collective*. imp. Adolf-Jordan. Alger, 1890, p22

اعتمدت على الفصل بين الأرض والإنسان المستعمَر فالتأريخ للجزائر كان من منظور شمولي أدمجه في كامل شمال إفريقيا، اعتبروا سكانها موضوعا إشكاليا للدراسة والبحث توجب معه صياغة تاريخ جديد هو تاريخ المستوطنين قامت بعض المؤرخين الاستعماريين بانتقاد مؤلفات زملاء لهم لم يسيروا على الخطّ الاستعماري، واختلفوا مع نظريه في الطرق لا الأهداف على غرار شارل أندري جوليان الذي انتقد بسبب كتاباته التي جمعت أخطاء الفرنسيين في الجزائر المستعمرة أصبح بمقتضاه التاريخ الاستعماري محلّ مراجعة شاملة، فحسب رأي الكاتب لا يمكن كتابة تاريخ اقتطعت أجزاء منه شكلت أحداثا وتواريخ أدانت الاستعمار¹

في المنطوق الاصطلاحي الأكاديمي الفرنسي تعد شعوب المستعمرات عموما مجموعات بشرية افتقدت إلى روابط اجتماعية عضوية استقرت على هامش الحضارة أو بتعبير آخر أقوام بدائية مثلت حقلا معرفيا خاما يمكن دراسته وفق منظور علمي استند على تخصصات برع فيها الفرنسيون كاللّسانيات وعلم الأجناس وعلم الآثار والحفريات تناولت في مجملها تطور المجتمعات المستعمرة منفصلة عن أوطانها وإرثها التاريخي وثقافتها المحليّة، وعلى أساس تقدّم البحوث المخبرية تم إيجاد مقاربات عرقية أسست لنظريات استيطانية من منظور اعتبر سكان المستعمرة أجناسا بدائية استمر بقائها في ظل بيئة منعزلة، وغير مكتشفة احتاجت إلى عملية (ترويض) تلخصت في محو مسببات التخلف وخلق بيئة تتناسب مع تطورها الاجتماعي والثقافي عبر مشاريع تعليمية وأنماط أيديولوجية استعمارية.²

كما استند رواد المدرسة الاستعمارية على نظريات ابن خلدون في أحوال الطبيعة الاجتماع والعصبية والملك وأدرجوا دراستها ضمن علاقة ثنائية الهدف منها إحداث شرح في التركيبة الاجتماعية لسكان الجزائر كثنائية العرب و(البربر) والبداءة والحضارة

¹ SINGARAVELOU (Pierre) « Des Historiens sans Histoire : La Construction de l'Historiographie Coloniale En France Sous La Troisième République » in Actes de la Recherche en sciences sociales 2010/5 (n° 185) p. 30-31

² VAN EERDE Ethnologie coloniale ..., op cit, p 283

وهي علاقة متنافرة بنيت في أساسها على مفاهيم مغلوطة ومجزأة طرحها المؤرخون الاستعماريون واعتبروها قاعدة في البحث التاريخي والأثري إضافة الى اعتمادهم على العلوم المكتملة التي ذكرها ابن خلدون وهي مناهج علمية ميزت التاريخ عن باقي العلوم الأخرى على أساس وقائع تمحص عن طريق العقل حيث يقول ابن خلدون (...). يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعمار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والقيّم والملل ومبادئ ظهورها وأسباب حضورها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها، وإخبارهم حتى يكون مستوعبا لأسباب كل حادث واقفا على أصول كل خبر. ¹

غير أن المؤرخين الاستعماريين اعتمدوا على مقولة ابن خلدون كنظرية تجريدية لكل واقعة تخص تاريخ الجزائر إن ذكر تاريخ السلاطين والدول قالوا هي من باب التقرب إلى البلاط وطمعا في عطاءاتهم وهداياهم، وإن قيل في شأن الاستبداد قالوا إنها من طبائع العرب، وإن ذكر الأمازيغ أجابوا بقولهم هم من أصل غير معروف، واخضعوا دراستهم لأبحاث اهتمت باللّسانيات والإثنوغرافيا وعلم الأجناس وحتى البحوث المخبرية للحفريات المكتشفة لإنسان ما قبل التاريخ كون الكتابة ابتكار حديث والسكان لم يعرفوها إلا مع مجيء مستعمرهم وبالتالي فالجزائري لا يستطيع كتابة تاريخ أسياده. أشار المؤرخون الاستعماريون الى الاسلام في الجزائر فاعتبروه اسلاما سطحيا لا يرقى إلى معتقدات دينية حقيقية بقدر ما خضع لأعراف القبيلة اعتمادًا على دراسات اثنولوجية واثنوغرافية مثل كتابات جورج مارسى وماسينيون وغيرهم، ناهيك على مبررات ساقها رواد المدرسة الاستعمارية لأحداث ميزت تاريخ المغرب الإسلامي مفادها وحشية العرب في إذلال (البربر) عن طريق السبي والضرائب ونهب الأملاك. ²

¹ مقدمة ابن خلدون ... مرجع سابق... ص 21

² مالكي (المحمد) صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية ، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007 ص 165

حاول المؤرخون الاستعماريون إسقاط منهج التجريب على كل ما هو مكتوب نقلا فأجروا منطق القياس الخلدوني على إنشاءات نبوية ألزم الشارع وفقهاء الدين العمل بها متى تم الجزم في صحتها عن طريق الرواة نقلا صاغ فيها كتاب المدرسة الاستعمارية كتابات أخضعت متن الحديث الى التحقيق باعتباره حادثة تاريخية فعملوا على التجريح فيه من خلال معاينة ميدانية لطقوس منحرفة أو اجتهاد افتقد إلى المعرفة.

أغرى ابن خلدون المؤرخين الاستعماريين واعتبروه مؤرخ المغرب الأول والأخير لإعطائه ذريعة يركز عليها البحث التاريخي الاستعماري ودليلا مقنعا على تأخر منطقة المغرب عامة ردّ عليها مصطفى الأشرف منددا بالتأويلات المغرضة التي هؤلاء قائلا: (حاول الباحثون الاستعماريون - عبثا - تشويه الإرث الخلدوني عبر قراءة سريعة متسرعة لكتاب المقدمة، فبدا لهم تاريخ المغرب وكأنه تاريخ قبائل عربية تعيش على السلب والنهب وقبائل بربرية غارقة في النزاعات والحروب ... ظواهر تاريخية دأبوا على شرحها وتكرارها في سياق أيديولوجيا استعمارية قامت على الهيمنة والاحتقار غرض هؤلاء الباحثين من ماسكوراى وغوتيبه وبرتراند مروراً بجان مير وفارني وديبارمي حمل القارئ على الإقناع بالتفوق الأوروبي لأن أوروبا تنعم بالسلم والاستقرار وسعادة لا غبار عليها)¹

تماشى التأليف التاريخي مع أيديولوجية الاستعمار في انتقاء الأحداث وتضخيمها سلبا وإيجابا دون وضعها في سياقها التاريخي الموضوعي الصحيح، طرحت الفترة الإسلامية كعهد تقهقر وانحيار وهي الفترة التي امتدت من سنة 750م إلى غاية 1830م ركزوا على أحداثها السياسية والاجتماعية أضاعت فيها الجزائر فرصة لا تعوض في بناء كيانها السياسي والاجتماعي والقومي بفعل النكبات التي حلت بها من غزو للأمراء العرب وزحف القبائل الهلالية وانتهاء بالاحتلال التركي سنة 1518م واستمرت إلى غاية 1830م تاريخ مجيء الفرنسيين عرفت المنطقة ازدهارا وتطورا اقتصاديا كما كان عليه

¹ LACHERAF (Mostapha) *Ecrits didactiques sur la culture, l'histoire et la société*, Alger, S.N.E.D. 1988

الشأن في فترة احتلال الرومان ومن انتقائيتهم أيضا عملهم على جمع وترجمة ونشر الكتب التي انتقدت مراحل تاريخية معينة مرت بها الجزائر ككتاب المقدمة ضمن لجان شكلها شارل جوناك لجمع التراث بالإضافة إلى تأسيس المكتبات ووضع الكاتالوجات والفهارس والتحقيق في المخطوطات وغيرها وكلها تندرج في سياق إعادة كتابة تاريخ الجزائر من منظور استعماري صرف، أما بالنسبة إلى المواقع الأثرية فاشتغل الفرنسيون على إعادة ترميمها وفتحها أمام الجمهور باعتبارها متاحف طبيعية أصلت لحضارة الرومان كما عملوا على إنشاء المتاحف التي ضمت في مجملها قطعا أثرية رجعت إلى عهود قديمة أراد المؤرخ الاستعماري الفرنسي من خلالها أسطرة الحضارة الرومانية اللاتينية في إفريقيا القديمة.¹

اشتغلت المدرسة الاستعمارية على رصد مجمل الظواهر الاجتماعية وعلى جميع المستويات بما في ذلك الروابط الاجتماعية والأسرية والقبلية، كعلاقة الدولة بالمجتمع وأدوار القبيلة وعلاقات المصاهرة، انصب الاهتمام فيها على دور الإسلام المؤطر لمجتمعات الجزائر اعتبره رؤاد المدرسة الاستعمارية (ظاهرة دينية) وجبت دراستها كالأشغال التي ألحقت بمشاريع الحاكم العام جول كامبون (CAMBON)² ساعد على تحصيل تراكم معرفي كمي ونوعي إلى جانب الأبحاث والدراسات التي أنجزتها البعثات العلمية ممثلة في بعض الرحالة والقادة العسكريين وعلماء الاجتماع والمؤرخين وحتى الجغرافيين لتثبيت الأيديولوجيا الاستعمارية في الجزائر وفي مرحلة ثانية تطوير وتعميق معرفتها بالبلدان التي ستحتلها لاحقا كالمغرب وتونس وباقي الأراضي في منطقة الساحل جنوب الصحراء من خلال إرساليات علمية ذات طابع تجسسي كبعثة فلاترز سنة 1881م إلى تقرت والصحراء³ ونشاط دوفوكو (DEFOUCAULT) في منطقة الهقار

¹ GSELL (S) **Inscriptions Latines De L'Algérie**, Ed : Librairie Ancienne Honoré Champion Paris 1922 p 187

² DEPONT (Octave) Et CAPPOLANI(Xavier) **Les Confréries Religieuses Musulmanes Publiées Sous Le Patronage De Jules Cambon**, Ed : Place De Gouvernement Alger, 1897 p1

³ DERRECAGAIX (Victor-Bernard) **L'exploration Du Sahara Les Deux Missions, Du Lieutenant-Colonel Flatters**, Bulletin De La Société De géographie, paris 1882 .p1

والطاسيلي فساهم ذلك في تبسيط الشبه البليغ بين البنيات الاجتماعية للبلدان المغاربية حينئذ، كما أتاحت المعطيات المستخلصة بالجزائر للباحثين في مجال الأنثروبولوجيا والاجتماع والتاريخ والآثار تكوين جهاز نظري اعتمد كمخطط احتلال لأقطار أخرى شبيهة بمخطط بوتان التجسسي سنة 1808م، فلکم تتشابه المشاريع على اختلاف أزمنتها.

اعتمد المشروع الاحتلالي على تصورات أيديولوجية وأحكام مسبقة نسجتها المخيلة الفرنسية عن الجزائر ما قبل الاحتلال، وبعده فقبل الاحتلال صور الفرنسيون الجزائر مركزا للصووية والقرصنة والخطر الدايم الآتي من الجنوب الذي يهدد الضفة الشمالية للبحر المتوسط انطلاقا من قلعة بني مزغنة " الجزائر " استطاع بفضلها شارل العاشر جمع محاربين على أرض إفريقيا جلمهم من الجنوب الفرنسي فملأهم بالحد والتعصب وبعد الاحتلال انصبت قرائح الأنثروبولوجيين والمؤرخين على التوسع الاستعماري وتكريس أركان وجوده فهذا دوركائم الفرنسي لا يرى الحضارة إلا في المرجعية الغربية التي يجب تعميمها والأخذ بها كقوة دمج أساسي فيقول (...إننا لا نتصور أن أما أخرى تستطيع تحقيق تطورها من دون مساعدة الحضارة الغربية)¹

ولأن (مهاجمة أرواح الشعوب تسبق دائما تحطيم أجسادها) نشط رؤاد المدرسة الاستعمارية في التسويق للنظريات التاريخية التي عملت على شيطنة الجزائر فهي " بلد الكفار ومعقلا من معاقل البرابرة الهمج " وعليه تصبح عملية تدمير مجتمعاتها مسحة أخلاقية فالاستعمار لا يكتفي بتركيع المستعمَر وإذلاله بل التلذذ به أيضا على - حد تعبير جاك بارك² طرحت الروايات الأوروبية مشكل النزاعات الدّينية يجعل المرابطة أداة حكومية عن طريق استقطاب رجال الطرقية واستخدامهم معول هدم للدّين الاسلامي من خلال نشر الخرافات بين جموع العامة وعيون تجسس ووشاية لرواد الحركة الفكرية الاصلاحية كما حاول الاستعمار إغراق الجزائر بصنوف شتى من الانحلال الأخلاقي

¹ Le CLERC (Gérard) : **Anthropologie et colonialisme** Ed : fayard, 1972 p 58

² الطيبي (محمد) الجزائر عشية الغزو ... ، مرجع سابق ، ص 216

عبر السماح بانتشار محلات بيع الخمر والملاهي تصدى لها رجال الإصلاح الاسلامي مثل الأمير خالد وتوفيق المدني والشيخ بن باديس استنكروا تدهور سلوكيات المجتمع الجزائري وانتشار ظاهرة تشرد الأطفال من الجنسين خلال فترة ما بين الحربين¹

أسس الفرنسيون لمشروع استعماري ثقافي متكامل غايته صناعة هوية جديدة جاءت من إنتاج فكري تنوع في الابداع والبحث بين دراسات نقدية للتراث الجزائري ومشاريع توزعت بين بحوث فنية وتاريخية لمناطق اعتبرت في نظر الاستعمار ممرا لاحتلال شامل إفريقيا كالدراستات والبعثات التي قام بها شارل لا فيجري وشارل دوفوكو وفلاتيرز وغيرهم في منطقة الجنوب الجزائري كتب فيها المغامرون الجواسيس مذكرات في شكل كتب رحلات وانطباعات ومونوغرافيا وصفية لمدن ساقها كتاب المدرسة الاستعمارية أساس حضارة قديمة مثل لومباز وجميلة وقلمة الهدف منها إعادة بعث الحضارة الرومانية القديمة وتشكلت معه بنية ثقافية استعمارية أنجبت نخبة مثقفة من المستوطنين كحالة نموذجية حسب ما عبر عنه الكاتب محمد الطيبي غير قابلة للتفاعل مع محيطها الاجتماعي الجزائري إلا في إطار القوة القمعية قائم على الاقصاء وروح الاستعلاء²

طرح المشروع الاستعماري أيضا في بعده الثقافي مسألة اللغة الأمازيغية بهدف تقسيم المجتمع الجزائري من خلال نظرية الأعراق الثلاثة (العربي ، الأمازيغي، الفرنسي) فركز جول كامبون تماشيا مع السياسة التي طرحها جول فيري على إمكانية حكم الجزائر عبر وسائط ديموغرافية يمثلها سكان منطقة القبائل لكن بعد إدخال اصلاحات جوهرية في أساليب التعليم والقضاء والتشريع.³

2 - الادمج:

حاول الاحتلال التسويق لنظرية الادمج في الخطاب الاستعماري الموجه إلى الأهالي، أريد من ورائه كسب نخبة منهم تكون مؤهلة حضاريا للمساهمة في تسيير شؤون

¹ بجاوي (مرايط مسعودة) المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية ، في جزائر القرن العشرين ، حقائق وأساطير وغطيات ، م 2 ، دار هومة الجزائر 2010 ، ص 245

² الطيبي ...المرجع السابق...ص 224

³ AGERON (Ch .R) : *Les Algériens Musulmans Et La France.* (1871-1919) T 1. Presse Universitaire

De France, 1968 p 482

المستعمرة. وحلقة وصل بين كتلتين متباينتين ، كتلة المستوطنين التي تبحث عن غرس جذور أجنبية مدعمة بانتصارات الحضارة الأوروبية، وأخرى قوية بجذورها ولكن ضعيفة بينيتها المفككة وكان التجنيس إجراء سياسي طالما أن فكرة التحضر لم تلق الصدى المقبول عند ساسة القرار في فرنسا بحكم عرقلة المشروع من طرف المستوطنين الذين رأوا فيه خطرا على مصالحهم، فاستراتيجية التحضر تعني الادمج ومن ثم التجنيس والمساواة في جميع الحقوق ومن بينها حق التملك والوظيفة والسكن وباقي الامتيازات الأخرى كما عارضه الجزائريون أيضا ورأوا فيه تخليا عن أحوالهم الشخصية المؤسسة على أركان الدين واللغة والتاريخ والانتماء للوطن¹

ظهرت فكرة الإدمج كمحاولة بديلة نهاية القرن التاسع عشر في فرنسا الهدف منها إدمج الطبقات الشغيلة والدنيا في المجتمع الفرنسي، ولقي المشروع استحسان الكنيسة نفسها على أمل تخلي الجزائري عن هويته الثقافية والدينية بجوافر سياسية إذ طالما اعتبرت الكنيسة الإسلام عائقا أمام محاولات الإدمج لامتلاكه المرجعية الجهادية في النفوس، تضمنت الفكرة إعادة رسكلة المجتمع من منظور سياسي ووفق القانون الذي سنّه الاستعمار يصبح الجزائري بين خيارين إما الخضوع لقانون الأندليجينا العنصري الذي طبق على الأهالي أو اعتناق الدين المسيحي والتخلي كلية عن الأحوال الشخصية بما فيها كل أنواع العبادات والقوانين والتشريعات الإسلامية كالزواج والطلاق والميراث وغيرها ومن جهة أخرى يعدّ الإدمج على هذه الحال عملية جرد وإحصاء للناقمين على السياسة الفرنسية وأولئك الخاضعين لقوانينها² غير أن الإدمج اعترضه استحالة تطبيقه في صيغته العملية ففي مجال القضاء مثلا اعتبر القانون الفرنسي خضوع الأهلي المسلم والفرنسي لنفس الشروط بينما يتميز كل منهما تبعا لخصوصيات أحوالهم الشخصية عند الطعن في الحكم وعليه فمن الإجحاف القول بحقوق المواطنة للجزائري

¹ YVONNE (Turin) *Affrontements Culturels Dans L'Algérie Coloniale*. Ecoles, Médecines,

Religion, (1830-1880)Ed : François Maspero , paris 1970, p 363

² MEGHERBI (A) *La Paysannerie Algérienne Face A La Colonisation* Alger, ENAP, 1973

المسلم في شقه السياسي دون تجريد الأخير من أحواله الشخصية والدينية على وجه الخصوص وفي هذا المجال صرّح أحد النواب المسلمين في مجلس العموم الجزائري يوم 26 أكتوبر 1864 م قائلاً "نحن الأهالي نقبل بالتجنيس إذا أخذنا في الحسبان مسألة خضوعنا دوماً لأحوالنا الشخصية والدينية في وقت يطالب فيه المستوطنون بالتجنيس الكلي والخضوع التام للقانون الفرنسي"¹

ومن هنا استحال التوفيق بين القانون الفرنسي المستمد من التشريعات الوضعية، والقانون الإسلامي المستمد من الشريعة على أمل أن يحظى القرار باستجابة في بلاد القبائل نظراً لانعدام ظاهرة تعدد الزوجات التي تعد من المظاهر القليلة إن لم نقل النادرة في مجتمعات القبائل ويبقى الجزائري المسلم المميز بصفة (الأهلي) في نظر القانون الفرنسي لا هو أجنبي يفقد كل حقوق المواطنة ويخضع لقوانين بلده الأصلي، ولا هو مواطن يتمتع بكافة حقوق المواطنة.

طرح المؤرخ شارل روبر أجيرون (AGERON) تعداد من حمل صفة الجنس بين سنتي 1865م و1875 م بثلاثمائة وواحد وسبعين مجنسا فقط لذا حمل الحاكم العام مسؤولية فشل الإدماج بجهل الأهالي بطبيعة القانون وحيثيات تطبيقه، فعوض استجابتهم - في نظره - لقانون منح الجنسية وتصفح امتيازاته أداروا الظهور له ودخلوا في حسابات أخرى أملتها عليهم معتقداتهم الدينية والنتيجة رفض الحاكم العام تجنيس الجزائريين برمته على الرغم من طلب بعض قادة الفرق العسكرية منح الجنسية لبعض النخب من أجل دعم عسكري للقطاع² في وقت نظر فيه الكولون إلى تجنيس الأهالي كلية بقانون عام يشملهم إيدانا بحرب على وجودهم يستبدل فيها الاحتلال العسكري بجمهورية عربية يصلون فيها إلى مناصب صنع القرار وتوجيه سياسات الدولة وبالمقابل اعتبر الجزائري المسلم التجنيس الذاتي أو بالأحرى التخلي عن الأحوال الشخصية بمثابة طعنة سكين أنهت حياته شعور رافقه الشك لمن قبل التجنيس في إطار القانون

¹ AGERON (Ch.) *Les Algériens Musulmans ...* T 1, op ,cit ... p 344

² *ibid*, p 345

الفرنسي، أهو التخلي طواعية عن عادات اعتقدها وقانون وشريعة استمد منها نمط حياته ؟ أم درء للمكاره التي ألحقها به قانون الأهالي وما احتواه من بنود مذلة ليس أقلها إثقال كاهله بالضرائب.¹

وكان السؤال الأكثر إلحاحا متى يحق للأهالي طلب التجنس ويصبحوا جزائريين ومتى يعطى لهم ذلك ؟ الإجابة في رأي بعض متحدثي المستوطنين عند انتهاء عهد الاحتلال وجلاء الاستعمار من الجزائر² وكانت هذه الإجابة أصدق عبارة نطق بها المستوطنون تجاه سياسة التّفاق التي تبنتها حكومة فرنسا الأم (المتروبول) بل سيحصل الجزائري في يوم ما على جنسيته الجزائرية دون أن يطلبها من فرنسا. فلا مجال إذا لتجنيس يدنس من هوية الشخص بل يجب على الحكومة الفرنسية الإسراع في إصلاحات سياسية تكون مقبولة عند الجزائريين عوض الخوض في إجراءات ومناقشات عقيمة لا طائل تحتها ولا حاصل ورائها داخل مجلس الشيوخ الفرنسي. فهذا فرحات عباس يصف طريقة التعامل معه أثناء الحرب العالمية الثانية وهو المتعلم والسياسي والقريب من الأوساط الفرنسية، لم تمنع جنسيته الفرنسية تعرضه إلى الاعتقال لا لشيء إلا لمطالبته بالحقوق السياسية بالرغم من اعترافه التام بالديمقراطية الفرنسية وقوانينها ونكرانه في بادئ الأمر لكل ما هو جزائري بعبارات أصبحت بمرور الوقت أدبيات في أذهان كثير من رجال الثقافة وبعض المتعلمين في المدارس الفرنسية حيث صرح في مقال كتبه تحت عنوان "فرنسا هي أنا" سنة 1936 م " نحن أصدقاء الدكتور بن جلول قد نكون وطنيين فليست هذه التهمة بجديدة، لقد تحدثت في هذه المسألة مع شخصيات مختلفة فموقفي معروف إنّ الوطنية عاطفة تدفع شعبا من الشعوب إلى العيش داخل حدود معينة، وهي التي أدت إلى قيام سلسلة الأمم الحاضرة ولو أنني اكتشفت وجود الأمة الجزائرية لكنت وطنيا لأنّ الوطنيين يكرّمون في النهاية ولا قيمة لحيايتي أكثر من حياتهم، على أي غير مستعد لهذه التضحية لأن هذا الوطن غير موجود، لقد سألت

¹ AGERON (Charles) **Les Algériens Musulmans Et La France. (1871-1919)** Presse Universitaire

De France, T 2، 1968 p 719

² AGERON : **Les Algériens...**, T 1....op cit, p 346

عنه التاريخ وسألت الأحياء والأموات وزرت المقابر ولم يحدثني أحد عن وطن جزائري غير أنني وجدت إمبراطورية عربية وإسلامية ولكنهما ولدتا لعصر غير عصرنا ولأناس غيرنا، فهل يمكن لجزائري أن يبني مستقبلا بغير الماضي فدون كيشوت ليس من زماننا ولا يمكن لإنسان أن يقيم بناء على الرياح . . قد أبعدا نهايا هذه السحب الكثيفة والأوهام لنربط مستقبلنا بصنيع فرنسا في هذه البلاد)¹

ولست في معرض الرد على فرحات عباس فهذا عبد الحميد بن باديس يُرد عليه قائلا: (إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ وفتشنا في الحالة الحاضرة فوجدنا الأمة الجزائرية متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذا الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمة في الدنيا، ثم إنَّ هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تريد أن تصير فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد ، في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها لا تريد أن تندمج لها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة)²

ومن هنا نستنتج تشبث الجزائريين بالمقومات التي لم يستطع الاستعمار في يوم من الأيام محوها وهي مقومات بناء الشخصية الجزائرية المغروسة في أعماق الذات إلى درجة شبه فيها الاستعمار الامتناع والرفض والمقاومة لكل ما هو فرنسي بحرب قومية مسلحة ومتجددة لا يمكن القضاء عليها،³ تحدث أحد المستوطنين قائلا: (... إن الأهالي المسلمين لا يفقهون في شؤون العالم ما يجعلهم يفكرون في المطالبة بالجزائر على أنها بلاد أجدادهم ومهد تراثهم. إن الجزائر اليوم هي خليط من البشر المنحدرين من قوميات

¹ JULIEN (Charles .André) L'Afrique Du Nord En Marche, Algérie, Tunisie, Maroc (1880-1952) paris 1952, p 111

² بن باديس (عبد الحميد) في الشمال الإفريقي كلمة صريحة، الشهاب ج 1 ، م 12 ، محرم 1355 هـ أبريل 1936 م ص 42

³ MAGHERBI (A) la paysannerie... op, cit....p 42

شئ لا يمكن مقارنتها بالأمم الأخرى حيث تتواجد آثار حضارية قديمة وحيث يمكن لفكرة الوطن أن تأخذ بعض الدلالات)¹

2- الاستيطان

استندت سياسة التعمير الفرنسية على جملة من المشاريع والقوانين والقرارات المنظمة في ضوء تزايد تدفق الأوروبيين على الجزائر، وأخذت صورتها الرسمية بعد صدور مرسوم 22 مارس 1844م، احتوى على إنشاء القرى الاستيطانية في مقابل المكاتب العربية التي استهدفت الجزائريين في أرضهم والذي صدر بتاريخ 1 فيفري 1844 م على ضوء دراسة أجرتها لجان مختصة كاللجنة الإفريقية التي قدمت إلى الجزائر وعملت على تقديم توصيات أنهت بصورة رسمية السيادة الجزائرية وصاغ مرسوم 1834م مادته الأولى التي اعتبرت الجزائر جزء من ممتلكات فرنسا، إضافة إلى لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر التي مهدت للاستيطان الرسمي بدراسات وأبحاث اشتغلت على نمط العلاقات الاجتماعية بين السكان وثروات البلاد ومواردها الإنتاجية بل ونوع المناخ الذي ساد الجزائر وعمّا إذا كان صالحا لاستقرار المستوطنين ونوع التربة والزراعة التي تتلاءم مع تلك الشروط البيئية وتنسجم مع الحركة الرأسمالية الاستعمارية التي تقوم على مبدأ الربح والمال كقاعدة للتوسع انطلاقا من فكرة مركزية مرجعيتها التاريخية خلو الجزائر من سكانها بمعنى آخر "أرض عذراء"

لاشك أن الاستيطان هو المرحلة التي تلي الغزو وطالما أن الاحتلال في حاجة إلى سد فراغ المناطق التي أباد سكانها، كان لزاما عليه إيجاد كتلة ديموغرافية ترتبط به وتمثل استمرارية بقاءه فلا يمكن التعويل على العنصر المحلي واتخاذ حليفا بعدما كان في أمس القريب عدوًا واجه جيش الاحتلال وما الذي يضمن بقاء الأهالي على وفاءهم في خدمة الاستعمار إن هو قام بترويض نخبة منهم؟ على حد قول دولاميريسير²

¹ GOLDZEIGUER (Annie Rey) **Le Royaume arabe : la politique Algérienne de Napoléon III, 1861-**

1870 Société nationale d'édition et de diffusion, Alger 1977.p 635

² زوزو (عبد الحميد)، **نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر**، (د، م، ج) ط 4، الجزائر 2007 ص 154

بدأت أولى خطوات الاستيطان باستقرار عشوائى لأفراد فرنسيين وأجانب جاءوا مع جيش الحملة، مغامرون استهواهم الفضول لركوب تجربة جديدة في المستعمرة بعضهم رسامون وفنانون وآخرون خدموا في البناء والسمسرة وبطّالون اشتغلوا على جمع المال في شوارع أوروبا واستقروا في مدينة الجزائر بعد سقوط الداى الذي سلم لهم المدينة نشروا الآفات الأخلاقية والجريمة وقطع الطرق والسطو على المنازل تقاليد مارسوها في بلدانهم الأصلية.¹

لم يكن الاستيطان في مدينة وهران على نفس النسق الذي سار عليه في مدينة الجزائر مساكن توزع الجنود على أراضيها حيث قام على خدمتها أجراء من المهاجرين الإسبان في وقت تزايدت فيه الشكوك حول مصير الجزائر خلال المناقشات البرلمانية نتيجة تضخم الأعباء المالية المخصصة للعمليات العسكرية ضد المقاومة، لم تكن الجزائر في نظر بعض السياسيين الفرنسيين أمثال رجل الاقتصاد هيبوليت باصي (PASSY) والنائب في البرلمان الفرنسي غزافى دي صاد (DESADÉ) إلاّ مستنقعا من الوحل تحدث الأخير مطولا في جلسة جرت يوم 3 أبريل 1833م، عن النفقات العسكرية التي كلفت اربعين مليون فرنك فرنسي، خسارة أصابت الاقتصاد بالشلل اعتبر على أساسها كل زيادة في مساحة الأرض الإفريقية زيادة في تكاليف المستعمرة، التي تصبّ في صناديق السماسرة، فلا جدوى من احتلال يضيع معه المال الفرنسي.²

ردّ كلوزال على النائب الفرنسي بصيغة ضمنت المحافظة على الجزائر مستعمرة فرنسية وبقاء الاحتلال وكانت الطريقة حسب نظره هي الاستيطان طالب الحكومة بتقديم الدعم، وتشجيع المستوطنين على القدوم والاستقرار في الجزائر ففرنسا على حدّ قوله لن تدفع شيئا بعد مضي سنوات قليلة، بفعل تنامي صادرات الجزائر من القمح والكروم وكل أنواع المحاصيل التي يحتاجها المواطن الفرنسي، فالقطن على سبيل المثال له مردود نافع في جودته وإنتاجه القطن الأمريكى كل ما هنالك ضمان بقاء الجنود

¹ سعد الله الحركة الوطنية... ج 1، مرجع سابق، ص 29

² JULIEN (Ch -A) Histoire de l'Algérie contemporaine, Ed. Casbah, 2004, pp. 106-107

الفرنسيين في الجزائر عوض عودتهم طواعية إلى فرنسا بعد الخدمة، لذا اقترح على لويس فيليب تشكيل لجنة تعمل على استقصاء الوضع تكون توصياتها بمثابة استفتاء فرنسي حول مصير المستعمرة.¹

صورت اللجنة الافريقية 1833م في الشق المتعلق بالاستيطان لوحة سوداء نتيجة السياسة المفلسة والأخطاء الفادحة التي ارتكبتها إدارة الاحتلال، فبادرت إلى عقد مقارنة بين التكاليف التي أنفقت على الاحتلال والمداخيل التي جلبت من المستعمرة وكانت النتيجة فارقة عاد السبب إلى الاختيار السيئ لمراكز الاستيطان وترك المجال للمضاربين والمغامرين في اقتسام غنائم قدّمت لهم كل أنواع الثروة، فأوصت بتقسيم الأراضي وتوزيعها توزيعا يتناسب مع مساحة المستعمرة مع توفير الحماية للمستوطنين.²

صادق الملك بعد استشارة اللّجنة على قانون الإلحاق بل وضرورة جلب مستوطنين أجنب يتحقق معهم نجاح تجربة الاستيطان، رعايا ألمان وسويسريون تميزت فيهم خصائص النشاط وحب الاستثمار ليكونوا أداة الاستيطان الأولى فمع نجاحهم تتوالى نجاحات أخرى وبتزايد الطمع في كسب الثروة ويتأكد ترسيخ مشروع الاحتلال على أن يتم ذلك بطريقة ذكية وهادئة وضمن سياسة مدروسة خطوة بخطوة تجنبا لخسائر تثبط الجهود وتثني العزائم.³

وجاءت لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر سنة 1837 م فاشتغلت على دراسة جغرافية وتاريخ واثنوغرافية المستعمرة تكريسا للاستيطان وتنظيما له اعتبر بروسبير أونفوتان الاستيطان في عهد كلوزال عشوائيا ومتسرا دون تنظيم مسبق ومخطط له من قبل الحكومة وأضاف انتقاداته اللاذعة لإدارة الاحتلال كونها لم تضبط موارد المستعمرة بالشكل الكافي الذي يضمن استمرار تدفق المستوطنين ففي نظره ليس من المستطاع

¹ ...¹ JULIEN (Ch -A)Histoire de l'Algérie contemporaine ,op cit... p 108

² ibid... ، p 110

³ Procès-Verbaux et Rapports de la Commission Nommée par le Roi les 07 juillet 1833, Imprimerie Royale, Paris 1834. p 329

استيطان الجزائر كلية وفي وقت واحد، لذا ينبغي القيام بإحصاء أعداد المستوطنين ومعرفة خدماتهم حتى يتسنى توزيعهم على المناطق بالشكل الأمثل، ومن ثم حصول فرنسا الاستعمارية على فوائد تجنيها من هذه المستعمرة، التي تحولت إلى مشروع ضخم لاستغلال الموارد....أضف قائلا.... لا يمكن الحصول على شيء من المستعمرة في ظروف يكون فيها المستوطنون أسيادا بينما الحكومة صاحبة القرار خاضعة لجشعهم اللامتناهي الذي تسفك فيه الدماء ويهدر فيه المال الفرنسي¹

اقترح اونفونتان شروطا تمثلت في الأمن والخصوبة وسلامة المستوطنين من بؤر الوباء التي انتشرت في المناطق الحارة، كما اعتمد على مقارنة تاريخية فسرت اتساع نطاق الاستيطان وسعت إلى نجاحه حدّد فيه الاتجاه الجغرافي الذي سار عليه شاكلة استيطان الرومان والعرب والأترك من شرق البلاد إلى غربها وعلى خطّين متوازيين أحدهما مدني خاص بالمستوطنين في المدن الساحلية والآخر عسكري يمتد ما بين مدينة قسنطينة الداخلية شرقا إلى منطقة تلمسان غربا، أين كان الرومان يشيدون الحصون وأبراج الحماية التي تقيهم هجمات (البربر) وتؤمن لهم السهول الداخلية مثل سهل سرسو المعروف بإنتاج القمح.²

أحصى الفرنسيون سهول الجزائر وقاموا بعملية مسح للأراضي الخصبة تمهيدا لتوزيعها على المستوطنين القادمين من أوروبا عامة، وفي مقدمتها سهول متيجة التي فاقت مائتان وخمسين ألف هكتار، وسهول عنابة التي ناهزت مليون هكتار إلى جانب إحصاء آخر للغابات التي فاقت مساحتها ثمانين ألف هكتار إضافة إلى ثروات وموارد طبيعية من مختلف المعادن كالحديد والنحاس والفضة والملح وهي موارد أمكن معها استقطاب جموع المستوطنين الباحثين عن الثروة والمال.³

¹ ENFENTIN (P) *Colonisation de l'Algérie*, imp. P. Bertrand, librairie, Paris : 1843, p 187

² Ibid, pp.197-198

³ LEGOYT (Alfred) *De la Colonisation civile et militaire de l'Algérie*, imp. De E. D'épée, à Sceaux (Seine) ; sans date p 2

واكب ازدياد عدد المستوطنين ازدياد الجيش الاستعماري الذي عمل على حمايتهم وإن أدرج استقدامه ضمن خطة قمع الثورات في مرحلة أولى كثورة الأمير وأحمد باي أحصت الإدارة الاستعمارية تعداد الجيش الفرنسي سنة 1846 م بسبعة وتسعون ألف سبعمائة وستين عنصرا في مقابل نفس العدد تقريبا من المستوطنين عدا ما يضاف إليه من الفرق الأهلية كالصبايحية وفرقة الزواوة (ZOUAF) التي جندها الاحتلال في الخطوط الأمامية وأوكلت لها مهمة الحراسة¹

حاول الجنرال بيجو تنظيم الاستيطان عبر اقتطاع الأراضي ومنحها إلى جنود الاحتلال، ممن أنهوا الخدمة العسكرية لتوفر مزايا الطاعة والانضباط، وروح العمل الدؤوب والشعور بتضحيات الوطن وما إلى ذلك من خصائص افتقدها المستوطن الأوروبي القادم إلى الجزائر المشبع بحلم الكسب وحمل المغامرة، واقترح بناء قرى استثمارية زراعية بقروض ميسرة شرط توفير الأمن²

صدرت قوانين نظمت عملية النهب التي دأب عليه مشروع الامبراطورية حيث أرسل آلاف العمال الباريسيين الذين عانوا من البطالة أقيمت لهم المزارع النموذجية والقرى الاستيطانية والدعم المادي أظهر الفرنسيون للرأي العام مدى نجاح مشروعهم الاستيطاني الذي قام على الاستغلال الأمثل للإمكانيات على الرغم من العراقيل التي واجهتها عملية الاستيطان، إذ لا توجد نماذج اقتربت من تأكيد نجاحات على الأرض الجزائرية، مثلما تحقق في عهد الامبراطورية الفرنسية.³

مثل قانون وارنبي خرقا هدد نظام الملكية في الجزائر وعمل على تفتيت الملكية الجماعية للقبائل مهد له المشرع الفرنسي وارني بخطاب موجه إلى الامبراطور حاول فيه استعطاف سكان الجزائر فأثنى على الأمازيغ واعتبرهم بمثابة المستوطنين الحقيقيين للحضارة الرومانية القديمة احتفظوا بعبادات الأسياد الرومان وتقاليدهم فيما تعلق بنظام البلديات والملكية الفردية وفنون التعدين وزراعة الأرض واستغلال الخشب وقلدهم في

¹ ROZET ET CARETTE : *l'Algérie*, Firmin Didot Frères , Paris : 1850, p 208

² JULIEN, *Histoire de l'Algérie...* op cit . p 232

³ WARNIER, *l'Algérie devant l'Empereur*, Ed. Challamel Ainé, Paris, 1865, p 3-4

مجال المبادلات التجارية التي دونت أعمالهم في كتابات المؤرخين اللاتين ناهيك عن التقنية التي مست أنابيب السقي وحفر الآبار وحتى بالنسبة إلى الديانة المسيحية احتفظ بها (البربر) على الرغم من قطيعة ووقت كبير كما قارب بين تنظيم الحياة الادارية للنموذج الفرنسي والنموذج الأمازيغي الذي اتسم حسب رأيه بالحرية المطلقة أرجعها الكاتب إلى غياب سلطة حقيقية فرضتها في النهاية بنادق الفرنسيين تمنى الكاتب تطبيقها من خلال المكاتب التي استحدثها الجيش الفرنسي في منطقة القبائل¹

شرح الكاتب قانونه الذي شرعه فالغاية منه إعفاء فئة من سكان الجزائر التي ذكرها من الضرائب على الأراضي، فهم ليسوا في حاجة إلى هذا القانون المستحدث بل تركت الحرية لهم في مجال العقارات كما كان عليه الحال في عهد الرومان يكفي فقط اطلاع الفرنسيين بملكيات سكان القبائل عن طريق خبير في العقارات. أما بالنسبة إلى العرب الذين سيطروا على الأراضي باسم (الحق الإلهي) حسب نظره وتوارثه الأشراف منهم داخل العشيرة فلا مجال هنا إلى الاستمرار في بقاءه وحن الوقت للقضاء على نظام اعتبره الكاتب إقطاعيا مشاعيا.²

تنوعت تركيبة المستوطنين الإثنية بين المالطيين والإيطاليين والإنجليز والإسبان والألمان والبرتغاليين وشكل عدد الأوروبيين تقريبا نفس عدد الفرنسيين توزعوا توزيعا جغرافيا تناسب مع قربهم من مواطنهم الأصلية، فاستقر الإسبان والبرتغاليون في المناطق الغربية من الجزائر واحتلوا عمالة وهران وسهول تالة بعين تموشنت فيما انتشر الإيطاليون والمالطيون بعنابة والشرق الجزائري واستوطن الفرنسيون في كامل الجزائر بنسب متقاربة وهو المسلك نفسه الذي دأب عليه الألمان وهكذا..³

ترافق مجيء الغزاة كل مع ظروفه الخاصة إذ قدم الإيطاليون نتيجة الأزمة الزراعية والأوضاع الصعبة التي كان تعرض لها المزارعون في صقلية والجنوب الإيطالي فاستقروا

¹ WARNIER, *l'Algérie...* op cit p. 19

² ibid , p25

³ BOUDIN (Charles) *Histoire De La Colonisation Et De La Population En Algérie.*

Librairie de l'académie impériale de la médecine. Paris : 1853, P 5

على طول الساحل واشتغلوا على حرفة الصيد البحري، حيث استأثروا بما نسبته 56/ بالمائة من انتاج السمك، في حين انتشر الاسبان بالغرب الجزائري واشتغلوا على إنشاء الطرق والبنى التحتية والموانئ والسكك الحديدية، وشكلوا أغلبية المستوطنين في منطقة وهران وقدم سكان الأزراس واللورين إلى الجزائر سنة 1871م بعدما رفضوا الخضوع لإدارة الألمان في وقت طالب فيه بعض الساسة الفرنسيين أمثال دولامورسيير بالتضييق في إجراءات استقبال المهاجرين وألقى باللائمة على ممالك أوروبا التي لم ترسل إلا حثالة مواطنيها.¹

جرى الاستيطان في عهد الجمهورية الثالثة بعد سقوط نابليون الثالث على تقسيم الأراضي، إلى قطع تراوحت مساحتها بين ثلاثين ومائة هكتار على صيغة الوكلاء العقاريين (CONCESSIONAIRE) الذين التزموا بتقديمها على أساس خبرة المستوطن الجديد في مجال الزراعة وخدمة الأرض حيث تم إنشاء مائة وست وعشرون قرية انتشرت على مساحة مائتين وخمسة وثلاثين ألف وتسعمائة وواحد وستين هكتارا قسمت على خمسة الاف وتسعمائة وسبعة واربعين قطعة منها تسعمائة وواحد وثمانين خاصة بالنشاط الصناعي واربعة الاف وثلاثمائة وخمسة وتسعين خاصة بالأراضي والبناء وخمسائة وواحد وسبعين خاصة بالمستثمرات الفلاحية² . وفي سنة 1900م منحت السلطات الفرنسية المستوطنين مجانا ستمائة وسبعة وثمانين ألف هكتار ومن عام 1880 إلى عام 1908م انتقل خمسة وأربعون ألف هكتار، من أيدي الجزائريين إلى المستوطنين في رغما عن إرادتهم ، ودون أن يعوضوا وكان لتلك المصادرة آثارها الاجتماعية ليس على الجانب الاقتصادي فقط بل وحتى في جانبها الاجتماعي أرغمت أعدادا من الجزائريين إلى الهجرة نتيجة فقدهم موارد رزقهم بل وتقلصت ماشيتهم التي كانت تقف على

¹ Kateb (Kamel) **Européens, Indigènes, Juifs En Algérie** (1830-1962) Ed de l'institut nationale d'études Démographiques 2001. p27-28

² Gouvernement général de l'Algérie, **Etat Actuel de l'Algérie**. 1887, imp. Administrative. Paris 1887, p 89

محاصيل الأرض، وتحول الجزائري نتيجة هذه السياسة إلى مجرد أجير خماس بعدما كان مالكا للأرض.¹

¹ التميمي (عبد المالك خلف) : الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي ، دراسة تاريخية مقارنة ، عالم المعرفة ، الكويت 1983م ، ص 25

خاتمة

يعدّ النشاط التاريخي والأثري الاستعماري الفرنسي في الجزائر الذي تناولناه على مدى مائة سنة من الاحتلال، مدعماً بمؤسسات أكاديمية وجمعيات علمية وزخم سياسي مرهونا بأيدولوجيا استعمارية قلما نجد لها في الأوطان المستعمرة مثيلاً تبعاً للسياقات التالية التي قمنا باستنتاجها.

1- شكل المؤرخون الفرنسيون مرجعية دفاعية فكرية وتاريخية لاستقرار النظام الاستعماري وواجهة لتوسعه وانتشاره، وقدّمت الأبحاث والدِّراسات التي اشغلت في هذا المجال إنجازاتها العلمية وتقاريرها الدَّورية النمطية المستهلكة، فرضية تفوق الجنس الأوروبي المنحدر من الأصل اللاتيني فلا مكان لإبداع هندسي معماري أو إنتاج صناعي محلي أو منهج علمي مستحدث خارج إطار حضارة الرومان قديماً أو حضارة الفرنسيين حديثاً، وإن وجدت فهي اقتباسات ليس الأعلى الرغم من اختلاف الزمان والمكان والسجاياء والطباع بين موروث وآخر.

2- سعى الاستعمار إلى وضع الجزائر والجزائريين في مخبر أيديولوجيته من خلال تطبيق المناهج العلمية وافتراس النظريات المسوقة لدعايته، بما يتناسب مع المسلمات المتفق عليها والتوجه العام الذي رسمته السلطة الاستعمارية القائم على سياسة الإقصاء والتهميش المنتهجة تجاه الجزائريين والخوف مبعثه التوجس من استنتاجات ربما تكون صادمة للسياسة الاستعمارية خاصة في شقها التاريخي الذي اختزل هوية الشعب وإرثه الحضاري .

3- لم يكن التعليم مستقلاً في نظامه المؤسسي الذي مثلته المعاهد والجامعات ولم تكن العلوم مستقلة في سياساتها البحثية بقدر ما كانت صمّام أمان تبدد من خلاله مخاوف الاستعمار وقلقه المتزايد على مستقبل المستعمرة أمام فكر متحرر طرح إشكالية الوجود الاستعماري برمته في إطار كيان غير شرعي، تنامت معه بواعث الحركة الاستقلالية في ذهنيات أجيال أبناء الجزائر المستعمرة في مقابل غرس أفكار وتساؤلات لا تنتهي عن جدوى نجاح الخطاب الاستعماري في ذهنيات معتنقيه.

4- لم تسلم الأبحاث التاريخية والأثرية وحتى العلمية المجردة كعلوم الطب والصيدلة والهندسة والفيزياء والرياضيات وعلوم المادة والفلك والزراعة وغيرها، من سياسات صاغت في قوالبها العلمية أبعاد السياسة الاستعمارية ممثلة في الاستيطان الذي كان المحرك الأساسي لأي بحث

علمي أو أثري أو زراعي فنجاح الاستيطان مرهون بنجاح مشاريع التنقيب عن المعادن واستجلاء الأعراف ودراسة التربة والمناخ واستحضار الموروث الثقافي للغزاة القدامى وتحديد مناطق استيطانهم، بالإضافة إلى مسألة صحّة المستوطنين عن طريق تشخيص الأمراض ومعاينة الأوبئة وعلاقتها بالبيئة الجزائرية وغيرها .

5- لم تكن الجامعات الفرنسية أو المدارس التحضيرية العليا التي أنشأها الاستعمار في الجزائر ساحة جدل علمي بين الجزائريين والأوروبيين فالفرصة لم تعط لهم في الأصل بالمشاركة في التمدرس فكيف تعط لهم في إمكانية التدريس، وإن وجدت فهي قليلة وغير ذات قيمة تذكر في مجال نقد البحوث الاستعمارية بل كانت الفئة التي أتيحت لها فرصة التعلم تختار الجامعات الأجنبية مكانا للتعلم بحرية خارج الشروط الأيديولوجية الاستعمارية في الجزائر.

6- مرّ النشاط العلمي التاريخي والأثري في الجزائر بثلاث مراحل أساسية مرحلة استكشاف المستعمرة والتي بدأت بإرسال لجان البحث والتحقيق كاللجنة الإفريقية سنة 1833م التي توصلت إلى ضرورة الاحتفاظ بالجزائر والعمل على توسيع نطاق السّيطرة والاستيطان ولجنة الاكتشاف العلمي للجزائر التي تشكلت سنة 1837م، واشتغلت على دراسة واكتشاف النظم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي ارتكزت عليها مقومات الأمة تلتها مرحلة تثمين المستعمرة من خلال إرساء مؤسسات أكاديمية كالمدارس التحضيرية العليا والمعاهد والجامعات التي اشتغلت على إحصاء ثرواتها وسنّ قوانين سهلت على المستعمر احتلاله للأرض وإخضاع الشعب ثم جاءت عملية الاستغلال من خلال بناء المصانع والشركات وورش استخراج المعادن والبتروول ومدّ خطوط السكة الحديدية وبناء الموانئ والجسور والطرق وغيرها وجعل الاقتصاد الجزائري اقتصادا مكتملا للاقتصاد الاستعماري.

7- تميّزت الكتابة التاريخية الاستعمارية في عمومها عند التطرق إلى تاريخ الجزائر بالإنتقاية والتحيّز عند التعامل مع المصادر المحليّة من مخطوطات ساقّت أخبار المدن وتراجم العلماء ومراسلات الملوك التي كتبت باللّغة العربية، فوقف منها المؤرخ الاستعماري موقف المشكك والمتحفظ كونها لغة غزاة فرضت بالقوة، افتقرت إلى التحليل والموضوعية وضعف الدليل في إثبات الوقائع أدبيات في عمومها مقابل منطوق مزدوج لدى مؤرخي المدرسة الاستعمارية تجلّى في

الاشادة بكتابات هيروودوت وبوليب وسترابون كمصادر تاريخية لاغنى عنها عند الإشارة إلى تاريخ الجزائر القديمة لا لشيء إلا لكون هؤلاء من أصول غير جزائرية. كما اعتمد منهجهم في البحث على أسلوب الإسقاط والتأويل عند التطرق إلى مسائل في التشريع الإسلامي مستقاة في عمومها من انحرافات عقائدية ترجمت في طقوس وسلوكيات مجتمعات أخطأت في فهم الدين أجرى عليها المؤرخون الاستعماريون منطق القياس وصولا الى أحكام أدرجت الدين الإسلامي برمته (قرآنا وسنة) معتقدا وثنيا.

8- ارتكز البحث الأثري في أساسه على المواقع التي شيدت أثناء فترة الإحتلال الروماني والبيزنطي، كشواهد قدمها أساتذة المدرسة الاستعمارية نموذجاً حضارياً تواجد على سواحل الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، واعتمد كل من اشتغل في هذا الميدان على أسلوب التعميم قياساً بالمنطق الذي سار عليها كتاب المدرسة التاريخية فالمكتشفات الأثرية دليل في نظرهم على تطور عمراني أوروبي تمتعت به الجزائر فترة طويلة من الزمن والكنائس والتوابيت التي احتوت رموزاً دينية دليل على اعتناق سكان الجزائر للدين المسيحي .

9- وظفت العلوم المكتملة التي اشتملت على دراسات لغوية للمجتمع الجزائري ساقها مستشرقون في الدّفع باتجاه سذاجة المجتمع وقصوره، فالروايات التي تحدثت عن قصص أمازيغية احتوت حسب نظرهم على سياقات لاهوتية وثنية تأثرت في عمومها بقوى الطبيعة والبيئة القاسية وصيغت في شكل معتقد وثني بدائي توارثه سكان الجزائر كثنائية تلازم آبار المياه مع ضريح الولي الصالح. كما وظفت الجغرافيا في التأسيس لأبعاد الرواية التاريخية الاستعمارية ومقاصدها الأيديولوجية كوقوف مظاهر السطح الذي تخللته الجبال عاملاً ساهم في عدم استقرار نظامها السياسي المركزي بل وحتى الاجتماعي بل واعتبرت حاجزاً أمام التواصل الحضاري بين مجتمعات شمال افريقيا في عمومها.

10- ارتكزت عملية هدم مقومات الأمة الجزائرية على ثلاث استراتيجيات أساسية اللّغة والدين والأرض قبلها ثلاثة أبعاد شكّلت في مجملها تصوّرات الاستعمار لمستقبل الجزائر واشتملت على عملية التنصير والفرنسة وتثبيت الأيديولوجيات الاستعمارية محاولاً الوصول إلى أهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئة بديلة لمجتمع بديل هي "جزائر المستوطنين " وشكل من

قضية الأرض والاستيطان موضوعا لها رسخت أساس هوية جديدة بدين ولغة وتاريخ جديد فشرعية الاستعمار وثبات قدمه على الأرض قيست بمدى تفوقه الحضاري وحدود مستعمرته هي حدود ثقافته فأينما وصلت ثقافته وتوغلت توغل معها فكره الاستعماري فأخضع شعوبا وأراضي اعتبرها مشاعا بين جنوده.

11- إن مفهوم التحرر كفكرة حاربت الواقع الاستعماري لا يمكن لها أن تتأصل وتتطور إلا خارج حدود الوطن المستعمر، وهي التجارب التي أكدتها سيرورة الأحداث وحتمية التاريخ فالتيار الاستقلالي كان منشأه ديار الغربة تكتل في أحزاب وسلك طرقا نقابية وسياسية والتيار الإصلاحية الذي حارب القيم الاستعمارية من خلال نقد أطروحاتها التاريخية وأفكارها النمطية المستهلكة نشأ في أرض المهجر ودرس رؤاه في جامعة الزيتونة والأزهر، تكتلت فعالياته ضمن جمعيات ونوادي ثقافية ودينية، حاول بعث الذاكرة الوطنية وبلورة الأصالة الجزائرية وكانت مواجهاته أشرس من تلك الفئة التي تعلمت في جامعة الجزائر وظلت لعقود طويلة تهدان الاستعمار في سياساته تتقلب بين الحيرة والشكوك في انتماءاتها الأصلية وبين ممانعة الاستعمار ورفضه المطلق استيعابها في بوتقته الحضارية.

12- إن مسألة الدين واللغة والأرض متلازمة حضورا مع حضور الإنسان الجزائري باقية ببقائه فلا يمكن لحضارة الجزائر أن تزول أمام محاولات الاستعمار اقتطاع الأرض أو التسويق لإمكانية بيعها في إطار الاستيطان، كما وأن فكرة الإدماج التي صاغها الاحتلال ضمن مشروعه في استبدال الهويات وارتكز فيها على صناعة نخبة من الأهالي غير عملي في أساسه، فتغيير بنية المجتمع وموروثه الحضاري ينبغي أن تقوم على أساس محو ماضيه التاريخي أولا وهو ما اعترف بفشله جل مؤرخيهم .

13- العلوم في أساسها موضوعي لكن تطبيقها في ما تعلق بتاريخ الجزائر وحضارتها تميز بانحراف وتجاهل متعمد عند جلّ المؤرخين والباحثين الاستعماريين في مختلف العلوم المكتملة للتاريخ فوضع الكاتالوجات والفهارس والتحقيق في المخطوطات ودراسة أعمار المكتشفات الأثرية وعلم الجغرافيا والمناخ الذي برع فيها الفرنسيون قد تمكن الباحث الجزائري مستقبلا من

الاستعانة بها كمنهج علمي موضوعي في إثبات الوقائع أو نفيها شرط إعادة قراءة معطياتها وليس كإنتاج مستخلص أو مستنسخ من أفلام المستعمرين .

الملاحق

(ملاحظة)

تم ترتيب الملاحق ورقمنتها على سلم كرونولوجي تسلسلي تبعا

لفصول الدراسة

الملحق رقم 1

(صور لنقوش صخرية عثر عليها في منطقة الهقار واد الخودية)



المرجع:

Quelques dessins et inscriptions rupestres du sahara central Revue africaine volume

70 année 1929

التعليق:

الصور اعتمدت كإثبات مني على وجود حضارة نيوليثية قديمة في منطقة الجنوب الجزائري

الملحق رقم 2

جدول يوضح مواقع النيوليتي في الصحراء الجزائرية

المواقع	التواريخ
كهف الديلوبي delebo في الاينيدي	5230 ق م للفخار و 4905 ق م في الطبقة الدنيا
فوزيجيارن في تادرات أككوس	6120 ق.م بالنسبة لموقد طهو
أوان تابو في تادرات أككوس	5095 ق.م بالنسبة للفخار
وان موهيجاج في تادرات أككوس	5480 ق.م بالنسبة لموقد طهو ، والمستوى الذي يليه أعطى زمنا يقدر ب 4000 ق.م
وان موهيجاج في تادرات أككوس	جثة طفل محطة أعطت تاريخ يقدر ب 3455 ق.م
وان موهيجاج في تادرات أككوس	5400 ق.م بالنسبة للإقامة البشرية
أوان تلوكات بتادرات أككوس	4800 ق.م
تيتراس نلياس بالتاسيلي	موقد أرخ ب 5450 ق.م
أمكني بالهوقار (حسب كامبس camps)	6100 ق.م بالنسبة لبقايا جثة طفل

أمكني بالهوقار (حسب كامبس camps)	6700 ق.م بالنسبة للفضار
كهف وان أفود في الاكاكوس	7000 ق.م ± 110 بالنسبة للاقامة البشرية.
كهف وان تابو في الاكاكوس	من 7810 ق.م ± 75 إلى 6880+100 ق.م
كهف تين طره الشرقية في الاكاكوس	الطبقات العليا أرخت 5070 ق.م +60

المصدر : بن بوزيد لخضر الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ المعتقدات والفن الصخري ص 77

التعليق : تسلسل كرونولوجي لاستقرار الانسان في الكهوف من خلال مكتشفات أثرية وردت في الجدول , تعكس النشاط البشري في الجزائر , في الزمن المذكور اعتمد الجدول لتوضيح مناطق الاستقرار البشري للانسان القديم , بما يدعم فرضية وجود حضارة تلت عملية الاستقرار تلك .

الملحق رقم 3



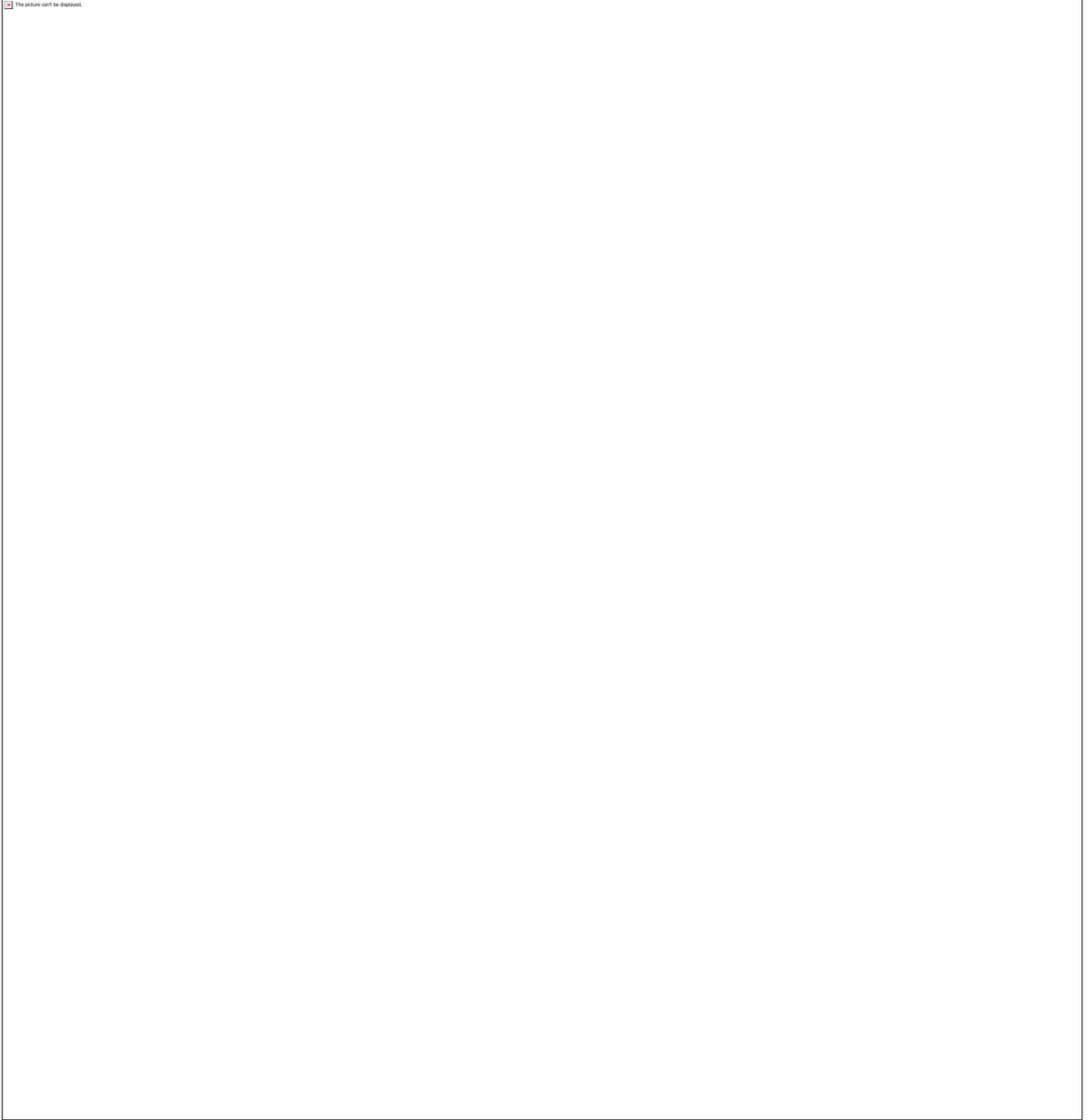
المرجع:

:Dondin-Payre. La commission d'exploration scientifique d'Algérie.

Une héritière méconnue de la commission d'Égypte, paris, p 19

التعليق:

كتابة من التراث المسيحي البيزنطي , مع على شواهد قبور عشر عليها أحد قادة الفرق الطوبوغرافية في الجزائر سنة 1833 م , واعتمدت كأساس أثري عكس الاهتمام الفرنسي بالمستعمرة كونها تشير إلى تواجد شعب مسيحي في الجزائر

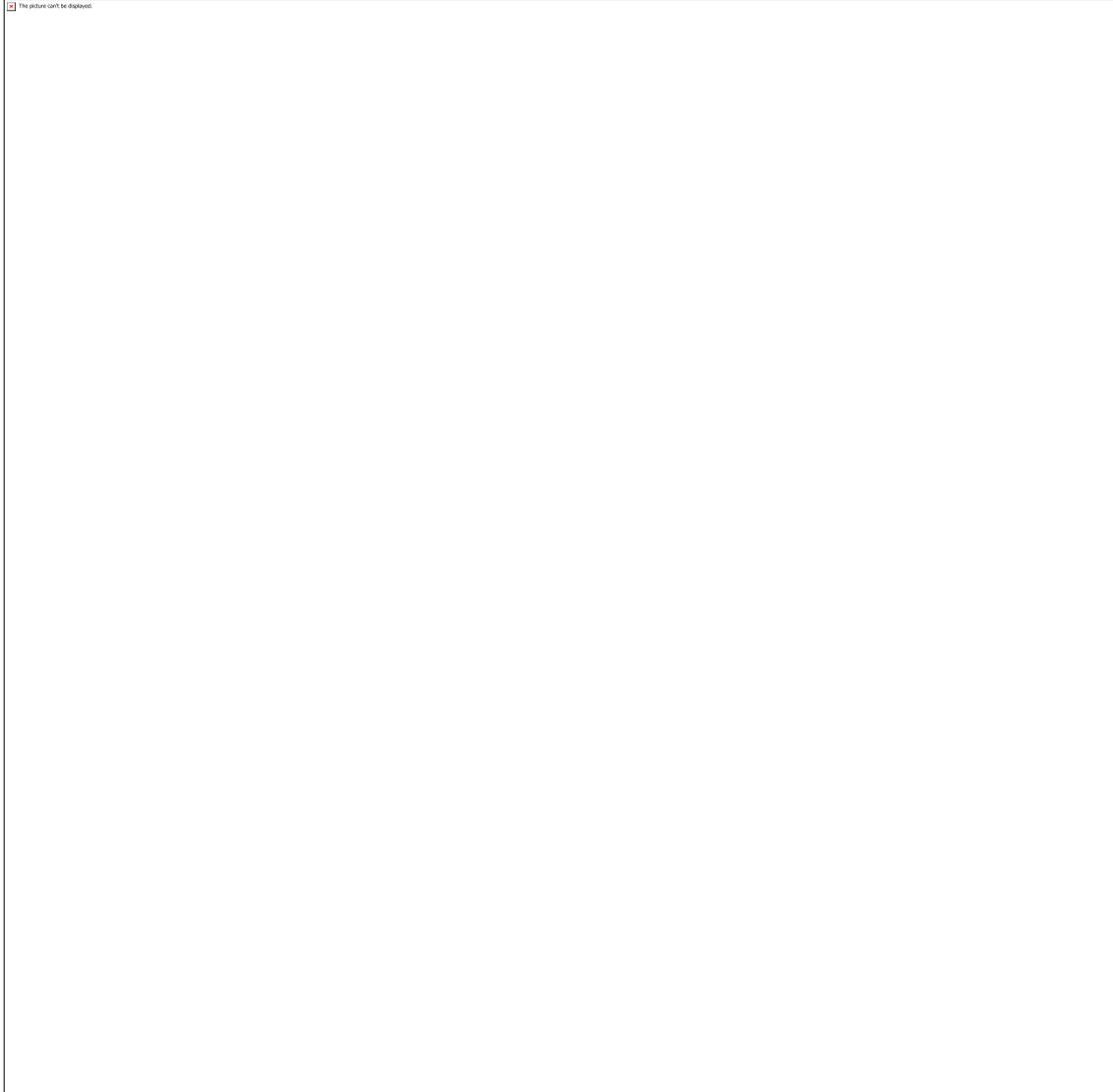


الملحق رقم 4 :

La commission.....op cit , p 19.Dondin-Payre

التعليق : رسالة موجهة من أكاديمية الفنون والآداب إلى وزير الحربية يلح فيها على ضرورة استكمال خريطة البحث الأثري في عمالة الجزائر من طرف ضباط الأركان أرشيف الأكاديمية 1834 م

الملحق رقم 5

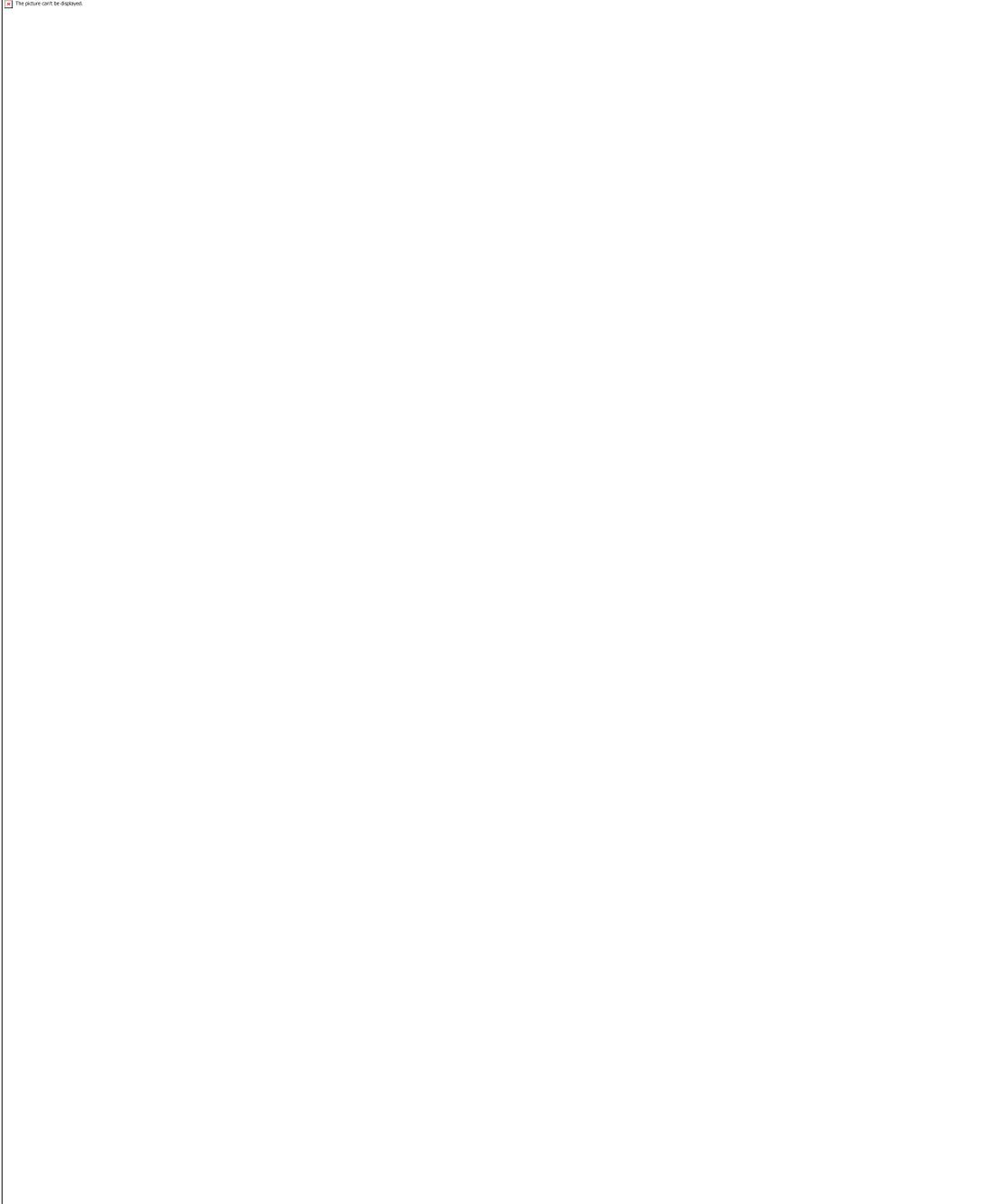


المرجع : Dondin-Payre...op...cit p32

التعليق :

تقرير عمل وجهه كاريت (CARETTE) الى رئيس اللجنة العقيد بوري دي سان فانسان في 10 أوت 1840 م في منطقة قسنطينة والتي أشاد فيها بالعمليات الحربية التي فسحت المجال أمام توسع البحث الأثري .

الملحق رقم 6



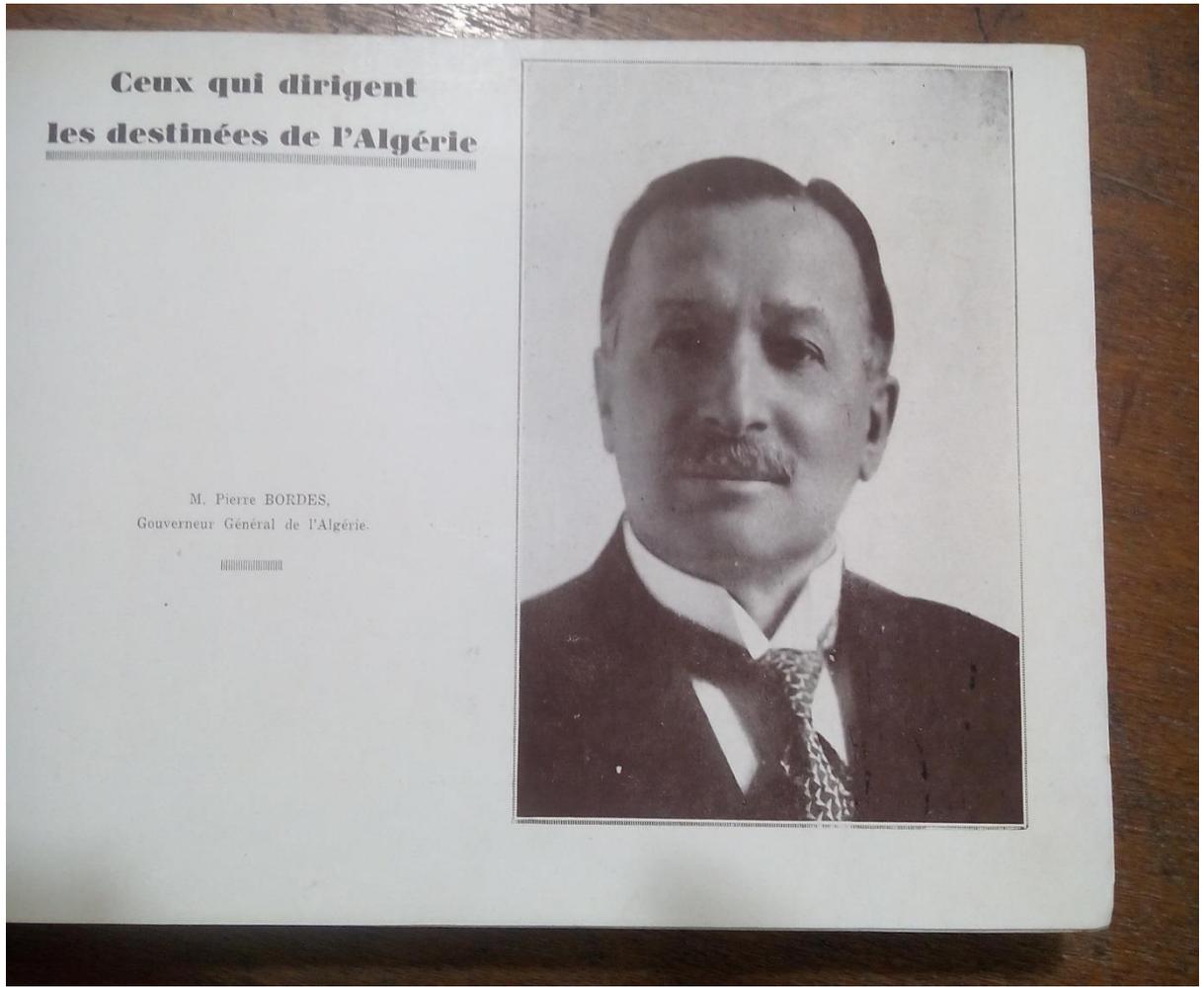
المصدر : أرشيف C.A.O.M F80 1599

تقرير من رئيس اللجنة العقيد BORY إلى مدير الشؤون الإفريقية يوم 25 جويلية 1840

الملحق رقم 7

بيير بورداس (Pierre Bordes)

الحاكم العام للجزائر وراعي الاحتفالات المئوية للجزائر 1930 م



المصدر : gustave mercier , le centenaire de l'Algérie Tome
Premier. Edition Soubiron Alger 1931 ,p150

الملحق رقم 8

أعضاء المؤتمر التاريخي الذي انعقد بمناسبة الاحتفالات المئوية أفريل سنة
1930م



gustave mercier , le centenaire de l'algérie...op cit 148 المرجع

التعليق : تظهر الصورة أساتذة المدرسة التاريخية الاستعمارية يتوسطهم استيفان غزال المؤتمر ناقش تاريخ الجزائر من منظور استعماري ونشر العديد من الأبحاث التاريخية على غرار الكراسات الإثني عشر .

الملحق رقم 9

المصدر : le centenaire de l'algérie...op cit p130

الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الأثري الذي انعقد بالجزائر العاصمة
1930 م



La séance d'inauguration du V^e Congrès de l'Archéologie.

التعليق : تطرق المؤتمر إلى الانجازات التي حققها الأثريون في مجال الكشف عن التراث الروماني والمسيحي البيزنطي مع بعض التلميحات عن العمارة الاسلامية التي تبادل فيها المؤتمرون وجهات النظر وكلها تصب في مجال التقليل من أهميتها

الملحق رقم 10

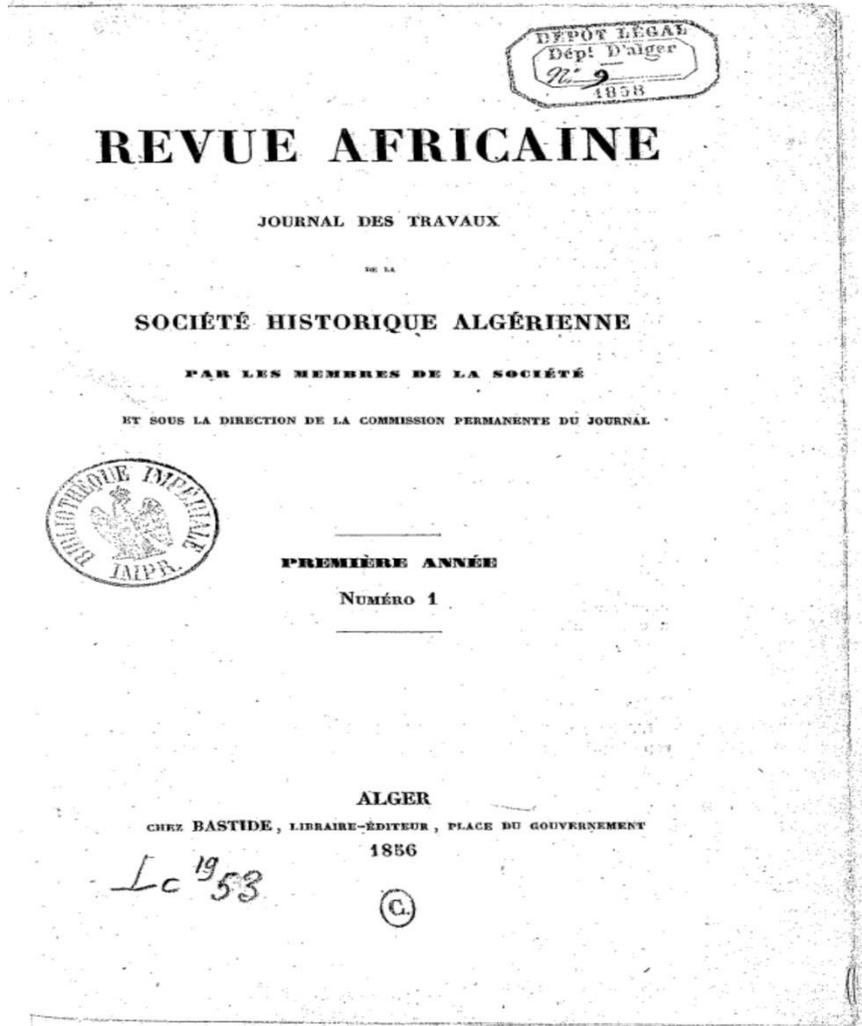
جدول يوضح الاعتمادات المئوية المخصصة للاحتفالات المئوية سنة
1930 م

BUDGET GÉNÉRAL			DES RECETTES (suite)							
	Prévisions initiales	Modifications de 1928	Prévisions nouvelles	Prévisions nouvelles	Modifications du 2 ^e semestre 1929	Prévisions nouvelles	Modifications du 1 ^{er} semestre 1930	Prévisions nouvelles	Modifications du 2 ^e semestre 1930	Prévisions définitives
REPORT	82.920.000	x	82.920.000	84.543.000	+1.000.000	85.543.000	+400.000	85.943.000	+785.000	86.728.000
b) de l'avance faite pour travaux aux Musées de Tingad et de Djemila				500.000		500.000	-500.000			
c) d'une partie des dépenses occasionnées par les travaux de dérasement des terrains sur lesquels doivent être édifiés la Salle des Beaux-Arts d'Alger et les bureaux du Gouvernement général					+725.000	725.000		725.000		725.000
3 ^e Remboursement par le Budget métropolitain de l'avance consentie pour le fonctionnement du Comité métropolitain					+2.500.000	2.500.000		2.500.000		2.500.000
4 ^e Remboursement par le budget des Territoires du Sud de l'avance consentie pour les travaux d'aménagement à la station d'ovins de Tadmit					+50.000	50.000	-25.000	25.000		25.000
5 ^e Remboursement par le budget des Territoires du Sud de l'avance faite pour la mise en état des pistes sahariennes					+400.000	400.000	-160.000	240.000		240.000
6 ^e Remboursement par le Ministère de la Guerre de l'avance faite pour la création du Musée Historique							+50.000	50.000	+100.000	150.000
8 ^e Redevance de 5 % versée par la Société des Romans Historiques Filmés, sur le produit de la location du film du Centenaire	1.100.000		1.100.000	100.000		100.000	-80.000	20.000		20.000
A REPORTER	84.020.000		84.020.000	85.143.000	4.675.000	89.818.000	-315.000	89.503.000	+885.000	90.388.000

المراجع : 98-99 cit ...op De L'Algérie Centenaire

التعليق : الاعتمادات المالية المخصصة للاحتفالات المئوية المخددة للاحتفال , تنوعت بين البعثات العلمية نحو المناطق الأثرية , ونفقات التأليف التاريخي , والمحاضرات , وأشغال البناء , والترميم للمتاحف , وقاعات المحاضرات , وتجهيز الفنادق لاستقبال الزوار .

صورة الغلاف الخارجي للمجلة في عدد الأول الصادر في 1856



المرجع : المجلة الافريقية العدد الأول 1856

التعليق :

احتوت المجلة في عددها الأول على 80 صفحة توزعت بين تصدير نشره رئيس المجلة بيروجر تطرق فيه الى المأمول من وراء اصدارها والغاية من نشر مقالاتها , والمتعلقة بتاريخ الجزائر , كما قسمت الى أقسام منها القسم الرئيسي الذي احتوى على تقارير من المداورات التي جرت بشأن تأسيس الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر , والأعضاء المشرفين على إدارتها , وأقسام أخرى استعرضت مقالات لمكتشفات أثرية في تونس , ومقال عن آثار في منطقة الجلفة , وآخر للبعثات التي قامت بزيارة قبر الرومية وآخر عن الرق والعبودية الاسلامية ودراسات بيبولوجرافية عن شخصيات مثل الحاج موسى وأخرى عن مدن مثل عين تموشنت وموزاية بوسماعيل وشرشال .

الملحق رقم 12

صورة الغلاف الخارجي للعدد تحت عنوان الخمسينية الأولى للجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينية



المرجع : الجمعية الاثرية لمدينة قسنطينة عدد 35 سنة 1903 م

التعليق تضمن العدد قسامين القسم الأول تسميات تعلق لأعضاء ورؤساء الجمعية والجمعيات التي الاخرى التي لها علاقة شراكة مع الجمعية الاثرية وقسم آخر احتوى على مواضيع تختص بالأثار المكتشفة في المدن القديمة مثل تيمقاد وملاحظات عن التوزيع الاداري الذي ميز المدينة الاثرية كم احتوى العدد على مقال عن الخيول والجمال الافريقية

الملحق رقم 13

Tableau n° 1 : Répartition des différentes parties du Bulletin de la S.G.A.O. (1878-1927).

Périodes	Nécrologies	%	Articles	%	Bibliographies	%	actes administratifs	%
1878-1897	20	11	440	36	89	12	117	28
1898-1907	32	18	210	17	56	8	93	22
1908-1927	108	60	240	19	268	37	80	19

Tableau n° 2 : Moyenne de la production d'articles par Auteur (1878-1927).

Périodes	Auteurs	Articles	Moyennes
1878-1897	141	440	3
1898-1907	101	210	2
1908-1927	121	240	2

Tableau n° 3 : Evolution du Bulletin de la S.G.A.O. (1878-1927).

Périodes	N° des années	Nbr. d'années	N° de tomes	Nbr. de tomes	N° de fascicules	Nbre. de fascicules
1878 - 1889	1° - 2°	12	1 - 9	9	1 - 43	44
1890 - 1899	13 - 22	10	10 - 19	10	44 - 82	39
1900 - 1909	23 - 32	10	20 - 29	10	83 - 121	39
1910 - 1919	33 - 42	10	30 - 39	10	122 - 154	33
1920 - 1929	43 - 52	10	40 - 50	11	155 - 183	29

المرجع : الصادق بن قادة : التراث الثقافي منشورات الجمعية الجغرافية والاركيولوجيا لوهرا -
مجلة انسانيات عدد 2000م

التعليق : الجدول رقم 1 يوضح طبيعة المواضيع الموزعة على المجلة الجغرافية لعمالة وهران خلال
المدة المذكورة أما الثاني فيتعلق بتوزيع المقالات و الكتاب والثالث يوضح تطور أعداد المجلة إلى

غاية 1929 والجدول اعتمد لتوضيح اهتمام المجلة بنشر التراث الاثري والتاريخي والجغرافي للعمالة من خلال سياق استعماري

الملحق رقم 13

جدول يوضح المساعدات الرسمية لملاجئ يتامى المجاعة في الجزائر من 1870 م الى 1875 م

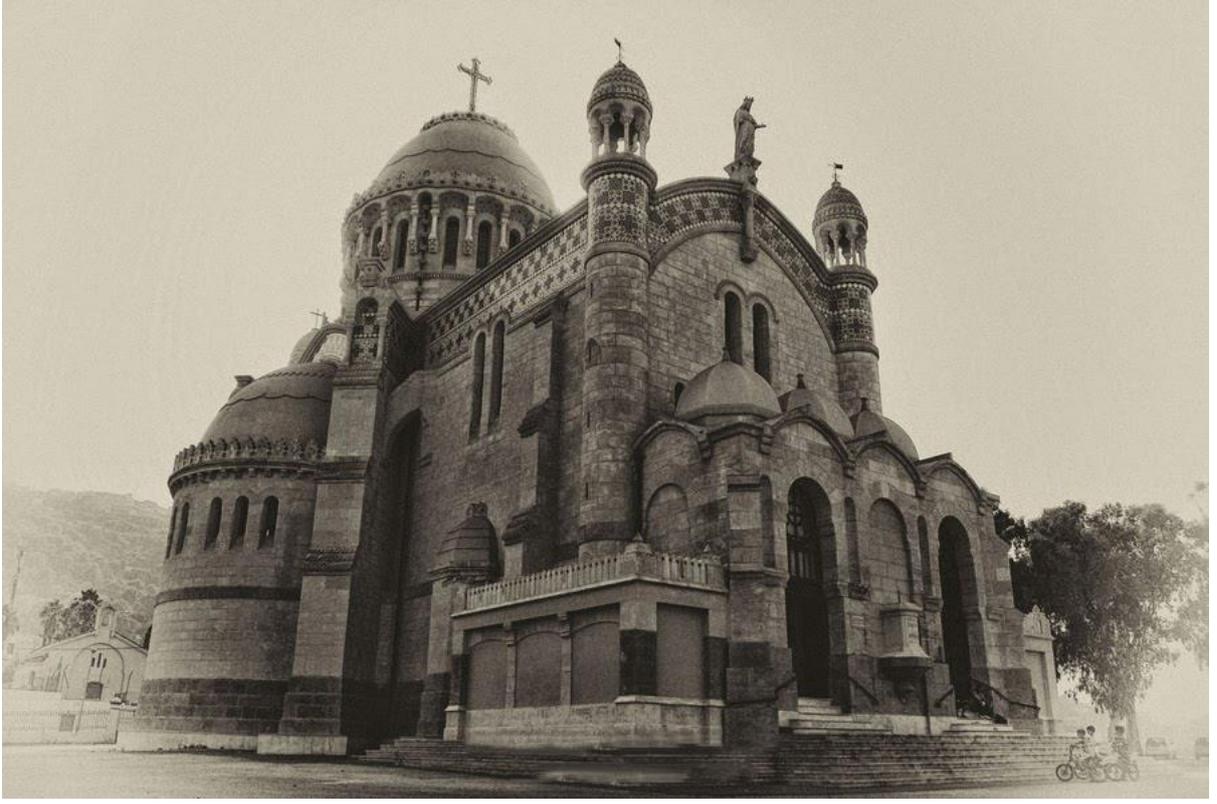
السنة	1870	1871	1872	1873	1874	1875
المبلغ بالفرنك	9000	37000	53550	595335	53545	53700

المرجع: خديجة بقطاش لمحّة عن تاريخ منطقة القبائل حياة الشيخ الحداد وثورة 1871 م دار
الأمل الجزائر 2007

التعليق:

اعتمد لتوضيح تدخل الكنيسة من خلال المساعدات المتمثلة في الإطعام والعلاج والتعليم وغيرها في شكل اعتمادات مالية , ونفقات خصصت للأطفال اليتامي الذين حاول لافيجري توزيعهم على المخيمات التي اقيمت في منطقة القبائل , وغيرها من المدن الأخرى كالعطاف , وعين تموشنت خلال السنوات التي تلت المجاعة العظمى التي ضربت الجزائر بين 1867م- 1868 م وكانت نتيجتها هلاك الألاف من الجزائريين استغلها دعاة التنصير في جلب أطفالهم اليتامي ليكونوا قود تلك الحملة .

الملحق رقم 14



المراجع : www.maforma.org

التعليق:

كنيسة السيدة أبرز هيكل ديني شيده الكاردينال لافيغري في الجزائر وقد صمم بنائها المهندس المعماري فرومجو (1858 م - 1868 م) اعتمد في بنائها على الطراز البيزنطي الذي تعلوه القباب الصورة تعكس مدى اهتمام السلطات الاستعمارية بتشيد الكنائس في محاولة ربط المستعمرة

الملحق رقم 15

الجدول التالي يوضح توزيع المستوطنين على المقاطعات الثلاث في 18 سنة الأولى من الاحتلال

السنوات	مقاطعة الجزائر	مقاطعة وهران	مقاطعة قسنطينة
1837	9825	3909	3015
1838	12008	4699	3317
1839	14434	5219	3470
1844	53140	11427	10833
1845	66945	16540	11827

1846	75075	22586	11507
1849	57610	35246	19551
1853	62440	41464	20288
1854	67309	45016	31062
1855	71288	51393	32926

المصدر : مياسي ابراهيم , مقاربات في تاريخ الجزائر (1830م- 1960م) دار هومة الجزائر
2007 ص 125

التعليق :

اعتمد الجدول لتوضيح الحملة الاستعمارية الاستطانية في السنوات الأولى من الاحتلال
والملاحظ هو تزايد عدد المستوطنين طردا مع تزايد أعداد الجيش الفرنسي بما يشير الى شراسة
الاستعمار همجيته في طرد الشعب الجزائري من أرضه وإسكان المستوطنين بدله

جانب من إعادة كتابة أسماء الاماكن

المجلة الجغرافية والاثرية لمدينة وهران عدد 1917م

Nouvelles dénominations des Centres de Colonisation

Par décret en date du 28 décembre 1915, les dénominations suivantes ont été attribuées à divers centres de colonisation situés dans les départements d'Alger, d'Oran et de Constantine et désignés dans le tableau ci-après :

Département d'Oran

Ain-Belda (Télagh, mixte), Berthelot.
 Daya (Télagh, mixte), Bossuet.
 Hassi-Daho (Mekerra, mixte), Boutin.
 Ras-el-Ma (Télagh, mixte), Crampel.
 Ain-Tellout (Ain-Fezza), Descartes.
 Sidi-Lhassen (Détrie), Détrie.
 Oued-Lili (Tiaret, mixte), Diderot.
 Haddad (Cacherou, mixte), Dombasle.
 Ain-Kerma (Tiaret, mixte), Faldherbe.
 Guelleb-el-Oued (Ammi-Moussa, mixte),
 Guillaumet.
 Sidi-Youssef (Remchi, mixte), Lavavssière.
 Arhal (Ain-Temouchent, mixte), De Ma-
 lherbe.
 Ain-el-Hadid (Frenda, mixte), De Mar-
 timprey.
 Rahoula (Zemmora, mixte), Montgolfier.
 El-Ghomri (La Mina, mixte), Nouvion.
 Montagne-Carrée (Tiaret, mixte), Pomel.
 Mecherasfa (Tiaret, mixte), Prévost-Pa-
 radol.
 Ain-el-Hammam (Télagh, mixte), Rocham-
 beau.
 Haïlla (Cacherou, mixte), Sonis.
 Zelledj (Mekerra, mixte), Sully.
 Trallinet (Télagh, mixte), Tirman.
 Damouni (Tiaret, mixte), Trumelet.
 Ain-Sabra (Sebdou, mixte), Turenne.
 Terga (Rio-Salado), Turgot.
 Malif (Saïda, mixte), Wagram.
 Mechera-el-Khil (Tiaret, mixte), Waldeck-
 Rousseau.

بيليو جرافيا

1. سورة آل عمران ، الآية 110
2. سورة آل عمران الآية 42
3. سورة التحريم الآية 11
4. سورة التوبة الآية 5
5. سورة الحج الآية 26-27-28
6. سورة الزخرف الآية 19
7. سورة الفتح الآية 18
8. سورة القمر الآية 22
9. سورة المائدة الآية 42
10. سورة يوسف الآية 02

ثانيا: الحديث النبوي الشريف

صحيح مسلم الحديث رقم 2622

ثالثا : المخطوطات :

1. الأمير (عبد القادر) تنبيه العافل وذكرى العاقل، مخطوط بالمكتبة الوطنية الفرنسية، تحت رقم 9682
2. التنسي (الحافظ) نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 1876

رابعا : الوثائق الأرشيفية

أ- أرشيف ما وراء البحار (Aix En Provence)

- 1- C A O M Série F° 80 Carton 1590، (Lettre A Monsieur Le Marechal Valée)
- 2- C.A.O. M Série f°80 Carton 1590 (Lettre Du Maréchal Valée Au Ministre De La Guerre)
- 3- C.A.O.M série F° 80 carton 1594
- 4- C.A.O.M Série F° 80 Carton 1593 (Dossier PACUET)
- 5- C.A.O.M Série F° 80 Carton 1596
- 6- C.A.O.M Série F° 80 Carton 1597 (Dossier LUCAS)
- 7- C.A.O.M Série F° 80 Carton 1598 (Dossier EMILIEN RENOUE)
- 8- C.A.O.M Série F° 80 Carton 1598 (Dossier RAVERGIE)
- 9- C.A.O.M Série F°80 Carton 1598 (Dossier REVERSEAU)
- 10- C.A.O.M Série° 80 Carton 1593 (Lettre Au Ministre De La Guerre 30 Décembre 1837)
- 11- C.A.O.M. Série F° 80 ، Carton 1590 (Dossier WARNIER)
- 12- C.A.O.M. Série F° 80. Carton 1596 (Lettre de Bory au ministre de la guerre du 24 mai 1841)
- 13- C.A.O.M. Série F° 80. Carton 1596. (Dossier ENFANTIN)

- 14- C.A.O.M. série F° 80 carton 1590. (Lettre à Bory du 5 août 1840)
- 15- C.A.O.M. Série F° 80 Carton 1593 (lettre de ministre de la guerre au maréchal VALEE)
- 16- C.A.O.M. série F° 80 cartons 1599 (Dossier PACUET)

ب- أرشيف أكاديمية الآداب والفنون (Académie Des Inscriptions Et Belles Lettres)

- 1- A.I.B.L ... correspondance... 1842 (Dossier RAVOISIER).
- 2- A.I.B.L ... correspondance... 1842 (membres de la commission de publication)
- 3- A.I.B.L ... séances 1841
- 4- A.I.B.L Correspondance de 1842 (Lettre D'enfantin Au Nom De La Commission Au Ministre De La Guerre 19 Octobre 1842)

ج- الأرشيف الوطني الفرنسي (Archives nationales)

- 1- Archives nationale F° 17 carton 3163 (Dossier GUYON)
- 2- Archives nationale F° 17 carton 3913 (Dossier GUICHENOT)

د - أرشيف وزارة الحربية (Service Historique de l'Armée de Terre)

- 1- Service Historique de l'Armée de Terre. S.H.A.T. H 227 (Négociations Entre Le Ministre De La Guerre Et Les Chambres Parlementaires)

خامسا : التقارير

- 1- BIOT (Jean. Baptiste) Note sur un moyen de puiser de l'eau de mer, Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838)
- 2- BRONGNIART (Alexandre) Rapports Concernant La Botanique. Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838)
- 3- DE BEAUMON (ÉLIE) Rapports concernant La Géologie, Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838)
- 4- DE SAINT-VINCENT (Bory) Rapports concernant La Géographie Et La Topographie. Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838)
- 5- Dumeril (M) Rapports Concernant La Zoologie » in Rapports De La Commission. Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration

- scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838
- 6- FREYCINET (Louis) Rapports De La Commission L'hydrographie Et La Marine in. Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838
 - 7- Procès-Verbaux et Rapports de la Commission Nommée par le Roi le 07 juillet 1833, Imprimerie Royale, Paris 1834
 - 8- SEGUIER, Rapports Concernant L'industrie Algérienne in. Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838
 - 9- SERREE, Rapport Concernant La Médecine, Rapports de la commission chargé de rédiger les instructions pour l'exploration scientifique de l'Algérie, (Extrait Des Comptes Rendus Des Séances De L'académie Des Séances Du 23 Juillet 1838

سادسا : الجرائد الرسمية:

- 1- Débats Du 23 Décembre 1880. J D P L Ed. Matin. Paris 1880
- 2- Journal Officiel De La République Française. Lois Et Décrets. 23 décembre. 1923
- 3- Journal Officiel De La République Française. Lois Et Décrets Année. 1925
- 4- Journal Officiel De La République Française. Lois Et Décrets. Paris. 11 Mai 1929

سابعا :المصادر

أ- باللغة العربية:

- 1- ابن خلدون (عبد الرحمان) العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ ابن خلدون) بيت الأفكار الدولية، عمان، الأردن 2009م
- 2- البكري (أبي عبيد) المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المتنى بغداد ، 1857م
- 3- التوجيني (عبد الرحمان) عقد الجمال النفيس في ذكر الأعيان من أشرف غريس ، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع ، بوسعادة الجزائر، الطبعة. 1، 2005م
- 4- الجويني "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى ، علي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي مصر، 1950م
- 5- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) تاريخ الأمم، الجزء 1. تحقيق. أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، الأردن ، 2009م
- 6- بيرنت (يوهان كارل) - الأمير عبد القادر - ترجمة ، أبو العبد دودو، دار هومة الجزائر 2012م

- 7- بيبروجير (أدريان) مع الأمير رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837م-1838م) تعريب، أبو القاسم سعد الله ، منشورات (م و د ب ح و) الجزائر، 2005م
- 8- عبد العزيز جاويش ، الإسلام دين الفطرة والحرية ، تقديم مجدي سعيد ، دار الكتاب المصري القاهرة 2011
- 9- غزال (استيفان) تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء 4 الرباط 2007م
- 10- غزال (استيفان) تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ترجمة محمد التازي سعود، الجزء 5 -المالك الأهلية نظامها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي - الرباط 2007م
- 11- غزال (استيفان) ، تاريخ شمال إفريقيا القديم ، ج1، ترجمة : محمد التازي سعود ، الرباط، 2007م
- 12- كامبس (غابريال) في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، تعريب وتحقيق. العربي عقون ، المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر- بدون تاريخ -
- 13- مارسسي(جورج) بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الاسلامي في العصور الوسطى ، ترجمة. محمود عبد الصمد هيكل ، مراجعة. مصطفى أبو ضيف أحمد، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية، 1999م
- 14- نولدكه (تيودور)، تاريخ القرآن، تحقيق ، جورج تامر ، مؤسسة كونراد ، الطبعة 1 ، بيروت 2004م
- 15- هيرودوت ، أحاديث هيرودوت عن الليبيين الأمازيغ (489 ق م - 485 ق م - 425 ق م) ترجمة . مصطفى أعشي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط 2009م

ب - باللغة الفرنسية:

- 1- ABRIBA (Jules-Bernard) Notice Sur Les Officiers Interprètes, imp. Victor Bert Hod , Paris, 1931
- 2- Acte Du 14 congrés Des Orientaliste Ed : Ernest Leroux, T 1, Paris 1905
- 3- Acte Du 14 congrés Des Orientaliste Ed : Ernest Leroux, T 2, Paris 1907
- 4- Actes du 14e Congrès des Orientalistes, Ed : Ernest Leroux, T 3, Paris 1907
- 5- ANTHONY, (Phillips) Missions des Pères Blancs en Tunisie, Algérie, Kabylie, Des Sœurs Blanches Du Cardinal Lavigerie, Ed : G.L. Arlaud, Lyon, 1930
- 6- AUCAPITAINE (Henri) Le Pays Et La Société Kabyle (expédition de 1857) Ed : Arthus Bertrand, Libraire De La Société De Géographie Paris, 1857
- 7- AZANE (Paul) L'émir Abdelkader (1808- 1883) Ed. Hachette, Paris, 1925
- 8- AZANE (Paul) Les grands soldats de l'Algérie les conquérants d'Alger, (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930
- 9- BALTEAU (Jules) Dictionnaire de Bibliographie Française Éd: Letouzey et Ané, T1, Paris, 1932
- 10- BASSET (Renie) Etude sur l'histoire de l'Ethiopie, imp. National, paris 1882
- 11- BASSET (Henri) Essai Sur La Littérature Des Berbères, Ed Jourdan Imprimeur Libraire, Alger, 1920
- 12- BASSET (Renie) Conte Populaire Berbères, Recueille Traduits Et Annotes Ed Ernest Leroux, Paris, 1887
- 13- BASSET (Renie) La Bordah Du Cheikh El Bousiri, Poème En L'honneur De Mohammed, Traduite Et Commentée Ed : Ernest Leroux, Paris 1894

- 14- BASSET (Renie) Etudes Sur La Zenatia Du Mezab De Ouargla Et De Oued Rir , Ed Ernest Leroux , Paris 1893
- 15- BASSET (Renie) Manuel De La Langue Kabyle, (Dialecte Zouaoua), Ed Maisonneuve, Paris, 1887
- 16- BASSET (Renie) Notes De Lexicographies Berbères, Recueil De Mémoire D'extrait Et De Notice, imp. Nationale, Paris 1885
- 17- BASSET(Renie) Recherches sur la religion des berbères Ed : Ernest Leroux, Paris 1910
- 18- BEL (Alfred) La Djâzya, chanson arabe, précédée d'observations sur quelques légendes arabes et sur la geste des Beni-Hilâl, imp. national, paris. 1903
- 19- BERBRUGGER (Adrien) Voyage Dans Le Sud De L'Algérie Et Des Etats Barbaresques De L'ouest Et De L'est, Par : M Fabre, imp., Royale, Paris, 1846
- 20- BLOTTIERE, (Jean) les Productions Algériennes, Cahier du centenaire, (P, C, N, M, C, A), Alger, 1930
- 21- BORDES (Pierre) Le Livre D'or Du Centenaire De L'Algérie Française, 1830-1930 : L'Algérie, Son Histoire, L'œuvre Française D'un Siècle, Les Manifestations Du Centenaire, Ed, gouvernement général de l'Algérie, Alger, 1930
- 22- BOUDIN (Charles) : Histoire De La Colonisation Et De La Population En Algérie, Librairie de l'académie impériale de la médecine, Paris : 1853
- 23- BOURGET (Jean-Marie) L'Algérie Jusqu'a La Pénétration Saharienne, Première Partie L'Algérie Avant L'islam, (P, C, N, M, C, A), Alger 1930
- 24- BRETEUIL (Arsène) L'Algérie française, Histoire, Mœurs, Coutumes, Industrie, Agriculture, Ed. Dentu, Libraire, Editeur. T 2 . Paris, 1856
- 25- BROSELARD (Charles) Les Khouan De La Constitution Des Ordres Musulmans En Algérie, imp. De La Bourget, Alger, 1859
- 26- Cahier du centenaire de l'Algérie .carte index, glossaire, documents annexe, rapport général, (P, C, N, M, C, A), 1931
- 27- CAMBON (Jules) le gouvernement Général de l'Algérie (1891-1897) Librairie Jourdan, Alger 1918
- 28- CAMPS (Gabriel) Les Siècles Obscurs Du Maghreb, Ed. Alger livre, Alger, 1927
- 29- CAMPS (Gabriel) Massinissa ou les débuts de l'Histoire (Aux origines de la Bérubérie) Ed. Lybica , Paris, 1960
- 30- CARETTE (E) Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie méridionale, imp. Royale Paris 1844
- 31- CARETTE (Ernest Michel Antoine) Recherches Sur L'origine Et Les Emigrations Des Principales Tribus De L'Afrique Septentrionale imp. Royale, 1845
- 32- CARETTE (Ernest Michel Antoine) : Etudes Sur La Kabylie Proprement Dite imp.: Nationale, Paris, 1848

- 33- CARETTE (Ernest Michel Antoine), Etudes Des Routes Suivie Par Les Arabes,
Exploration scientifique de L'Algérie Pendant les Année 1840-1841-1842 et Par ordre
du gouvernement et avec le Concours d'une commission Académique, imp., royale,
1840
- 34- DAUMAS (Joseph Eugène) la grande Kabylie, Etude Historique, Ed : Libraires De
L'université Royale De France Paris 1847
- 35- DAUMAS (Joseph Eugène) Mœurs et coutumes de l'Algérie, Tell, Kabylie, Sahara
Librairie De La Hachette, Paris 1853
- 36- DE BEAUCHAMP (Arthur Marais) Recueil Des Lois Et Règlements Sur
L'enseignement Supérieure, (1875-1883) T 4 imp. l'université de France, Paris, 1889
- 37- DE BONNEVAL L'Algérie touristique (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930
- 38- De Calasanti-Motyliniski (Gustave Adolphe) Le Djebel Nefoussa Transcription
Traduction Française Et Notes, Avec Une Etudes grammaticale, Ed Ernest Leroux, Paris
1898
- 39- DE LA BLANCHERE (René) Voyage d'étude dans une partie de la Maurétanie
césarienne, Archives Des Missions Scientifiques Et Littéraires, Imp. Nationale, Paris
1883
- 40- DE MORGAN ((Jean jaques) les premières civilisations Etudes sur la préhistoire et
l'histoire, Ed . Ernest Leroux, Paris 1909
- 41- DE REYNAUD (Pélissier) Annales Algériennes, Librairie Militaire, Paris, T 1. 1836
- 42- DE REYNAUD (Pélissier) : Histoire De L'Afrique De Kairouani, Imp. Nationale,
Paris, 1848
- 43- DE REYNAUD, (Pélissier) Mémoires Historiques Et Géographiques Sur L'Algérie
Exploration Scientifique De L'Algérie Pendant Les Années 1840 imp. Royale, 1844
- 44- DE SAINT VAINCENT (Bory) Expédition scientifique de Morée, F.G Imprimeur
Libraire, T 1, Paris ,1836
- 45- DE SLANE (William Mac Guckin) Catalogue Des Manuscrits Arabes Les Plus
Importants De La Bibliothèque D'Alger et De La Bibliothèque De Cid-Hammouda A
Constantine, imp. de Paul Depont, Paris, 1843
- 46- DELA MARTINE (Alphonse) La Vie De Mahomet, Ed, Le Harmattan, paris 2006
- 47- DELAMALLE (Dureau) L'Algérie Histoire De Guerres Romaines, Des Byzantins Et
Des Vandales, Ed Librairie Didot Frères, Paris, 1852
- 48- DELAMALLE (Dureau), Recherches sur la topographie de Carthage, Avec Des Notes
Par M Dugate, Ed. Firmin Didot Frères Paris ,1835
- 49- DELAMARE (Adolphe) Exploration Scientifique De L'Algérie Pendant Les Années
1840-1845, (Archéologie), imp., Nationale, Paris, 1850

- 50- DELONCLE (Pierre), La vie et les mœurs en Algérie Cahiers du centenaire, (P, C, N, M, C, A), Alger, 1930
- 51- DENEZET(Jean) Les Liaisons Maritimes, Aériennes et Terrestres de l'Algérie, (P, C, N, M, C, A), Alger, 1930
- 52- DEPONT (Octave) Et CAPPOLANI (Xavier) Les Confréries Religieuses Musulmanes Publier Sous Le Patronage De Jules Cambon, Ed : Place De Gouvernement Alger, 1897
- 53- DINET (Alphonse. Étienne) : La Vie de Mohammed, prophète d'Allah, Ed : Librairie Orientale Et Américaine, Paris 1918
- 54- DON DIEGO DE HAEDO, Topographie Et Histoire Générale D'Alger T. E Par Monnreau Et Berbrugger, Ed Adolf Jourdan, Alger, 1870
- 55- DOUTTE (Edmonde) Un Texte Arabe En Dialecte Oranais, imp. Nationale, paris 1903
- 56- EGRON (Adrien) l'Algérie chrétienne, imp. Lefort, Imprimeur- Libraire, Lille, 1847
- 57- ENFENTIN (Prosper) Colonisation de l'Algérie, imp. P. Bertrand, librairie, Paris 1843
- 58- FAGNON (E) Sidi Khalil Mariage Et Répudiation, Tr, avec commentaire, Ed : Adolphe Jourdan, Alger 1909
- 59- FAGNON (E) Kayrawani (Risala) Ou Traité Abrégé De Droit Malikite Et Morale Musulmane , Tr Avec Commentaire, Et Index Analytique Ed : Librairie Paul Gautneur , Paris 1914
- 60- FERNOND (MOURRET) Histoire Générale De L'église, Les Origines Chrétiennes, Ed Librairie Bloud Et Gay, Paris, 1928
- 61- GAUTHIER (Léon) Ibn Thofail Sa Vie, Ses Œuvres Ed : Ernest Leroux, Paris, 1909
- 62- GAUTIER (Emille Felix) L'Evolution De L'Algérie De 1830 A 1930, (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930
- 63- GOURGEOT (François) Situation politique de l'Algérie, Ed Challamel Ainé, librairie Algérienne et Coloniale, Paris 1881
- 64- Gouvernement général de l'Algérie conseil supérieur du gouvernement session ordinaire de 1929 Discours Du Ministre De L'intérieur Devant Le Comité De La Propagande Du Centenaire De L'Algérie Le 25 Juin 1929, imp. Victor Heintz, Alger, 1929
- 65- Gouvernement général de l'Algérie, Etat Actuel de l'Algérie, 1887, imp. Administrative, Paris : 1877
- 66- GSELL (S) Inscriptions Latines De L'Algérie ,Ed : Librairie Ancienne Honoré Champion. Paris 1922
- 67- GSELL (S) : Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord. Ed. Librairie Hachette T 2. Paris 1913
- 68- GSELL (S) : Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord, T 8, Ed : Librairie Hachette, Paris, 1928

- 69- GSELL (S) Exploration Scientifique De L'Algérie Pendant Les Années 1840- 1845
(Archéologie) Texte Explicatif, Ed, Ernest Leroux, Paris, 1912
- 70- GSELL (S) Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T 1, Ed Librairie Hachette, Paris, 1913
- 71- GSELL (S) Les monuments Antiques de l'Algérie, Ed. Albert Fontemoing , T 1 , Paris, 1901
- 72- GSELL (S), Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, T 7, Ed. Librairie Hachette, Paris, 1928
- 73- GSELL(S) Histoire et Historiens de l'Algérie, Ed. Librairie Felix Alcan, Paris, 1930
- 74- GSELL(S) L'Algérie Dans L'Antiquité, Ed Adolphe Jourdan, Nouvelle Edition, Alger, 1903
- 75- GSELL, Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord Ed librairie hachette, T 5, Paris 1927
- 76- GSELL, Histoire Ancienne, Ed librairie hachette, T 4, Paris 1920
- 77- GSELL, Histoire Ancienne, Ed, librairie hachette, T 3, Paris 1918
- 78- GUIRAULT (Arthur) Principe De Colonisation Et De Législation Coloniale, 2 Edition, Ed Ancienne Maison l. Larose Et Forel , T 1. Paris 1904
- 79- HALPHEN (Louis) Les Barbares des grandes invasions aux conquêtes turques du XI siècle, Ed. Félix Alcan, Paris, 1930
- 80- HARDY (Georges) Ergaste ou la vocation coloniale, Ed : La Rose, Paris, 1929
- 81- HOUDAS (O)-MAÇÇAIS (William) : El Bokhari. Les Traditions Islamiques, Traduites De L'Arabe, Avec Notes Et Index, Ed : Ernest Leroux, T 1, Paris, 1903
- 82- JACQUETON (Gilbert) Les Archives Espagnoles Du Gouvernement Générale De l'Algérie. Librairie Adolphe Jourdan. Alger. 1894
- 83- LA CROIX (Louis) Histoire De La Numidie Et De La Mauritanie Ed. L'univers. Paris 1844
- 84- LACROIX (Alfred) Notice historique sur quatre botanistes membre ou correspondants de l'Académie des sciences, ayant travaillé pour la France d'outre-mer, de la fin du siècle dernier à nos jours : lecture faite en la séance annuelle du 19 décembre 1938 Ed .Gauthier-Villars. Paris 1938
- 85- LEGOYT (Alfred) : De la Colonisation civile et militaire de l'Algérie, imp. de E. D'épée, à Sceaux (Seine)
- 86- MARCAIS (Georges) Les Arabes En Berbérie Du Xi et Au Xiv Siècle, Ernest Leroux, Paris 1913
- 87- MARÇAIS (William) Le Dialecte Arabe Parlé à Tlemcen : Grammaire, Textes et Glossaire. Edit, Ernest Leroux, Paris, 1902

- 88- MARÇAIS (William) et MARÇAIS (G) Les Monuments Arabes De Tlemcen , Ed Albert Fontemoing, paris 1903
- 89- MASPERO (Gaston) Histoire Ancienne des peuples de l'orient, Ed 4, Imp Librairie Hachette, Paris 1886
- 90- MASQUERAY (Emille) Observations grammaticales sur la grammaire touareg Et Textes de la Tamahaq des Taïtoq Ed : Ernest Leroux, Paris , 1896
- 91- MASSIGNON (Louis) : Le Maroc Tableau Géographique D'après Léon L'Africain Du XVIe Siècle imp, Adolphe Jourdan .Alger 1906
- 92- MASSIGNON (Louis) La Passion D'al-Hosayn-Ibn-Mansour Al-Hallaj, Martyr Mystique De L'islam, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, T 2, Paris 1928
- 93- MERANTE (Jean), La France et les œuvres indigènes en Algérie, (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930
- 94- MERCIER (Ernest) Histoire De L'établissement Des Arabes Dans L'Afrique Septentrionale Selon Les Documents Fournis Par Les Auteurs Arabes, Ed Chalamel Libraire, Paris, 1875,
- 95- MERCIER (Ernest) Histoire De L'Afrique Septentrionale (Béribérie) Depuis Les Temps Les Plus Reculés Jusqu' à La Conquête Française, Ed Ernest Leroux, T. 1 . Paris, 1888
- 96- MERCIER (Ernest) Questions Algérienne La Propriété Foncière chez Les Musulmans D'Algérie, Ses Lois Sous La Domination Française, Constitution De L'état Civil Musulman Ernest Leroux, Editeur, Paris 1891
- 97- MERCIER (Gustave) Le Centenaire De L'Algérie, Gouvernement General De L'Algérie, Commissariat Général Du Centenaire. T 1, Paris, 1931
- 98- Mercier (Gustave) Mœurs et traditions de l'Aurès, cinq textes berbères en dialecte Chaouia [Texte imprimé] : Imp. nationale, Paris 1900
- 99- MEYNIER, (Olivier), LA pacification du Sahara, et la pénétration saharienne (1852-1930) Alger, 1930
- 100- MILLIOT (Louis), Le gouvernement de l'Algérie, (P, C, N, M, C, A) Alger, 1930
- 101- Ministère De La Guerre, Tableau De La Situation Des Etablissement Français Dans L'Algérie En 1838, Paris, imp. Royale, juin 1839
- 102- Ministère De La Guerre, Tableaux de la situation des Etablissements Français dans l'Algérie en 1838, imp. Royale, Paris, 1839
- 103- Ministère de la guerre: Tableaux de la situation des Etablissements Français dans L'Algérie en 1840, imp. Royale, Paris 1841
- 104- MOULIERAS (Auguste) Une Tribu Zénète Anti Musulmane Au Maroc (Les Zkara), Ed : Augustin Challamel, Paris 1905

- 105- PALLARY (Paul) Instruction Pour Les Recherches Préhistoriques Dans Le Nord-Ouest De L'Afrique, Ed Adolphe Jourdan, Alger, 1909
- 106- PEREIER (Jean, André, Napoléon), Des Races Dites Berbères Et De Leur Ethno Génie, Mémoire communiqué Par La société d'Anthropologie, T.1 Série 2 .topographie Hennuyer. Paris 1873
- 107- PERRON (Nicolas) Précis De Jurisprudence Musulmane Ou Principe De Législation Musulmane Civile Et Religieuse Selon Le Rite Malékite, imp, impériale, Paris, 1854
- 108- PLINE (Ancien) Histoire Naturelle De Pline, T F Par Littré, imp De L'institut De France, T 1, Paris, 1877
- 109- POUJOULAT (Jean-Joseph-François) voyage en Algérie (Etudes Africaines), Ed. Vermot Libraire, Paris 1847
- 110- Recueil Des Actes Du Gouvernement De L'Algérie (1830-1850), imp, Du Gouvernement, Alger 1856
- 111- RINN (Louis) le Séquestre et la Responsabilité collective. imp. Adolf -Jordan. Alger, 1890
- 112- ROZET ET CARETTE : l'Algérie, Firmin Didot Freres, Paris : 1850
- 113- SALLUSTE Jugurtha, T F. Croiset, Ed. Librairie De La Hachette, Paris, 1850
- 114- Statut De L'association Nationale, Pour La Propagation De La Langue Française, Dans Les Colonies Et A L'étranger, siège social, Saint-Guillaume, Paris 1889
- 115- STRABON : Géographie De Strabon T, F Amédée Tarieu , Librairie De La Hachette, T 3 ,Paris 1880
- 116- Tableaux de la situation des établissements en Algérie, Imp Royale, Paris 1841
- 117- TERTULLIEN l'Apologétique De Tertullien Apologie Du Christianisme Ecrite En L'an 197 après J-C (T, L) Waltzing (j. p) Ed Bloud Et Gay, Paris, 1914
- 118- TITE – LIVE Histoire Romaine, Ed Weissenborn Et H J Muller, Berlin, 1962
- 119- VAN EERDE (Johan Christiaan) Ethnologie Coloniale (L'Européen Et L'indigène) Ed. Du Monde Nouveau, paris, 1927
- 120- WAHL (Maurice) L'Algérie, 2 Ed. Felix Alcane, Paris, 1889
- 121- WARNIER (Auguste Hubert Warnier)l'Algérie devant l'Empereur, Ed, Challamel Ainé, Paris, octobre 1865

أ- باللغة العربية

- 1- أجبرون (شارل رويبر) تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة، عيسى عصفور، منشورات عويدات ، بيروت 1982م
- 2- أجبرون (شارل رويبر) المجتمع الجزائري في مخبر الأيديولوجية الكولونيالية (مقاومة القبائل للإدماج وفشل مشاريع التنصير والتجنس) ، ترجمة محمد العربي ولد خليفة ، دار ثالة الجزائر 2002م
- 3- أجبرون (شارل رويبر) الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919) الجزء 2 ، دار الرائد للكتاب 2007م
- 4- إدوارد (سعيد) الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة محمد عناني ، دار رؤية للنشر والتوزيع ، الطبعة 1 ، القاهرة ، 2006م.
- 5- أرنولد (توماس) الدعوة إلى الإسلام ، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمة وتعريب . حسن إبراهيم حسن ، عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوي ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة 1 ، 1947م
- 6- النجمي (عبد المالك خلف) الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي ، دراسة تاريخية مقارنة ، عالم المعرفة ، الكويت 1983م
- 7- الجندي (أنور) الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان 1982
- 8- الحوالي (سفر بن عبد الرحمان) ، العلانية ، نشأتها ، وتطورها ، وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، بدون تاريخ
- 9- الزبير (سيف الاسلام) : سجل تاريخ الاستعمار في الجزائر ، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر 1988م
- 10- الصلابي (محمد علي) خلافة عبد الملك بن مروان ودوره في الفتوحات الإسلامية ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان، الطبعة. 1 ، 2010م
- 11- الطيبي (محمد)، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الطبعة 1 الجزائر ، 2009م
- 12- العروي (عبد الله) مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة 5 ، 1996م
- 13- العسلي (بسام) محمد المقراني وثورة 1871 م ، دار النفائس، الجزائر، 2010م
- 14- الغزالي (محمد): الاستعمار أحقاد وأطماع ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،، الطبعة 4 ، 2005م
- 15- الميداني (عبد الرحمن حسن) أجنحة المكر الثلاثة وخوافها التبشير الاستشراق الاستعمار، دارالقلم ، الطبعة 8، دمشق 2000م
- 16- أنيس (إبراهيم) من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة 3، 1966م
- 17- برك (جاك) العروي (عبد الله) وآخرون حالة المغرب العربي ، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف الفلق ، الطبعة 1، دار تويقال للنشر، المغرب، 1988 م
- 18- بروكلمان (كارل) تاريخ الأدب العربي، ترجمة ، محمد عبد الحليم النجار، دار المعارف. الجزء 2 ، القاهرة ، 1961م
- 19- بقطاش (خديجة) الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871 م (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 2009 م
- 20- بن بوزيد (لخضر) ، الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ ، المعتقدات والفن الصخري ، بدون تاريخ
- 21- بن داهة (عدة) : الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي بالجزائر الجزء 1 ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين 2008م
- 22- بن سمينة (محمد)، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر ، مؤثراتها بداياتها مراحلها ، مطبعة الكاهنة ، الجزائر 2000م
- 23- بن عميرة (محمد) ، الفتح الإسلامي لبلاد المغرب في كتابات المؤرخين الفرنسيين، الدار الوطنية للكتاب ، الجزائر، 2014 م
- 24- بوازار (مارسال) ، إنسانية الإسلام ، ترجمة و تحقيق عفيف دمشقية ، دار الآداب بيروت 1983م

- 25- بوعزيز (بجي) سياسة التسلط الاستعماري ، والحركة الوطنية الجزائرية (1830-1954 م) ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 م
- 26- بوكبوت (محمد) الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، مركز طارق بن زياد ، فيديبرانت، الرباط، الطبعة 1، 2002 م
- 27- تركي (راجح) التعليم القومي والشخصية الوطنية، ش، و، ن، ت ط 3، الجزائر 1983
- 28- جميل حمداوي، الديانة عند الأمازيغيين، بدون تاريخ
- 29- جوليان (شارل أندري) تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى ، من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، مؤسسة تاوالت الثقافية 2011م
- 30- جوليان (شارل أندري) تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة ، دار الغرب الإسلامي، الجزء 1 . بيروت ، 1951م
- 31- حمّاش (خليفة) كشف الوثائق ، عن تاريخ الجزائر ، في العهد العثماني بالملكتين الوطنيتين، بالجزائر وتونس دار نو ميديا للطباعة والنشر والتوزيع ، قسنطينة 2012م
- 32- حمدان (نذير) مستشرقون ، سياسيون ، جامعيون ، مجميون ، الطائف ، الطبعة 1 ، 1988م
- 33- خليل أحمد (إبراهيم) المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، طبعة 1964م
- 34- دوكره (فرانسوا)، قرطاجة الحضارة والتاريخ ، ترجمة، يوسف شلب الشام ، دار طلاس للترجمة والنشر ، الطبعة 1 ، 1994 ،
- 35- رشدي (سعيد) ، الإطار الزمني للمراحل المطرية والجمودية بإفريقيا ، المنهجية وعصر ما قبل التاريخ في إفريقيا ، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ إفريقيا العام، ترجمة محمد السويسي ورشيد الحمزاوي ، مجلد 1 ، تورينو، إيطاليا ، 1983م
- 36- رمضان (عبد التواب): بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، الطبعة 1 ، القاهرة 1982 م
- 37- زوزو (عبد الحميد) ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة 4 ، الجزائر 2007م
- 38- ساحد (عزيز طارق) آثار فجر التاريخ في الجزائر ، دار المعرفة، الجزائر ، 2011م
- 39- السباعي (مصطفى) الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، ، دار الوراق للنشر والتوزيع عمان، الطبعة 3 1999م
- 40- سخونفي (محمد) ما قبل التاريخ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1999م
- 41- سعد الله (أبو القاسم) : تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 6 دار الغرب الإسلامي، الطبعة 1 بيروت، لبنان 1998
- 42- سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 5 ، ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة 1، بيروت، 1998 م
- 43- سعد الله (أبو القاسم) ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 2 ، دار البصائر ، الجزائر، 2007
- 44- سعد الله (أبو القاسم) الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992م
- 45- سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 1، دار البصائر الجزائر 2007م
- 46- سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 5 (1830) 1954) دار البصائر، الجزائر، بدون تاريخ
- 47- سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 3 ، دار البصائر، الجزائر 2007م
- 48- سعد الله (علي) ، نظرية الدولة في الفكر الخلدوني ، دار مجدلاوي ، عمان ، الطبعة 1 ، 2003 م
- 49- سعد الله (أبو القاسم) أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 1990م
- 50- سعيدوني (ناصر الدين) ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984 م

- 51- سعيدوني (ناصر الدين) في الحراك الثقافي والتفاعل الفكري ، الطبعة 2 ، البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر 2013م
- 52- سعيدوني (ناصر الدين) ورفقات جزائرية ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر العثماني ، دار الغرب الإسلامي الطبعة 1 ، بيروت 2000م
- 53- سعيدوني (ناصر الدين) : الجزائر منطلقات وأفاق ، مقارنة للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية ، الطبعة 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2000
- 54- سعيدوني (ناصر الدين) في الهوية والاندماج الحضاري ، البصائر للنشر والتوزيع ، طبعة خاصة 2013
- 55- سعدي (مزيان) النشاط التنصيري ، للكاردينال لافيغري في الجزائر (1867 م- 1892 م) دار الشروق ، الطبعة 1 ، الجزائر 2009م
- 56- شفيق (محمد) ، ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين ، دار النشر تاوالت ، المغرب ، 1989م
- 57- شنيقي (محمد البشير) أضواء على تاريخ الجزائر القديم ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003م
- 58- صاري (الجيلالي) قداش (محموظ): الجزائر في التاريخ ، المقاومة السياسية (1954- 1900م) الطريق الإصلاحي والطريق الثوري ، ترجمة عبد القادر بن حراث ، المؤسسة الوطنية للكتاب والنشر والتوزيع ، الجزائر، 1987م
- 59- عدي (الهوري) الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، سياسة التفكك الاقتصادي والاجتماعي ، 1960-1830م ، ترجمة جوزيف عبد الله ، دار الحدائق لطباعة و النشر ، الطبعة 1، بيروت، 1983م
- 60- عمارة تركي (راجح) الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ، الطبعة 5 منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر 2001م
- 61- عياد (صالح) الجزائر بين فرنسا والمستوطنين (1830م -1930م) الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، قسنطينة 1991م
- 62- غالي (غربي) العدوان الفرنسي على الجزائر الخلفيات و الأبعاد ، المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر وزارة المجاهدين طبعة خاصة الجزائر، 2007م
- 63- فرج (عادل) موسوعة آباء الكنيسة ، الجزء 2 (كنيسة شمال افريقيا) دار الثقافة القاهرة ، 1999م
- 64- فروخ (عمر) العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، من فتح المغرب وفتح الأندلس الى آخر عصر الولاة (138 هـ -756 م) منشورات المكتب التجاري، بيروت، الطبعة 1، 1959 م
- 65- فك (يوهان): العربية دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، ترجمة، عبد الحليم النجار ، القاهرة 1951 م
- 66- قداش (محموظ) جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر (1830 - 1954) ، ترجمة محمد المعراجي ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين، 2006م
- 67- لوبون (غوستاف) حضارة العرب ، ترجمة ، عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة 2013م
- 68- محمد السيد (محمد عبد الغني) نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية ، المكتبة الجامعية ، الاسكندرية، 2000م
- 69- محمد حسين (محسن) طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ ، مؤسسة موكراني للدراسات والنشر أربيل ، العراق ، ط 1 ، 2012 م
- 70- مذكور عبد الحميد (عبد المنعم) نظرات في حركة الاستشراق ، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، 1990م
- 71- مياصي (ابراهيم) مقاربات في تاريخ الجزائر (1830م-1962م) الجزائر ، دار هومة ، 2007م
- 72- نخبة من العلماء الموسوعة الأثرية العالمية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، الطبعة 2، 1997م
- 73- هلال (عمار) الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918) دار هومة ، الجزائر 2007م
- 74- وعلي (محمد الطاهر) التعليم التبشيري في الجزائر من (1830 م -1904 م) دراسة تاريخية تحليلية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 2009م

- 75- ويدجري (البان. جون) التاريخ وكيف يفسرونه ، من كونفوشيوس إلى توينبي ، ترجمة. عبد العزيز توفيق براجوي،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972م
- 76- بجاوي (مرايط مسعود) المجتمع المسلم والمجمعات الأوروبية ، في جزائر القرن العشرين ، حقائق وأساطير و نمطيات ،
مجلد 2 ، دار هومة الجزائر 2010م

ب- باللغة الفرنسية

- 1- AGERON (Charles .Robert) Les Algériens Musulmans Et La France. (1871-1919) T 1,
Presse Universitaire De France, 1968
- 2- AGERON (Charles .Robert) Les Algériens Musulmans Et La France. (1871-1919)
Presse Universitaire De France, T 2, 1968
- 3- BAZIN (René) Le Père De Foucauld, Ed, Librairie Plan, Imprimeur, paris 1937
- 4- BELL (Alfred) La Religion Musulmane En Berbérie Esquisse D'histoire Et De
Sociologie Religieuse, Librairie Orientaliste Paul gautneur, Paris, T. 1. 1938
- 5- BERTHAULT (Paul) La Propriété Rurale En Afrique Du Nord. imp . Alençonnaise,
Paris 1936
- 6- BOISARD (Marcel) L'humanisme De L'islam, 3e édition , Ed : Albin Michel , Paris.
1979
- 7- CAMPS (Gabriel) Amekni, Neolithique Ancienne De Hoggar, M C R A P E vol
1, Ed Arts Et métiers Graphiques, Paris, 1969
- 8- CAMPS (Gabriel) les civilisations préhistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara
Ed. doin , Paris, 1974
- 9- CAMPS (Gabriel) Monument Et Rite Funéraire protohistoriques Ed: Métiers
graphiques, Paris 1961
- 10- DEPREST (Florence) Le Collège de France en situation coloniale Autour de quelques
chaires (fin XIXe-début XXe siècle), Ed : Les Belles Lettres, Paris 2017
- 11- EMERIT (Marcel) l'Algérie à l'époque d'Abdelkader, Ed La Rousse, Paris, 1951
- 12- GAUTIER (Emille, Felix) le passé de l'Afrique du nord les siècles Obscurs, Du
Maghreb, Ed. Payot, Paris, 1937
- 13- GHOUATI (Ahmed) Ecole et imaginaire dans l'Algérie coloniale (Parcours et
témoignages) Le Harmattan, Collection Europe Maghreb, Paris 2009,
- 14- GOLDZEIGUER (Annie Rey) Le Royaume arabe : la politique Algérienne de
Napoléon III, 1861-1870, Société nationale d'édition et de diffusion, Alger 1977
- 15- HAMMAN (Albert) La Geste Du Sange, Ed librairie Artheme Fayard, Paris, 1953
- 16- HODEIR(Catherine) Michel (Pierre) L'exposition coloniale de 1931, Ed André
Versaille, Paris, 2011
- 17- HUGO (Jean) le Sahara Avant le désert, Ed Les Hésperides, Toulouse, 1974
- 18- JULIEN (Charles .André) Afrique Du Nord En Marche Ed. Julliard, Paris, 1972

- 19- JULIEN (Charles .André) L'Afrique Du Nord En Marche, Algérie, Tunisie, Maroc (1880-1952) paris 1952
- 20- JULIEN (Charles. André) et COURTOIS Histoire de l'Afrique du Nord, Ed Payot , Paris, 1951
- 21- JULIEN(Charles. André)Histoire de l'Algérie contemporaine, Ed, Casbah, 2004
- 22- KATEB (Kamel) Européens, Indigènes, Juifs En Algérie (1830-1962) Ed de l'institut nationale d'études Démographiques 2001
- 23- LACHERAF (Mostapha) Ecrits didactiques sur la culture, l'histoire et la société, Alger, S.N.E.D. 1988
- 24- Le CLERC (Gérard) Anthropologie et colonialisme Ed : fayard, 1972
- 25- MARCAIS (Géorges) La Berbérie Musulmane Et L'orient Au Moyen Age, Ed. Montagne, Paris, 1946
- 26- MEGHERBI (Ahmed) La Paysannerie Algérienne Face A La Colonisation Alger, ENAP, 1973
- 27- OULEBSIR, (Nabila) Les Usages Du Patrimoine. Monuments, Musées Et Politique Coloniale en Algérie (1830-1930) Ed. Maison De Science De L'Homme Paris, 2004
- 28- REGNIER (Philippe) Les Saint- Simoniens En Egypte (1833- 1851) Banque de l'Union européenne Paris 1989
- 29- SOUVILLE (Georges) Atlas Préhistorique De L'Algérie, T 4, Ed Libyca , paris, 1956
- 30- UNIVERSITE D'ALGER : Cinquantenaire, De L'Université d'Alger (1909-1959) Ed : République Française, Alger 1959
- 31- VATIN (Jean. Claude) L'Algérie politique Histoire et société, Ed Almaarifa, Alger 2010
- 32- YVONNE (Turin) : Affrontements Culturels Dans L'Algérie Coloniale. Ecoles, Médecines, Religion, (1830-1880) Ed : François Maspero, paris 1970

تاسعا: الملتقيات العلمية

1. عاشور (موسى): أساليب الاستعمار الفرنسي في الاستلاء على الأوقاف، العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي 1830 م 1962م - (أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني)، منشورات وزارة المجاهدين الجزائر، 2007م
2. فارح (رشيد) المحطات الرئيسية لتأسيس الملكية العقارية أثناء فترة الاحتلال وأثر ذلك على البنية الاجتماعية التقليدية للمجتمع الجزائري (أعمال الملتقى الوطني الأول والثاني حول العقار في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830 م – 1962 م) الجزائر، منشورات وزارة المجاهدين 2007م.
3. مالكي (محمد) صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية ، أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي ، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2007 م

عاشرا: المقالات

- 1- الباش (إبراهيم)، اللغة العربية في مواجهة الاستشراق ، مجلة الثقافة ، عدد 2010/10/14 م
- 1- التميمي (عبد الجليل) « التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن التاسع عشر» المجلة التاريخية المغربية ، عدد 1 ، سنة 1974م
- 2- التميمي (عبد الجليل) «انطباعات حول أهمية الدين في الممتلكات الفرنسية بإفريقيا » المجلة التاريخية المغربية عدد 1 ، سنة 1974 م
- 3- التميمي (عبد الجليل) «فهرس الدفاتر العربية التركية بالجزائر » المجلة التاريخية المغربية ، عدد 2 ، سنة 1974 م
- 2- بعيطيش (عبد الحميد) « مظاهر الحضارة النيوليتية بمنطقة الطاسيلي ناجر » مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية ، مركز جيل البحث العلمي ، الجزائر ، عدد 3 ، أكتوبر ، 2014م
- 3- بلحميسي (مولاي) « موقف المؤرخين الفرنسيين من الجزائر في العهد العثماني » مجلة الدراسات التاريخية ، مجلد 3 ، عدد 5 ، 1988م
- 4- بن باديس (عبد الحميد) في الشمال الإفريقي كلمة صريحة ، الشهاب جزء 1 ، مجلد 12 ، محرم 1355 هـ أبريل 1936 م
- 5- بوحلوفة (محمد الأمين) « الكتابات الفرنسية حول التصوف السني بالجزائر من (1856 م الى 1960 م) قراءة من حال المجلة الإفريقية » مجلة العلو الاسلامية والحضارة ، عدد 5 ، مارس 2017م
- 4- بوسعيد (أحمد) « البارون دي سلان (1801م-1879م) وحركة نشر المخطوط الجزائري » مجلة رفوف ، مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة أدرار ، عدد 11 مارس 2017 ،
- 6- بونابي (الطاهر) « أهمية المخطوطات المناقبية في كتابة التاريخ الاجتماعي والثقافي والفكري للمغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط » المجلة الجزائرية للمخطوطات ، جامعة أحمد بن بلة وهران ، المجلد 1 عدد 2 ، سنة 2005م
- 7- جيجيك (زرروق) « اهتمام الكتابات الفرنسية بالمخطوطات المحلية ، المجلة الإفريقية أمودجا » مجلة رفوف مخبر المخطوطات الجزائرية في إفريقيا ، جامعة أدرار ، الجزائر عدد 5 ، مارس 2015م
- 8- حارش (محمد الهادي) « سالوست وحرب يوغرطة دراسة تحليلية نقدية » مجلة الدراسات التاريخية مجلد 3 ، عدد 5 ، سنة 1997م
- 9- حميش (سالم) « المغرب في الدراسات الإستشراقية » مطبوعة أكاديمية المملكة المغربية ، عدد 10 ، أبريل 1993 م
- 10- دياب (محمد حافظ) « أفتنة السانسيمونية جدل الامبريالية والتحديث » مجلة نزوى عدد 11 عمان ، سنة 2012م
- 11- زريوح (عبد الحق) « منحج تحقيق المخطوط » مجلة الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة تلمسان ، عدد 10 مارس 2006م
- 12- صحراوي (عبد القادر) « تاريخ الجزائر القديم من خلال كتابات ستيفان غزال » مجلة الحوار المتوسطي ، مجلد 2 ، عدد 1 ، مارس 2010 م
- 13- عقون (محمد العربي) « ماسينيسا من استعادة حقه في العرش الماسيلي إلى بناء الوحدة النوميدية 238-148 ق م » مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، مجلد 11 عدد 22 ، جوان 2010م
- 14- لزهري (فارس) « قضايا تحقيق المخطوطات عند الأستاذ هادي نهر » مجلة تنوير ، عدد 4 ، ديسمبر ، 2017م
- 15- لين (إدوارد) « مقدمة مدّ القاموس » ترجمة عبد الوهاب الأمير ، مجلة المورد ، مجلد 5 ، عدد 2 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1976م

- 16- مغاري (نوال) « قراءة في تطور العلاقات السلمية بين قرطاجة والبيبين خلال الفترة (480ق م و 146 ق م (« مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، مجلد 3 عدد 6، جانفي 2015 م
- 17- مقدم (بنت النبي) « الفن المعماري وإنشاء المباني السكنية بالجزائر القديمة « مجلة الدراسات التاريخية جامعة الجزائر 2 ، عدد 19 ، ديسمبر ، 2015 م ،
- 18- مناصرة يوسف « دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر « "مجلة التاريخ" المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر، سنة 1982م
- 19- منصورى (خديجة) « البحث الأثري في الجزائر أثناء الاحتلال « مجلة آثار ، عدد. 5 ، جامعة الجزائر ، 1999 م
- 20- مولوجي قروحي (صورية) « عن الأثر العلمي للمترجمين العسكريين في البلدان المغاربية المستعمرة الجزائر نموذجا « مجلة إنسانيات أثروبولوجيا المجتمعات المغاربية بين الماضي والحاضر، المركز الوطني للبحث في الأثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية وهران عدد. 67 ، سنة 2015 م
- 21- ثاوات (محمد أمين) « دراسة تحليلية حول مجمع نيقية المسكونية « ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، عدد. 1 مجلد.5، السنة الخامسة 2010م

ب- باللغة الفرنسية

- 1- . MERCIER (Gustave) « La Question Indigène Une Mise Au Point Des Reformes A Accomplir » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 2- « Discours De Charles Jonnart Au Congres Des Orientalistes, » in R A vol 49, Année 1905
- 3- Jean des Cognets. – « La Vie Intérieure De Lamartine, D'après Les Souvenirs Inédits De Son Plus Intime Ami, j. M. Dargaud, Et Les Travaux Les Plus Récents » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 4- « Partie Officielle De La Société Historique Algérienne » in .R. A vol 09, Année 1865
- 5- « Procès-verbaux, première séance » in R A vol, 1 Année 1856
- 6- « Statut De La Société Archéologique De La Province De Constantine » in A.S.A.C Constantine, Année 1853
- 7- « Statuts De La Société Historique Algérienne » in R. A, vol, 79, Année, 1870
- 8- ABOUBEKR ABDESSELAM BEN CHOAI B : Les Croyances Populaires Chez Les Indigènes Algériens in B.S.G.A.O, vol 26, Année 1906
- 9- AIT SAID (R) « L'histoire De L'université d'Alger (1909-1962) » in Les Annales De L'université d'Alger vol 10 Année 1997
- 10- ALAZARD (Jean) « Bref Historique de l'université d'Alger » in Documents Algériens, numéro 23 Année 1959
- 11- ALBERTINI (Eugene) « La Route Frontière De La Mauritanie Césarienne Entre Boghar Et Lalla-Maghnia » in B.S.G.A.O, vol 49, Année 1929
- 12- ANONYME (Frédégair) « Coup D'œil Sur Les Antiquités De La Province De Constantine » in A.S.A.C Année 1853
- 13- ANONYME (Frédégair) « La confrérie musulmane de Sidi Mohammed ben Ali es-Senoussi; voyage à Djerbouh » in B.S.G.A.O vol 11, Année 1891
- 14- ARGUEL (Mireille) « Catalogue du musée archéologique de Constantine » in R.S.A.C, Année 1876-1877

- 15- ARNAUD (L) « Histoire De L Ouali Sidi Ahmed Et- Tedjani » in R A , vol 05 , Année 1861
- 16- ARNAUD (L) « Histoire de l'ouali Sidi Ahmed et-Tedjani » in R A , vol 6, Année 1861
- 17- ARNAUD (L) « Etude Sur Le Soufisme Par Le Cheikh Abd El Hadi Ben Ridouane » in R A, vol, 31. Année 1887
- 18- AZAN (PAUL) « Les débuts d'Abd el Kader » in B.S.G.A.O, vol 41, Année , 1921
- 19- BALLU (Albert) « Ruines de Djémila (antique Cuicul) » in R A, vol 62, Année 1921
- 20- BALOUT (Lionel) (« Quelque problèmes nord Africains de chronologie préhistorique » in R A .vol, 92 , Année, 1948
- 21- BASSET (Renie) « Recherches Bibliographiques Sur Les Sources De Salouat El Anfas » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix congrées Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas, imp. Pierre Fontana, Alger 1905
- 22- BASSET (Henri) « Les Influences Puniqes Chez Les Berbères » in R A , vol 62, Année 1921
- 23- BASSET (Henri) « Les Influence Punique Chez Les Berbères » in R A , vol, 62 Année 1921
- 24- BASSET (Renie) « Documents musulmans sur le siège d'Alger par Charles-Quint 1542 Manuscrit du Mehkémé; extrait de Hadji-Khalfa » in B.S.G.A.O vol 10, Année 1890
- 25- BASSET (Renie) « Salomon et le Dragon, conte kabyle des Beni Menacer » in B.C.A vol 3, Année 1885
- 26- BASSET (Renie) « Rapport Sur Les Etudes Berbères Et Haoussa (1882-1908) Présente Au XVe Congrès Des Orientalistes A Copenhague » in R A , vol 52, Année 1908,
- 27- BEL (Alfred) « Trouvailles archéologiques à Tlemcen » R A, vol 49 Année, 1905
- 28- BELL (Alfred) « Quelques Rites Pour Obtenir La Pluie En Temps De Sécheresse Chez Les Musulmans Maghrébins » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp. Pierre Fontana, Alger 1905
- 29- BEN CHANEH (Mohamed) « De La Transmission De Recueil Des Traditions De Bokhary Aux Habitants D'Alger » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp . Pierre Fontana, Alger 1905
- 30- BEN CHANEH (MOHAMED) « Langue Musulmane » in R A , vol 49, Année 1905
- 31- BEN CHENAB (Mohamed) « Notice sur Deux Manuscrits Sur les Chérifs de Zawiya de Tameslouhet » in R A, Vol 52, Année 1908
- 32- BEN KADA (Sadek) « Un Patrimoine culturel : les publications de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran (1878-1988) » Revue Insaniyat, n 12 Année 2000
- 33- BEN KADA (Sadek) « La Société savante rupture et continuité d'une tradition associative : le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran » Revue Insaniyat n 8. An 1999
- 34- BENKADA (Sadek) « Bibliographie et Histoire Sociale en Algérie XIX e XX siècles » Oran URASC cahier n 5
- 35- BERBRUGGER (Adrien) « Description de L'Afrique Septentrionale », in R A, vol 3, Année 1858
- 36- BERBRUGGER (Adrien) « Domination Romain, Dans Le Sud De L'Afrique Septentrionale » in R A, vol 3, Année 1858

- 37- BERBRUGGER (Adrien) « Ouichah el-Kataib [Règlements de l'armée d'Abd el-Kader] » in R A , vol 8, Année 1864
- 38- BERBRUGGER (Adrien) « Une Grave Erreur Chronologique » in R A, vol 10, Année 1866
- 39- BERBRUGGER (Adrien) « Les Romains Dans Le Sud De L'Algérie – Haut Plateaux Et Le Sahara Du Centre » in R A vol 2 Année 1857
- 40- BERBRUGGER (Adrien) « Inscription Romaine De Sisga » in R A, vol 7, Année 1863
- 41- BERBRUGGER (Adrien) « Julia Caesarea (Cherchel) (Inscriptions chrétiennes) » in R A, vol 1, Année 1856
- 42- BERBRUGGER (Adrien) « Manuscrits Espagnols En Caracteres Arabes » in R A , Vol 04. Année 1859-1860
- 43- BERBRUGGER (Adrien) « Mers-el-Kebir et Oran d'après Suarez » in R A, vol 10, Année 1866
- 44- BERBRUGGER (Adrien) « Ruines Du Marabout De Sidi Abd El-Kader Sou Maliana » in R A, vol 08. Année 1864
- 45- BERBRUGGER (Adrien) « El-Hadj-Moussa, ou l'homme à l'âne et l'émir Abd el-Kader en 1835 » in R A, vol 1, Année 1856,
- 46- BERBRUGGER (Adrien) « L'Afrique septentrionale après le partage du monde romain en Empire d'Orient et Empire d'Occident » in R A, vol 1, Année 1856
- 47- BERBRUGGER (Adrien) « Les Algériens demandent un roi français en 1572 » in R A, vol 5, Année 1861
- 48- BERBRUGGER (Adrien) « Introduction Du Premier Numéro » in R. A vol, 01, op, cit, p.03.
- 49- BERBRUGGER (Adrien) « Charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694 » in R A, vol 8, Année 1864
- 50- BERBRUGGER (Adrien) « Les consuls d'Alger pendant la conquête de 1830 » in R A, vol 9, Année 1865
- 51- BERBRUGGER (Adrien) « Négociation Entre Hasan Agha Et Le Conte Alcaudete Gouverneur D'Oran (1541-1542) Traduction De Pièces Authentiques » in R A. vol 9, Année 1865
- 52- BERBRUGGER (Adrien) « Reprise d'Oran par les Espagnols en 1732 » in R A, vol 8, Année 1864
- 53- BERBRUGGER (Adrien) « Siège De Melilla Par Les Marocains Traduction De Documents Originaux » in R A, vol 9, Année 1865
- 54- BERBRUGGER (Adrien) « Situation Religieuse Et Politique De La Mauritanie Lors De La Grande Révolte Berbère A La Fin Du 3 Siècle » in R A, vol 9, Année 1865
- 55- BERBRUGGER (Adrien) « DAVENET Les Romains dans le sud de l'Algérie » in R A, vol 3 Année 1858
- 56- BERBRUGGER (Adrien) « Documents sur Alger à l'époque du Consulat, (Lettres de Bonaparte) » in R A, vol 6, Année, 1862
- 57- BERBRUGGER (Adrien) « Trouvaille De Monnaies Romaines A Tipasa » in R A, vol 2, An 1857
- 58- BERNARD (Augustin) « Masqueray » in R A vol 38, Année 1894

- 59- BERNARD (Augustin) « les capitales de la berbérie » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp. Pierre Fontana, Alger 1905
- 60- Bloch (Adolf) « de la race qui précéda les sémites en Chaldée et en Susiane » in B S A P, V série, tome 3 Année 1902
- 61- BODIN (Marcel) « Notice Historique Sur Les Arabes Soumis Aux Espagnols Pendant Leur Occupation D'Oran, Par Si Abd-El-Kader El Mecherfi » in R A, vol 63 Année 1924
- 62- BODIN (Marcel) « Notes Et Questions Sur Sidi Ahmed Ben Yousef » in R A, vol 66. Année 1925
- 63- BODIN (Marcel) « La Brève Chronique Du Bey Hasan, Extraite Et Traduite De La Tal'at-Os-Sa'd-Is- So'oud De Mazari » in B.S.G.A.O, vol 44, Année 1924
- 64- BORIES « Le tremblement de terre d'Arzew (24 juillet-4 août 1912) » in B.S.G.A.O, vol 32, Année 1912
- 65- BOULIFA (Said) « Le Kanoun D'adni » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp . Pierre Fontana, Alger 1905
- 66- BOURDJADE (G) : « Note Chronologique Pour Servir A L'histoire De L'occupation Française Dans La Région D'Aumale (1845-1887) » in R A, vol 33. Année 1889
- 67- BOURGIN (Georges) « Les Documents de l'Algérie Conservées aux Archives Nationales » in R A. Vol. 50. Année 1906
- 68- BOUTY (Bonnard) « Documents Concernant Le Projet De Chemin De Fer Transsaharien » in B.S.G.A.O vol 7, Année 1887
- 69- BOYER (A) « En Kabylie. Le Djurdjura et Fort-National » in B.S.G.A.O, vol 13, Année 1893
- 70- BRAUDEL (François) « Lucien Febvre Et L'histoire », in A E S C, 12 Année. Avril – Juin 1957, Ed Armand Colin
- 71- BROUARD « Méchéria, légende et histoire » in B.S.G.A.O vol 10, Année 1890
- 72- BUSQUET (Raoul) « Note sur la collection vaudouard » in R A. vol .51, Année. 1907
- 73- CAGNAT (René) « Fastes Municipaux De Timgad » in R S A C numéro 35 An .1902
- 74- CAHEN (Abraham) « Lettre sur les Juifs de l'Algérie et de Touggourt » in .R.S.A.C Année, 1866
- 75- CAMPS(Gabriel) « Les Traces d'un Age de bronze en Afrique du Nord » in R A, vol 104, Année, 1960
- 76- CANAL (J) « les colonnes d'hercule. Itinéraire D'Oran à Tanger » in B.S.G.A.O vol 7, Année 1887
- 77- CANAL (J) « Contribution à l'histoire de Tlemcen. Pomaria, Tlemcen sous la domination romaine » in B.S.G.A.O, vol 9, Année 1889
- 78- CANAL (J) « Monographie de l'arrondissement de Tlemcen, pl. et 5 cartes » in B.S.G.A.O, vol, 7, Année 1887
- 79- CANAL (J) « Tiaret, monographie ancienne et moderne » in B.S.G.A.O, vol 20, Année 1900
- 80- CARCOPINO (Jérôme) « L'Histoire ancienne de l'Afrique du Nord de M. GSELL » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913

- 81- CASENAVE (Jean) « Les Présides Espagnols D'Afrique : Leur Organisation Au XVIIIe Siècle »
R A, vol 63 Année 1922
- 82- CERES (Général) « Mémoire Relatif A L'existence D'une Colonne Romaine Commémorative
Trouvée Dans L'annexe D'Aflou, Aux Ouled-Sidi-En-Nasseur » in B.S.G.A.O, vol 1, Année
1881
- 83- CHARBONNEAU (Auguste) « Bulletin Bibliographique » in R A, Vol .01. Année 1856
- 84- CHARBONNEAU (Auguste) « Relation De La Prise De Tébessa Par L'armée Arabe En L'an
45 De L'hégire » in R A, vol, 13, Année 1869
- 85- CHARON L'EMERILLON (T) LHOTELLERIE (P. DE) et BERBRUGGER (A.), « Sculptures
Romaines Avec Inscription Trouvées A Cherchel » in R A, vol 3, Année 1858
- 86- CHERBONNEAU (Auguste) « Explication des objets antiques dessinés par M. L. Féraud » in
R.S.A.C Année ,1863
- 87- CHERBONNEAU (Auguste) « Inscriptions latines découvertes dans la province de
Constantine » in A.S.A.C, Année 1858- 1859
- 88- CHERBONNEAU (Auguste) « Aïcha, poète de Bougie à la vie siècle de l'hégire » in R A, vol
4, Année 1859-1860
- 89- CHERBONNEAU (Auguste) « Inscription libyque trouvée aux environs de Karkab » in
B.S.G.A.O, vol 1, Année 1881
- 90- COUR (A) « Recherches Sur L'état Des Confréries Religieuses Musulmanes Dans Les
Communes D'oum-El-Bouaghi, Aïn-Beïda, Sedrata, Souk-Ahras, Morsott, Tebessa, Meskiana,
Khenchela En No-Vembre 1914 » in R A , vol 62, Année 1921
- 91- COUR (A) « L'occupation marocaine de Tlemcen (septembre 1830-janvier 1836) » in R A ,
vol 52, Année 1908,
- 92- DALLONI (Marius) « Esquisse de l'évolution géologique de l'Oranie » in B.S.G.A.O, vol 49,
Année 1929
- 93- DE LA BLANCHERE (Renie) « Antiquités romaines du palais épiscopal d'Alger » in B C A.
T.1 Année 1882
- 94- DE LA BLANCHERE (Renie) « Sur L'Age Des Gravures Rupestres, Des Inscriptions
Sahariennes Et De L'écriture Libyque » in B.C.A, vol 1, Année 1882
- 95- DE LA BLANCHERE (Renie) « Monnaie d'or du roi Ptolémée » in B C A. T.1 Année 1882
- 96- DE LA BLANCHERE (Renie) « Inscriptions de la Maurétanie césarienne » in B C A. T.1
Année 1882
- 97- DE LA BLANCHERE (Renie) « Kaoua. Note sur les ruines romaines du territoire d'Ammi
Moussa » in B C A. T.1 Année 1882
- 98- DE LA BLANCHERE (Renie) « Sur l'âge des gravures rupestres, des inscriptions sahariennes
et de l'écriture Libyque » in B C A. T.1 Année 1882
- 99- DE LA CORVA (Francisco) « Guerre de Tlemcen et conquête de cette ville par les Espagnols
sous le Commandement de don Martin de Cordoue, comte d'Alcaudete, capitaine-général
d'Oran en 1543, traduction de M. Camille Brunel » in B.S.G.A.O vol 10, Année 1890
- 100- DE LA VALLEE (Louis. Poussin) « Cartographie De L'inde Et De L'inde –Chine » in R A,
vol 49, Année 1905

- 101-DEBRUGE (A) « Industries Préhistoriques Sahariennes. Présentation De La Vitrine n° 8 du Musée De Constantine » in R.S.A.C, Année 1906
- 102-DELAMARE (Adolphe Hedwige Alphonse) « Tessala Et Ses Ruines » in R A. vol. 2, Année .1857
- 103-DELAMARE (Adolphe) « Note Sur Quelques Villes Romaines De L'Algérie » in: R .AR, VI, 1849-1850
- 104-DELAMARE (Adolphe) « Note Sur Lambèse » : in R. AR Deuxième Partie 1847-1848
- 105-DELAMARE (Adolphe) « Excursion Faite En Juin 1843 Au Ruine De Kherimissa Dans La Province De Constantine (Algérie) » in R. AR, Leleux Libraire Editeur Année 1856
- 106-DELISLE (Fernand) « Deuxième note sur les ossements humains préhistoriques de la grotte Ali Bacha (fouilles de M. Debruge) » in R.S.A.C, Année 1906
- 107-Delpech (Adrien) « Histoire Del Hadj Abdelkader Par Son Cousin El Hossin Ben Ali Ben Abi Taleb (Traduction) » in R A, vol, 20 Année 1876
- 108-Delpech (Adrien) « Resume Du « Bostane » (Le Jardin) Ou Dictionnaire Biographique Des Saints Et Des Savants De Tilimsane » in R A, Vol 27, Année 1883
- 109-DEMAEGHT (Louis Philippe) « Monnaie inédite [de Ptolémée] trouvée à Aflou » in B.S.G.A.O, vol 9, Année 1889
- 110-DEMAEGHT (Louis Philippe) « Safar -Ain-Temouchent - (inscriptions romaines) » in B.S.G.A.O vol 6, Année 1886
- 111-DEMAEGHT (Louis Philippe) « Le Dahra occidental, carte » in B.S.G.A.O, vol 2, Année 1882
- 112-DEMONTFORT (Henri) « Les Ruines De Veille Arzew » in R A . vol. 2, Année .1857
- THOMAS (Albert) « Ruines Romaines De Zeffoune (Razazus) » in R A
- 113-DEMONTFORT (Henri) « Ruines Du Vieil Arzew » in R A, vol 3, Année 1858
- 114-DENEY (J) « Annexe de procès – verbal, Documents Turcs Inédits Relatif A L'Algérie Des Années 1754-1829 » in J. A, Série.11, janvier, février –Mai, Juin 1914 (Séance Du 8 Mai) Ed, Ernest Leroux, Paris, T 3 1914
- 115-DENY (Jacques) « A Propos Du Fonds Arabe Turc Des Archives Du Gouvernement général De L'Algérie » in R A, vol 62 , Année .1921
- 116-DENY (Jacques J) « Les Registres De Solde Des Janissaires Conservees A La Bibliothèque Nationale D'Alger » in R A, vol 61, Année 1920
- 117-DENY (Jacques) « Les Registres De Solde Des Janissaires Conservees A La Bibliothèque D'Alger » in R A, Vol. 61, Année .1920
- 118-DERRIEN (Yohann) « Le Djebel Amour, carte » in B.S.G.A.O, vol 15, Année 1895
- 119-DESIRÉ (Estaunié) « Découverte de station préhistorique à Ammi Moussa (Oran - Algérie) » in B S P F, Année 1911
- 120-DESPARMET (joseph) « La Réaction Linguistique En Algérie » in B S G A A N, Numéro 125 Année 1931
- 121-DESRAYAUX (Henri) « Ruines Romains De Ain Grimidi » R A, Vol 55, Année 1911
- 122-DESSUS LAMARE (Alain) MARCAIS (G.) « Recherches D'archéologie Musulmane. La Mosquée Du Vieux Ténès » in R A, vol 65, Année 1924
- 123-DESTAING (E) « Notes Sur Des Manuscrits Arabes De L'Afrique Occidentale » in R A, Vol. 55. Année 1911,

- 124- DEVOULX (Albert) et BERBRUGGER (A.), « El-Rad Pacha » in R A , vol 9, Année 1864
- 125- DEVOULX (Albert) « Le raïs El-Hadj Embarek (XVIIIe s.) » in R A , volume 18, Année 1872
- 126- DEWULF (Eugène Édouard) « Note sur Ibn Hammad et sur un mémoire de M. Charbonneau intitulé : Notice et extraits du Eunouan el-Diraïa fi mechaiekh Bidjaia" » in R A, vol 8, Année 1863
- 127- DOGAT(G) « Sidi Hamed Ben Mohamed Mokri » in R A, vol 5 Année 1861
- 128- DOUMERGUE (François) « Grotte éboulée du Camp d'Abd-el-Kader » in B.S.G.A.O, vol 46, Année 1926
- 129- DOUMERGUE (François) «Le -Cimetière des Escargots- foyer littoral préhistorique de Coralès » in B.S.G.A.O, vol 41 , Année 1921
- 130- DOUMERGUE (François) « Préface Au Bulletin Du 50 eme Anniversaire »in B.S.G.A.O vol 48 , Année 1928
- 131- DOUTTE (Edmond) « Le Khot'ba Burlesque De La Fête Des Tolba Au Maroc » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp. Pierre Fontana, Alger 1905
- 132- DOUTTE (Edmond) « Bulletin bibliographique de l'Islam Maghrébin » in B.S.G.A.O, vol 19, Année 1899
- 133- DOUTTE (Edmond) « L'œuvre scientifique de l'École des Lettres d'Alger » in R A , vol 49 , Année 1905
- 134- DOUTTE (Edmond) « Bulletin » in R A Vol 43, Année 1899
- 135- DUVAUX (Capitaine) « La mentalité indigène en Algérie » in B.S.G.A.O, vol 23, Année 1900
- 136- ESQUER (Gabriel), « les expositions rétrospectives du centenaire » in. R. A vol 71, Année 1930
- 137- FABRE (Jean-Henri) « Monographie de la commune indigène de Tiaret-Aflou, fig. et carte » in B.S.G.A.O, vol 22, Année 1902.
- 138- FAGNAN (Edmond) « Chihab ed-din Dimechki » in R A, vol 40, Année 1894
- 139- FAGNAN(Edmond) « La civilisation musulmane » in B.C.A vol 3, Année 1885
- 140- FAGNON (Edmond) « la collection de si Hamouda » in R A .vol. 36, Année. 1892
- 141- FAIDHERBE (Léon) « Sur L'ethnologue Du Nord De L'Afrique » in B S A , 2 .Série, T .5 , Année 1870 , Victor Masson paris
- 142- FERAUD (Charles) « Bordj Bou Arréridj » in R.S.A.C, Année, 1871
- 143- FERAUD (Charles) « Histoire des villes de la province de Constantine (Sétif) » in R.S.A.C, Année, 1871
- 144- FERAUD (Charles) « Documents Pour Servir A L'Histoire De Bône », in R A, vol, 32 Année, 1888
- 145- FERAUD (Charles) « Notice Historique De La Province De Constantine. » in R A, vol, 28 Année, 1884
- 146- FERAUD (Charles.) « Constantine A L'époque De L'établissement Des Turc » in R A, vol 10 Année 1866
- 147- FERAUD (Charles) « Les Ben Djellab, Notice Historique Sur La Province De Constantine » in R, A vol 28, Année 1884

- 148-FÉRAUD (Charles) « Mœurs et coutumes des Kabiles » in R A, vol 6, Année, 1862
- 149-FÉRAUD (Charles) « La prise d'Alger en 1830 d'après un écrivain musulman (papiers de famille des Oulad ben-Djelloul) » in R.S.A.C, Année 1865
- 150-FÉRAUD (Charles) « Entre Sétif et Biskara, notes épigraphiques » in R A, vol 4, Année 1859-1860
- 151-FÉRAUD (Charles) « Expédition du comte O'Reilly contre Alger en 1775 [récit de Si Ahmed el-Anteri] » in R.S.A.C, Année 1865
- 152-FÉRAUD (Charles) « Histoires des villes de la province de Constantine » in R.S.A.C, Année, 1869
- 153-FÉRAUD (Charles) « Notice sur la statue de Bacchus (découverte à Constantine) » in R.S.A.C, Année, 1871
- 154-FÉRAUD (Charles) « Nouveau document sur l'insurrection contre les Turcs en 1804 » in R.S.A.C, Année, 1871
- 155-FERRAND (Gabriel) « Un Texte Arabco – Malghache En Dialecte Sud Oriental » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 156-FILLIAS (Achille) « L'Insurrection des Oulad Sidi Cheïkh 1864 » in B C A T2, Année 1884
- 157-FOULQUES (Commandant) « Colonne mobile de Géryville. Itinéraire de la colonne pendant son Expédition sur Figuig, sous le commandement du lieutenant-colonel Colonieu en 1868 » in B.S.G.A.O, vol 5 Année 1885
- 158-FOURNIER (A) « Le Caractère De Macipsa Dans Salluste » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 159-FRANCISQUE (Michel) « Documents inédits sur l'histoire d'Oran sous la domination espagnole (Dialogue sur les guerres d'Oran, de Baltazar de Morales) » in B.S.G.A.O vol 7, Année 1887
- 160-GAROBY (Jean) « El-Bekhi - Description de l'Afrique septentrionale. Traduite par Mac Guekix de Slane » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 161-GAROBY (Jean) « Le Gharb » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 162-GAROBY (Jean) « Carte murale du département d'Alger. (Collection Colin. Vidal de la Blache) » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 163-GAROBY (Jean) « Hégenec de Tunis. Protectorat français. Direction générale de l'Agriculture, du Commerce et de la Colonisation » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 164-GAROBY (Jean) « L'organisation de la propriété foncière au Maroc. Etude théorique et pratique » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913

- 165-GAROBY (Jean) « La Région, Du Haut Thell En Tunisie (Le Kef, Tebourzouk, Mactar Thala) Essai De Monographie géographique » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 166-GAROBY (Jean) « Le long des pistes moghrébines. - (Voyage au Maroc) » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 167-GAUDEFROY –DEMOMBYNES (Maurice), « Saints et savants du Maghreb » in B.S.G.A.O, vol 17, Année 1897
- 168-GAUTHIER (Léon) « Accord De La Religion Et De La Philosophie Traité D'ibn Rochd » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 169-GAUTIER (Emille. Felix) « Les Oassis Saharienne » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 170-GAUTIER (Emille.Felix) « Considération Sur L'histoire Du Maghreb » in R A, vol 68, Année 1927
- 171-GENTIL (Louis) « Sur les volcans éteints des environs d'Aïn Temouchent » in B.S.G.A.O vol 16, Année 1896
- 172-GIACCOBITTI « Kitab En Nasab » in R A, vol 46, Année 1902
- 173-GORGUOS (Auguste) « Notice Sur Le Bey D'oran, Mohammed El Kebir » in R A, vol 1 Année 1856
- 174-GORGUOS (Auguste) « Notice sur le bey d'Oran, Mohammed el-Kebir » in R A, vol 1, Année 1856
- 175-GSELL (Stéphane) « Entendue De La Domination Carthaginoise En Afrique » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 176-GSELL (Stéphane) « Entendue De La Domination... » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 177-GSELL (Stéphane) « Juba li, Savant Et Ecrivain » in R A, vol 68, Année 1927
- 178-GSELL (Stéphane) « Thanaramusa (Berrouaghia) (Inscription Romaine ; Tête De Bronze.) » R A, vol 53 Année, 1909
- 179-GUENIN (Commandant) « Notice Archéologique Sur Une Petite Basilique Sise A Rouis, Cercle De Tebessa » R A, vol 52, Année 1908
- 180-GUIN (Louis) « Le Collier De Perles Precieuses Ou Mention Des Principaux Personnages, D'origine Noble (De La Region) Du R'eris » in R A, Vol 35, Année 1891
- 181-GUIN (Louis) Notice sur le cheikh Gassem des Guehtoula » in R A, vol 6, Année, 1861
- 182-GUIN (Louis) « Beylik D'oran: De La Suppression Du Manuscrit: Les Réflexions Brillantes De Jupiter Ou Commentaire Du «Collier Precieux » Qu'avait Rédige Mohammed Bou Ras Ben En- Naçer » in R A, Vol 31, Année 1887

- 183-GUIN (Louis) Note sur le bey Mohammed, dit El-Bey Debbah » in R A, vol 8, Année 1863
- 184-GUINARD (E) « Les Oulad-Sidi-Cheikh, Résumé De Leur Histoire Depuis Leur Origine Jusqu'à Leur Révolte » in B.S.G.A.O vol 2, Année, 1881
- 185-GUYON (Jean .Louis) « Note sur des tombeaux d'origine inconnue situés au Ras Aconater, entre Alger et Sidi-Ferruch » Nouvelles Annales Des Voyages Géographiques, vol 112, Série 5, T 4, Année 1846
- 186-HAMET (Ismaeil) « Nour - Al- Eulbab (Lumière Des Cœurs) » in R A vol 41, Année 1897
- 187-HAMY (Ernest Théodore) « Note sur quelques antiquités découvertes par F. Gautier, dans les vallées de la Sousfana et de la Saoura, En direction de l'Adrar, tumuli, gravures et inscriptions Libyques rupestres » in C R A I Année 1905
- 188-HANOTEAU (Adolphe) « Archéologie du territoire des Beni Raten » in R A, vol 5, Année 1861
- 189-HASE (Charles-Benoit) « Rapport sur quelques Inscriptions Latines récemment découvertes Dans L'Ancienne Régence D'Alger » in (J. S) Année 1837. imp. Royale, paris, 1837
- 190-HEURGON (Jacques) « L'œuvre Archéologique Française En Algérie » in : Bulletin de l'Association Guillaume Budé : Lettres d'humanité, n°15, décembre 1956
- 191-HINGLAIS (Ulysse) « Le Premier Demi-Siècle De La Société Archéologique De Constantine (1852 – 1902) » in R S A C numéro 36 Année 1903 .Imp Braham-Libraire-Editeur, Constantine1903
- 192-HOUDAS- (Octave) Et BASSET (R) « Mission scientifique en Tunisie, 2e partie: Bibliographie » in B C A T2, Année 1884
- 193-ISIDORE (LEVY) : « Langue Sémitique » in R A, vol 49, Année 1905
- 194-DESPPERRIERS (Jean Vavasseur) « Charles, Jonnart Et Le Parti Colonial Economie Et Politique » Société Française D'histoire Des Outre Mers numéro 6, Année 2008, Paris
- 195-JOLY (Alexandre) « Etude Sur Les Chadouliyas. Les Origines Et Les Débuts De Cheikh El Elmicoume » in R A, vol 51. Année 1907
- 196- JOLY (Alexandre) « Vocabulaire du Chaouiya des Ouied Sellera ou français » in R A, vol 52, Année 1908,
- 197-JOLY (Alexandre) « Saints Et Légende De L'islam » in R.A, vol. 57 Année. 1913
- 198-JOLY (Alexandre) « Etude Sur Les Chadouliyas » in R A, vol 50. Année 1906
- 199-JUDAS (Alexandre) « Sur quelques animaux attribués ou refusés à la Libye par Hérodote » in R.S.A.C, Année 1865
- 200-KOCHER (Adolphe) « De la criminalité chez les Arabes au point de vue de la pratique médico-judiciaire En Algérie » in B C A, T2, Année 1884
- 201-LACROIX (François) « Afrique Ancienne Procédés Agricoles » in R A vol 14 Année, 1870
- 202-LALOË (Francis) « A Propos De L'incendie De La Bibliothèque D'Alexandrie Par Les Arabes. Les Manus-Crits Arabes De Constantine » in R A, vol 66, Année 1925
- 203-LE BON (Gustave) « La civilisation des Arabes » in B C A, T2, Année 1884
- 204-LE FROTTER (J) « Les Juifs autrefois, les Juifs aujourd'hui » in B.S.G.A.O vol 11, Année 1891
- 205-LEFFEBURE (Eugène) « Les Noms D'apparence Sémitiques Ou indigènes Dans Le Panthéon Egyptien » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des

- Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp :
Pierre Fontana, Alger 1905
- 206- LESPES (Renie) « CARBOU (H) La région du Tchad et de l'Ouadaï.-Etudes ethnographiques. Dialecte Toiibou » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 207- LESPINASSE (Jean François Émile) « Notice sur le Hachem de Mascara » in R A, vol 23, Année 1877
- 208- LEUILLIOT (Paul) « Archives du Gouvernement général de l'Algérie, Séries E et EE » in A E S C N. 3, Année. 1950,
- 209- LÉVI-PROVENCAL (Evariste) « Note sur un fragment de cursus sénatorial relevé à Constantine » in R A, vol 58, Année 1914
- 210- LEWAL (Jules-Louis) « Nouvelles Inscription De Souk Ahrass (thagsts) »
- 211- LUCIANI (Jean-Dominique) « El- H'aoudh, Manuscrit Berbère De La Bibliothèque- Musée D'Alger » in R A Vol 37, Année 1893
- 212- LUCIANI (Jean-Dominique) « Un Manuscrit Arabe De La Bibliothèque Nationale, D'Alger » in R A vol 70, Année, 1929
- 213- LUCIANI (Jean-Dominique) « Un manuscrit Arabe dans la bibliothèque Nationale d'Algérie » in R A. vol. 70 An. 1929
- 214- Mangin (Charles, Marie, Emmanuel) « Note Sur L'histoire De L'aghout » in R A, vol 38, Année, 1894, p 105
- 215- MARCAIS (William) « Quelques Observations Sur Le Dictionnaire Pratique Arabe Français De Beaussier » in Recueil De Mémoire Et Du Texte Publier En L'honneur Du Xix Congrès Des Orientalistes Par Les Professeurs De L'école Supérieure Des Lettres Et Des Médersas imp : Pierre Fontana, Alger 1905
- 216- MARCAIS (William) « Archéologie Africaine et Art musulman » in R. A vol 49, Année 1905
- 217- MARSSILLY (C) « Notice Sur Les Vestiges De L'occupation Romains Dans Le Cercle De Philippeville » in A.S.A.C Année 1853
- 218- MARTINO (Pierre) « Emile Faguet, de l'Académie française, Rousseau Artiste » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 219- MARTINO (Pierre) « Victor Waille (1852 - 1907) » in R A, vol 52, Année 1908
- 220- MASQUERAY (Emile) « Trumelet, Les Français dans le désert » in B.C.A vol 3, Année 1885
- 221- MASQUERAY (Emile) « Inscriptions inédites d'Auzia et détermination de Rapidi et de Labdia » in B C A, T.1 Année 1882
- 222- MASSE (Henri) « Les Etudes Arabes En Algérie » in R A. vol .74, Année. 1933
- 223- MERCIER (Ernest) « Révoltes et dévastations en Afrique des deux Ibn-R'ania (1184-1233) » in R.S.A.C, Année, 1871
- 224- MERCIER (Ernest) « Chute de la dynastie des gouverneurs Agh'lebites en Afrique, établissement de l'Empire Obeïdite (886-912) » in R A, vol 15, Année 1871
- 225- MERCIER (Ernest) « Notice sur les Almoravides et les Almohades, d'après les historiens arabes » in R A, vol 13, Année 1869

- 226-MERCIER (Ernest) « les origines des peuples berbère » in **R. A.**, vol 15, Année 1887
- 227-MERCIER (Ernest) « Étude sur la confrérie des Khouan de Sidi-Abd-el-Kader-el-Djilani à propos d'un Catéchisme à l'usage de ladite secte » in R.S.A.C, Année, 1869
- 228-MERCIER (Ernest) « Une page de l'histoire de l'invasion arabe. La Kahina » in .R.S.A.C in R.S.A.C Année, 1866
- 229-MERCIER (Ernest) « Histoire Des Connaissances Des Anciens Sur La Géographie de l'Afrique Septentrionale » in. R S A C Numéro 16, 1873-1874
- 230-MERLIN (Alfred) « le centenaire de la société Archéologique de Constantine » in. J S Année 1954
- 231-MESSAOUDI (Alain) « Les études arabes dans l'Université française en contexte colonial (1800-1950) » in I B L A n° 197, janvier 2007
- 232-MESSAOUDI (Alain) « Renseigner, Enseigner Les Interprètes Militaires Et La Constitution D'un Premier Corpus Savant Algérien (1830 – 1870) » in R H V S 30 décembre 2013
- 233-MOLL (A) « Note sur des fouilles faites à Lambèse aux sources d'Ain Drinn et d'Ain Boubennana » in A.S.A.C Année 1956-1957
- 234-MONCEAUX (P). GSELL(Stéphane), MARÇAIS (George) et. YVER (George) « Histoire d'Algérie » in J S, Avril 1929
- 235-MONTBRUN (THéodors) « A nos lecteurs » in B.S.G.A.O, vol 5, Année 1885
- 236-MOULIERAS (Auguste) « Les Beni-Isguen (Mzab). Essai sur leur dialecte et leurs traditions populaires » in B.S.G.A.O 15, Année 1895
- 237-MOULIERAS (Auguste) : Une tribu Zénète antimusulmane au Maroc, in B.S.G.A.O, vol 23, Année 1900
- 238-NUMA (Broc) : « Les Grandes Missions Scientifiques Français Au Xix Siècle (Moree Algérie Mexique) Et Leurs Travaux Géographique » in Revue D'histoire Des Sciences, T. 34, N°3, presse universitaire de France, paris, 1981
- 239-OLIVIER (M. G) « Recherche Sur L'origine Des Berbères » B A H, Numéro 5, Année 1865, imp. de Dagand, Bône
- 240-PACHTÈRE (Félix-Georges) « Les Origines Romaines D'albulae (Ain-Temouchent). Note sur une Inscription Récemment Découverte » in B.S.G.A.O, vol 33, Année 1913
- 241-PAOLI (Louis) « L'enseignement Supérieur à Alger » in R A, vol 49 Année 1905
- 242-PAVY (M) « La piraterie musulmane » in R A, vol 3 Année 1858
- 243-PAYEN (Capitaine) « Notice sur les travaux hydrauliques anciens, dont il existe encore de Nombreux vestiges dans la partie du Hodna dépendant de la province de Constantine » in R.S.A.C, Année, 1864
- 244-POULLE (A) « A travers la Mauritanie Sétifienne, » in R.S.A.C Année ,1863
- 245-POULLE (A) « Ruines de Bechilga (Ancienne Zabi) » in R A, vol 5, Année 1861
- 246-REISSER (Edmond) « Notice sur Tingitanum (ou Orléans ville), sa création, sa destruction, ses Monuments » in B.S.G.A.O vol 22, Année 1902
- 247-RENIER, (Léon) « Quatrième Rapport En Mission Dans La Province De Constantine, Pour La Recherche Des Monuments Epigraphiques » Archive Des Missions Scientifiques Et Littéraires Choix De Rapports Et Instructions, imp. Nationale, Tome II, n°1, Paris 1851

- 248- Revue de l'Enseignement Enseignement Supérieur « Séance de 12 mars 1913 » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 249- RINN (Louis) « Deux Documents Indigènes Sur L'histoire De L'insurrection De 1871 » in R A, vol, 35 Année 1891
- 250- ROBERT (A) « Étude sur les serments des indigènes d'Algérie » in R.S.A.C, Année 1906
- 251- ROBIN (Joseph -Nil) « Le Mzab Et Son Annexion A La France » in B C A, T2, Année 1884
- 252- ROBIN (Joseph -Nil) « Notice Historiques Sur La Grande Kabylie De 1830-1838 » in R A vol, 20, Année 1876
- 253- ROBIN (Joseph -Nil) « Histoire Du Cherif Boubar'la » in R A, vol 25 Année 1881
- 254- Robin (Joseph -Nil) « Notes Historique Sur La Grande Kabylie De (1838-1851) » in R A vol 46 An 1902
- 255- ROBIN (Joseph -Nil) « Note sur Yahia Agha » in R A, vol 21, Année 1874
- 256- ROBIN (Joseph -Nil) « Histoire du chérif Bou Bar'la » R A, vol 29, Année 1883
- 257- Robin (Joseph -Nil) « Histoire Du Cherif Boubar'la, Suite » in R A, vol 26 Année 1882
- 258- ROBIN (Joseph -Nil) « Les Oulad ben Zamoun » in R A, vol 21, Année 1875
- 259- ROCHETTE (Raoul), Rapport Sur Les Recherches Archéologiques A Entreprendre Dans La Province De Constantine Et La Régence D'Alger, in Mémoire De L'institut Royale De France, Académie Des Inscriptions Et Belles Lettres, imp. Royale, T 12 Paris ,1839
- 260- ROUBET (Colette.) « Protohistoire Et Préhistoire En Algérie Patrimoine Dévoile Entre 1830 Et 1962 » in. Présence Française Outre-Mer (XVI – XXI Siècles) T.2 Science,Religion,Culture .Karthala, Paris, 2012
- 261- ROUIRE (Dr) « Etude Sur Le réseau Routier Moderne Et Le réseau Routier Ancien Du Littoral Du Golfe De Hammamet, Carte » B.S.G.A.O, vol 7, Année 1887
- 262- SABATIER (Camille), « La femme kabyle in B.S.G.A.O, vol 3, Année 1883
- 263- SEBBAH (LUCIEN) « LA France Maçonnerie à Oran de 1832 à 1914, » Périmés Aux Amateurs De Livres, Paris 1990
- 264- SEROKA (Joseph-Adrien) « Le Sud Constantinois De (1830-1855) » in R A , vol, 56 Année 1912
- 265- SIMON (Capitaine H.) « Trois Rapports Du Lieutenant-Colonel De Colomb Sur La Question Du Commerce Transsaharien » in B.S.G.A.O vol 25, Année 1905
- 266- SINGARAVELOU (Pierre) « Des Historiens sans Histoire : La Construction de l'Historiographie Coloniale En France Sous La Troisième République » in Actes de la Recherche en sciences sociales 2010/5 (n° 185)
- 267- TAUXIER (Henri) « Ruines Romaines De Karnachin » in R A, vol 8, Année 1864
- 268- TAUXIER (Henri) « Ethnographie de l'Afrique septentrionale au temps de Mahomet » in R A, vol 8, Année 1864
- 269- TAUXIER (Henri) « Sur la détermination et le sens de plusieurs mots de l'ancienne langue numide » in R.S.A.C Année, 1866
- 270- TRUMELET (Corneille) Note Pour Servir A L'histoire De L'insurrection Dans Le Sud De La Province D'Alger De 1864 – 1869 in R A, vol 25, Année, 1881

- 271-VOINOT (Louis) « Les Actes D'hostilité Des Emigres Et Des Marocains Surtout Des Beni Snassen Et Les Operations Effectuées Par Les Français Notamment En 1856 » in R A , vol , 58, Année 1914,
- 272-WALCKENAER (Charles. Athanase) « Rapports Sur Les Recherches, Géographiques, Historiques Et Archéologiques, Qu'il Convient De Continuer Ou D'entreprendre Dans L'Afrique Septentrionale » in Mémoire De L'institut Royale De France, Académie Des Inscriptions Et Belles Lettres, imp. Royale,T 12 Paris ,1839
- 273-WATBLED (Ernest) « Aperçu Sur Les Premiers Consulats Français Dans Le Levant Et Les Etats Barbaresques » in R A, vol 16, Année 1872
- 274-YEVER (Georges) « La disgrâce de Nicolas Machiavel. Florence (1469-1527) » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 275-YEVER (Georges) « MALO (Henri) les corsaires, » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 276-YEVER (Georges) « DEFRANGE. (Eugène) La Conversion D'an Sans-Culotte.- Gabriel Bouquier. - Peintre, Poète Et Conventionnel (1739-1810) » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 277-YEVER (Georges) « Alfred Merlin, Régence de Tunis. - Notes et Documents » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 278-YEVER (Georges) « L'équilibre balkanique. – Coulommiers » in Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 279-YVER (Georges) « les maronites et l'Algérie » in R A vol, 61, Année 1920
- 280-YVER (Georges) « Napoléon, Textes Choisis et Commentes par k. Guillon » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 281-YVER (Georges) « SPIRE. (André) - Quelques Juifs. Israël Zangwill » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913
- 282-YVER (Georges) « Histoire Des Beni Abd-El-Wed. Rois De Tlemcen, Traduction Française par Alfred Bell » Annales Universitaires de L'Algérie, Ed : Adolphe, Jourdan, Imprimeur De L'université, Alger, n°5 2 année. 1913

إحدى عشر: الجرائد :

- 1-الإبراهيمي (محمد البشير) « اللغة العربية في الجزائر عقيلة حرة ليس لها ضرة » جريدة البصائر عدد 41، 28 جوان 1948 م
- 1- سعد الله (أبو القاسم) «هل كان الأمير حدثيا» جريدة. الشروق، 17 ديسمبر، 2008م
- 2- سعيدي (مزيان) الشروق اليومي، 5 نوفمبر 2012م

إثنا عشر : المذكرات

- 1- حنيش (عبد الفتاح) ، التوسع الزراعي في افريقيا القديمة خلال الفترة الرومانية ، مذكرة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، ديسمبر 2013م
- 2- مختاري (الطيب) اللّجنة الافريقية رسالة ماجستير غير منشورة الجزائر(2)، 2011م
- 3- سراج (جيلالي) زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية، ماجستير ، جامعة تلمسان ، 2014م-2015م

ثلاثة عشر : الأطالس

- 1 - GSELL (S) : Atlas Archéologique De L'Algérie, Ed : Adolphe Jourdan, Alger ,1911

أربعة عشر: القواميس

- 1- POUILLON (François) Dictionnaire Des Orientalistes De Langue Française, Ed, Karthala, 2012
- 2- GSELL (S), Atlas Archéologique De L'Algérie, Ed, Adolphe Jourdan, Alger 1911

خمسة عشر: المواقع الالكترونية

- 1- LASTRAJOLI (Madiana Debyes) : L'enseignement Supérieur En Afrique Du Nord, Naissance De L'université D'Alger, L'école Des Lettres Et Science De Lumière Avec Histoire Des Chaires Et Matières D'enseignement De La Faculté 1958- 1959 gant ; version numérique n°80 4eme trimestre, 2002 (www.alger-roi.fr/Alger/facultes/textes/3-ecole-lettres-gamt80.htm)

القرص المضغوط القرص المدمج « تاريخ الجزائر (1830- 1962) » أعدده المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، وزارة المجاهدين ، 2008 م

الفهرس

فهرس المحتويات

13-1	مقدمة
	الفصل الأول: منطلقات البحث التاريخي والأثري الفرنسي في الجزائر
14	أولا : أسس ودوافع الاستوغرافيا الاستعمارية
14	1-التشكيك في أصل تسمية الجزائر
15	2- مقاربات حول الموطن الأصلي لسكان الجزائر القدامى
19	3- مقاربات في الأصول العرقية لسكان الجزائر القدامى
22	4- أبحاث الفرنسيين ونظرياتهم حول أصول اللّغة المحلية.
23	5- نفي الفاعلية الحضارية لسكان الجزائر.
29	6-التشكيك في وطنية سكان الجزائر
37	7- مقاربات استعمارية حول مسيحية الأرض والانسان (البربري).
39	8- نظرة الفرنسيين للمغرب الإسلامي (القرون المظلمة)
44	ثانيا: مصادر التاريخ الاستعماري
45	1-المخطوطات
48	2-الأرشيف
53	3-وثائق المكتبات
54	4-الكشوف الأثرية (التاريخ المادي)
58	ثالثا: مناهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر
58	1-ترجمة المخطوطات
64	2-منهجية التحقيق الزمني
65	3-منهجية التخصص بالاعتماد على العلوم المكملة (المساعدة)
68	4-الجمع والتصنيف (الفهرسة)
69	5-منهجية نقد المصادر التاريخية
	الفصل الثاني: مشاريع ولجان البحث العلمي

75	أولاً: لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر (1837م-1842م)
75	1- التحضيرات الأولية
78	2- تشكيل اللّجنة وبدء الأشغال (1837م -1839م)
81	3- تركيبة اللّجنة
81	1-3 الأعضاء الملحقون
82	2-3 الأعضاء المساعدون
82	3-3 الأعضاء الدائمون
84	4- مهام اللّجنة
87	5- مسارها الاستكشافي (1839م-1841م)
89	6- لجان النشر
92	7- الانجازات العلمية (الكتب, التقارير, الدراسات)
92	1-7 العلوم التاريخية والجغرافية
108	2-7 المنشورات الأثرية
110	ثانياً- اللّجنة المئوية للاحتلال 1930م
110	1- التحضيرات الفرنسية الاحتفالية الأولية
111	2- اللّجنة التاريخية المنظمة
111	3- تركيبة اللّجنة الأثرية ومهامها
112	4- لجنة النشر وميزانيتها
114	5- التحضيرات النهائية
115	6- أهداف الاحتفالات المئوية ووسائل تطبيقها
117	7- الأبحاث التاريخية والأنشطة الأثرية للاحتفالات المئوية
117	1-7 المتاحف
118	2-7 المؤتمرات المخلدة للاحتفال
120	3-7 منشورات لجنة الاحتفال المئوية

	الفصل الثالث (النشاط العلمي للجمعيات التاريخية و الأثرية 1830م - 1930م)
136	أولا : الجمعية الأثرية لعمالة قسنطينة 1852 م
136	1-ظروف نشأتها
137	2-إطارها القانوني
137	3-تركيبتها (الأعضاء المؤسسون)
138	4-نشاطاتها البحثية
138	1-4الحوليات
139	2-4المجموعات للبحوث والمذكرات
142	ثانيا- الجمعية التاريخية لمدينة الجزائر 1856 م
142	1-ظروف تأسيسها
144	2-قانونها الأساسي
146	3-نشاطاتها العلمية (مواضيع البحث)
148	1-3 المخطوطات
154	3-2 الطرق الصوفية
158	3-3 المقاومات الشعبية
164	4-3 سير الأعلام
168	5-3 تاريخ المدن الأمم والشعوب
176	4-المنشورات الأثرية
180	ثالثا- الجمعية الجغرافية والأثرية لعمالة وهران
180	1-التأسيس
181	2-أعضاؤها المؤسسون
182	3-إنجازاتها العلمية
184	1-3 المنشورات الجغرافية

186	2-3-المنشورات الأثرية
187	3-3-المنشورات التاريخية
	الفصل الرابع: البحوث الأكاديمية الفرنسية المتخصصة (1879 م-1930)
190	أولا : المدارس التحضيرية العليا :مدرسة الآداب والحقوق والعلوم (1879م-1909م)
190	1-ظروف تأسيسها
192	2-قانونها الأساسي
193	3-الحصيلة العلمية (المنشورات التاريخية والأثرية والجغرافية)
203	4-مؤتمر المستشرقين الرابع عشر في الجزائر 1905م
204	1-4 أشغال المؤتمر
205	2-4 مداخلات المؤتمر
214	3-4-منشورات المؤتمر
214	أ-مجموعة المذكرات
214	ب-النصوص
224	ثانيا- جامعة الجزائر :
225	1-ظروف تأسيسها
228	2-ميزانية الجامعة
229	3-الحصيلة العلمية لكلية الآداب
229	1-3 المنشورات التاريخية
245	2-3 المنشورات الجغرافية: بيليوغرافيا حول جغرافية إفريقيا
246	3-3 المنشورات الأثرية
	الفصل الخامس: (آليات وأبعاد ارتباط النشاطات التاريخية و الأثرية بالمشروع الاستعماري الفرنسي وسبل الرد عليها)

249	أولا: استراتيجيات مشروع التأليف الاستعماري:
249	1- استراتيجة القضاء على الهوية الجزائرية
250	1-1 الدين الإسلامي
260	1- 2 اللغة العربية
269	3-1 الأرض والدولة
274	ثانيا: أبعاد المشروع الاستعماري
274	1- التنصير
281	2- الفرنسية
287	3- مصادرة الأرض - اللاحق-
292	ثالثا : أهداف المشروع الإستعماري
292	1- الأهداف الأيديولوجية
298	2- الادماج
303	3- الاستيطان
311	الخاتمة
317	الملاحق
335	البيبلوغرافيا
367	فهرس المحتويات